

گودیر لوس دی لا کلاو

# العلاقة - المخطرة

بکین الجنسین



ترجمة  
أديب مروه

الطبعة الاولى

كانون الاول ( ديسمبر ) ١٩٥٩

كودير لوس دي لاكلو

# العلاقاتُ النخِطرة بين الجنسين

نقلها إلى العربية ووضَع مقدمتها  
أديب مروّه

منشورات  
المكتب التجاري للطباعة والتوزيع والنشر - بيروت

للمترجم :

مسارح وابطال  
مجموعة قصص وتمثيلات

تأشيرة الى أوروبا  
دراسات وانطباعات

المسألة ( ترجمة )  
تأليف هنري الينغ

قريبا :

تمثيل حية  
قصص تمثيلية هزلية

« لقد اردت ان اترك اثرا يظل داويا  
فوق الارض حتى بعد مغادرتي اياها »  
« لا كلو »



كوديرلوس دي لا كلو  
مؤلف العلاقات الخطرة

١٨٠٣ - ١٧٤١

## مقدمة

### بقلم المتصم

ليس كتاب « العلاقات الخطرة » « Les Liaisons dangereuses » لمؤلفه كوديرلوس دي لاكلو، بالكتاب الجديد، كما انه ليس بالكتاب القديم. بل يمكن القول انه كتاب جديد قديم في آن واحد ...

فهو جديد نظراً للضجة التي أثارت حوله اخيراً في فرنسا إثر ظهور فيلم سينائي استمدت قصته منه، وجعل الناس يستفيقون عليه بعد ان كادوا ينسونه فيقبلون على مطالعته وكأنه صدر حديثاً لأول مرة، مما حمل ثلاثة دور نشر على التسابق الى نشره بمئات الالوف من النسخ.

وهو قديم في الواقع لانه نشر لأول مرة عام ١٧٨٢ - اي قبل اعلان الثورة الفرنسية الكبرى بسبعة اعوام - بعد ان صمم مؤلفه على الاتيان «بأثر يظل داوياً فوق الارض حتى بعد ان يكون قد غادرها»

وأحسب انه كان للمؤلف ما اراد ... اذ حين نشرت هذه الرواية لأول مرة على يد الناشر ديران نيفي Durand Neveu في باريس تبرأ منها واضطر الى تأكيد اختلاق حوادثها كما سنرى في المقدمة التي وضعها بنفسه للكتاب. وقد اثارت الرواية عند صدورهما فضيحة ونجاحاً هائلين، وتحافظ القراء النسخ القليلة الاولى التي صدرت منها - وكان عددها الفان فقط - في مدى ايام معدودة. ومنذ ذلك الحين حتى يومنا هذا صدرت احدى وخمسون طبعة من رواية دي

لاكلو هذه ، مع ان مؤلفاته الاخرى من سياسية وغيرها - هذا اذا اعتبرنا «العلاقات الخطرة» لامت الى السياسة بصلة - لم تلق ابدأ مثل هذا النجاح ، بل على العكس بقيت مغمورة جداً ، حتى ليصح القول ان دي لاكلو لم يعش إلا ليؤلف «العلاقات الخطرة» التي كانت اهم اثر انتجه في حياته . وقد ترجم هذا الكتاب ، ونقلت قصته الى معظم لغات العالم حتى انه ترجم اخيراً الى اللغة الروسية رغم ما عرف عن السوفييات من تحفظ تجاه الآثار « الجريئة» التي ينقلونها الى لغتهم في العهد الحاضر .

ولقد قيل عن رواية دي لاكلو انها تمثل في ميدان الاخلاق الغرامية وطبائع الحب ما يمثله كتاب «الامير» لمكيافيلسي في ميدان الاخلاق السياسية في القرن السادس عشر .

ولكن من هو دي لاكلو هذا؟ وما سبب قيمة روايته هذه التي اثرت حولها كل هذه الضجة ؟

قبل ان نستعرض الرواية ينبغي علينا ان نتحدث قليلاً عن مؤلفها ، ونعرف نبذة عن حياته وعن العصر الذي عاش فيه .

ولد بيير أمبرواز - فرانسوا كوديرلوس دي لاكلو في مدينة أميان بفرنسا في ١٨ تشرين الاول سنة ١٧٤١ ، وبعد ان انهى دراساته بنشاط ، اتجه نحو الجندية وانخرط في سلاح المدفعية ، وكان ان صعد سلم الترقية سريعاً ، وانتقل من حامية الى حامية : من تول الى ستراسبورغ إلى غرينوبل الى بيزانسون ، الى فالانس ، وفي سنة ١٧٧٩ عمل تحت ادارة الماركيز دي مونتالامير على تشييد تحصينات جزيرة اكس . وفي سنة ١٧٨١ طلب منحه اجازة ، فأصدر في ربيع سنة ١٧٨٢ روايته هذه «العلاقات الخطرة» التي احدثت دويماً كدوي القنبلة في مجتمع تلك الأيام ، وكان عمره حينئذ ٤١ سنة ، وهو برتبة كاتبين .

وفي سنة ١٧٨٤ تزوج من فتاة كانت قد حملت منه سفاحاً هي الآنسة ديبيره ، وأصبح خلال الثورة الفرنسية التي اعلنت سنة ١٧٨٩ من عملاء الحزب الاورليانزي ، ثم سجن مرتين بسبب علاقاته بدوق اورليان ، وكان ان اطلق سراحه



في النهاية ، وعينه بونابرت في جيش الرين بايطاليا برتبة جنرال مدفعية . وتوفي دي لاكلو بمدينة تارانت في ٥ أيلول سنة ١٨٠٣

وقد اشتهر بطموحه الذي لا حد له وطباعه المتحررة ، ولا غرو فهو يمثل باخلاقه عصراً منحللاً مفعماً بالمتناقضات ... وكان متأثراً بجان جاك روسو الذي يدعو الى تحرر الانسان من ربة العادات والتقاليد والعيش بين احضان الطبيعة . ولعل كتاب « الاعترافات » لروسو كان له تأثير بالغ في شخصية دي لاكلو ، لأنه يكثر من الاستشهاد به وبؤلفه في كثير من المناسبات ، كما انه هذا في طريقة كتابة روايته هذه حدو روسو في روايته « هيلوييز الجديدة » إذ صاغها بقلب الرسائل كما سيري القارىء .

وقد خلف دي لاكلو آثاراً جمة غير « العلاقات الخطرة » فعالج المسرحية والرواية ، وكتب المقالات السياسية والانتقادية ، ووضع المحاضرات والابحاث الاخلاقية الاجتماعية ، ونظم بعض القصائد الخفيفة ، ولكنها منيت جميعها بالاخفاق التام ، واعتبرت من الآثار القليلة الشأن ، وهي في مستوى ضعيف جداً . ولذلك فان « العلاقات الخطرة » هي الاثر الوحيد ذو القيمة الفنية الممتازة الذي وضعه دي لاكلو ، مع انه لا يخلو من هنات واخطاء شتى من حيث الاسلوب واللغة ، والقواعد النحوية ، مما اشار اليه كثير من النقاد ومدرسي الأدب على مرّ العصور ..

ولعل ما اثارته رواية « العلاقات الخطرة » عند صدورها من ضجة واهتمام لدى الرأي العام عائد الى ان النفوس كانت في ذلك العصر تغلي بالثورة والنقمة على لويس السادس عشر وحاشيته وبطانته من اصحاب الالقاب النبيلة من كونت وماركيز ودوق وفيكونت وشيفالييه (فارس) الخ .. فاذا بهذه الرواية تؤجج تلك الثورة ، بما صورته من فساد وفجور هذه الفئة من القوم ، وكان ان انقسم الجمهور إزاءها بين مؤيد لها محبذ لصدورها وبين مستنكر لها ناقم عليها بسبب ما حوته من تصوير اباحي وانتهاك لحرمة الدين \* ، وحمى الفضيلة والاخلاق !

\* يهمني ان أشبر هنا الى أي خفت واستبدلت جميع العبارات التي قد تتضمن أو ما يفهم

ثم طغت الاحداث السياسية على ضجة الرواية ، لا سيما بعد انفجار الثورة ، ومجيء نابليون في ما بعد .. وكان ان تحولت «العلاقات الخطرة» إلى اثر أدبي كلاسيكي يُدرّس في الكليات والجامعات من بين مواد الادب الفرنسي ، شأنها في ذلك شأن سائر الآثار المتمردة التي يطفح بها ادب القرن الثامن عشر ، لأنها في عرف المدرسين تشكل ، رغم جرأتها ، اثرأ بارزاً من الآثار التي صورت الحياة الفرنسية ، او بالأحرى حياة طبقة من طبقات الشعب الفرنسي في نهاية ذلك القرن اصدق تصوير . وقد رسمت رواية دي لاكلو بالذات صورة صادقة عن عادات وتقاليد واخلاق مجتمع ذلك العصر الزاخر بالاحداث ، والذي كان بمثابة نقطة تحول في تاريخ فرنسا لا بل وتاريخ أوروبا جمعاء .

وهكذا فالرواية التي نحن بصدها الآن هي - اذن - رواية ادبية كلاسيكية قديمة ، موضوعة في متناول طلاب كليات الادب في الجامعات ، وهي من المواد المقررة التي يطلب اليهم ان يطلعوا عليها ويدرسوها لاستجلاء كنوز الادب الفرنسي الكلاسيكي واكتناه اسراره وغوامضه .

ولذلك لم نجد غضاضة في نقلها الى اللغة العربية بسبب ما أثارته وما زالت تثيره من ضجة في غابر الايام وحاضرها . وبسبب ما يشتم منها من معاني سياسية عميقة يستشفها القارئ الفطن من خلال الصور الحلاعية الجريئة التي يرسمها المؤلف ببراعة .

ولا غرابة إذن ان يكون الفيلم السينمائي الذي استمد المخرج روجيه فاديم قصته من هذه الرواية اخيراً قد اثار بدوره في عصرنا هذا ضجة لا تقل عما أحدثه صدور الرواية نفسها لأول مرة ، مما حمل الحكومة الفرنسية الراهنة على التدخل بالأمر ، وبمحت القضية في مجلس وزاري ، مما يرد تفصيله في الكلمة التي علق بها شيخ الصحافة العربية الاستاذ محمد التابعي على هذا الفيلم خلال مقال افتتاحي من مجلة « آخر ساعة » المصرية ، وقد اثبتنا كلمة التابعي بعد هذه المقدمة نظراً

---

منها أي مساس بالدين وبمحرمة رجاله وشعائره ، دون ان يقلل ذلك من شأن الرواية وسببها ، لاسباب لا تخفى على احد .

لالتصاقها بقيمة الرواية ، وما تلقيه من ضوء على الأثر الذي أحدثته في النفوس .  
وانه لما يبعث على الاستغراب حقاً ان يكون جمهور اليوم في فرنسا قد اثار  
حول فاديم ، الضجة نفسها التي اثارها جمهور الامس حول دي لاكلو . كل ذلك  
لان فاديم شاء ان يكون اميناً في نقل احداث الرواية وعقدتها الى عصرنا الحاضر  
فوق الشاشة البيضاء ، فاعتبر البعض ان في فيلمه هذا تمريضاً بالطبقة الحاكمة  
الحالية بفرنسا ... لان الرواية في الاصل بتصويرها مبادئ النبلاء ، تتضمن تهجماً  
غير مباشر على الطبقة الحاكمة المستهترّة في ذلك العهد . وقد دافع فاديم عن نفسه  
بقوله انما هو في هذا الفيلم يروي تاريخاً من التاريخ لا التاريخ الراهن .  
وبالفعل فهو لم يفعل سوى انه نقل قصة كتاب مباح تتداوله الايدي منذ حوالي  
قرنين من الزمن الى السينما الحديثة .

وفي الواقع ان من شأن ابطال دي لاكلو ان يثيروا فضيحة وصدمة في كل  
عصر ومكان . فقد كانوا « تقدميين » ولكن على طريقتهم الخاصة ، لانهم كانوا  
داعرين فاسقين ! وما قيمة الفاسق في مجتمع خاضع للاعتبارات الدينية التي تفرض  
على نسائه الاحترام الدقيق لمظاهر الفضيلة ؟ وما هو الفسق ان لم يكن التهجم  
الواقع على هذا المجتمع ؟

بيد ان دي لاكلو قد اوضح موقفه من هذه القضية بصورة لا تقبل الجدل ،  
وذلك في « الخطاب » الذي ردّ به على سؤال « اكاديمية شالون سيرمارن » حول  
« احسن الطرق لاتقان تربية النساء » . وقد اجاب على ذلك بقوله : « ليست  
هناك اية طريقة لاتقان تربية النساء ، وما دامت العبودية ترسف في كل مكان فلا  
 مجال للتربية . فالتربية هي تنمية الملكات والمواهب ، وتوجيه هذه الملكات نحو  
الفائدة الاجتماعية . واذا عمدنا ، بدلاً من توجيه هذه الملكات نحو الفائدة  
الاجتماعية ، الى نشرها لكي نطويها على نفسها في ما بعد ، فاننا بذلك نكون قد  
أتقنا الغريزة ، وهذه ليست تربية بل حرماناً » .

ثم يصيح دي لاكلو قائلاً : ايتها النساء ، اقتربن مني ، وتعالين اصغين إليّ ،  
تعالين لتتعلمن كيف انكن ولدتن رفيقات للرجل ، فاذا يكن تغدون عبادات له

وكيف انكن سقطتن الى هذه الحالة المشينة ، فاذا يكن تستمر أنها وتذوقنها ، كما لو كانت هي حالتكن الطبيعية ، وكيف انكن جردتتن من درجاتكن شيئاً فشيئاً ، بسبب تعودكن على العبودية ، فأصبحتن تفضلن الرذائل السهلة على الفضائل الصعبة القاسية بالنسبة للكائن الحر المحترم . »

والمهم في الأمر ان دي لاكلو يبرر في النهاية انحراف بعض النساء ، بسبب ظلم المجتمع . ويدعو المجتمع الى الأخذ بيد المرأة ، وتحريرها من عبوديتها ، وجعلها مساوية للرجال . مع تقوية ملكاتها ومواهبها وتوجيهها الوجهة الصالحة نحو خير المجتمع .

ولقد سجل المظهر الرئيسي للمشكلة الاخلاقية التي يثيرها كتاب « العلاقات الخطرة » الكاتب الشهير فرانسوا مورياك في كتابه « الفريسيون » حيث قال : ان انحرافاتنا الفردية المسكينة التي نطلق عليها اسم « الشر » ليس بينها وبين هذه الرغبة في تحطيم نفس من النفوس شيء مشترك ... فروح الشر كما عرفت في القرن الثامن عشر ووصفت في « العلاقات الخطرة » ما زالت كما اعلم جيداً تتنفس على بعد بضعة امتار من كنيسة . »

ومع ذلك فان كثيرين من الكتاب والنقاد دافعوا عن موقف دي لاكلو وهناؤه على جرأته ، ومنهم ف. ه. ديبيدور الذي لم يتردد، ضمن كتابه « المرأة الشفافة » في التنويه « بالقيمة المظهرة للآثار القوية التي تحلل دون شفقة الانسان بعد تجريده حقيقة من أية اشارة الى الخالق . وان هذه الآثار هي نادرة جداً ... لأن اولئك الذين يملكون الشجاعة على البقاء في وضع خائق يفرضه غياب الخالق أو ما يحل محله هم قلة نادرة . (لقد عجز رامبو نفسه عن ذلك ) فهناك لاروشفوكو و « العلاقات الخطرة » ، و « مزور العملة » لاندرية جيد ، واخيراً كتاب سارتر « الابواب المقفلة » « Huis clos » الذي يرسم بقسوة جافة تحبس الانفاس صورة هذه الصحراء القاحلة من الرمال والاماس التي هي عالم دون إله . ونحن هنا لسنا في معرض الدفاع عن لاكلو وكتابه هذا كما اننا لسنا في موقف التعرض له بخير أو بشر . بل اننا ننقله كما هو الى العربية كأثر بارز من آثار

الادب الفرنسي القديم الذي قد هم الكثيرين الاطلاع على كنوزه ودقائقه ،  
تاركين للقارئ ان يحكم عليه وحده، وأن يستخلص بعد مطالعته اياه ما يشاء من  
عظة أو عبرة أو صدمة .

اذ ليس من الضروري ان يكون التاريخ الادبي لكل امة من الامم حافلاً  
فقط بالروائع الاخلاقية والآثار الفاضلة ، بل أن في ادب كل امة - حتى في الادب  
العربي نفسه - نماذج من الآثار التي قد تختلف في مجونها وجرأتها ولا أخلاقيتها  
حسب طباع هذه الامة والمصور التي مرت بها، ومع ذلك فهي ان قلت او كثرت  
تشكل حيزاً هاماً من هذا الادب لا يجوز للمثقف الحصيف اغفاله او اهمال  
الاطلاع عليه .

والامثلة في تاريخ الادب العربي على ذلك كثيرة نكتفي بالاشارة منها هنا  
إلى اشعار امرئ القيس الجنسية ، ومعلقة النابغة الذبياني في المتجرده ، وقصائد  
ابي نؤاس الغلامية الخلاعية ، وحتى « الف ليلة وليلة » نفسها التي تعتبر من  
اروع آثار العرب بنظر الغرب لا تخلو من مشاهد جنسية اباحية متعددة .  
ونحن مع ذلك لا نستطيع التبرؤ من هذه الآثار او حذفها من تاريخنا الادبي ،  
بل على العكس نجد انه لا بد لنا من دراستها وتفحصها ، لأنها تعطي صورة حية  
عن طبيعة الحياة في عصورنا الخوالي . وكما كان الاديب والشاعر صادقاً في التصوير  
ورسم الاحاسيس والمشاعر كلما كان أدبه خالداً ، وكان لهذا الادب قيمته الخاصة  
التي يتميز بها .

من جهة النظر المتجرده هذه ينبغي على القارئ ان ينظر الى هذه الرواية التي  
ننقلها اليوم لأول مرة الى العربية ، على انها - كما قلنا - تصور الحياة في عهد من  
عهود التاريخ الفرنسي . واذا كان في هذه الرواية ما يثير ويصدم فلا شأن لنا  
بذلك ، بل كل غايتنا هي ان ننقل بأمانة اثرأ ادبياً ثميناً احدث وما زال يحدث  
ضجة كبرى بين الناس وحسبنا ذلك كدليل على ما له من قيمة واهمية ، وهذا  
ما يخوله بنظرنا ان يكون جديراً بالاطلاع لتقصي اسباب تلك الضجة .

## ادب مروءة

## تعليق التابعى على فيلم « العلاقات الخطرة »

« كتب الصحافي العربي الكبير الاستاذ محمد النابعي التعليق التالي على فيلم « العلاقات الخطرة » الذي استمدت قصته من هذه الرواية في مجلة « آخر ساعة » القاهرية بتاريخ ٢١ اكتوبر ١٩٥٩ نقله بحرفيته لأنه يلقي ضوءاً على التأثير الذي احدثته هذه القصة وما زالت تحدثه بين الناس » .

... واطمئنوا فالخرج المذكور فرنسي وليس عربياً واسمه روجيه فاديم ...  
وصناعته مخرج ومنتج سينمائي . والنقاد لا ينكرون عليه كفاءته ومواهبه الفنية ولكنهم يأخذون عليه انه استغل هذه المواهب في اكتشاف الفتيات الجميلات والتزوج منهن - واحدة بعد الاخرى - ثم عرض مفاتن اجسامهن العارية في « افلام » يخرجها لحسابه ! ..

وكانت بريجيت باردو أو ( ب . ب . ) كما تسمى الآن .. كانت زوجة له ثم طلقت منه . ولكن بعد ان اظهرها في عدة افلام .. او اظهر جسمها العاري حق من ورقة التوت !

وعلى كل حال فان ب . ب . اصبحت من اهم الصادرات الفرنسية . بل هي اليوم اكثر اهمية لفرنسا ولوزارة ماليتها والاقتصاد الفرنسي من شركة رينو للسيارات ومن محال كريستيان ديور وشاباريللي وموليتيه وكارفن للازياء .. لأن ارباح افلام بريجيت باردو تأتي لفرنسا بملايين الدولارات التي تزيد كثيراً على ما ترجمه فرنسا من بيع سياراتها وعطورها في امريكا .

وزوجة روجيه فاديم الحالية فتاة دنماركية شقراء اسمها (انيت ستروبيرج) وقد اظهرها اخيراً زوجها تاجر الاجسام العارية في فيلم اسمه (العلاقات الخطرة) وعرض الفيلم فعلاً في بعض دور السينما في الشانزليزيه ... ثم أوقف عرضه بأمر من مجلس رقابة السينما لان اعضاء المجلس الموقر رأوا أن الفيلم فاضح الى حد كبير ...

وقرر المجلس رفع الامر الى وزير الاستعلامات مسيو روجيه فرى .  
وشاهد الوزير الفيلم وقرر ان يعرض الامر على الخبراء ...  
وهؤلاء الخبراء من زملائه الوزراء

وهكذا وفي جلسة خاصة عقدت في منتصف الليل ... عرض الفيلم على الوزراء جاك سوستيل (لشئون الصحراء) وادمون ميشليه (للعدل) وموريس كوف ده مورفيل (للخارجية) ومدير بوليس باريس مسيو موريس بابون وبينما كانت هذه الجلسة الوزارية تستعرض الفيلم وتستمتع بمحاسن جسم الشابة الدانماركية الحسناء ... كانت ألوف من الباريسيين تحاصر ابواب دور السينما في الشانزليزيه وتطالب برؤية الفيلم الممنوع عرضه ...



وأمسك السادة الوزراء الفرنسيون بالعصا من وسطها واصدروا قرارهم وهو السماح بعرض الفيلم في فرنسا امام الكبار الذين تجاوزوا سن ١٦ .  
وعدم السماح بتصدير الفيلم خارج فرنسا .  
وقيل في هذا ان الحكمة في هذا المنع ليست حماية الآداب في الاقطار الاجنبية وانما الحكمة هي حماية سمعة فرنسا في الخارج لان في قصة الفيلم المذكور تشويهاً وخدشاً لسمعة الجمهورية الخامسة ؟ .



وانقسم الرأي العام ... وأصبح فيلم (العلاقات الخطرة) حديث الساعة .  
بعضهم احتج على السماح بعرض الفيلم في فرنسا . وقال انه اذا كانت السينما خادشاً لسمعة فرنسا في الخارج فاولى به ان يمنع كذلك في داخل فرنسا .. لأن

سمجة فرنسا تهم الفرنسيين قبل ان تهم الاجانب .  
وآخرون احتجوا باسم الفن وحرية الفن ونادوا بان فرنسا كانت دائماً مهد  
الحرريات جميعاً ... وطالبوا بعرض الفيلم بدون قيد وشرط ...

\*\*\*

ويرى المارة في حي الشانزليزيه طوابير تمتد نحو كيلومترين امام أبواب دور  
السينما التي يعرض فيها الفيلم ...

طوابير من الذين ينتظرون دورهم للدخول ومشاهدة الفيلم المذكور .  
وأما مسيو روجيه فاديم مخرج ومنتج الفيلم فانه يخشى أن لا تغطي إيرادات  
الفيلم نفقاته بسبب منعه من التصدير الى الخارج .  
ولكنه يعزي نفسه ويقول : على كل حال سوف استطيع ارساله الى الخارج  
بعد سقوط هذه الجمهورية الخامسة !

محمد التابعي



## العلاقات الخطرة

أو

رسائل مستقاة من أحد المجتمعات  
ومشورة لتتوزع بعض المجتمعات الأخرى

بقلم

مسيو ك. د. ل. ك.

« لقد رأيت عادات هذا العصر

فنشرت هذه الرسائل »

جان جاك روسو

( من مقدمة « هيلويز الجديدة » )

## تحذير من الناشر\*

نظن ان من الواجب تحذير الجمهور - رغم عنوان هذا المؤلف، ورغمما يقوله المؤلف في مقدمته - من اننا لا نضمن صحة هذه المجموعة من الرسائل، ولدينا اسباب قوية تجعلنا نعتقد انها ليست سوى مجرد رواية .

ويبدو لنا فضلاً عن ذلك ان المؤلف الذي حاول أن يبدو اقرب ما يكون الى الحقيقة، قد حطم هذه الحقيقة بنفسه ودون حذاقة، بسبب العصر الذي جعل هذه الاحداث التي ينشرها الآن تدور فيه . وبالفعل فإن كثيراً من الاشخاص الذين أبرزهم على المسرح هم من ذوي الاخلاق السيئة الفاسدة بحيث نجد من المستحيل الافتراض انهم عاشوا في قرننا هذا : قرن الفلسفة، وقد جعلت الاضواء المنتشرة من جميع الجهات - كما يعلم كل منا - جميع الرجال شرفاء وجميع النساء متواضعات متحفظات !

في رأينا اذن أنه لو كانت لهذه المغامرات الواردة في هذا المؤلف اساس من الصحة، لما كانت جرت حوادثها الا في امكنة أو عصور اخرى . ونحن نستنكر على المؤلف ان يكون قد تجرأ فأبرز طبائع و اخلاقاً غريبة عنا، في ازيائنا وعاداتنا . منجذباً ظاهرياً بالأمل في إثارة المزيد من الاهتمام، عن طريق تقربه الشديد من عصره وبلاده .

---

\* مقدمة كتبها ناشر الكتاب عند صدوره لأول مرة في باريس سنة ١٨٧٢ وقد شاء كما نلاحظ ان ينفي صحة حوادث الكتاب لاسباب لا نخفى على القارىء . وذلك دفعاً لثقة الجماهير عليه، وتغادياً لانتقاد الاخلاقيين . « المترجم »

ولكي نصون على الأقل - ما دام الأمر يتعلق بنا - القارىء السريع التصديق،  
من اية مفاجأة في هذا الصدد، فإننا ندعم رأينا هذا بقوة المنطق ونعرضه بكل  
ثقة . لأن هذا الرأي يبدو لنا منتصراً لا يحتاج الى جدل . ذلك ان ذات  
الاسباب لا ينتج عنها الا ذات التأثيرات ، ولذلك لا نشاهد مطلقاً اليوم آنسة  
يبلغ دخلها ستين الف ليرة تجعل من نفسها راهبة ، كما لا نرى ابداً رئيسة صبية  
فاتنة تموت من شدة الحزن .

## مقدمة المؤلف

هذا الكتاب - أو بالأحرى هذه المجموعة من الرسائل التي ربما سيجدها القارئ ضخمة جداً - لا يضم الا أقل عدد ممكن من الرسائل التي تشكل المراسلة الكاملة التي أخذت عنها. وقد كُلفتُ بوضع الترتيب من قبل الاشخاص الذين وصلت اليهم ، وكنت اعلم ان الغاية من ذلك هي نشرها ، فلم اطلب مكافأة على جهودي سوى السماح لي بحذف ما لا اجده مناسباً . لقد جهدت بألا أحتفظ بالفعل الا بالرسائل التي بدت لي ضرورية ، ان كان من حيث مجرى الأحداث أو من حيث تطور الطباع . واذا أضفنا الى هذا العمل ، تنسيق الرسائل وترتيبها ، وهو ترتيب اتبعت فيه دائماً المحافظة على التسلسل التاريخي ، وابداء بعض الملاحظات القصيرة النادرة التي لا ترمي في معظمها الا الى الإشارة لمصادر بعض الاستشهادات أو تبرير بعض الحذف الذي سمحت لنفسى به ، لتبين لنا مدى المساهمة الضئيلة التي قمت بها في هذا المؤلف ، ولم تتعدَّ مهمتي ذلك \*

لقد اقترحت اجراء تبديلات أوسع ، وكلها تقريباً متعلقة بصفاء العبارة أو الأسلوب الذي لا يخلو من أخطاء كثيرة. كما رغبتُ في أن يُؤدَّن لي باختصار

---

\* ينبغي ان ألفت النظر الى اني حذف وبدلت جميع اسماء الاشخاص الذين تتعلق بهم هذه الرسائل ، فاذا كان بين الاسماء الجديدة التي وضعتها مكان الاسماء الاصلية ما يخص بعضهم ، فان ذلك من قبيل الخطأ الصادر من جانبي ، وهو ما يلزم عدم التعميل عليه  
(المؤلف)

بعض الرسائل الطويلة ، وبينها ما يعالج بصورة منفصلة ودون صلة تقريباً ، مواضيع غريبة الواحد عن الآخر . وان هذا العمل الذي لم يؤذن لي به ، ما كان ليكفي بدون ريب لإعطاء قيمة الى هذا الأثر ، بل لكان على الأقل ازال قسماً من هناته .

لكنني جويت بأن هذه الرسائل هي ما يراد اطلاع الناس عليها وليس نشر كتاب مستمد منها . وانه لما يجافي الحقيقة أو الواقع أن يكون الأشخاص الثانية أو العشرة الذين اشتركوا بها قد كتبوا جميعهم رسائلهم بأسلوب ذي صفاء متعادل . وان ما تصورته يدل على انه ليس هناك احد على العكس قد ارتكب اخطاء جسيمة ، وانه ليس عرضة للانتقاد .

ولقد رددت عليّ أيضاً بأن أي قارئ متعقل سيتوقع اكيراً العثور على اخطاء في مجموعة من رسائل بعض الناس الخاصة . لأنه في جميع المجموعات التي نشرت حتى الآن لمختلف المؤلفين المحترمين وحتى لبعض اعضاء الاكاديمية ، لم نجد احداً منهم بمنجى عن هذا المأخذ . غير ان هذه الأسباب لم تقنعي . ووجدتها - كما لم أزل اجدها ايضاً - ان من الأسهل ابداءها بدلاً من تلقيها . ولكنني لم اكن السيد المطلق التصرف . وكان أن استسلمت للأمر . انما احتفظت بحق الاحتجاج والتصريح بأن ذلك لم يكن من رأيي ، وهذا ما افعله الآن .

أما في ما يتعلق بالقيمة التي قد تكون لهذا الكتاب ، ولعله ليس من حقي ان اعبر عنها ، فان رأيي لا ينبغي ولا يستطيع ان يؤثر في رأي احد . ومع ذلك فاولئك الذين يرتاحون قبل البدء باحدى المطالعات لمعرفة ماذا ستضمنه ، بإمكانهم ان يستمروا ، اما الآخرون فمن الافضل لهم ان يبسداً أو رأساً بقراءة الكتاب نفسه ، فسيعلمون ما فيه الكفاية .

ان ما استطيع قوله اولاً هو انه لو كنت استطيع نشر هذه الرسائل كما اشتهي ، لكننت مع ذلك ابعدها ما اكون عن توقع نجاحها ، وأرجو ألا يؤخذ هذا الصدق من جانبي على انه تواضع يتلاعب به المؤلف . إذ اعلن بالصراحة نفسها بأنه لو لم تبد لي هذه المجموعة جديرة بأن تعرض على الجمهور ، لما شغلت .

تفسي بها . فلنجرّب اذن التوفيق بين هذا التناقض الظاهر .

ان قيمة اي كتاب تتألف من منفعته وامتته ، لا بل من الاثنتين معا حين يكون ثمة مجال للتأويل ، ولكن النجاح الذي لا يدل ابدأ على القيمة ، ينتج غالباً عن اختيار الموضوع اكثر من تنفيذه ، وعن مجموعة الاهداف التي يرمي اليها اكثر من الطريقة التي تعالج بها هذه الاهداف . بينما يسود هذا المؤلف المتضمن كما يدل عليه عنوانه مجموعة رسائل مجتمع بالذات ، اختلاف في المصالح مما يضعف مصلحة القارئ ، وفضلاً عن ذلك فان جميع المشاعر التي وردت فيه ، لا تستطيع ان تثير - بسبب كونها متكلفة ومتخفية - إلا رغبة في الفضول هي دائماً اقل من رغبة العاطفة ، لأن رغبة العاطفة تميل نحو التسامح ، وتدع الأخطاء الموجودة في التفاصيل تبرز وتظهر .

ولكن ما يعرض عن هذه الهنات او عن قسم منها الميزة التي تتفرد بها طبيعة هذا المؤلف : أقصد تنوع الاساليب ، وهي ميزة يتوصل اليها الكتاب بكل صعوبة ، ولكنها هنا تتمثل من تلقاء نفسها ، وهي تمقد على الأقل ضجر الرتبة .

إن كثيرين يستطيعون ان يجدوا عدداً كبيراً من الملاحظات ، جديدة أو معروفة قليلاً ، وهي مبعثرة هنا وهناك في هذه الرسائل . وهذا ايضاً كما اعتقد كل ما يمكن ان يؤمل من متع ، بعد الحكم عليها بكثير من الموهبة .

اما فائدة هذه الرسائل التي قد تكون موضع جدل ، فانها تبدو لي مع ذلك سهلة الاستنتاج . وفي رأبي على الاقل انها تسدي خدمة للاخلاق بكشفها عن الوسائل التي يستخدمها اولئك الذين لا اخلاق لهم لإفساد أصحاب الاخلاق الفاضلة . وأعتقد أن هذه الرسائل تستطيع ان تساهم بفعالية في تحقيق هذه الغاية . ويمكن العثور فيها ايضاً على البرهان والمثل عن حقيقتين هامتين قد يُظن انها مجهولتان لقلّة ما تستعملان وهما: الاولى ان كل امرأة توافق على استقبال رجل عديم الاخلاق في مجتمعها ، تنتهي بأن تصبح ضحيته ، والاخرى ان كل أم تعذب لكون شخص آخر يتمتع بثقة ابنتها هي ام غير محترسة . وأن الفتيان

والفتيات يستطيعون ان يتعلموا من هذا الكتاب ان الصداقة التي يقدمها لهم الاشخاص عديمو الاخلاق بسهولة ليست إلا كميناً خطراً وحاسماً بالنسبة لسعادتهم وفضيلتهم . ومع ذلك فان الافراط في الثقة ، وهو دائماً قريب من الخير ، يبدو لي هنا مما يخشى شأنه كثيراً . ومع انه لم يخطر في بالي أن أنصح الشبان والشابات بقراءة هذا الكتاب ، فان ما يبدو لي اكثر أهمية ، هو ابعاد أية مطالعة من هذا النوع عنهم .

ان الفترة التي تكف فيها هذه القراءة عن ان تكون خطرة ، وتصبح مفيدة ، قد حددتها لي أمّ ممتازة بالنسبة لبنات جنسها ، اذ قالت لي : « أعتقد ، بعد قراءة مخطوطة هذه الرسائل ، انني أسدي أجلّ خدمة الى ابنتي ، بتقديم هذا الكتاب اليها يوم زواجها » . واذا كانت جميع الامهات يفكرن مثل هذه السيدة فأني سأهنئ نفسي إلى الأبد لكوفي احسنت في نشره .

ولكن مع اعتمادي على هذا الافتراض المشجع ، فان نجاح هذا الكتاب لا يبدو لي مضموناً ، بل يخيل لي دائماً انه سيعجب عدداً قليلاً من الناس ، فالرجال والنساء المفسودون ، يجدون من صالحهم أن يتهجموا عليه لأنه قد يؤذيهم . وبما ان البراعة لا تنقصهم ، فلربما سيثيرون ضده المتحنبلين المزمتمين الذين يفزعهم مشهد الاخلاق الساقطة التي لا يُخشى من نشرها .

اما من يزعمون بانهم اصحاب فكر قوي ، فإنهم لا يأبهون ابداً لامرأة تقية فاضلة إلا من حيث انها تمثل الانثى . بينما سيفضّب الاتقياء الورعون لرؤيتهم انهيار الفضيلة ويتأسفون لكون الدين لا يظهر تشدداً كافياً .

ومن ناحية ثانية فان الاشخاص ذوي الازواق المرهفة سيتقززون من الاسلوب الشديد السهولة الكثير الاخطاء في عدد كبير من هذه الرسائل ، بينما سيجد القراء - الذين تجذبهم فكرة ان كل مطبوع هو ثمرة جهد - في بعض الرسائل طريقة مؤلفة مؤلف يظهر وراء الشخصية التي يجعلها تتحدث .

واخيراً سيقال - ربما بصورة عامة - ان لا قيمة لكل شيء الا في مكانه ، وانه اذا كان الاسلوب المنقح جيداً لأحد المؤلفين سينزع عادة جمال رسائل مجتمع

معين بالذات ، فان ما ورد في هذه الرسائل من اهمال يغدو بمثابة اخطاء حقيقية ويجعلها لا تفتقر حين تسلم للطبع .

اني اعترف بصدق ان جميع هذه المآخذ يمكن ان يكون لها اساس : واعتقدايضاً انني أجد من السهل الرد عليها، لا بل دون أن أتجاوز طول المقدمة، ولكن ينبغي ان نشعر انه اذا كان من الضروري الرد على كل شيء. فهذا يعني أن الكتاب لا يستجيب لأيه فائدة . واني لو حكمت على الأمور بمثل هذا المنطق لكنت حذفتم في آن واحد المقدمة والكتاب .



القسم الثاني

## من سبيل فولانج الى صوفي كارني

في مدرسة ... الداخلية للبنات

باريس في ٣ آب ?? ١٧

ترين ، يا صديقتي الطيبة ، انني أفي بوعدني ، وان القبعات وطرابطيرها لا تستغرق كل وقتي ، بل يظل عندي الوقت الكافي دوماً لأتحدث اليك ، لقد شاهدت من الزينات والحلى هذا النهار وحده اكثر مما رأيت خلال السنوات الاربع التي قضيناها معاً . وأعتقد ان زميلتنا الرائعة تانفيل سينتابها حزن شديد عند أول زيارة لي حيث انوي دعوتها . اذ طالما تباهت علينا كل مرة حضرت لرؤيتنا وهي ترتدي أفخر الملابس . لقد استشارتني أمي في كل شيء ، ولم تعد تعاملني كالسابق عندما كنت طالبة داخلية ، فلي الآن خادمة خاصة بي ، كما ان لديّ غرفة ومقصورة أتمتع بهما وحدي ، وانني اكتب اليك الآن فوق مكتب جميل جداً تسلمت مفتاحه ، وأستطيع ان احتفظ في داخله بكل ما أشاء . وقد قالت لي أمي انني سأراها كل يوم عند نهوضها من النوم ، وحسي ان أكون قد اكملت زينيكي لكي تتناول الغداء . لاننا سنكون دوماً وحدنا ، وعندئذ ستعين لي امي كل يوم الساعة التي ينبغي عليّ فيها ان أذهب لملاقاتها بعد الظهر . اما ببقية الوقت فأنا حرة التصرف ، ولديّ قيثارتني ورسومي وكتبي كما كان الحال في المدرسة ما عدا أنه لا توجد هنا المديرية بيربيتو لكي تقرر عني ، وان الامر متوقف علي وحدي لكي لا أعمل شيئاً . وبما انه ليس معي صوفيتي العزيزة لكي نتحدث ونضحك ، فإنني أفضل ان أشغل نفسي بشيء ما .

الساعة الآن لم تبلغ الخامسة بعد ، وليس عليّ أن أذهب لمقابلة أمي إلا في الساعة : وهذا وقت كاف لو كان عندي ما أحدثك به ! لكنهم حق الآن لم يحدثوني عن شيء ، ولولا الاستعدادات التي يجب أن أقوم بها ، والعاملات الكثيرات اللواتي يحضرن كلهن من اجلي ، لكنت اعتقدت انهم لا يفكرون بتزويجي ، وان القضية لا تتعدى ثرثرة بوابة المدرسة جوزفين . مع ان امي قالت لي غالباً أن البنت يجب ان تبقى في المدرسة الداخلية حتى يحين موعد زواجها ، وبما انها اخرجتني منها ، فلا بد ان تكون جوزفين علي حق .

انني اري عربة فاخرة تتوقف عند الباب ، وقد طلبت إليّ أمي الآن بأن أوافيها حالاً . فاذا كان هذا هو الرجل المنتظر...؟؟ فاني لم ارتد ملابسني بعد ، وأشعر بيدي ترتجف وقلبي يخفق . لقد سألت خادمتي عما اذا كانت تعلم من هو الذي يمكن ان يكون عند امي ، فقالت لي : انه السيدش . . . ثم ضحكت ! آه ! اعتقد أنه هو . سأعود حتماً بعد قليل لأروي لك ماذا يكون قد حدث . واليكِ دوماً اسمه . يجب عليّ ألا أجعلهم ينتظروني طويلاً . الوداع ، وإلى فرصة قصيرة .

كم ستسخرين من سيسيل المسكينة ! آه ! لقد كنت حبيبة جداً . ولكنك لو كنت مكاني لكان وقع لك ما وقع لي . اذ حين دخلت على أمي ، رأيت رجلاً يرتدي طقمًا أسود ، واقفاً إلى جانبها . فحييته بقدر ما استطعت ، وبقيت في مكاني دون ان اتكن من الحراك . انك لتتصورين كم تفحصته ! وقال لوالدتي وهو يحسني : « انها يا سيدتي أنسة لطيفة عذبة جداً ، وانني أشعر اكثر من اي وقت مضى بقيمة عطفك » . اعتراني ازاء هذا الاطراء الايجابي ارتجاف لم استطع معه ان اتمالك نفسي ، وعثرت على مقعد وثير فجلست عليه وانا حمراء مرتبكة من شدة الخجل ، ولم يرض علي جلوسي إلا هنيهة قصيرة حتى جاء هذا الرجل يركع عند ركبتي . وعندئذ اضاعت سيسيلتك المسكينة صوابها ، وكنت كما قالت أمي مذعورة جداً . فنهضت وأنا اطلق صرخة جادة ... كما لو انها الرعد .

وانفجرت امي ضاحكة وهي تقول : ماذا بكِ ؟ اجلسي ، وناولني قدمكِ الى الرجل . وبالفعل ، يا صديقتي العزيزة ، لقد كان الرجل صانع أحذية ! انني لا استطيع أن أصور لك مبلغ خجلي ، لحسن الحظ لم يكن هناك سوى أمي . أعتقد انني حين أتزوج لن استعين ابدأ بهذا الحذاء . ان هذه الحكاية تختلف كثيراً عما كنت افكر بأن أرويه لك .

اعترفي معي اذن باننا هاننا نحن اصبحنا عالمات . الوداع ، الساعة الآن هي قرابة السادسة ، وها هي خادمتي تقول لي بأن عليّ ان ارتدي ملابسني ، الوداع يا صوفيّتي العزيزة ، احبك كما لو كنت في المدرسة . لا اعلم بواسطة من سأبعث اليك هذه الرسالة ، ولذلك سأنتظر مجيء جوزفين .

## ٢

### من المر كيزة دي ميرتاي إلى الفيكونت دي فالمون

في قصر ...

باريس في ٤ آب ?? ١٧

عُد يا عزيزي الفيكونت ... عد : ماذا تفعل ؟ وماذا يمكن ان تفعل عند عمة عجوز اورثت أملاكها إلى سواك ؟ تعال في الحال ، انني بحاجة اليك . فلقد ساورتني فكرة رائعة ، وأود أن اعهد اليك بتنفيذها . هذه الكلمات يجب ان تكفي . وانه ليشرفني جداً اختياري هذا . عليك ان تأتي بسرعة ، وتلقى اوامري على ركبتيك . ولكنك لن تستغل طبيعتي وتساحي ، حتى بعد أن استغنيت عن استخدامها . وفي حالة وجود كراهية دائمة ، أو تسامح مفرط ، فان سعادتك تأتي الا ان تفوز طبيعتي وتساحي على ما سواهما . أنني لأرغب اذن في اطلاعك على مشاريعي ، ولكن اقسام لي بوصفك فارساً اميناً انك لن تنساق في مغامرة اخرى قبل ان تحققى هذه المغامرة التي اعرضها عليك الآن ، وهي جديرة ببطل : لانك بذلك ستخدم الحب والانتقام . وستكون مغامرة أخرى تضيفها الى سجل مذكراتك . اجل مذكراتك ، لأنني أمتنى لو تُطبع في يوم من الايام

واتعهد بكتابتها . لكن لندع هذا الآن ، ولنعد الى ما يشغل تفكيري .  
أن السيدة دي فولانج ستزوج ابنتها سيسيل ، وما زال الأمر سرّاً حتى  
الآن ، ولم تطلعني عليه إلا بالأمس . ومن تعتقد انها اختارت كصهر ؟ انه  
الكونت دي جير كور . من كان يظن بأنني سأصبح ابنة عم جير كور ؟ إنني في  
حالة يرثى لها من الاستياء والنقمة بسبب ذلك ... ثم ألم تحزر بعد ؟

آه تباً للتفكير الثقيل ! أفتكون قد عفوت عن مغامرته لكي يتولى منصب  
الادارة؟ وأنا الا ينبغي علي ان اشتكي منه؟ .. يا لك من ظالم قاسي القلب ! (\*)  
لكنني أهدى نفسي ، لأنّ الأمل بأن انتقم لنفسي يعيد البشاشة الى روحي .  
لقد كنت متبرماً مئة مرة ، وأنا ايضاً ، من الاهتمام الذي يبذله جير كور من  
اجل المرأة التي سيمتلکها ، ومن أجل الزهو الاخرق الذي يجمله يعتقد أنه  
سيجنّب المصير المحتوم . انت تعرف ميله السخيف نحو الفتيات المتخرجات  
من الاديرة ، واقتناعه المبرم - وهذا لما هو أشد سخفاً ايضاً - بتحفظ  
الشقراوات . وبالفعل فأني اراهن أنه - رغم ايراد الستين ألف ليرة التي تملكها  
الصغيرة ابنة دي فولانج - ما كان ليسعى ابدأ الى هذا الزواج لو كانت هي  
سمراء أو لو لم تكن قد تلقت تعليمها في الدير . فلنبرهن له اذن على أنه ليس  
سوى أخرق أحمق . وسيصبح كذلك في يوم من الايام . ليس هذا ما يشغلني  
الآن ، بل المضحك انه بدأ من هنا . وكم سنتسلى في اليوم التالي حين نسمعه  
يزهو بنفسه حتماً ؛ ثم ، اذا تمكنت أنت من تدوير عقل هذه الفتاة الصغيرة ،  
فستكون هناك طامة كبرى اذا لم يغدُ جير كور كغيره اضحوكة باريس .

الخلاصة ان بطله هذه الرواية الجديدة تستحق كل عنايتك ، فهي حقاً جميلة ،  
وليس لها من العمر سوى خمسة عشر عاماً ، وهي بمثابة برعم الورد ، ولكنها

(\*) لكي نفهم هذه العبارة ، ينبغي ان نعلم ان الكونت دي جير كور كان قد  
تخلّى عن حب الماركيزة دي ميرتاي لكي يمشق الرئيسة ٠٠٠ التي فضلت عليه الفيكونت دي  
فالمون . وفي تلك الفترة تملقت الماركيزة والفيكونت احدهما بالآخر . وبما ان هذه  
المغامرة هي عادية جداً وهي سابقة في احداثها للفترة التي تجري فيها الحوادث الحالية  
فقد رأينا من المناسب حذف جميع الرسائل المتعلقة بها .

خرقاء في الحقيقة الى أبعد حدود الخرق .

انها ليست متكلفة ابداً . ولكنكم انتم معشر الرجال لا تخشون ابداً هذه الناحية . وفضلاً عن ذلك فإن لها نظرة مشبهة تغري بكثير من الوعود، اصف الى ذلك انني انصحك بها ، وليس عليك الا ان تشكرني وتطعني . ستصلك هذه الرسالة غداً صباحاً . وأصر على ان تكون عندي غداً في الساعة السابعة . انني لن استقبل احداً إلا في الثامنة حتى ولو كان الشيفالييه الحاكم : فليس عنده عقل لمثل هذه القضية الكبرى . أرأيت ان الحب لا يعميني . وفي الساعة الثامنة ساعيد لك حريتك ، على ان تعود في العاشرة لكي تتعشى مع الفتاة الحلوة ، لأن الأم والبنت ستتعشيان عندي . الوداع ، الساعة الآن الثانية عشرة ونيف ، وقريباً لن اشغل نفسي بكم .

٣

### من سيسيل فولانج إلى صوفي كارني

في مدرسة... الداخلية للبنات

باريس في ٤ آب ١٧??

لا أعلم بعد شيئاً يا صديقتي الطيبة . لقد كان هناك عدد كبير من القوم مدعوين للعشاء عند أمي . وعلى الرغم من الاهتمام الذي أبديته في تفحص الرجال بصورة خاصة ، فلقد ضجرت كثيراً . وقد حدثت بي الرجال والنساء وجميع القوم طويلاً ، ثم أخذوا يتهامون في ما بينهم . وكنت ألاحظ جيداً انهم يتحدثون عني . وهذا ما جعلني اصطبغ بالاحمرار دون ان استطيع تفادي ذلك . كم كنت اتمنى العكس ، إذ لاحظت حين كانوا ينظرون إلى النساء الاخريات أن هؤلاء لم يكن يصطبغن بالاحمرار ، أو لعل الأحمر الذي يصبغن به انفسهن كان يحول دون رؤية الاحمرار الذي يشيره الارتباك فيهن . لأنه ينبغي ان يكون من الصعب جداً عدم الاصطباغ بالاحمرار حين يتحدث فيك رجل دون ان يريم .

لكن ما اقلني اكثر من ذلك هو عدم معرفة ماذا يفكرون به نحوي .  
اظن اني سمعت مع ذلك مرتين او ثلاثاً كلمة « جميلة » ، ولكنني سمعت ايضاً  
بوضوح كلمة « خرقاء » . لا بد ان يكون ذلك صحيحاً ، لأن المرأة التي قالت  
ذلك هي قريبة وصديقة لأمي ، ويظهر أنها ابدت فوراً كثيراً من الصداقة  
نحوي . وهي الشخص الوحيد الذي حدثني قليلاً في السهرة وسنتعشى  
عندها غداً .

وسمعت ايضاً بعد العشاء رجلاً - وانا متأكدة انه كان يتحدث عني - يقول  
لآخر : « ينبغي تركها لكي تنضج ، وسنرى ذلك هذا الشتاء » . لعل هذا  
الشخص هو الذي يريد ان يتزوجني : ولكن الأمر لن يتم اذن إلا بعد أربعة شهور !  
انني لأتمنى ان اتعرف جيداً على ذلك .

هذه هي جوزفين ، انها تقول لي أنها متعجلة ، وأود مع ذلك ان اروي لك ايضاً  
إحدى التصرفات الخرقاء التي صدرت عني . آه اعتقد ان تلك السيدة على حق .  
بعد العشاء ، اخذ القوم يلعبون الورق ، فجلست بالقرب من والدتي ، ولا  
ادري ماذا حدث فكان إن غبت في سبات عميق على الأثر ، ولم افق الا على صوت  
قهقهات صارخة ، ولست أدري اذا كانوا يضحكون عليّ ، ولكنني اظن ذلك .  
وكان ان اذنت لي والدتي بالانصراف ، فبعثت بذلك السرور في نفسي ، تصوري  
ان الساعة كانت قد تجاوزت الحادية عشرة . الوداع يا صوفيتي العزيزة أحبي  
دائماً سيسيلتك ، واؤكد لك ان العالم ليس مسلياً بالقدر الذي كنا نتخيله .

## ٤

### من الفيكونت دي فالموي الى المر كيزة دي ميرتاي

في باريس

قصر ... في ٥ آب ١٧??

أوامرك شيقة ، وطريقتك في اصدارها هي اكثر لطفاً ايضاً . اذ تجعلين  
المرء يستعذب الاستبداد . وليست هذه اول مرة كما تعلمين آسف فيها لأن اكون

عبدك . ومهما كنت ظالماً قاسي القلب ، فاني اذكرك دوماً بلذة الوقت الذي كنت تشرفيني خلاله بصفات اكثر نعومة ورقة . انني لأود غالباً ان استحقتها من جديد ، وان اتوصل معك الى ضرب مثل على الثبات امام العالم . ولكن هناك مصالح أهم من ذلك تستدعينا كلا الاثنين؛ فالغزو هو رائدنا ويجب علينا أن نسلك طريقه : ولعلنا في نهاية مطافنا سنلتقي أيضاً . لانك - ولنقل ذلك دون ان تفضي ، يا مير كيزتي الحسنة - تتبعيني بخطى متساوية . وما دمنا ، مهما انفصلنا عن سعادة العالم ، نبشر بالآيمان ، كل منا من جهة ، فانك كما يبدو لي ، في هذه المهمة الغرامية قد سبقتني بالتبشير شوطاً بعيداً . انني أعرف حميتك وحماسك اللاهب ، واذا كان هذا الرب كالأخر ، يحكم علينا حسب أعمالنا ، فستصبحين يوماً ما شفيعة احدى القرى الكبرى . ان هذه اللمحة الصوفية تدهشك ، ليس كذلك ؟ ولكنني منذ ثمانية أيام لا أسمع ولا أتحدث لهجة سواها . انني ، في سبيل اتقانها ، اجد نفسي مضطراً لعصيانك .

لا تفضي ، بل أصغي اليّ ، انت يا مستودع جميع اسرار قلبي ، أود أن اسرّ اليك بأكبر مشروع وضعه مغامر حتى الآن في حياته . ماذا تعرضين عليّ ؟ اغراء فتاة صغيرة لم تر شيئاً ، ولا تعرف شيئاً ، ستستسلم إليّ دون دفاع ، وسيسكرها أول ثناء ، وسيدفعها الفضول نحوى اكثر مما يدفعها الحب ؟ عشرون غيري يستطيعون أن ينجحوا في هذا المضمار مثلي . ولكن المهمة التي تشغلني الآن ليست من هذا الطراز ، ان نجاحها يضمن لي قدراً من المجد مساوياً للذة ، وان الاكليل الذي سيتوج حبي مختار بين الآس والغار أو بالأحرى سيجمعها معاً لكي يحتفل بانتصاري .

وانت أيضاً يا صديقتي الحسنة ، ستنعين باحترام مقدس ، وستقولين بحماس : « هذا هو الرجل الموافق لقلبي » .

انت تعرفين الرئيسة تورفيل \* وورعها وحبها الزوجي ومبادئها التقشفية .

\* المقصود بالرئيسة هنا زوجة رئيس المحكمة ، اذ تفضي التقاليد في فرنسا بأن تمنح الزوجة عادة لقب الزوج . كما ان القاضي الذي يفغل منصب رئيس المحكمة القضائية يطلق عليه لقب الرئيس فقط .

( المترجم )



وهي الآن هدف هجومي . وهي العدو الجديري . والغاية التي اطمح الي بلوغها .

« واذ كان في امتلاكها لن احصل على الجائزة .

فسيكون لي على الاقل شرف السعي اليها » .

بالامكان الاستشهاد بايات رديئة حين تكون لشاعر كبير (\*) .

ستعلمين اذن ان الرئيس هو في بورغونيه بسبب دعوى كبيرة . ( آمل ان اخسره دعوى اخرى اكثر اهمية ) وان على زوجته التي لا تتعزى ان تمضي هنا طوال مدة هذا الترميل المحزن : قداس كل يوم ، بعض الزيارات الى فقراء الناحية ، وصلوات من الصباح حتى المساء ونزهات خلوية ، ومحادثات ورعة مع عمتي العجوز : تلك هي كل متعها الوحيدة ، وانني اهيبء لها متعاً اكثر فعالية ، لقد قادني ملاكي الرحيم الى هنا من أجل سعادتها وسعادتي . إنه أعمى القلب ! ولذلك أسف لأن اضحي باربع وعشرين ساعة في مجاملات عادية . وكم اكون مخطئاً اذا اضطررت للعودة الى باريس . لحسن الحظ لا بدء ان يكون هناك أربعة اشخاص للتسلي بلعبة الويسك \*\* . وبما انه لا يوجد هنا سوى كاهن الناحية فإن عمتي الخالدة قد حملتني على ان اضحي من اجلها ببضعة ايام ، وانت تحزرين بانني وافقت ، ولا يمكن ان تتصورى كم اخذت تدلني منذ تلك اللحظة ، وكم هي فخورة برؤيتي اذهب لصلواته وقداسه بانتظام . وهي لا تشك بالأوهية التي اعبدها .

وها أنذا منذ اربعة أيام مأخوذ بهواية قوية . انت تعرفين كيف أرغب بجيوية ، وكيف افترس العقبات ، ولكن ما تجهلينه هو كم ان العزلة تشجذ الرغبة . ليست ثمة سوى فكرة واحدة ، تسيطر عليّ نهراً واحلم بها ليلاً . إنني بحاجة شديدة لامتلاك هذه المرأة لكي انقذ نفسي من مهزلة كوني عاشقاً : لأن المرء لا يقود رغبة معاكسة . آه أيتها اللذة العارمة كم

\* من قصيدة لروسو .

\*\* نوع من العاب الورق .

أتضرع اليك من أجل سعادتي وراحتي ، وكم نحن سعداء لكون النساء يدافعن عن أنفسهن دفاعاً سيئاً ! والا لما كنا ازاهن سوى عبيد خجولين . يئتابني الآن شعور الاعتراف بالجمل للنساء السهلات مما يقودني بطبيعة الحال الى الركوع عند قدميك : طالباً اليك الصفح . وبذا أختم الآن هذه الرسالة الطويلة ، الوداع يا صديقتي الحسنة . ودون حقد .

## ٥

### من المراكيزة دي ميرتاي الى الفيكونت دي فالمون في قصر ...

باريس في ٧ آب ?? ١٧

هل تعلم أيها الفيكونت ان كتابك على جانب كبير من الوقاحة النادرة . ولو شئت لكنت غضبت . ولكنه برهن لي بوضوح على انك فقدت صوابك ، وهذا وحده ما انقذك من استنكاري . أنا الصديقة الكريمة الحساسة أنسى أهانتني لكي لا أشغل نفسي الا بالخطر الذي يداهمك . ومهما كان التفكير بتعقل مضجراً ، فإنني أفعل ذلك نظراً لما انت بحاجة اليه في الوقت الحاضر . أنت تمتلك الرئيسة تورفيل ! يا له من هوى فجائي موقت سخيف ! انني اكتشف هنا جيداً سوء تفكيرك الذي لا يعرف ان يشتهي غير ما يعتقد انه صعب المنال . من تكون اذن هذه المرأة ؟ تقاطيع منتظمة اذا شئت ولكنها دون اي تعبير . مكوّنة بصورة متوسطة ، ولكن دون دلال وغنج : دائماً جاعلة نفسها مثار ضحك من جراء تلك الريبطات التي تضعها على صدرها ، ثم جسمها الذي يرتفع حتى الذقن ! . أقول لك كصديقة ، لا حاجة بك الى امرأتين من هذا النوع لكي تجعلانك تفقد كل اعتبارك . هل تذكر اذن ذلك اليوم الذي كانت الرئيسة تجمع فيه الحسنات في سان روش وقد شكرتني جداً لكوني اتحت لك هذا المشهد ؟ انني ما زلت اراها امامي وهي تكاد تتعثر في كل خطوة ، وتحمر خجلاً عند كل تحية . من قال حينئذ انك ستشتهي هذه المرأة... هيا يا فيكونت

أحمر خجلا الآن ، وعد إلى نفسك ، اعدك بأن احفظ السر .

ثم لاحظ المحاذير التي تنتظرك ! من هو الخصم الذي ستحاربه ؟ زوج !  
ألا تشعر بنفسك مذلولاً عند هذه الكلمة وحدها . وأي عار سيلحقك لو  
أخفقت . هذا مع العلم ان النجاح لن يمنحك اي شرف . وأقول زيادة على ذلك ،  
لا تؤمل في اية لذة . وهل هناك لذة مع المفراطات في الاحتراس في ما يختص  
بالعفة ؟ اني اعني بذلك ذوات النية الحسنة : المتحفظات حتى في أوج  
اللذة . اللواتي لا يقدمن لك إلا نصف الاستمتاع . إن الاستسلام الكامل  
من اعماق النفس ، وهذا الجنون في الشهوة حيث تنطهر اللذة عن طريق الافراط  
فيها ، وتلك الطاقات في الحب والغرام ليست معروفة لدى هؤلاء النساء .  
اني اتنبأ لك حتى في أسعد الافتراضات بأن رئيستك تعتقد انها فعلت كل شيء  
من اجلك اذا عاملتك كزوجها ؛ وفي انعم المناغشات الزوجية الحميمة يكون  
هناك فقط اثنان . وهذا لما هو أسيوأ ايضاً . فإن متحصنتك تقية ورعة من نوع  
التقى الذي تتحلى به بعض السيدات الطبيبات فيجعلهن في طفولة دائمة . لعلك  
تتغلب على هذه العقبة ، ولكن لا تتباهى بتحطيمها ، فاذا انتصرت على حبا  
للخالق فلن تنتصر على خوفها من الشيطان . وحين تحتضن خليلتك بين ذراعيك  
ستشعر بقلبها يخفق ، لا من شدة الحب بل من شدة الوجل . لعلك لو عرفت  
هذه المرأة من قبل ، هل كان بإمكانك ان تفعل معها شيئاً ؟ انها الآن في الثانية  
والعشرين ، وهاقد مضى عليها حوالي سنتين وهي متزوجة . صدقني أيها الفيكونت  
انه حين تكون المرأة قد امتلأت يجب تركها وشأنها ، فلن تصبح الا مبتذلة .

اذن من أجل هذا الهدف السخيف ترفض اطاعتي ، وتدفن نفسك في قبر عمك  
وتقلع عن القيام بالمغامرة الاكثر متعة والتي خلقت لكي تشرفك . بأية سخرية  
يجب أن يظل جيركور متفوقاً بالميزة عليك ؟ اسمع ، اني احديثك دون مزاح:  
اني في الوقت الحاضر اميل للاعتقاد بأنك لا تستحق سمعتك ، واني اميل  
بصورة خاصة لأن اسحب ثقتي منك . ولن آلف ابداً ان اروي اسرار عشيق  
السيدة تورفيل .

اعلم مع ذلك ان الصغيرة فولانج قد ادارت رأس بعضهم ، فالشاب دانسني أصبح يحن بها. وقد غتني معها، وهي بالفعل تغني أحسن من أية تلميذة داخلية عادة . وعليها ان يكررا الغناء معاً مزدوجين ، واعتقد أنها ستقع من تلقاء نفسها في الايقاع الموحد . لكن دانسني هذا مازال ولدأ، وسيضيع وقته في ممارسة الحب الجنسي دون أن يصل إلى شيء . والفتاة الصغيرة من جهتها هي فظة نفور . وفي جميع الاحوال سيكون ذلك دائماً اقل متعة مما ستكون قد وفرتة انت لها . انني متكدره جداً . وسأتشاجر اكيداً مع عشيقتي الفارس حين وصوله : انني سأنصحه بأن يكون مترفقاً ، وفي مثل هذه الحالة لن يكلفني شيء انفصالي عنه . انا متأكدة انه لو كان عندي ذهن صافٍ لكي اتركه الآن، فسيكون في حالة يرثى لها من اليأس . وليس هناك ما يسليني كاليأس الغرامي . وسيدعوني غدارة او مخاتلة . ان هذه الكلمة بعد كلمة قاسية تعتبر اكثر نعومة على اذن امرأة، وهي اقل صعوبة في استحقاقها . سأهتم جدياً بهذا الانفصال . وهذا ما ستكون انت سببه . انني اضع تبعته على ضميرك ، الوداع تذكرني في صلوات ربيستك .

## ٦

### من الفيكونت دي فالمون إلى المر كيزة دي ميرتاي في باريس

قصر ... في ٧ آب ?? ١٧

ليست ثمة امرأة على الاطلاق لا تسيء استخدام السلطان الذي عرفت امتلاكه ... وانت أيضاً ... أنت التي دعوتك غالباً صديقتي الواسعة الصدر ترفضين أن تكوني هذه الصديقة ، ولا تخشين من مهاجمتي في عقر عواطفي ! بأية خطوط تجسرين على رسم السيدة دي تورفيل ؟ وأي رجل لا يدفع حياته ثمناً لهذه الجرأة المهينة ؟ إن مثل هذه الشراسة لا تليق بإمرأة مثلك . ولذلك أرجوك ألا تزجي بي في مثل هذه التجارب القاسية . فلن اترشح عن موقفي . فباسم الصداقة ، انتظري حتى اكون قد نلت هذه المرأة ، اذا كنت تريدين أن

تتقوّلي علينا . أفلا تعلمين أن للمتعة وحدها الحق في إزالة لثام الحب ؟  
ولكن ماذا أقول ؟ هل هي بحاجة إلى خيال ؟ كلا ، فلكني تكون معبودة  
يكفي ان تكون هي نفسها . أنت تأخذين عليها انها لا تتأثق كثيراً . انني اعتقد  
ذلك : لأن كل زينة تفسدها ، وان كل ما يسترها يؤدي بهاءها ، فهي في  
مباذها تبدو حقيقة فاتنة رائعة . وبفضل الحارات المرهقة التي تشعر بها ،  
وبفضل غلالة رقيقة من القماش البسيط يستطيع ان ارى قوامها الملفوف اللدن .  
وبفضل قميص واحد من الموسلين يغطي صدرها ، استطاعت انظاري الحفيفة  
الحارقة أن تلتقط اشكال جسدها المفعمة بالبهجة . انت تقولين انه ليس لوجهها  
اي تعبير ، ولكن ماذا تريدونها ان تعبر اثناء الفترات التي لا يتحدث فيها احد  
الى قلبها ؟ كلا ، بدون شك ، انها لا تملك كمناسئا المغناجات ، هذه النظرة  
الكاذبة التي تسحرنا في بعض الأحيان ، ثم تحدعنا دائماً . انها لا تعرف ان تغطي  
فراغ جملة من الجمل بابتسامة مدروسة . وعلى الرغم من ان لها اجمل اسنان في  
العالم ، فانها لا تضحك الا بما يسليها حقاً . ولكن ينبغي مشاهدتها كيف تمثل  
صورة الجبور البريء الصريح في الالعب الماجنة ، وكما لو كانت بالقرب من مسكين  
تريد مساعدته فان نظرتها تُفعم بالفرح الصافي والطيبة المنعشة . يجب رؤيتها  
كيف يرسم على وجهها - عند اقل كلمة ثناء او مداعبة - هذا الارتباك المؤثر من  
جراة تواضع ليس مصطنعاً البتة . انها تقية ورعة ، ولذلك تُحكين عليها  
بأنها باردة ودون حيوية . ولكنني اعتقد خلاف ذلك . فيا للحساسية المدهشة  
التي تتمتع بها والتي تشيعها - حتى نحو زوجها وتحب دائماً كأنها يظل غائباً . ماذا  
يمكن ان تطلبي دليلاً أقوى من ذلك ؟ وقد استطعت مع ذلك أن أحصل على  
دليل آخر .

لقد قدتُ نزهتها في طريق كان علينا خلاله ان نجتاز خندقاً ، ومع انها رشيقة  
جداً فهي شديدة الحياء . (وتعلمين جيداً ان أية امرأة تقية تخشى ان تقفز فوق  
خندق) وكان لا بد أن تعهد بنفسها إليّ . وأمسكت بين ذراعي هذه المرأة  
المتواضعة ، وقد جعلتها استعداداتنا ومرور عمي العجوز تضحك من أعماق

قلبا : ولكن ما ان امسكتُ بها حتى اشتبكت أذرعنا بطبيعة الحال بصورة اعتبارية ، فضغطت نهدا فوق صدري ، وشعرت خلال هذه الفترة القصيرة بقلبا يخفق سريعا . وكان ان اصطبغ وجهها بهذه الحمرة اللطيفة ، وأنبأني ارتباكها المتواضع أن قلبها قد خفق بالحب وليس من الخوف . وقد أخذت عمي مثلك وأخذت تقول : ان البنث قد اعترها الخوف . ولكن سذاجة هذه البنث اللذيذة لم تسمح لها بالكذب فقالت : « آه .. كلا ، ليس بسبب ذلك ! » . لقد أضاءت هذ الكلمة الوحيدة بصيرتي . ومنذ تلك اللحظة حل الأمل الناعم محل القلق القاسي . سأنال هذه المرأة ، وسأخطفها من زوجها الذي يمتنها . وسأجرؤ على أن أستلبها من الاله نفسه الذي تعبده . يا لها من متعة أن أكون في آن واحد هدفا لتبكيك ضميري ومنتصرا عليه . اني بعيد كل البعد عن الرغبة في تحطيم الاحكام المسبقة التي تحاصرها وتقنع بها . بل ستضاف هذه الاحكام الى سعادتي ومجدي . فلتؤمن بالفضيلة ولكن يجب ان تضحي لي بها . ولترعبها اخطاؤها دون ان تتمكن من ايقافها . ومهما كانت مضطربة من جراء مخاوف لا تحصى ، فلا بد من ان تنساها وتهزمها وهي بين ذراعي ، وان رضيت بأن تقول لي : « اعبدك » فهي وحدها من بين جميع النساء التي ستكون جديرة بلفظ هذه الكلمة . وسأكون حقيقة عندئذ الرب الذي ستمفضله .

لنكن حسني النية . ففي ترتدياننا الباردة السهلة ، نجد ان ما نسميه السعادة لا يكاد يكون سوى اللذة . ماذا سأقول لك ؟ لقد اعتقدت بأن قلبي قد ذوى ، ولم اعد اجد في نفسي سوى الحواس البهيمية ، واخذت اشكو شيخوخة مبكرة . ولكن السيدة دي تورفيل اعادت لي اوهام الشباب اللذيذة . وبقرها است بحاجة إلى أن ابلغ ذروة المتعة لكي اكون سعيدا .

إنما الشيء الوحيد الذي يخيفني هو الوقت الذي ستستغرقه مني هذه المغامرة . لأنني لا استطيع ان اترك شيئا للمصادفة ، واني استطيع ان اتذكر كثيرا مجازفاتي ولكني لا اقدر على وضعها موضع التطبيق . ولكي اغدو حقيقة سعيدا يجب ان تمنحني نفسها ، وليس الأمر سهلا .

انني متأكد بأنك تعجبين بمجزري ، فلم ألفظ بعد كلمة حب ، ولكننا وصلنا إلى كلمات الثقة والاهتمام . ولكي اخذها اقل ما يمكن ، أخذتُ احذرهما بصورة خاصة من تأثير الكلمات التي تستعدها ، حدثها بنفسي ، كما لو كنت اتهم نفسي ، عن بعض طباعي المعروفة . وستضحكين لو رأيتهما بأية سذاجة كانت تعظني . انها تريد كما تقول ان تهديني . وهي لا تشك حتى الآن ماذا ستكلفها هذه المحاولة . ولعلها أبعد ما تكون عن التفكير بأنها حين «ترافع» (وهذه هي كلمتها) عن الذنوب التي ارتكبتها «فهي تتحدث سلفاً عن قضيتها . وقد ساورتني هذه الفكرة بالأمس خلال احدى مواعظها . ولم استطع ان امتنع عن لذة مقاطعتها لأؤكد لها انها تتحدث كأحد الانبياء . الوداع يا صديقتي الحسناء جداً ، أترين انني لم أدع نفسي دون موارد . بالمناسبة ، هذا الفارس المسكين هل انتحر من القنوط ؟ بالحقيقة انك في وضع أسوأ مني . وانت تريدان مع ذلك اذلاي لأن عندي كرامة .

## ٧

### من سيسيل فولانج الى صوفي كارني

في مدرسة ... الداخلية للبنات

في ٧ آب ?? ١٧

انني اذا لم اخبرك شيئاً عن زواجي ، فذلك لأنني لم اعلم عنه شيئاً اكثر مما علمته في اول يوم . أني أعوّد نفسي على عدم التفكير به . واجد نفسي مرتاحة لهذا النمط الخاص بي من الحياة . انني ادرس كثيراً غنائي وقيثارتي . ويبدو انني اشد حباً لها منذ ان اصبحت بدون مدرسين . او بالاحرى منذ ان اصبح لدي مدرس افضل . ألا وهو السيد الفارس دانسي . ان هذا الشاب الذي حدثتك عنه وغنيت معه في بيت السيدة ميرتاي ، يتلطف بالحضور الى هنا كل يوم فيغني معي ساعات طويلة ... انه لطيف الى أبعد حد . فهو يغني كلاك ، ويؤلف ألحاناً جميلة جداً يضع لها بنفسه الكلمات . ومن المؤسف ان يحمل لقب

فارس مالطة . ويبدو لي انه اذا تزوج فستكون زوجته سعيدة جداً . وهو ذو نعومة شيقة . ولا يبدو عليه أبداً انه بوجه أيّ اطراء ، ومع ذلك فان كل ما يقوله يطري . رغم انه ينتقدي باستمرار ان كان في الموسيقى او غيرها من الامور . ولكنه يمزج انتقاداته بكثير من الاهتمام والمرح بحيث أجد من المستحيل عدم تقدير ذلك من جانبه . انما حين ينظر اليك فقط تشعمرين بأنه يقول لك شيئاً لطيفاً . وهو يضيف الى كل ذلك ميزة اللطاف جداً . فمثلاً كان مدعواً بالامس لحضور حفلة موسيقية كبرى ولكنه فضل ان يبقى طوال السهرة عند والدتي . وهذا ما متعني جداً . وحين لا يكون هناك ، لا يتحدث معي أحد فأتضجر . وعلى العكس فهو حين يكون نغني وتحدث معاً . إن لديه دائماً ما يحدثني به . إنه مع السيدة دي ميرتاي الشخصان الوحيدان اللذان أجدهما لطيفين . لكن الوداع يا صديقتي العزيزة لقد وعدت بأن أغني اليوم لحناً خفيفاً على القيثارة وهو صعب جداً ، ولا أريد أن اخل بوعدي . وسأنكب على الدراسة حتى يأتي .

## ٨

### من السيدة الرئيسة دي تورفيل الى السيدة دي فولانج

٩ آب ?? ١٧

لا يمكن للمرء ان يكون اكثر حساسية مني يا سيدتي بالنسبة للثقة التي توليني إياها ، ولا أكثر اهتماماً مني في ما يتعلق بزواج الأنسة دي فولانج . ولذلك أتمنى لها من كل روعي سعادة لا أشك أبداً في انها لا تستحقها ، وانني اعتمد من أجل ذلك على عنايتك . انني لا اعرف البتة الكونت دي جيركور ، ولكن بما انه تشرف باختيارك ، فلا استطيع ان آخذ عنه إلا فكرة مشجعة . واكتفي يا سيدتي بأن اتنى لهذا الزواج نجاحاً سعيداً مماثلاً لزواجي الذي هو ايضاً ثمرة جهودك والذي كلما مضى عليه يوم يجعلني اضيفه إلى اعترافي بجميلك . انني لآمل بأن تكون سعادة الأنسة ابنتك تعويضاً عن السعادة التي وفرتها لي ، كما أمل بأن تكون افضل صديقاتي اسعد الامهات .



انا متأسفة باخلاص ، لعدم تمكني من تقديم هذه التهنئة الصادقة بنفسني شخصياً ، ومن التعرف في الوقت نفسه إلى الآنسة دي فولانج كما اتنى ذلك من كل قلبي ، غير انني بعد ان اختبرت عواطفك الكريمة كأم ، يحق لي أن اتوقع قيام صداقة وطيدة معها كشقيقة ، انني لأرجو لك يا سيدتي ان تفضلني فتطلبي اليها ذلك من قلبي ، بانتظار ان اصبح جديرة بصداقتها .

انني اعترم البقاء في الريف طيلة مدة غياب السيد دي تورفيل وقد اغتنمت هذه المناسبة لكي اتمتع واستفيد من مجتمع السيدة دي روزموند المحترم . فهذه السيدة هي دائماً ممتعة ، ولم يفقدها عمرها الكبير شيئاً ، اذ ما زالت تحتفظ بكامل ذاكرتها ومرحها . وان جسدها وحده هو في الثمانين ، بينما تفكيرها ما زال في العشرين .

ان ما يضيفي ايضاً البهجة على عزلتنا هذه وجود ابن اخيها الفيكونت دي فالمون هنا وقد شاء ان يكرس لنا بضعة ايام من وقته ، ولم اكن أعرفه إلا بالشهرة ، وهي شهرة لم تكن تشجعني على التعرف به ، ولكن يبدو لي انه أفضل منها . حيث لا تفسده هنا دوامة الناس . وهو يتحدث عن تعقل بسهولة مدهشة ، ويلوم نفسه على اخطائه بسذاجة نادرة . ويتحدث معي بكثير من الثقة ، وانني أعظه بكثير من المساواة . وانت التي تعرفينه جيداً توافقين معي على انها ستكون هداية حسنة اقوم بها . ولكنني لا اشك ابدأ - رغم وعوده - في أن ثمانية ايام يقضيها في باريس ستنسيه جميع عظامي . ان الاقامة التي يمكثها هنا ستكون بمثابة عزوف عن مسلكه المعتاد ، واعتقد بعد ان رأيت طريقة معيشته ان احسن ما يفعله هو ألا يفعل شيئاً البتة . انه يعلم اني منهمكة بالكتابة اليك ، ولذلك كلفني بأن اقدم اليك احتراماته . فتفضلني ايضاً بقبول احتراماتي بما أعهده فيك من طيبة ، ولا ترتابي ابدأ بالعواطف الصادقة التي لي الشرف بأن اكون النخ...

## من السيدة دي فولانج الى الرئيسة دي تورفيل في قصر ...

باريس في ١١ آب ?? ١٧

انني لم اشك مطلقاً يا صديقتي الحسنة الشابة ، لا في الصداقة التي تكنينها لي ولا في الاهتمام المخلص الذي تبدينه نحو كل ما يتعلق بي . وليس لتوضيح هذه النقطة ما ارجو ان اكون على تفاهم معك إلى الابد ، فأرد على كتابك ، ولكن اظن اني لا استطيع منع نفسي من التحدث اليك بصدد الفيكونت دي فالون .

اعترف بأنني لم اكن انتظر ان أجد ابداً هذا الإسم في رسائلك . وبالفعل ماذا يمكن ان يكون هناك من صفة مشتركة بينك وبينه ؟ انت لا تعرفين هذا الرجل لكي تأخذي فكرة عن روح رجل فاسق ؟ انت تحدثيني عن سذاجته النادرة ؟ آه ، اجل ان سذاجة دي فالون يجب ان تكون بالفعل نادرة جداً ، لأنه اكثر زيفاً وخطراً مما هو لطيف وجذاب ، دائماً منذ شبابه الكبير . وهو لم يلقى اية كلمة دون ان يكون لديه مشروع ما . ولم يكن لديه ابداً اي مشروع دون أن يكون هدفه غير شريف او مجرم . أنت تعرفيني يا صديقتي . وتعلمين أن التسامح ليس افضل ما استعذبه من بين الفضائل التي أسعى للحصول عليها . وهكذا فلو كان فالون قد اندفع وراء نزوات طائشة ، ولو كان ككثيرين غيره قد انجذب وراء اخطاء عمره ثم اخذ يستنكر مسلكه فإنني سأرثي لشخصه ، وسأنتظر بصمت الوقت الذي يعود فيصبح فيه موضع احترام الناس الشرفاء . ولكن فالون ليس من هذا الطراز . ذلك ان مسلكه هو نتيجة مبادئه . فهو يعرف ان يحسب بدقة كل ما يمكن لرجل أن يسمح لنفسه بارتكاب آثام دون ان يتورط فيها . ولكي يكون قاسياً لثيماً دون خطر فقد اختار النساء كضحايا له . انني لا اتوقف لكي أعد لك اولئك

النساء اللواتي اغراهن ، ولكن كم عدد اللواتي استطعن الافلات منه ؟ وبفضل الحياة العاقلة المعتزلة التي تعيشينها ظلت هذه المغامرات الفاضحة بعيدة عنك . انني لا استطيع أن اروي لك شيئاً منها لأنها تجعلك ترتجفين رعباً .

ولكن نظراتك الصافية كروحك ستتلوث بأمثال هذه اللوحات والمشاهد . انني لمؤكد أن فالمون لن يكون خطراً عليك ، ولذلك لست بحاجة الى مثل هذه الاسلحة لكي ادافع عنك . والشئ الوحيد الذي يجب ان ا قوله لك ، هو ان جميع النساء اللواتي احاطن بعنايته ، ان كان قد نجح معهن ام لا ، ليس لديهن ما يشتكين منه . ولكن الماركيزة دي ميرتاي وحدها تشكل استثناء لهذه القاعدة العامة ، فهي الوحيدة التي استطاعت ان تقاومه وتعيد شراسته .

اعترف ان هذه الناحية من حياتها تشرفها اكثر من أي شيء آخر بنظري : وهي تكفي لتبريرها تماماً بنظر الجميع من بعض المتناقضات التي أخذت عليها في مطلع ترمها .

ومها يكن يا صديقتي الحسناء فإن العمر والاختبار ولا سيما الصداقة تسمح لي بأن ألقت نظرك إلى أنه بدأ الناس يلاحظون غياب فالمون عن المجتمع ، وهم اذا علموا انه بقي بعض الوقت كشخص ثالث بين عمته وبينك ، فإن سمعتك تصبح ملك يديه ، وهذه اكبر نكبة تصيب امرأة . ولذا انصحك إذن بأن تحملي عمته على عدم ابقائه مدة اطول . أما اذا اصررت على البقاء ، فاعتقد ان عليك ألا ترددي في ترك المكان له . ولكن لماذا سيبقئى ؟ وماذا يفعل في هذا الريف ؟ حبذا لو عملت على مراقبة حركاته وسكناته فانا متأكدة بأنك ستكتشفين أنه لم يتخذ هذا الملجأ إلا من اجل مؤامرة ما يعدها في النواحي ، ولكن عند استحالة معالجة الشر ، فلنكتفِ اذن بأن نحصن انفسنا ضده .

الوداع يا صديقتي الحسناء . ها إن زواج ابنتي سيتأخر قليلاً . فالكونت دي جيركور الذي كنا ننتظره بين يوم وآخر ، قد أبلغني بأن من المستحيل عليه أن يتغيب عن فيلقه قبل الشتاء لان فيلقه سيمر بجزيرة كورسيكا وان هناك تحركات حربية . وهذا ما يفغظني ، ولكن ذلك يجعلني أومل بأننا

سنسر في الاجتماع بك في حفلة العرس، وقد كنت متكدرة بأن يجري دون حضورك .  
الوداع ، انني دوماً المخلص لك ، تحياتي للسيدة روزموند التي احبها دائماً بقدر  
ما تستحق .

١٠

من الموكيزة دي ميرتاي إلى الفيكونت دي فالمون

في قصر ...

باريس في ١٢ آب ?? ١٧

هل انت ناغم عليّ ايها الفيكونت ام انك قد توفيت ؟ إذ ان ما يشبه  
الموت كثيراً هو انك بتّ لا تعيش إلا من اجل رئيسك ! ان هذه المرأة التي  
اعادت اليك أو هام الشباب ، ستعيد اليك قريباً صفاتك السخيفة . وها انت  
قد اصبحت الآن خجولاً مستعبداً ، مما يساوي بنظرك كونك عاشقاً . انك  
تقلع عن مجازفتك السعيدة ، ثم تتصرف دون مباديء ، تاركاً كل شيء للمصادفة ،  
او بالأحرى للزوات الطائشة . افلا تتذكر ان الحب هو كالطب ، اي انه فن  
مساعدة الطبيعة فقط ؟ رأيت اني اهزمك بأسلحتك . ولكنني لا أفخر بذلك ،  
لأنني أهزم بالفعل رجلاً منطرحاً على الارض : انت تقول لي ، ينبغي ان تمنحك  
نفسها . اجل بدون شك ينبغي ذلك . ولكن هل ستمنحك نفسها كالأخريات ؟  
مع الفرق ان الأمر سيتم رغم ارادتها . ولكن لكي تصل في النهاية الى  
منحك نفسها فالطريقة الصحيحة هي أن تباشر في اخذها ... ان هذا  
التمييز السخيف هو من هذيان الحب . اقول الحب لأنك عاشق ، واذا  
قلت خلاف ذلك اكون قد خدعتك ، واخفيت عنك مرضك . اذن قل  
لي ايها العاشق الفاتر . هؤلاء النساء اللواتي امتلكتهن هل تظن انك  
اغتصبتهن ؟ ولكن مهما كانت الرغبة التي عندنا في منح انفسنا ، ومهما كنا  
متعجلات فلا بد ايضاً من وجود مبرر . وليس هناك اكثر ملائمة لنا من  
ذلك الذي يبدو لنا بأنه يستسلم للقوة . وبالنسبة لي أعترف بأن بما

يلذ لي كثيراً هو الهجوم السريع المركز حيث يتلاحق كل شيء بنظام وسرعة ولا يضعنا أبداً في موقف من الحرج والارتباك لكي نتدارك انفسنا من تصرف طائش اخرق كان ينبغي لنا على العكس ان نستفيد منه ، ثم يحسن ان يحتفظ بمظهر العنف حتى في الاشياء التي نمنحها ، ويعرف ان يطري ببراعة هويتنا المفضلتين : مجد الدفاع ولذة الانكسار .

اعترف هنا أن هذه المهبة النادرة أكثر مما يُظن ، قد أدخلت السرور دائماً على نفسي ، رغم انها لم تجذبني ، وقد اتيح لي في بعض الاحيان أن اجعلها مكافأتي الوحيدة ، كما يحدث في مبارياتنا القديمة حيث الجمال يساوي القيمة والبراعة .

ولكنك انت ، انت الذي لم تعبد انت ، تتصرف كما لو كنت تخاف الفوز . منذ متى تتزها في النهار وفوق سبل محفورة بالحنادق ؟ فيا صديقي ، حين يريد احدهم الوصول . عليه ان يستخدم خيول المركز والطريق الكبير . ولكن لنعد هذا الموضوع الذي يثير نقمتي بقدر ما يحرمني من متعة رؤيتك . أكتب لي على الاقل في اغلب الاحيان اكثر مما تفعل الآن ، واطلعي على مدى تقدمك . هل تعلم ان ثمانية ايام قد مضت وهذه المغامرة تشغلك ، وانك قد اهلنت اصدقاءك .

انك تشبه بهذه المناسبة الناس الذين يبعثون بانتظام اخبار اصدقائهم المرضى ، ولكنهم لا يسألون عن رد الجواب . لقد ختمت رسالتك الاخيرة بسؤالني عما اذا كان الفارس قد مات . ولكنني لن اجيب ، وانت لن تقلق لذلك . ألا تعلم ابداً ان عشيقتي هو صديقك بالروح ؟ ولكن اطمئن انه لم يميت البتة ، واذا ما حدث ذلك فسيكون بسبب الافراط في بهجته ، هذا الفارس المسكين كم هو حنون رقيق القلب ! كم هو مخلوق للحب ! كم يعرف ان يشعر بحبوية ! ان رأسي يدور من اجله . وبالفعل فان السعادة الكاملة التي يجدها في ان يكون محبوباً مني ، يجعلني اتعلق به حقيقة .

مثلاً ، ذلك اليوم الذي اخبرتك فيه اني سأسعى لكي نفترق عن بعضنا

البعض ، كم جعلته يشعر بالسعادة ! مع أني كنت مهتمة جداً بالوسائل التي تجعله يقنط مني حين بلغني نبأ وصوله . ولكني لم ألقه ابدأً أحسن مما كان عليه . بإمكانك ان تعتبر ذلك عن تعقل أو دلع ، وكان ان استقبلته بترحاب ، وكان يأمل ان يمضي معي ساعتين قبل ان افتح بابي لجميع الناس . فقلت له انني خارجة . فسألني الى اين سأذهب ، فرفضت أن اقول له . ولما أصرّ اجبته : الى المكان الذي لن تكون فيه . ومن حسن حظّه أنه بقي مندهلاً لهذا الجواب ، لأنه لو قال كلمة واحدة لتلتها لا محالة مشاجرة بيننا تكون قد أدت الى الانفصال الذي صمّمت عليه . ولكني دهشت لصمته ، وألقيت نظرة عليه لأرى شكل وجهه ، فوجدت فوق هذا الوجه الرائع تلك التعاسة العميقة والحنونة في آن واحد ، والتي توافق انت نفسك على ان من الصعب مقاومتها . وهكذا نتج عن السبب نفسه التأثير نفسه . وكان ان انهزمت مرة ثانية . ومنذ تلك اللحظة لم اعد اهتم إلا بالوسائل التي تجنبه ان يجذني على خطأ . وقلت له بلهجة ارق اني خارجة لقضية هامة ، لا بل وهي قضية تتعلق بك . ولكن لا تستجوبني . سأتعشى في بيتي . فعد إليّ ، وسأطعمك على ما ترغب ، وعندئذ عاودَهُ الكلام ولكني لم اسمح له باستخدامه ، واضفت قائلة : انني متعجلة دعني الآن ، والى هذا المساء ، فقبّل يدي وخرج .

وقررت في الحال لكي اعوضه عما بدر مني ، او ربما لكي اعوض نفسي ايضاً ان اجعله يتعرف إلى « بيتي الصغير » الذي لا يشك به مطلقاً . فدعوت خادمتي الامينة فيكتور ، وقلت لها اني اشعر بصداق وانا بالنسبة لجميع زواري نائمة . وبقيت اخيراً وحدي ، وبينما كانت هي تتنكر بلباس خدام بواب اخذت أنا أترين بلباس خادمة . ثم استدعيت على الأثر عربية خيل عند الباب الصغير المحاذي للحديقة ، وأنطلقنا فيها . ووصلت إلى ذلك المعبد المخصص للحب . فتناولت غلالة رقيقة أنيقة لبستها فوق جسدي العاري ، وهي غلالة لذيدة من استنباطي لا تدع مجالاً لرؤية شيء ، ولكنها مع ذلك تجعل المرء يستشف كل شيء تحتها . . . وسأعدك بصنع نموذج منها لرئيستك حين تجعلها جديدة بأرتدائها !

وبعد هذه الاستعدادات ، وفيما كانت فيكتور تهتم بالتفاصيل الاخرى ، اخذت أقرأ فصلاً من رواية صوفيا ورسالة من هيلوييز ، وحكايتين من لافونتين ، وذلك لدوزنة مختلف الانعام التي سأذوقها . وفي هذه الاثناء وصل فارسي الى باي وهو يبدي الاستعجال الذي اشتهر به دائماً . ولكن خادمي رفض إدخاله ، وابلغه أنني مريضة . وكان هذا أول حادث معكراً ... ثم سلمه في الوقت نفسه ورقة مني ، لم تكن مكتوبة بخط يدي ، وذلك حسب طريقي الحذرة . ففتحها وقرأ فيها بخط فيكتور : « الساعة التاسعة تماماً في البولفار ، امام المقاهي . » فذهب الى هناك . حيث جاءه خادم صغير لا يعرفه ، او ظن على الأقل انه لا يعرفه ، لأن هذا الخادم كانت هي فيكتور نفسها ، فأبلغه بأن عليه ان يصرف عربته ، ثم يتبعه . وقد أدت كل هذه التدابير العاطفية الى إلهاب رأسه ، والرأس الملتهب لا يضر مطلقاً . واخيراً وصل ، فأحدثت له المفاجأة ومعاطاة الهوى متعة لا حد لها . ولكي اتيح له الوقت كي يستعيد أنفاسه اخذنا نتتزه فترة من الوقت في الحرش ، ثم اصطحبته الى البيت . فرأى أولاً مائدة لشخصين ، ثم سريراً معداً . ومضينا حتى الصالون الصغير الذي كان في احلى زينته . وهناك بعد نصف تفكير ، ونصف عاطفة ، احطته بذراعي ، وتركت نفسي اسقط عند ركبتيه ، وقلت له : « آه يا صديقي أنني لكي اهيء لك مفاجأة هذه الفترة ، اعتب على نفسي كثيراً لكوني اسأت اليك ظاهرياً في احدى لحظات النزق ، ولكوني استطعت لحظة أن أستر قلبي من نظراتك . فسأخني لذنوبي ، اريد ان اكفر عنها بالافراط في الحب . انك لتتصور كم كان تأثير هذا الخطاب الغرامي فيه . فأهضني ومنحني العفو فوق ذلك السرير العثماني الذي سجلنا فوقه مجبور وبالطريقة نفسها انفصالنا الخالد .

وبما انه كانت امامنا ست ساعات لنقضها معاً - وقد صممت على ان اكرس له كل هذا الوقت أيضاً بلذة - اخذت أخفف من غلوائه ، وأقود تنقلاته ، وحل العنج اللطيف محل النعومة والحنان . ولا أظن انني بذلت في حياتي مثل هذه العناية لكي أعجبه ، كما لم أكن أشد سروراً من نفسي مما كنت عليه في تلك الفترة .

وبعد العشاء كنت تارة طائشة وطوراً عاقلة ، وأحياناً مجنونة ، وحساسة ، وفي بعض الاحيان فاسقة ، وكنت ألتذ في اعتباره كسلطان في قلب سراياه بحيث رحمت أمثل على التوالي ادوار جواريه المفضلات . وبالفعل فإن مداعباته المتكررة - رغم ان المرأة التي كانت تتلقاها هي واحدة - جعلته يعتقد ان امامه كل مرة خلية جديدة .

وأخيراً حين طلع النهار ، كان لا بد من ان نفترق . ومهما قال ، ومهما فعل لكي يثبت لي العكس ، فقد كان يشعر بالحاجة المائلة لي أكثر مما كان لديه من رغبة . وكوداع أخير ، أخذت لدى خروجنا ، مفتاح هذا البيت السعيد ووضعت بين يديه وقلت : انني لم احصل عليه إلا من أجلك ، ومن العدل أن تكون مطلق التصرف به : فمن حق المضحي أن يتصرف بالمعبد . وبهذه البراعة تفاديت الملاحظات التي أثارها فيه ملكية مشبوهة دوماً لبيت صغير . وانا اعرفه جيداً لأكون متأكدة انه لن يستخدمه إلا من أجلي ، أما اذا خطر لي عن نزق ان اذهب اليه دونه ، فلدي مفتاح آخر مماثل . وهو يريد بكل قوة ان يأتي يوم لكي يعود اليه ، ولكني ما زلت احبه كثيراً بحيث لا أريد أن استهلكه سريعاً . اذ يجب الا أسمح لنفسي بالافراط إلا مع الاشخاص الذين اريد التخلص منهم قريباً . انه لا يعلم ذلك ولكني من اجل سعادته اعلم عني وعنه .

الاحظ ان الساعة الآن هي الثالثة صباحاً ، وقد كتبت مجلداً ، بعد ان كان في نيتي ان اكتب كلمة قصيرة . تلك هي لذة الصداقة الوثيقة . وهي التي تجعلني اشعر بأنك انت الذي أحب اكثر من الجميع ، ولكن الفارس في الحقيقة يعجبني اكثر .

١١

من السيدة الرئيسة تورفيل الى السيدة دي فولانج

في باريس

قصر ... في ١٣ آب ١٧??



لقد أفرزني كتابك الصارم يا سيدي ، ولحسن الحظ أجسد هنا اسباباً للأمن اكثر مما تجدين ، فلا تثيري مخاوفي . ويبدو أن هذا المخيف السيد فالون الذي كان مثار الرعب لجميع النساء ، قد القى اسلحته المميتة قبل ان يدخل هذا القصر . وهو أبعد ما يكون عن إعداد أية مشاريع ، كما لا مجال هنا لأية اغراءات ، وان صفة الرجل اللطاف التي يعترف له بها اعداؤه قد زالت تقريباً هنا ، لكي لا تحل محلها سوى صفة الفتى الطيب الساذج . وهذا هو هواء الريف كما يبدو الذي احدث هذه المعجزة . وان ما استطيع ان أوكدك لك هو مع انه دائماً معي - ويبدو أنه يستمرىء صحبتي - لم تصدر منه أية كلمة تشبه الحب ، حتى ولا احدى هذه الجمل التي يسمح لجميع الرجال لأنفسهم بقولها دون ان يكون عندهم مثله ما يجب لكي يبرروها . انه لا يفرض ابداً مثل هذا التحفظ الذي تضطر كل امرأة تحترم نفسها الى الظهور به اليوم لكي تتجنب الرجال الذين يحيطون بها . وهو لا يعرف ان يستغل ما يوحيه من حبور ومرح . إنه ربما يميل قليلاً الى الاطراء في حديثه ، ولكنه يستطيع بكثير من اللباقة ان يمزج التواضع مع الاطراء ، واخيراً لو كان عندي أخ لكنت تمنيت ان يكون مظهره كمظهر السيد دي فالون هنا . لعل كثيرات من النساء يرغبن في نيل بعض الملاحظات منه ، وانا اعترف انني مدينة له بكثير من عرفان الجميل لأنه عرف ان يحكم عليّ جيداً فلم يخلط بيني وبينهن .

ان هذه الصورة تختلف كل الاختلاف عن تلك التي رسمتها لي عنه . وعلى الرغم من ذلك فان كلتا الصورتين قد تكونان متشابهتين لو حددنا زمن كل منهما . وهو نفسه يعترف بأنه اقترف كثيراً من الاخطاء . ولكنني لم اقابل في حياتي إلا قليلاً من الرجال الذين يتحدثون مع نساء شريقات بمثل هذا الاحترام ، لا بل اقول حتى بمثل هذا الحماس تقريباً . لقد أعلمتني على الأقل أنه في هذا الموضوع لا يخاتل ابداً ، وان تصرفه مع السيدة دي ميرتاي كان دليلاً على ذلك . انه يحدثنا عنها باستمرار ، وهو يثني دوماً عليها أحر الثناء ، وبشكل يدل على تعلق حقيقي بها . وكنت اعتقد ، قبل وصول رسالتك الاخيرة ، ان ما كان

يطلق عليه اسم صداقة بينها ليس في الواقع الاحبا . ولكنني أوأخذ نفسي الآن على هذا الحكم الجائر الذي اخطأت فيه ، بحيث بذل هو نفسه نجهداً قوياً لكي يبرره . واعترف ان ما بدر من جانبه من اخلاص شريف لم اعتبره الا لباقه ورهافة حس . انا لست متأكدة على كل حال ! ولكن يبدو لي ان من يستطيع أن يحتفظ بمثل هذه الصداقة الدائمة نحو امرأة محترمة جداً ، ليس هو بالفاسق الذي لا يُرجى إصلاحه . انني اجهل على الأقل اذا كان المسلك العاقل الذي ينتهجه هنا ما هو إلا ستاراً لما قد يحكيه من مؤامرات في النواحي كما تفترضين . وبالفعل توجد حولنا بعض النساء اللطيفات ، ولكنه لا يخرج الا قليلاً ، باستثناء الصباح حيث يقول أنه يذهب الى الصيد ، وفي الحقيقة من النادر ان يعود من صيده محملاً بالطرائد . بيد أنه يؤكد عدم براعته في هذه الرياضة . الخلاصة ان ما يفعله في الخارج لا يهمني . واذا كنت سأرغب في معرفة ذلك فلكي اكرّث عنه فكرة اخرى تجعلني اوافقك على رأيك ، أو أجملك تواقفين على رأيي .

أما بصدد ما تقترحين علي من حمله على تقصير اقامته هنا ، فمن الصعب كما يبدو لي ان أجرؤ على طلب ذلك من عمته ، لا سيما انها تحبه كثيراً . ومع ذلك أعذك بان اتقدم بهذا الطلب إما الى عمته واما اليه نفسه ، ولكن من قبيل الاحترام فقط ، لا من قبيل الحاجة الى اغتنام الفرصة . أما في ما يتعلق بي ، فقد سبق لي أن ابلغت زوجي السيد دي تورفيل عزمي على البقاء هنا حتى موعد عودته . وسيكون مندهشاً - عن حق - فيما لو بدلت رأيي بمثل هذه السرعة .

تلك هي يا سيدتي توضيحاتي الطويلة . ولكنني أعتقد أن من واجبي - خدمة للحقيقة - أن أوّدي شهادة صالحة في حق السيد دي فالمون ، وهي شهادة يبدو لي انك بحاجة ماسة للاطلاع عليها . وانني لست أقل حساسية منك ازاء الصداقة التي أملت هليك نصائحك . وانا مدينة اليها ايضاً في ما وجهته إلي من لطيف العبارات بمناسبة تأخر زواج الآنسة ابنتك ، اشكرك جداً بإخلاص ، ولكن مها كان السرور الذي وعدت نفسي به لتمضية هذه اللحظات معك ، فاني اكرسه من كل قلبي للرغبة في ان اعرف انها هي بدورها سعيدة ، وكيف لا

تستطيع ان تكون اكثر سعادة بالقرب من أم جديرة بحببتها واحترامها . إنني اشاطرها هاتين العاطفتين اللتين تجعلانني اتعلق بك ، وارجوك ان تفضلني بقبول تأكيدهما . واسلمي الخ ..

١٢

من صوفي (كذا) فولانج الى المر كيزة دي ميرتاي  
(مذكرة صغيرة)

في ١٣ آب ?? ١٧

والدتي متوعكة يا سيدتي ولن تخرج ابدأ ، وينبغي أن اكون الى جانبها .. وهكذا فلن يكون لي شرف مرافقتك الى دار الاوبرا ، واؤكد انني آسفة لعدم كوني معك أشد من أسفي لعدم مشاهدة الحفلة . ارجو ان تكوني مقتنعة جداً بذلك . انني احبك كثيراً ! هلا تفضلت بأن تبليغي الفارس دانسني ، بأنني لم اتسلم المجموعة التي حدثني عنها ، وانه لو شاء ان يحضرها لي غداً ، فسيبعث في نفسي كل سرور . اما اذا حضر اليوم ، فأخشى أن يُقال له بأننا لسنا موجودين ، ذلك ان والدتي لا ترغب في استقبال أحد . وآمل ان تكون بخير غداً . لي اشرف ، يا سيدتي ، ان أكون ... الخ ..

١٣

جواب

في ١٣ آب ?? ١٧

لقد تكدرتُ جداً يا حسنائي ، لكوني حُرمتُ من متعة رؤيتك ، كما تكدرت للسبب الذي نتج عنه هذا الحرمان . آمل ان تتجدد هذه المناسبة مرة اخرى . سأقولى تنفيذ رغبتك لدى الفارس دانسني الذي سيفتمُّ اكيداً هو ايضاً عندما يعلم أن والدتك مريضة . اذا شاءت ان تستقبلني غداً سأحضر لأكون

الى جانبها ، وأرجو أن نهاجم بلعبة الورق (البيكية) - هي وانا - الفارس دي بيلروش \* . واذا فزنا بدرامه أم لم نفز ، فإننا سنفوز حتماً بلذة الاستمتاع بصوتك وانت تغنين مع استاذك اللطيف . وهما انا ضمن حضوري وحضور الفارسين المهلين . الوداع ، يا جميلتي ، تحياتي الى عزيزتي السيدة دي فولانج ، اقبلك بمحنان .

١٤

### من سيسيل دي فولانج الى صوفي كارني

في مدرسة ... الداخلية للبنات

باريس في ١٤ آب ?? ١٧

لم اكتب اليك بالأمس ، يا عزيزتي صوفي . ولكن ذلك لم يكن بسبب اللهو ، كوني متأكدة . اذ أن والدتي كانت مريضة ، ولم افارقها طوال النهار ، وفي المساء حين تركتها ، لم تكن عندي رغبة في شيء . فتمت سريعاً لكي اناكدم من ان ذلك النهار قد انتهى ، إنني لم أقض ابدأ نهـاراً اطول منه ، ليس لأنني لا احب والدتي ، ولكن لا أدري ماذا اصابني ، فقد كان عليّ ان اذهب إلى دار الأوبرا مع السيدة دي ميرتاي ، كما ان الفارس دانسني كان سيحضر . وانت تعلمين جيداً أن هذين الشخصين هما اللذان احبهما اكثر مما أحب أحداً غيرهما . وعندما حانت الساعة التي كان يجب ان اكون معها شعرت بقلبي ينقبض رغماً عني . وكنت مستاءة من كل شيء . وبكيت ، بكيت دون أن أتمكن من وقف دموعي ... لحسن الحظ كانت أمي قد نامت ، ولم تستطع ان تراني . انا متأكدة بأن الفارس دانسني كان متكدرأ هو الآخر ، ولكنه تسلى بمشاهدة الحفلة وجميع الناس : وهذا يختلف عن وضعي تماماً .

أن والدتي في صحة جيدة اليوم ، وستزورنا السيدة دي ميرتاي مع شخص

\* هو الفارس نفسه الذي ورد ذكره في رسائل السيدة دي ميرتاي

آخر والفرس دانسني : ولكنها تصل دوماً متأخرة . وانه لما يبعث على الملل الشديد ان يقى المرء وحيداً مدة طويلة . الساعة الآن لا تتجاوز الحادية عشرة . وسأعزف على القيثارة ، ثم ان ترتيب زيني سيستغرق مني بعض الوقت ، لأنني أريد ان أبدو فاتنة اليوم ، أعتقد ان الرئيسة يريبتو على حق حين كانت تقول ان الفتاة تغدو محبة للتبرج ما ان تدخل المجتمع ، ولم تملكني ابدأ رغبة مثل هذه الايام في أن أظهر جميلة . وأجد انني لست على قسط من الجمال كما كنت اظن . ثم اتنا ازاء النساء اللواتي يضعن الأحمر ، نفقد كثيراً من جمالنا . فالسيدة دي ميرتاي مثلاً ، يجدها الرجال كما ألاحظ جيداً أجمل مني . وهذا لا يسوءني ، لأنها تحبني كثيراً ، وتؤكد ان الفرس دانسني يجذني اجمل منها . وهذا إنصاف منها أن تقول لي ذلك . وقد كانت مرراحة جداً بصحبي . ولكنني لا أفهم جيداً لماذا تحضني مثل هذه المحبة . وهو ... آه ... انه يشير الغبطة في نفسي . وحسبي أن أنظر اليه لكي يجعلني جميلة ، وسأنظر اليه دائماً لولا أنني أخشى من مقابلة نظراته .

وفي كل مرة يحدث لي ذلك اشعر بالارتباك ، وهذا ما يؤلني ، ولكن لا بأس . الوداع يا صديقتي العزيزة ، سأبدأ الآن في زيني ، احبك دائماً كالعادة .

## ١٥

### من الفيكونت دي فالمون الى المار كيزة دي ميرتاي

دائماً قصر ... في ١٥ آب ?? ١٧

انه لإنصاف من جانبك ان لا تدعيني ومصيري البائس . فالحياة التي أقضيها هنا هي حقيقة متعبة لشدة راحتها ورتابتها التافهة . وحين قرأت رسالتك وأطلعت على تفاصيل نهارك الممتع ، كدت أغري نفسي عشرين مرة لكي اخلق حجة من الحجج وأحضر الى زيارتك فأجثو عند قدميك ، طالباً إليك منحي خيانة لفرسك الذي - بعد كل شيء - لا يستحق سعادته . هل تعلمين انك جعلتني أغار منه ؟ انت تحدثيني عن انفصال أبدي ؟ آه ... انني أجد هذا :

القسم الذي صدر في لحظة جنون ، وقد كان يجب ألا نكون جديرين به ما دمتنا لا نتمكن من المحافظة عليه . دعي لي الأمل بأن اعود فأستعيد هذه اللحظات التي نستطيع فيها ان نرسخ السعادة دون أن نقيدها بمساعدة الاوهام : إذ بعد ان نكون قد نزعنا لثام الحب ، نلزمه بأن يضيء بمشعله اللذات التي يغار منها . كم أتمنى لو يتاح لي ، وأنا بين ذراعيك ، الانتقام من الغيظ غير المقصود الذي سببته لي سعادة الفارس ! انني مستاء كل الاستياء - واعترف لك بذلك - عندما افكر بأن هذا الرجل قد حظي بغبطة لا أستطيع ان اناها ، دون ان يشغل تفكيره ، ودون أن يبذل أقل عناء ، منساقاً فقط وراء غريزة قلبه . آه ... انني سأعكر عليه هذه الغبطة ... عديني بأن اعكرها ... وانت نفسك ألست ساخطة لانك تجهدين نفسك بعدم خيانتك ، بينما هو أسعد منك ؟ انت تظنينه مقيداً بسلاسلك بينما انت المقيدة بسلاسله ، فهو ينام ملء جفونه فيما انت تأرقين من اجل لذاته ، وماذا تفعلين اكثر لو كنت جارية له ؟

إصغي إليّ ، يا صديقتي الحسنة ، لو كنت توزعين نفسك بين عدة اشخاص ، فلن تكون لديّ اية غيره ، ولا أجد عندئذ في عشاقك إلا خلفاء للفاتح الاسكندر ، اي سيظلون عاجزين عن الاحتفاظ فيما بينهم بكل هذه الامبراطورية التي كنت اسود فيها وحدي ، ولكن ان تمنحي نفسك بكليتك الى واحد منهم ، وان يكون ثمة رجل آخر سعيداً مثلي ؟ فهذا ما لا أطيعه . ولا تأملي بأن أحمله . فإما ان تستعديني ، واما ان تختاري لك رجلاً آخر ، وأرجو ألا تخوني ، بسبب نزوة خاصة ، الصداقة المصونة التي أقسمنا عليها .

وهذا بدون شك يكفي لأن يكون لديّ ما اشكوه من الحب . أرايت انني اتفق معك في الرأي ، فأعترف باخطائي . وبالفعل اذا كان الحب هو عدم التمكن من العيش دون امتلاك ما نرغبه ، والتضحية من أجله بوقتنا وملذاتنا وحياتنا ، فإنني حقيقة لعاشق . ولكنني لم أتقدم بعد خطوة واحدة ، ولن يكون عندي ما اخبرك به في هذا الصدد ، لولا أن ثمة تطوراً غريباً اخذ يشغل عليّ تفكيري ، ولا ادري ما اذا كان عليّ أن اخشى أو أأمل .

انت تعرفين خادمي ، فهو كنز من الدسائس والمكائد ، وهو حقيقة ممثل  
كوميدي حقيقي . وتفهم جيداً ان التعليمات الموجهة إليه تقضي بأن يكون عاشقاً  
للخادمة وان يُسكر الناس وقد كان الخبيث أسعد مني حظاً ، اذ نجح مع معشوقته  
ونال أربه منها . ولكنه اكتشف ان السيدة دي تورفيل قد كلّفت احد اعوانها  
بأن يستحصل على معلومات عن مسلكي ، لا بل وأن يقتفي اثري خلال غدواتي  
وتنقلاتي التي اقوم بها عند الصباح ، على قدر الامكان دون ان يلفت النظر . فما  
عسى تدبر هذه المرأة في الحفاء ؟ وهكذا تجرؤ الأشد تواضعاً من جميع النساء  
على القيام بأعمال لا نكاد نسمح لانفسنا بها ! أقسم لك على ذلك .. ولكن  
قبل ان افكر بالانتقام لنفسي من هذه الحيلة النسائية ، فلنهتم بالوسائل المؤدية إلى  
تحويل هذه الحيلة لصالحنا . فحتى الآن لم يكن لهذه الغدوات التي تشبه بها أي  
هدف . فينبغي أذن ان أجعلها تهدف إلى غرض ما . وهذا ما يستحوذ على اهتمامي .  
انني اتركك الآن لكي افكر بذلك . الوداع يا صديقتي الحسنة .

١٦

### من سيسيل فولانج إلى صوفي كارني

باريس في ١٥ آب ١٧??

آه ، يا عزيزتي صوفي ، اليك بالاخبار ؟ لعله ينبغي عليّ الا أطلعك عليها :  
ولكن يجب أن اتحدث عنها مع أحد . وهو ميل اقوى من إرادتي . فهذا الفارس  
دانسني .. يشغل افكاري دائماً بحيث لا استطيع الكتابة .. ولا اعرف بماذا ابدأ .  
فهنذا ان حدثتك عن تلك السهرة الجميلة \* التي قضيتها عند والدتي معه ومع  
السيدة دي ميرتاي لم اتحدث اليك أبداً . ذلك انني لا أريد ان أخبر احداً بالأمر .

---

\* لم تتمكن من العثور على الرسالة التي تتحدث فيها عن تلك السهرة ، ولكن المعتقد  
انها تلك التي اقترحتها السيدة دي ميرتاي وتحدثت عنها في الرسالة السابقة الى سيسيل  
فولانج .

ولكنني كنت أفكر به على الدوام لأنه منذ ذلك الحين أصبح كثيراً ، كثيراً جداً الى درجة آلمتني . وحين سألته عن السبب رفض ان يقول لي . ولكنني كنت ارى جيداً انه كثير . واخيراً كان بالامس أشد كآبة من المعتاد . ولم يمنع ذلك من ان يغني معي حسب العادة . غير انه كان في كل مرة ينظر إليّ أشعر بانقباض يعصر قلبي . وبعد ان فرغنا من الغناء ، أدخل قيثارتي في قالبها . ثم حمل الي المفتاح ، ورجاني ان اعزف في المساء حين اكون وحدي . ولم اشك في شيء ، لأنني لا أرغب في الشك . ولكنه الح علي بذلك كثيراً حتى قبلت في النهاية . وكانت لديه اسبابه . وبالفعل حين انصرفت الى غرفتي ، وخرجت خادمتي . فتحت القيثارة ، فوجدت بين اوتارها رسالة مطوية كانت منه . آه لو تعلمين كل ما اطلعني عليه ! وما ان تلوت رسالته حتى شعرت بفيض بالغ من السرور قطع علي كل تفكير بأي شيء آخر . فأعدت تلاوتها اربع مرات حالاً . ثم احتفظت بها في مكنتي . واصبحت احفظها عن ظهر قلب . وحين رقدت لم استطع لفرط ما كررت تلاوتها ان انام . وما أن أقفل عيني حتى أراه أمامي يقول لي بنفسه كل ما قرأته في رسالته . ولم يتطرق النعاس الى جفني إلا في ساعة متأخرة من الليل . وقد عدت فتناولت رسالته لكي اعيد قراءتها وانا في سريري . فقبلتها كما لو كانت ... ولعل من الإثم تقبيل رسالة بهذه الطريقة ولكنني لم استطع منع نفسي من ذلك .

والآن يا صديقتي العزيزة ، إنني مغتبطة جداً ولكنني حائرة في آن واحد . لأنه ينبغي اكيراً ألا ارد على هذه الرسالة . وانا اعلم جيداً ان ذلك غير لائق ولكنه مع ذلك يطلب مني جواباً . واذا لم اجب فأنا متأكدة بأنه سيزداد ايضاً حزناً وغماً . وهذا شيء تعيس بالنسبة له ! فماذا تتصحيني ؟ لكنك لا تعرفين اكثر مني .

انني اشعر برغبة شديدة في ان اتحدث بذلك الى السيدة دي ميرتاي التي تحبني كثيراً . واتمنى بأن اسري عنه ولكنني لا اريد ان اقوم بعمل مشين . إذ طالما أوصينا بأن نكون طيبين القلب . ولكن حذر علينا ان نتبع ما يوحي به



الينا حين يكون الأمر متعلقاً برجل ... فيا للتعاسة ! ان هذا ليس انصافاً على الاطلاق . أليس الرجل هو قريننا كالمراة واكثر .؟ ثم أليس لنا آباؤنا كامهاتنا ، واشقاؤنا كشقيقاتنا ؟ ويبقى هناك اخيراً علاوة على ذلك الزوج . ومع ذلك فاذا اتيت امرأ منكراً ، فقد يكون السيد دانسني نفسه فكرة سيئة عني . آه ... افضل ان يبقى كئيباً . ثم انه سيكون لدي الوقت الكافي لكي افكر بالأمر فهو لم يكتب إلي الا بالأمس . ولست مجبرة على الكتابة اليوم : وهكذا سأقابل السيدة دي ميرتاي هذا المساء . واذا لم تخنني الشجاعة فسأروي لها كل شيء . واذا قتت بما ستشير علي ، فلن يكون ثمة ما أوأخذ به نفسي . ثم لعلها قد تشير علي بأنني استطيع ان اكتب اليه قليلاً لكيلا اجعله تعيساً . آه انني في حالة يرثى لها .

الوداع يا صديقتي الطيبة ، قولي لي دائماً ماذا تقترحين .

## ١٧

### من الفارس دانسني إلى سيسيل فولانج

في ١٨ آب ?? ١٧

قبل أن أندفع ، يا آنستي ، - ماذا أقول - في المتعة او الحاجة للكتابة اليك ، أبدأ راجياً اليك أن تصفي اليّ . اذ اني أحسُّ بحاجة الى الترفق وسعة الصدر لكي أجروّ على التصريح لك بعواظي . لأنني لو أردت ان أبررها لما كان ثمة جدوى من ذلك - فماذا أفعل - بعد كل شيء - سوى ان أظهر لك تأثيرك فيّ ؟ وماذا لدي لأقوله لك سوى ان نظراتي ، وارتابكي ، ومسلكي ، لا بل وحتى حالة صحي ، قد قالت لك ذلك قبلي . ولماذا تغضين من شعور جعلته انت يولد ؟ أما وقد انبثق هذا الشعور عنك فانت جديرة بأن يقدّم اليك . واذا كان ملتهباً كروحي فهو نقى كروحك . فهل هي جريمة اذا كنت قد عرفت أن أقدر وجهك الفاتن ، ومواهبك الجذابة ، وشمائلك المشرقة ، وهذه السذاجة المؤثرة التي تضفي قيمة لا تقدر على صفاتك الثمينة ؟ كلا بدون شك .

ولكن قبل ان اكون ملاماً ، يمكن ان اكون تعيساً . وهذا هو المصير الذي ينتظرني فيما لو رفضت قبول تقديري . فهو اول ما صدر عن قلبي . ولولاك لكنتُ ما ازال مرتاحاً ولكن ليس سعيداً . إذ ما ان رأيتك حتى فرّبت الراحة مني ، وأصبحت سعادتي مترعزة . ومع ذلك فانت تعجبين من تعاسي ، وتسأليني عن السبب : لقد ظننت في بعض الاحيان انها ستشجيك . قولي كلمة واحدة ، وستصبح سعادتي صنع يديك . ولكن قبل ان تلفظها فكّرتي بأن كلمة واحدة أيضاً تستطيع ان تهدم تعاسي . كوني اذن الحكم في مصيري ، وعن طريقك سأكون سعيداً الى الابد أو تعيساً إلى الابد . وبين أية أيد أعز من يديك استطيع ان أعلق أهمية أعظم على مصيري ؟

أختم كما بدأت مستصرخاً رفقك وسعة صدرك . لقد سألتك ان تصغي إليّ واني لأتجرأ أكثر فأتوسل اليك أن تجيبي على رسالتي . وان رفضت ذلك فستجعليني اعتقد أنني اهنتك . ولكن قلبي كفيّل بأن يثبت لك ان احترامي لك معادل لحي .

ملاحظة - تستطيعين ان تستخدمي الوسيلة نفسها التي استخدمتها في ايصال هذا الكتاب اليك لكي تردي عليّ وهي تبدو مضمونة سهلة .

## ١٨

### من سيسيل فولانج الى صوفي كارني

باريس في ٢١ آب ?? ١٧

ماذا يا صوفي ، انت تستنكرين سلفاً ما سأفعله ؟ لقد كنت في قلق شديد ، وها انت الآن تضاعفين حدته أيضاً . تقولين بأنه من الواضح وجوب عدم الرد . ولكنك تتحدثين على هواك ثم انت لا تعرفين ماذا يجري . ولست هنا لكي تنظري . انا متأكدة بأنك لو كنت مكاني ، لفعلت مثلي . من المؤكد بصورة عامة وجوب عدم الرد ، وقد لاحظت في رسالتي اليك امس انني لا أبغي الاجابة ، ولكنني لا أعتقد ان هناك احداً وجد نفسه في مثل حالتي .

ثم انني مضطرة لأن اقرر وحدي ، فالسيدة دي ميرتاي التي كنت انتظر رؤيتها ، لم تأت . وكل شيء يتألب ضدي . فهي التي كانت السبب في تعرفي اليه . ولم أره دائماً ولم اتحدث اليه إلا وهو معها تقريباً . وهذا لا يعني بأنني حاقدة عليها، ولكنها تتخلى عني في ادق فترات الارتباك، انني استحق الرثاء . تصوري انه حضر امس كالمعتاد . وكنت مضطربة اشد الاضطراب الى درجة لم اجرؤ معها على النظر اليه . ولم يتسن له ان يتكلم معي لأن والدتي كانت حاضرة ، وكنت أشك جيداً بأنه سيتكدر حين سيرى انني لم اكتب اليه . ولم اكن اعرف ماذا يجب ان افعل . ثم سألني بعد فترة وجيزة اذا كنت اريد ان يذهب لاحضار قيثارتي وكان قلبي يخفق بسرعة . فلم اجد بداً من الرد عليه بالايجاب . وحين عاد كان الحال اسوأ . ولم انظر اليه سوى لحظة قصيرة . ولم يكن هو ينظر إلي ايضاً ، ولكنه كان يبدو كما لو كان عليلاً . وقد آلمني ذلك جداً . واخذ ينظّم اوتار القيثارة ، ثم اعادها اليّ وهو يقول : آه يا آنستي! ... ولم يقل لي سوى هاتين الكلمتين ولكن بلهجة جعلتني ازداد انفعالاً . واخذت اعزف على قيثارتي دون ان اعرف ماذا افعل . وسألتي امي اذا كنا سنغني ام لا ، فاعتذر هو قائلاً انه متوعك قليلاً . اما انا فلم يكن عندي أي عذر ، وكان لا بد من ان اغني . وكم تمنيت ألا يكون لديّ صوت . فاخترت عن قصد لحناً لا اعرفه . إذ كنت متأكدة انني لا استطيع ان اغني اي لحن ، وربما سيلاحظ عليّ شيئاً ما . لحسن الحظ حضرت في هذه الاثناء احدى الزائرات، فتوقفت عن الغناء وطلبت اليه اعادة قيثارتي إلى موضعها ، وكنت خائفة من ان ينصرف في الوقت ذاته ولكنه عاد .

وفيا كانت والدتي تتحدث مع السيدة التي حضرت لزيارتها اردت ان انظر اليه لحظة ما ، فقابلت نظراته . وكان من المستحيل علي ان اشيح ببصري عنها . ولاحظت بعد قليل دموعه تتساقط . واضطر الى ان يدير وجهه الى الورااء لكي لا يرى . وفي الوقت نفسه لم استطع بدوري ان اتمالك نفسي ، وشعرت بأنني سأبكي ايضاً . فخرجت وكتبت حالاً بقلمتي على قطعة ورق : « لا تكن

تعيساً الى هذا الحد ، ارجوك ، أعدك بأنني سأجيبك . « من المؤكد انك لا تستطعين ان تقولي ان في ذلك ما يسوء . ثم ان الامر كان فوق طاقتي . ووضعت ورقتي بين اوتار القيثارة كما وضع قبلاً رسالته ، وعدت الى الصالون فشعرتُ انني اكثر ارتياحاً . وما ان خرجت الزائرة حتى أعلنت رغبتني في استئناف درسي على القيثارة . ورجوته أن يذهب لاحضارها وبدا عليه انه لم يكن يشك في الأمر . ولكنه حين عاد ، كان ظاهر الغبطة والسرور ، وعندما أمسك بالقيثارة قبالي ، وقف بطريقة لا تدع لوالدي مجالاً في أن ترانا ، فتناول يدي وضغط عليها ... ولكن بطريقة !... ولم يطل بي الأمر سوى لحظة حتى سحبتها منه ، وهكذا لا أجد ما أؤاخذ نفسي عليه من جرائه .

والآن يا صديقتي العزيزة ، ترين جيداً أنني لا أستطيع اعفاء نفسي من الكتابة إليه ، بعد ان وعدته بذلك ، ثم لن أعود إلى أثاره شجونه من جديد . لأنني اكابد اكثر مما يكابد . ولو كان في ذلك ما يسيء إلى احد لما كنت فعلته . ولكن ما هو الإثم في الكتابة ، حين تكون الغاية منها منع انسان من ان يكون تعيساً؟ إن ما يحيرني هو أنني لا اعرف كيف اكتب رسالتي هذه ، ولكنه سيشعر حتماً ان الذنب ليس ذنبي . ثم انني متأكدة ان كل ما يصدر عني سيدخل السرور عليه .

الوداع يا صديقتي العزيزة ، إذا وجدت انني على خطأ عرفيني بذلك . ولكنني لا أظن . وكلما قرب موعد الكتابة اليه اشعر بقلبي يخفق بحيث لا اجد لذلك مبرراً مع انه ينبغي عليّ ان اكتب لأذني وعدته . الوداع .

١٩

من سيسيل فولانج الى الفاروس دانسي

باريس في ٢١ آب

لقد كنت كثيراً جداً يا سيدي بالأمس . وقد آلمتني تعاستك أشد الألم بحيث

تركتُ نفسي اعدك بالاجابة على رسالتك التي وجهتها اليّ . ولكنني اشعر الآن  
 بألم اشد مما ينبغي : ومع ذلك بما انني وعدتك فلا أريد أن أخلّ بوعدتي. وهذا  
 ما يجب ان يثبت لك الصداقة التي اكنّها لك . أما وقد أيقنتَ من ذلك الآن  
 فإنني آمل ألا تسألني المزيد. وارجو ايضا الاتخبر احداً بأنني كتبت اليك، لأنني  
 اكيداً سألام ، وقد يسبب لي ذلك كثيراً من النغم . وآمل بصورة خاصة الا  
 تكون انت ايضا فكرة سيئة عني ، مما سيسببني اكثر من كل شيء . واستطيع  
 ان اؤكد لك بأنني لم أقم بهذه المجاملة مع احد غيرك . أتمنى ألا تعود فتصبح  
 كئيباً كما كنت ، مما سيزيل مني كل سرور أحسّه عند رؤيتك . أرايت يا سيدي  
 انني اتحدث اليك بإخلاص . وانني لا اتمنى اكثر من ان تدوم صداقتنا الى الأبد .  
 لكنني ارجوك ألا تكتب اليّ ابداً .  
 لي الشرف سيدي بأن اكون الخ ...

## ٢٠

### من المراكيزة دي ميرتاي الي الفيكونت دي فالون \*

باريس في ١٩ آب ?? ١٧

آه ايها الماكر ، إنك تتملقني ، خشية ان اسخر منك . ولكن ها أنذا اعفو  
 عنك ، فأنت تكتب الي كثيراً من المحافات بحيث ينبغي ان اسامحك على التعقل  
 الذي تلازمك به رئيسك . لا اظن ان فارسي سيكون اوسع صدرأ مني . فهو  
 لا يوافق على تجديد عقدا ، ولا على وجود ما يسر في فكرتك الجنونية . ومع  
 ذلك فقد ضحكت منها كثيراً . وكنت حقيقة غاضبة لكوني مضطرة لأن اضحك  
 وحدي ، ولو كنت هنا لما عرفت إلى اين تكون قد قادتني هذه الهجة . ولكن  
 كان لدي وقت للتفكير ، فتسلحت بالصرامة . ولا يعني هذا اني أرفض طلبك

---

\* هذه الرسالة التي ترد على الرسالة الخامسة عشرة تلاقت مع الرسالتين ١٧ و ١٨ ،  
 وقد فضلت ان اضعها بعدها لكي يعرف القارئ وضع الفيكونت دي فالون حين  
 تلقاها .

قطعاً ، ولكنني أرجئ الأمر الى حين ، وانا على حق في ذلك . ربما سأضع في ذلك شيئاً من الزهو . ولكن متى انغمسنا في المقامرة فلا نعلم ابدأ متى نتوقف . سأكون امرأة تقيّدك من جديد ، وتجعلك تنسى رئيسك ، واذا كنت ، انا الفاحشة ، سأجعلك تتقزز من الفضيلة ، فيا لها من فضيحة كبرى . ولتفادي هذا الخطر ، اليك بشروطي :

ما ان تمتلك ورِعَتِكَ الحسنة ، وتستطيع أن تقدّم لي برهاناً على ذلك ، بادر حالاً بالحضور الي . وانا لك . اظنك لا تجمل انه في القضايا الهامة لا تقوم اية براهين ثابتة إلا كتابياً . وعن طريق هذا الاجراء ، سأشعر من ناحية أنني بمثابة مكافأة بدلاً من ان اكون بمثابة تعزية ، وهذه الفكرة تعجبني اكثر من غيرها . ومن ناحية ثانية سيكون نجاحك بمثابة مقبلات تسهل سبل الحياة . إحضر إذن . احضر في اقرب فرصة ، حاملاً اليّ شهادة على انتصارك ، وانا تواقفة بالفعل لمعرفة ماذا يمكن لهذه المرأة الفاضلة ان تكتب بعد مرورها بهذه المرحلة ، وبأي ستار ستغطي عملها بعد ان تكون قد رفعت كل ستار عن شخصها . والامر متوقف عليك اذا وجدت بأنني أضع ثمناً مرتفعاً جداً لكي تحظى بي . ولكنني اندرك بأنني ان اخفض السعر . وبالانتظار يا عزيزي الفيكونت ، ألا ترى من الأصلح لي ان اظل وفية لفارسي ، وأن اتسلى يجعله سعيداً ، رغم ما يشيره ذلك في نفسي من الحزن والغيظ .

وخلال ذلك لو كنتُ على قسط اقل من الاخلاق لكان وجد كما اظن أن له خصماً خطيراً : الا وهي الصغيرة فولانج . وأنا مشغوفة بهذه الفتاة كل الشغف . وهو هيام حقيقي : فإما انني مخطئة واما انها ستغدو من أبرز نساءنا . انني أشهد قلبها الصغير ينمو ويتفتح ، وهو مشهد رائع . وقد اصبحت الآن تحب فارسها دانسني ، وهي من جراء ذلك في فورة عارمة . ولكنها لا تدرك الحب . وهو ايضاً ، رغم كونه شديد الكلف بها - اذ أنه ما زال خجولاً بسبب صغر سنه - لا يجرؤ على تعليمها شيئاً كثيراً . وكلاهما يكتان لي الحب الشديد ، ويمنحاني ثقتهما . والصغيرة بصورة خاصة

تشعر برغبة قوية في ان تطلعني على سرها ، ومنذ بضعة ايام لاحظت أنها مهمومة جداً ، وقد كان بإمكانني ان أسدي اليها خدمة كبرى بمساعدتها قليلاً ، ولكنني لا أنسى انها طفلة ولا أريد ان اورط نفسي . وقد حدثني دانسني بوضوح اكثر ، ولكنني بالنسبة اليه قررت موقفي ، وهو انني لا أريد ان اسمع شيئاً عن هذه القصة . اما الصغيرة ، فإنني غالباً ما اميل الى اتخاذها تلميذتي ، وهي خدمة اريد ان اسديها الى جيركور الذي يتيح لي وقتاً كافياً لذلك بسبب غيابه الآن في جزيرة كورسيكا حتى شهر تشرين الاول ، وفي نيتي أن استغل هذا الوقت ، لكي أقدم اليه امرأة ناضجة التكوين بدلاً من تلميذة بريئة كما يريد لها . ويا له من اطمئنان سخيف لدى هذا الرجل الذي يجسر على النوم ملء جفونه بينما هناك امرأة تشكوه ، ولم تتأر بعد لنفسها منه . آه لو كانت هذه الصغيرة هنا الآن ، لكنت اعلم ماذا سأقول لها ..

الوداع يا فيكونت ، مساء الخير ، اتمنى لك كل نجاح ، ولكن تقدم أذن ، وفكر اذا لم تنل هذه المرأة ، بأن النساء الاخريات سيحمررن خجلًا لكونهن نلنك .

## ٢١

### من الفيكونت دي فالمون الى المراكيزة دي ميرتاي

قصر ... في ١٨ آب ?? ١٧

واخيراً يا صديقتي الحسنة قمت بخطوة إلى الامام ، ولكنها خطوة كبرى ، وهي اذا لم تكن قد أرسلتني بعد الى الهدف ، الا انها جعلتني اعرف على الأقل انني سائر في طريقي اليه ، وقد ازالتي عني الخوف من ان اكون قد ضللت السبيل . فلقد اعلنت اخيراً حيي ، وعلى الرغم من انني قوبلت بصمت مطبق ، الا انني حصلت على جواب ربما اقل غموضاً ولكنه اكثر غبطة . ولكن يجب الا نستبق الاحداث ، ولنبدأ من الاول .

انت تذكرين انها عمدت الى اقتفاء اثري . وهكذا رأيت ان اجعل هذه الوسيلة الفاضحة تتحول الى عمل خيري عام ، واليك ماذا فعلت . فقد كلفت خادمي الوفي ان يعثر لي في النواحي المجاورة على بعض البؤساء الذين هم بحاجة الى المساعدة . ولم تكن هذه بالمهمة الصعبة . إذ أبلغني بعد ظهر أمس أنه سيجري هذا الصباح حجز اثاث عائلة فقيرة بكامله بعد ان عجزت عن دفع الضريبة المفروضة . وكان ان تأكدت انه لا توجد بين افراد هذه العائلة اية امرأة أو ابنة يمكن ان يجعل عمرها او وجهها عملي موضع شبهة ، وحين وصلتني هذه المعلومات اعلنت عند العشاء عن عزمي على الذهاب الى الصيد في اليوم التالي . وهنا ينبغي ان انصف رئيسي : فقد ندمت بدون شك بينها وبين نفسها على الاوامر التي أصدرتها بلاحقي ، ولكن بما انها لم تقوَ على هزم فضولها فقد عمدت الى معاكسة رغبتني . وقالت ان الجو سيكون حاراً جداً ، وانني أجازف يجعل نفسي مريضاً ، وانني لن اصطاد أية طريدة ، وسأتعب نفسي بدون جدوى . واثناء هذه المحاورة كانت عيناها ربما تتكلمان اكثر مما تريد ان تقول ، وجعلتني أفهم انها ترغب في أن اقتنع بهذه الاسباب الصالحة ، ولكنني شئت ألا اترجع ، كما تتوقعين ، وقاومت محاضرتها القصيرة ضد الصيد والصيداين . وهكذا خيئت غمامة صغيرة من المشادة على طول السهرة ، وعلى هذا الوجه السماوي . وخشيت في إحدى اللحظات ان تكون قد ألغت اوامرها بتتبع خطاي ، ولم احسب حساباً لشدة فضول المرأة ، وهكذا اخطأت الحساب ، إذ طمأنني خادمي في المساء نفسه ، ووقدت مرتاحاً .

ولدى بزوغ النهار نهضت وذهبت . ولم اكد ابتعد سوى خمسين خطوة عن القصر حتى لاحظت ان جاسوسها يتبعني . فتوغلت في الحقول ومضيت اصطاد وانا متجه نحو القرية المقصودة ولا هدف لي في طريقي سوى جعل الرجل يركض ورائي ، وقد كان المسكين لا يجرؤ على اتباع طريقي نفسه ، بل يضطر الى المشي ثلاثة اضعاف ما أمشيه . وكان ان اعتراني حر شديد ، فجلست ارتاح فوق حجر عند جذع شجرة . وقد بلغت به الوقاحة ان تبعني حتى دغل قريب على بعد عشرين



خطوة مني وجلس هو ايضاً .. وقد خطر لي في احدى اللحظات ان  
أوجه اليه طلقة بندقية ، رغم انها لا تضم سوى حبات صغيرة من «الخردق» ،  
الا انها كانت كافية لاعطائه درساً عن اخطار الفضول . ولحسن حظه تذكرت  
انه مفيد لي لا بل وضروري لحظتي ، وهذا ما أنقذته .

وكان ان وصلت الى القرية فشاهدت جمعاً من الناس وسمعت لفظاً بينهم .  
فسألت عن القضية فروي لي الحادث الذي كنت على بينه منه . فاستدعيت محصل  
الضرائب ، واستولت علي نوبة كرم فدفعت له بنبل ستاً وخمسين ليرة كان لولاها  
سيحيل خمسة اشخاص الى اليأس ويحلمهم دون مأوى . وبعد ان قمت بهذا العمل  
البيسط تستطيعين أن تتصوري كم كان تأثيره العظيم في نفوس الناس الذين أحاطوا  
بي في شبه جوقة وهم يسبقون علي مظاهر التكريم والتقدير ، وكم سالت دموع  
الاعتراف بالجميل من قبل كبير هذه الاسرة ، مزينة وجهه هذا الشيخ الوقور ، بينما  
كانت امارات اليأس قبل لحظات تجعله يبدو بصورة مرعبة . وكنت اتفحص هذا  
المشهد حين جاء فلاح آخر اصغر سنأ يقود بيده امرأة وولدين ، فتقدم نحوي  
بخطوات عاجلة وقال للقوم: «لنجثو جميعاً امام هذه الصورة المرسله من عندالله» .  
وفي اللحظة نفسها احاطت بي العائلة نفسها ، وقد ركعت حولي عند اقدمي ،  
وهنا أعترف بتخاذلي ، اذ ما لبثت عيناي ان ترقرتا بالدموع ، وشعرت في  
نفسي بحركة لا شعورية ولكنها لذيدة ممتعة . واميل الى الاعتقاد ان هناك  
حقيقة لذة في عمل الخير ، وبعد كل شيء فان من نطلق عليهم اسم المحسنين ليس  
لهم في الواقع فضل كبير حسب ما يقولون . ومهما يكن فقد وجدتُ من الانصاف  
ان ادفع لهؤلاء مقابل المتعة التي وفروها لي ، وكانت ما تزال معي عشر ليرات  
ذهبية اخرى ، فمنحتهم اياها . وهنا عادوا فشكروني من جديد ولكن ليس  
بالدرجة نفسها من الحرارة : فقد كان عملي الاول الضروري قد احدث التأثير  
الكبير الحقيقي ، اما ما تلاه فلم يكن سوى تعبير بسيط من الاعتراف بالجميل  
والتعجب لهذه التبرعات الفائضة .

وفي الاثناء كنت اشبه وسط هذه الابتهالات الثرثرة من الشكر وعرفان

الجميل ، بطل مأساة في مشهد النهاية. ولاحظي ان جاسوسي الامين كان موجوداً بين هذا الحشد، وبذلك حققت هدفي : فانصرفت من بينهم وعدت الى القصر . وهنأت نفسي على هذا الاستنباط الهائل اذ أن هذه المرأة تساوي بنظري اكثر من عشر ليرات ذهبية ، اكون قد دفعتها مقدماً دون ان يكون هناك ما اوأخذ نفسي عليه .

نسيت ان اقول لك انني لكي استغل كل شيء لصالحني طلبت الى هؤلاء القوم الطيبين ان يصلوا الى الله من اجلي كي ينجح مشاريعي . وسترين ما اذا كانت صلواتهم قد استجيبت في قسم منها. ولكن ها انني أتبلغ الآن ان العشاء جاهز، وسيفوت الاوان إذا تأخرت في ارسال هذه الرسالة اليك ، ولذلك فالبقية تأتي في الرسالة القادمة . وانا حانتق لذلك ، لأن البقية هي أفضل ما في هذه الحادثة. الوداع يا صديقتي الحسنة ، انك تسلبين مني لحظة التمتع برؤيتها .

## ٢٢

### من السيدة دي توفيل الى السيدة دي فولانج

قصر ... في ١٨ آب ?? ١٧

ستكونين حتماً مسرورة يا سيدتي لأن تتعرفي الى احدى نواحي صفات السيد دي فالون التي تتناقض كثيراً ، كما يبدو لي ، مع جميع تلك التي صوروه لك بها . وانه لمن المؤلم جداً ان نأخذ فكرة سيئة عن اي كان ، ومن المكدر الا نجد سوى المساوى لدى اولئك الذين يتمتعون بالمزايا اللازمة لتحبيب الناس بالفضيلة . واخيراً لعلك تودين أن تحتاجي الى سعة الصدر والتسامح لكي تضطري الى اعادة النظر في حكمك القاسي ، واليك الأسباب التي اعتمدت عليها في حكمي عليه .

فلقد قام هذا الصباح باحدى تلك الجولات التي يمكن أن تهدف كاهومفروض الى وجود مشروع ما يُعدّه في الضواحي ، كما خطرت لك الفكرة . وهي

فكرة ألوم نفسي على انني التقتتها بكثير من الاهتمام . ولحسن حظه - او بالأحرى لحسن حظنا ، لأن ذلك ينقذنا من ان نكون ظالمين - كان على احد خدمي ان يسلك الطريق ذاتها التي سلكها . ومن هنا كان ان أشبعتُ فضولي الذميم ، لا بل السعيد . وقد اعلمني هذا الخادم ان السيد دي فالمون قد عثر في قرية ... على عائلة بانسة أُلقيَ الحجز على اثاثها لعجزها عن دفع ديونها، فسارع ليس فقط الى دفع الدين المطلوب عن هؤلاء الناس المساكين على الفور ، بل الى التبرع لهم بمبلغ كبير من المال . وقد كان خادمي شاهد عيان لهذا العمل الخيري النبيل . ونقل اليّ ان الفلاحين كانوا يتحدثون في ما بينهم ان خادم السيد فالمون قد استقى بالأمس معلومات عن الذين يكونون محتاجين من سكان القرية او هم بحاجة الى المساعدة . واذا كان الامر كذلك ، فان ما قام به ليس شفقة عابرة ، املتها عليه المناسبة ، بل خطة مدروسة لعمل الخير ، او هي الرغبة في عمل الخير . وهذه اجمل فضيلة لدى اجمل النفوس . وهو عمل سواء كان مصادفة أو خطة مقصودة ، يعتبر شريفاً يستحق صاحبه عليه الشناء والتقدير . وان رواية هذا النبأ وحده لي قد اثر في نفسي كثيراً حتى بكيت . واضيف الى ذلك ، ودائماً من قبيل الانصاف ، انني حين حدثته عن هذا العمل الذي لم يخبرني به على الاطلاق ، اخذ يدافع عن نفسه ، وبدا كمن لا يعلق عليه سوى قيمة ضئيلة ، وهذا ما جعل لعمله قيمة مضاعفة بنظري نظراً لتواضعه .

والآن قولي لي يا صديقتي المحترمة اذا كان السيد دي فالمون بالفعل رجلاً فاسقاً دون وازع . واذا كان حقاً من هذا النوع ثم يتصرف هذا التصرف ، فماذا يبقى للناس الشرفاء ؟ ماذا ! هل يشاطر الاشرار الصالحين في لذة عمل الخير المقدسة ؟ وهل يسمح الله لاسرة فاضلة ان تتلقى على يد فاجر أنثيم مساعدات يعود الفضل فيها للعناية الالهية ؟ وهل يمكن ان يكون مسروراً بأن يسمع من افواه نقية طاهرة مدائح وبركات توجه الى رجل محكوم عليه بالهلاك الابدي ؟ كلا . بل افضل الاعتقاد بأن الخطايا الطويلة ليست أبدية . ولا يستطيع ان صدق بأن من يعمل الخير هو عدو الفضيلة . وان السيد دي فالمون ليس مثلاً آخر

على خطر العلاقات وانني اتوقف عند هذه الفكرة التي تعجبني. اجل ، فهي من ناحية يمكن ان تستخدم لكي تبرره في ذهنك ، ومن ناحية ثانية تجعلني اكثر تسكاً بالصداقة الثمينة التي تربطني بك على مدى الحياة .

سذهب عما قليل - السيدة دي روزموند وانا - لزيارة تلك الاسرة الشريفة البائسة ، لكي نضيف مساعداتنا المتأخرة الى مساعدات السيد دي فالمون ، وسنصطحبه معنا لكي نتيح لهؤلاء القوم الطيبين متعة رؤية من احسن اليهم مرة ثانية . وهذا ما اعتقد كل ما تركه لنا لنفعله .

## ٢٣

### من الفيكونت دي فالمون الى المر كيزة دي مرتاي

قصر ... في ١٩ آب ?? ١٧ الساعة الثالثة صباحاً .

تركتك في رسالتي الماضية عند عودتي الى القصر ، وهأنذا استأنف روايتي : بعد ان نظفت نفسي قليلاً من وعشاء الرحلة ، توجهت الى الصالون حيث كانت حسناي مشغولة بالتطريز ، بينما كان كاهن الناحية يقرأ في صحيفة امام عمي المعجوز . فجلست قرب الحسناء . واذا بها توجه الي نظرات اكثر لطفاً من المعتاد لا بل اكثر حناناً وشغفاً تقريباً مما جعلني استنتج ان خادمها قد اطلعها على مهمته . وبالفعل لم تستطع حسناي الفضولية ان تحتفظ طويلاً بسرها . فكان ان قاطعت دون وجل الكاهن المحترم وقالت : « وانا ايضاً عندي خبر هام » ثم روت حالاً مغامرتي في القرية بكل دقائقها الصحيحة مما يشرف حقاً جاسوسها الامين . وتتصورين كم حاولت ان اظهر تواضعي . ولكن من يستطيع ان يوقف امرأة تقوم باطراء من تحبه دون ان ترتاب في الامر ؟ وتركتها اذن على سجيته . حتى ليقال انها كانت وكأنها تلقي خطاباً تقريظياً في مدح قديس من القديسين . وخلال هذا الوقت كنت اراقب ، ليس دون امل ، كل ما يوحى بالحب : من نظرة حية ، وحرارة اصبحت اكثر حرية ، وبصورة خاصة لهجة صوتها الذي أصبح

يعبر عن انفعال قلبها ، وهي الشديدة الحساسية . وما كادت تلتهي من رواية مفاقرتي والثناء على عملي ، حتى قالت لي عمتي : تعال يا ابن اخي لكي أقبلك . وشعرت حينئذ أن الواعظة الجميلة لا تستطيع أن تمنع نفسها من تقييلي هي أيضاً . ومع ذلك شاءت أن تهرب ، ولكنها كانت بعد قليل بين ذراعي . وكانت ابعدهم من أن تكون لديها قوة على المقاومة ، بل بقيت عندها فقط قوة على أن تتألم نفسها . وكلما راقبت هذه المرأة كلما بدت لي مرغوبة . ثم سارعت بالعودة إلى نسيجها ، واستأنفت التطريز . ولكنني ، لاحظت جيداً ان يدها المرترجة لم تسمح لها ان تستمر في عملها .

وبعد الغداء رغبت هي وعمتي في الذهاب لرؤية المساكين الذين ساعدتهم . « بكل تدين » . وانتي اريحك من وصف هذا المشهد الثاني من عرفان الجميل والمديح . وكان ان شاء قلبي - الذي عصرته ذكرى لذيدة - استعجال لحظة العودة إلى القصر ، وانشاء العودة كانت رئيسي اكثر شروداً من المعتاد ، فلم تنبس بينث شفة . وقد لذتُ أنا بدوري بالصمت ايضاً لأن فكري كان مشغولاً بإيجاد الخطط لاستغلال التأثير الذي تركه حادث اليوم في نفسها . وكانت السيدة دي روزموند تتحدث وحدها ، ولا تتلقى منا سوى اجوبة مقتضبة نادرة . ولا بد ان نكون قد أضجرناها : وهكذا نفذتُ المشروع ونجحت . وحين ترجلنا من العربية ، قصدت المعجوز غرفتها وتركتنا وحدنا - حسناي وانا - في صالون ذي نور خافت ، وهي ظلمة ناعمة تنشط الحب الخجول .

ولم اجد صعوبة في توجيه الحديث إلى حيث أريد . وقد ساعدني حماس الواعظة اللطيفة على ذلك اكثر من براعتي . وقالت لي وهي تصوب نحو نظراتها العذبة : « حين يكون الانسان جديراً إلى هذا الحد بعمل الخير كيف يستطيع ان يمضي حياته في عمل الشر » ؟ فقلت لها : « أنتي لا أستحق هذا الثناء ولا هذا التوبيخ ، ولا أفهم كيف انك لم تسبري غوري مع انك على جانب كبير من الذكاء ، فهل ان ثقتي قد أضرت بي عندك ؟ انك لجديرة بهاكل الجدارة ، حتى لا أستطيع أن ارفض منحك أياها . انك تجدين مفتاح سلوكي في طبيعة سهلة جداً

لسوء الحظ . اذ كنت هناك محاطاً بأناس لا اخلاق لهم ، فقدت رذائلهم . ولعلي بذلت شيئاً من عزة النفس لكي أتفوق عليهم . أما وقد انجذبت بأمثولة الفضائل بدون ان أمل في بلوغ مرتبتك فقد حاولت على الاقل أن أحذو حذوك . ولعل العمل الذي تدين عليه الآن سيفقد كل قيمته بنظرك لو عرفت السبب الحقيقي . ( ترين يا عزيزتي كم كنت هنا قريباً من الحقيقة ) واستطردت قائلاً : إن الفضل في كون هؤلاء المساكين قد نالوا مساعدتي لا يعود إلي انا ، بل اليك انت ، وحين تعتقدين انك شاهدت عملاً يستحق الثناء فإنني لم أحاول به إلا البحث عن وسيلة تثير الاعجاب ، ويجب ان اقول الحقيقة ، لم اكن سوى الوكيل الضعيف على ألوهية اعبدها فيك ( هنا حاولت ان تقاطعني ، ولكنني لم أدع لها ذلك ) ثم اضفت : وفي هذه اللحظة ذاتها لا يفلت سري مني إلا من قبيل التخاذل ، لأنه اقوى مني . قد وعدت نفسي بأن اكنتمه ، وكنت اجد سعادة في ان اقدم لفضائلك ولمغرياتك احتراماً صافياً طاهرأستجلبينه دائماً ، ولكنه قاصر عن الحداع ، وحين يكون تحت انظاري مثل على هذه البراءة ، لا استطيع الا ان الوم نفسي تجاهك على مراعاة مذنبية . لا تعتقدي انني اهينك بأمل مجرم ، بل سأكون تعديماً ، وانا اعلم ذلك . ولكن عذابي سيكون عزيزاً عليّ . اذ يثبت لي مدى الافراط في الحب ، وها انذا القى عند أقدامك ، وفي صدرك آلامي الابدية ، وسأعترف منها القوة على المكابدة من جديد ، وسأجد فيها الطيبة الرؤوفة المشفقة ، وسأعتقد ان نفسي قد عزيت فيما لو رثيت لحالي . آه انت التي أعبدك . اصغي إليّ وارثي لحالي . اغثيني » . وفي تلك الاثناء كنت اجثو عند ركبتيها وكنت اعصر يديها بين يدي ، ولكنها سحبتهما حالاً ، وعقدتهما فوق عينيها وقالت بلهجة يائسة : « آه ! يالي من تعيسة ! » ثم انفجرت باكية . ولحسن الحظ ، كنت قد انسقت في سرد عواظفي الى درجة اخذت معها ابكي انا ايضاً ، فاستمدت يديها وغسلتها بدموعي ، وقد كانت هذه المراعاة ضرورية جداً ، لانها كانت شديدة الانشغال بألمها بحيث انها ما كانت لتكتشف شدة ألمي لو لم اعثر على هذه الوسيلة كي أنبئها

به ، فنجحتُ - فضلاً عن ذلك - في التأمل بحرية بهذا الوجه الفاتن الذي زاده جاذب الدموع القوي جمالاً ، والتهب رأسي ، وكدت افقد السيطرة على نفسي الى درجة اشتيت معها اغتنام الفرصة .

فما هو اذن تخاذلنا ؟ وما هو سلطان الظروف اذاً كنت انا نفسي ، قد نسيت خططي ، وخاطرت بأن اضيِّع - عن طريق انتصار سابق لأوانه - فتنة المعارك الطوال وتفصيل هزيمة قاسية ؟ اجل ، لقد انجذبتُ برغبة شاب ، فكدت اعرض غازي السيدة دي تورفيل الى جنني تفاهة نيل امرأة بالزائد كثمرة لجهوده . آه . فلتقبل ، ولكن فلتعارك دون ان تكون لديها قوة على الانتصار ولتكن لديها قوة على المقاومة ، ولتتذوق بحرية شعور ضعفا ، ولتكن مضطرة الى ان تعترف بضعفها . ولتدع الصياد في ارض الغير يقتنص الغزال الذي فاجاه .

انه مشروع رائع أليس كذلك ؟ ولكنني قد كنت في ذلك الوقت متأسفاً لعدم تطبيقه ، لولا ان المصادفة جاءت في محلها فأغاثتني من عدم احتراسي . إذ سمعنا حركة ووقع خطوات شخص قادم الى الصالون ففزعت السيدة دي تورفيل ونهضت مسرعة فأمسكت بأحد المشاعل وخرجت ، وكان لا بد من تركها تفعل . فاذا بهذا الشخص ليس الا احد الخدم . وما ان اطمانت الى ذلك حتى تبعتها ، ولم اكد اخطو بضع خطوات ، وتشعر هي بي حتى استولى عليها شعور بالخوف ، فألقت بنفسها داخل غرفتها ، واقفلت الباب وراءها . ولحقت بها ولكن الباب كان موصداً من الداخل ، ومنعت نفسي من ان اطرق الباب عليها . اذ لو فعلت ذلك لكنت اتحت لها فرصة المقاومة بسهولة . وهنا خطرت لي فكرة حسنة وبسيطة وهي ان انظر عبر فتحة القفل . فرأيت المرأة المعبودة راكعة على ركبتها وهي ساجدة في دموعها تصلي بوجل . فهل هناك إله اقوى من الحب ؟

انها تبحث الآن عبثاً عن مساعدة خارجية . ولكنني انا الذي سأقود مصيرها . وبعد ان شعرتُ بأنني قمت بما فيه الكفاية اليوم ، انصرفت إلى غرفتي ،

واخذت اكتب اليك . وتوقعت ان اراها عند العشاء ، ولكنها اعلنت انها وجدت نفسها متوعكة ، والتزمت الفراش . وارادت السيدة ذي روزموند أن تصعد لتراها ، ولكن المريضة الحبيثة ابلغتها انها مصابة بصداع قوي لاتستطيع معه ان ترى احداً . انك لتتصورين كم كانت السهرة بعد العشاء قصيرة جداً ، وكان ان اصبحت انا الآخر بصداع ، فانسحبت إلى غرفتي ، وكتبت اليها رسالة طويلة اشكو فيها هذه الصرامة ، ثم نمت وانا أنوي ان اسلمها اياها هذا الصباح ، ولكنني لم اتم جيداً كما تلاحظين من تاريخ هذه الرسالة ، فنهضت واعدت قراءة رسالتي فلاحظت انني لم اراقب نفسي ، وانني وضعت من الحماس اكثر من الحب . ومن النعمة اكثر من الكتابة ، وكان لا بد من اعادة كتابتها من جديد . ولا بد ايضاً من ان اكون اكثر هدوءاً .

ها انني اشاهد الآن بزوغ النهار ، وآمل بأن يجعل انتعاش الفجر النوم يدب إلى جفوني . سأذهب إلى السرير عما قليل ، ومهما كان سلطان هذه المرأة علي قوياً ، اعدك بالأشغال نفسي كثيراً بها وبأن يظل عندي وقت للتفكير فيك .  
الوداع يا صديقتي الحسنة .

٢٤

### من الفيكونت دي فالمون إلى السيدة دي تورفيل

في ١٩ آب ١٧??

آه ، يا سيدتي ، تنازلي من قبيل الشفقة فهدئي من اضطراب روحي . تنازلي فأبلغيني ما إذا كان ينبغي ان آمل او أخاف ، أما وقد وضعت نفسي بين الافراط في السعادة وبين الافراط في سوء الحظ ، فإن القلق هو هم قتل . لماذا حدثك ؟ لماذا لم اعرف ان اقاوم المتعة المتسلطة علي والتي حملتني على الاعتراف امامك بفاكاري ! لقد كنت سعيداً لأن اعبدك بصمت ، واتمتع على الأقل بحبي وبهذا الشعور الطاهر الذي لا يعكس صفوه ابداً مظهر ألمك ، وكان ذلك كافية



لارضاء غبطني . ولكن مصدر السعادة هذا اصبح مصدرأ لليأس والقنوط .  
 منذ ان شاهدتُ دموعك تسيل ، ومنذ ان سمعتُ هذه العبارة القاسية : «آه يا لي  
 من تعيسة » ستظل كلماتك يا سيدي تدوي طويلا في قلبي ، وأي قدر ذلك الذي  
 جعل أرق العواطف لا يمكن ان توحى اليك إلا بالذعر والهول ؟ وما هو  
 هذا الخوف ؟ آه انه ليس مما يُشاطر : ان قلبك الذي اسأتُ معرفته ،  
 ليس مخلوقا للحب . بينا قلبي الذي تتجنين عليه باستمرار هو الوحيد الحساس  
 لذلك ، أما قلبك فهو دون رحمة . واذا لم يكن كذلك لما كنت رفضتِ منح  
 كلمة مؤاساة للمسكين الذي حدثك عن لواعجه ، ولما كنت منعتِ نفسك من  
 نظراته ، عندما لا تكون لديه اية متعة سوى ان يراك ، ولما كنت جعلتِ قلقه  
 لعبة قاسية ، ببلاغك اياه انك مريضة دون أن تسمححي له أن يطمئن على حالتك .  
 بل لكنتِ شعرتِ بأن تلك الليلة نفسها التي لم تكن بالنسبة لك سوى اثنتي  
 عشر ساعة من الراحة ، كانت بالنسبة له قرناً من الآلام .

من اين ، قولي لي ، استحققت هذه القساوة المؤسفة ؟ انني لا اخشى أن اتخذك  
 حكماً علي : ماذا فعلتُ سوى انني استسلمتُ لشعور تلقائي ، أوحاه لي الجمال ،  
 وبررته لي الفضيلة ، وهو مقرون دوماً بالاحترام . لقد كان الاعتراف البريء به  
 ناتجاً عن تأثير الثقة ، وليس عن تأثير الأمل . فهل تخليين بهذه الثقة التي انت  
 نفسك - كما بدا لي - سمحت لي بها ، والتي اعتمدتُ عليها دون تحفظ . كلاً لا  
 اصدق ذلك . وإلا لافترضتُ وجود خطأ من جانبك ، ان قلبي ليثور  
 لفكرة وجود خطأ واحد فيك . انني استنكر ماآخذي ، واستطيع ان  
 اكتبها لا ان افكر بها ، آه دعيني اعتقد أنك كاملة . وهذه هي اللذة  
 الوحيدة التي تبقى لي . برهني لي بأنك كاملة ، بايلائي عنايتك الكريمة ،  
 واي بائس ساعدته ، كان بحاجة للمساعدة أشد مما أنا عليه اليوم ؟ لا تدعيني  
 أعيش في الجنون الذي دفعتني انت اليه . بل اعيريني عقلك بعد ان سلبتِ  
 مني العقل والقلب . وبعد ان اصلحتني ، اكلمي معروفك فأنيري أمامي سبيلي .  
 لا أريد ان اخدعك ، فسوف لا تتوصلين الى التغلب على حيي . بل سترشديني

كيف اعمل على تصفيته ، وذلك عن طريق توجيه خطواتي ، واملاء أقوالي ،  
وبذلك ستنقذيني على الأقل من خوفي التعميس من ألا اعجبك ، فأزيلي بصورة  
خاصة هذا الخوف اليأس . وقولي لي انك ساحتني ، وانك تشفقين علي ، واكدي  
لي سعة صدرك وحلمك . وسوف لا يكون لديك كل ما اطمع فيه من هذا الحلم ،  
بل اطلب فقط ما انا بحاجة اليه الآن . فهل ترفضين ذلك ؟  
الوداع يا سيدتي ، تقبلي بكل اخلاص عواظفي الصادقة التي لا تقلل ابداً  
من احترامي الشديد لك .

## ٢٥

### من الفيكونت دي فالمون الى الماركيزة دي ميرناي

في ٢٠ آب ?? ١٧

اليك نشرة اخبار الامس .

في الساعة الحادية عشرة قصدت عمتي السيدة دي روزموند ، وكان ان دخلت  
تحت اشرافها الى غرفة المريضة التي كانت ما تزال راقدة ، وكانت عيناها  
ذابلتين جداً . واظن انها هي ايضاً لم تتم جيداً مثلي . واغتنمتُ فرصة ابتعاد  
السيدة دي روزموند قليلاً لكي اسمها رسالتي فرفضت ان تأخذها . ولكنني  
تركتها على السرير ، ورحت اقرب كرسبي بكل تأدب من عمتي العجوز التي  
شاءت ان تكون قرب « ولدها » : وكان لا بد من اخفاء الرسالة لكي تتجنب  
الفضيحة . وقالت المريضة دون حذاقة إنها تشعر بحرارة خفيفة كما تظن . وهنا  
عمدت السيدة دي روزموند الى جس نبضها وهي تشيد بمعلوماتي الطبية . وكان  
ان اضطرت مهريضتي الحسنة الى تحمل حزن مضاعف لكي تسلمي ذراعها  
وتشعر أن كذبتها الصغيرة ستكتشف . وبالفعل تناولت يدها فضغطها باحدى يدي  
بينما اخذت اداعب باليد الاخرى ذراعها البض الممتلىء . ولكن الحبيثة لم تستجب لهذه  
الحركة ، وهذا ما جعلني اقول لنفسي وانا اسحب يدي « ليس هناك حتى اقل انفعال »

وقد شككت بأن نظراتها كانت صارمة جداً، ولكنني لكي اقاصصها، لم أحاول لحظة واحدة في ما بعد أن اقابل نظراتها... .

وقالت انها تريد أن تنهض، فتركناها وحدها . ثم ظهرت في وقت الغداء ، وكانت كثيبة جداً ، واعلنت انها لن تذهب لكي تتنزه ، وفهمتُ من ذلك انه لن تتاح لي مناسبة التحدث اليها .

وشعرت هنا انه لا بد من إطلاق زفرة ونظرة ألم . ومما لا شك فيه أنها كانت تنتظر ذلك . اذ كانت هذه هي اللحظة الوحيدة في النهار التي أتوصل فيها إلى مقابلة نظراتها . ومهما كانت عاقلة جداً ، فان لديها هي الأخرى حيلها الصغيرة كأية امرأة اخرى . ووجدتُ فرصة لكي اسألها « اذا كانت قد تلطفت بإبلاغي تقرير مصري » وفوجئتُ قليلاً حين سمعتها تقول : « اجل يا سيدي لقد كتبت اليك » . وكنت تواقاً للحصول على هذه الرسالة . ولكنها لم تسلمني اياها إلا في المساء حين انصرفت الى غرفتها . ولا ادري اذا كان ذلك عن حيلة أو عدم حذاقة او عن حياء ، وما انذا أرسلها اليك الآن ومعها مسودة رسالتي ، فاقرأي واحكي ولاحظي بأي زيف بارع تؤكد لي بأنه لا يوجد لديها أي حب على الاطلاق ، بينما انا متأكد من العكس . ثم ستشكو اذا خدعتها فيما بعد ، بينما لا تخشى أن تخدعني قبلاً ؟ فيا صديقتي الحسناء أن ابرع رجل في العالم لا يستطيع إلا أن يدرك جيداً المرأة الحقيقية . ومع ذلك يجب أن نصدق كل هذا الهراء ، وتعب أنفسنا من اليأس ، لأن هذه السيدة تحب ان تمثل دور الصرامة ! وهي وسيلة لكي تتأثر من هذه الحباثة !.. آه ... كم انا بحاجة الى صبر وجلد ... الوداع ... لدي أيضاً ما اكتبه .

وبالمناسبة ، أرجو ان تعيدي الي رسالة قاسية القلب ، اذ قد يحدث في ما بعد أن تطلبها كثمان مقابل هذه « المنغصات » . ويجب ان اكون مستعداً لكل طارئ، حسب الاصول .

لم احدثك عن الصغيرة دي فولانج ، وسأتي على ذكرها في اول فرصة .

## من الرئيسة نورفيل الى الفيكونت دي فالمون

١٩ آب ?? ١٧

من المؤكد يا سيدي انك ما كنت لتحصل على اية رسالة مني ، لولا أن تصرف في الاحتمق مساء أمس حملني على ان أخوض معك اليوم في تفسير لهذا الموقف . أجل لقد بكيت ، وانا اعترف بذلك ، كما أن العبارة التي تذكرني بها بكل عناية ربما تكون قد افلنت مني . دموع وكلمات ، لقد لاحظت كل شيء ، ولا بد إذن من ان اوضح لك الامر .

لقد اعتدتُ الا أوحى إلا عواطف شريفة ، وألا اسمع سوى اقوال استطيع ان اصغي اليها دون ان أحمر خجلاً وان اتمتع نتيجة لذلك باطمئنان داخلي اجرؤ على القول أني جديرة به . وهكذا لا اعرف ان اخفي او اكافح الانطباعات التي اشعر بها . فالتعجب والارتباك اللذان أوقعتني بها طريقتك اثارا في كثير من الخوف من جراء موقف لا ينبغي ابدأ ان يكون مخلوقاً لي . ولعل الفكرة الثائرة بأن أرى نفسي بمائلة للنساء اللواتي تحترهن « ومعاملةً ايضاً بخفة مثلهن ، اثار دموعي ، وجعلتني اقول عن حق كما اعتقد انني تعيسة . ان هذه العبارة التي تجدها قوية جداً ، ستكون ضعيفة جداً ايضاً لو ان لدموعي وكلامي سبباً آخر . او لو انني - بدلاً من ان استنكر مشاعر ينبغي ان تهينني - خشيت ان اشاطرها .

كلا يا سيدي ، ليس لديّ هذا الخوف . ولو كان عندي منه لكنت هربت منك مئات الفراسخ ، ولكنت ذهبت ابكي في صحراء ما ، تعاسة التعرف اليك . ولعله ايضاً رغم تأكدي بأنني لا احبك مطلقاً ، ولن احبك ابدأ لعلي حسناً فعلت لو اتبعت نصائح اصدقائي ، ولم اتركك تقترب مني .

لقد اعتقدتُ - وهذا هو خطأي الوحيد - انك ستحترم امرأة شريفة لا تطلب سوى ان تجدك كما انت ، وان تنصفك ، وكان ان دافعت عنك بينما انت تهينها

بأمنياتك المجرمة . انك لا تعرفني ، كلا يا سيدي انت لا تعرفني جيداً . والا لما كنتَ اعتقدت بأنك تستطيع ان تجعل من اخطائك حقاً من حقوقك : وبما انك القيت علي اقوالاً كان ينبغي عليّ ألاّ اسمعها ، فقد كان عليك ألاّ تسمح لنفسك كما ظننت ان تكتب إليّ رسالة كان يجب ألاّ اقرأها : ثم انت تطلب مني « ان اوجه خطاك ، وأملي عليك اقوالك » . اذن يا سيدي ان الصمت والنسيان هما النصيحتان اللتان اجد من الانسب ان اسديها اليك ، واللتان يجب عليك ان تتبعهما . وعندئذ يكون لك الحق فعلاً في ان تنال تسامحي ، ولا يتوقف الأمر الا عليك لكي تحصل حتى على عرفاني بالجميل... ولكن كلا ، لن اتقدم ابداً بأي طلب الى من لم يحترمني ابداً ، والى من اساء استقلال هنائي ودعتي . انت تجبرني على ان اخشاك ، وربما على ان اكرهك . ولكنني لا اريد ذلك . ولا اريد ان ارى فيك سوى ابن شقيق اعز صديقاتي . انني أرفع صوت الصداقة مكان الصوت العام الذي تُتسم به . لقد أفسدت كل شيء ، واتكهن بأنك لا تريد ان تتدارك شيئاً .

انتي اصرء يا سيدي على ان اعلن لك ان عواطفك تهينني . وان الاعتراف بها يسيء اليّ . وبصورة خاصة انك تحملني -دون ان يأتي يوم اشاطرك اياها - على الا اراك ابداً اذا لم تسدل على هذه القضية صمتاً يبدو من حقي ان انتظره لا بل وارجوه منك . انني اعيد اليك طيه الرسالة التي كتبتهالي ، وآمل بأن تتفضل باعادة هذه الرسالة اليّ ، وسأكون حقيقة مستاءة اذا بقي اي أثر من آثار حادث كان يجب الا يكون . لي الشرف بأن اكون الخ ...

٢٧

من سيسيل فولانج الى السيدة دي ميرتاي

في ١٣ آب ١٧??

يا الهي كم انت طيبة القلب ، يا سيدي ، وكم تشعرين جيداً بأنه من الاسهل

عليّ ان اكتب اليك بدلاً من ان احديثك ! ذلك ان ما سأقوله لك هو صعب جداً . ولكنك انت صديقتي ، أليس صحيحاً ؟ آه ، اجل يا صديقتي الطيبة سأحاول ألا يكون عندي وجل ، ثم اني بحاجة اليك والى نصائحك ! فأنا الآن في همّ مقيم . ويبدو لي ان الجميع يحزرون ما افكر به ، لا سيما حين يكون هو هنا ، اذ احمر خجلاً ما ان ينظروا اليّ وبالأمس حين شاهدتني ابكي ، فلأني كنت اريد ان اتحدث اليك . وحين سألتني عما بي ، تدفقت دموعي رغماً عني . ثم لم استطع ان امنع نفسي منها . ولذلك ما كنت لأتمكن من قول اية كلمة ، ولولاك لكنت امي لاحظت ما بي . وماذا ستكون عليه حالتي حينئذ؟ وهكذا اقضي الآن حياتي ، لا سيما منذ اربعة ايام .

ففي ذلك اليوم يا سيدتي ، اجل في ذلك اليوم كتب لي الفارس دانسني : آه اؤكد لك انني حين وجدت رسالته لم اعرف ابدأ ماذا كانت . ولكن لكي لا اكذب عليك ، لا استطيع القول انني لم اكن مسرورة بقراءتها ، هل فهمت ؟ لقد كنت افضل ان اكون حزينة طول حياتي لو لم يكتب الي ، ولكنني اكنت اعلم جيداً انه يجب الا اقول له ذلك . واستطيع ان اؤكد لك ايضاً انني قلته وكنت متكدره : ولكنه يقول ان ذلك كان اقوى من ارادته ، وانا اصدقه في ذلك . لأنني كنت قد قررت الا ارد عليه ، ولكنني لم استطع ان امنع نفسي من ذلك . آه ... لم اكتب اليه الا مرة واحده ، لا بل كان القصد من كتابتي ان اطلب اليه كي لا يكتب إلي ابدأ ، ولكنه رغم ذلك ما زال يكتبني دائماً . وبما انني لا ارد عليه فقد لاحظت انه كئيب ، وهذا ما يسوءني اكثر : بحيث انني لا اعرف ماذا افعل ، وماذا سأغدو . انني بالفعل ادعو الى الرثاء .

قولي ، ارجوك ، يا سيدتي ، هل من الإثم ان ارد على رسائله بين وقت وآخر إلى ان يتمهد هو نفسه بالأى يكتب الي وان يبقى كما كنا سابقاً ؟ لأنه لو استمر الحال كذلك بالنسبة لي فلا ادري ماذا ساصبح . فمثلاً حين تلوت رسالته الاخيرة ، بكيت طويلاً دون توقف . وانا متأكدة انني اذا لم أرد عليه ايضاً ، فسيؤلنا

ذلك كل الألم .

سأبعث اليك برسالته أو بنسخة عنها ، وبإمكانك ان تحكي ، وسترين ان ما يطلبه مني ليس فيه ما يسوء . ومع ذلك اذا وجدت ان الأمر لا يليق ، فسأعدك بمنع نفسي من ذلك . ولكنني اعتقد انك تفكرين مثلي وان لا غضاضة في هذا العمل .

بالمناسبة أسمح لي يا سيدتي ان اطرح عليك هذا السؤال : طالما قيل لي أنني أرتكب خطيئة اذا احببت احداً . فلماذا ؟ إن ما يجعلني اوجه اليك هذا السؤال هو ان الفارس دانسني يدعي انه لا إثم في ذلك ابدأ ، وان جميع الناس تقريباً يحبون ، واذا كان ما يقوله صحيحاً فإنني لا افهم لماذا سأكون الوحيدة التي تمنع نفسها من ذلك . ام ان الحب ليس مشيناً الا بحق الآنسات ؟ لأنني سمعت والديتي نفسها تقول ان السيدة د ... تحب السيد م ... ولم تكن تتحدث عن ذلك كما لو انه حادث اثم . ومع ذلك فأنا متأكدة انها ستغضب علي اذا ارتابت فقط بصداقتي للسيد دانسني . وهي تعاملني دائماً كطفلة . ولا تقول لي شيئاً . كنت أظن انها حين اخرجتني من المدرسة فلكي تزوجني ، ولكن ليس هناك شيء من هذا القبيل في الوقت الحاضر كما يبدو لي . ليس لانني قلقة لهذا السبب كلا . اؤكد لك . بل أنتِ بوصفك الصديقة الحميمة لوالديتي تعرفين ربما ماذا حدث ، واذا كنت تعرفين ارجو ان تطلميني عليه .

هذا يا سيدتي كتاب طويل ، ولكن بما انك وعدتني بأن تكتبي اليّ ، فقد اغتنمت الفرصة لكي أقول لك كل شيء ، وانني معتمدة على صداقتك .  
لي الشرف بأن اكون النخ ...

## من الفارس دانسي الى سيسيل فولانج \*

في ٢٣ آب ١٧??

ماذا يا آنستي ؟ اما زلت ترفضين الردّ على رسائلي ! ولا شيء يمكن أن يحننك علي ؟ ان كل يوم يمضي يصطحب معه الأمل الذي جاء به . فما هي اذن هذه الصداقة التي توافقين على قيامها بيننا ، اذا لم تكن هي نفسها قوية الى درجة تجعلك تشعرين بالآمي ؟ ثم كيف تدعك باردة هادئة ، بينما تجعلني اعاني جميع الآلام القاسية التي لا يستطيع اخماد نارها ؟ واذا كانت لا توحى اليك بالثقة ، إليست كافية اذن لأن تثير شفقتك ؟ ماذا ! صديقك يتعذب ولا تفعلين شيئاً لاغاثة ؟ انه لا يطلب منك سوى كلمة واحدة ، وانت تمنعينها عنه ؟ ثم تريدن ان يكتفي بشعور ضعيف ، وتحشين ان تكرري له التطمينات ؟

انت لا تريدن ان تكوني ناكرة الجميل ، كما قلت بالأمس ، آه ! صدقيني يا آنستي ان الرغبة في دفع ثمن الحب بعملة الصداقة ، لا تكون بسبب الخوف من نكران الجميل ، بل بسبب الشك في قيمة هذه الصداقة نفسها . ومع ذلك لا أجرؤ على التحدث اليك عن عاطفة لا يمكن الا ان تكون عبئاً عليك . واذا كانت لا تهتمك ، يجب علي ان أكتبها داخل نفسي بانتظار ان اتعلم كيفية التغلب عليها . انني أشعر كم ان هذا العمل هو صعب . أنني لا إكبت نفسي ، لأني بحاجة إلى جميع قواي ، وسأطرق جميع الابواب ، وهناك طريقة تكلف قلبي غالباً وهي ان اكرر لنفسي دائماً ان قلبك بدون حساسية . وسأحاول حتى أن اراك اقل ما يمكن .

ماذا ؟ سأفقد العادة اللذيذة بأن اراك كل يوم . آه على الاقل لن اكف عن

\* هذه الرسالة هي التي أرسلت سيسيل فولانج نسخة عنها الى السيدة دي ميرتاي ، وبما أن دانسي يردد فيها ما ورد في الرسالتين السابقتين ، فقد رأينا ان نشرها وحدها يكفي .



التعسر على ذلك . وسيكون الشقاء الابدي ثناً لأشد الحب رقة . وهذا ما تكونين قد اردته ، وسيكون من صنع يديك . انا اشعر بأنني لن أعثر ابدأ على السعادة التي اخذت أفقدها اليوم . أنت وحدك المخلوقة لقلبي . وبأية متعة سأقسم لك على الا اعيش إلا من اجلك ! ولكنك لاتريدين ان تقبلي هذا القسم . وان صمتك يعلمني بصورة كافية ان قلبك لا يحس بشيء نحوي، وهو في آن واحد الدليل الاكيد على لامبالتك وعلى الطريقة القاسية لابلاغي ذلك .  
الوداع يا آنستي .

لا اجرؤ على انتظار جواب . لأن الحب كان قد أملاه بكل اندفاع ، والصدافة بكل سرور ، والشفقة بكل لطف : ولكن الشفقة والصدافة والحب هي ايضاً غريبة على قلبك .

٢٩

من سيسيل فولانج الى صوفي كارني

٢٤ آب ?? ١٧

ألم أقل لك يا صوفي ان ثمة حالات نستطيع معها أن نكتب الى من نحب؟ أوكد لك انني الآن ألوم نفسي على أني اتبعت رأيك الذي آلمنا كلينا: الفارس دانسني وأنا . والدليل على ان الحق معي هو ان السيدة دي ميرتاي - وهي امرأة خيرة - قد شاءت اخيراً ان ترى رأيي ، وقد اعترفت لها بكل شيء . فأشارت عليّ في البداية مثلما أشرت . ولكنني حين أوضحت لها الامر جيداً ، وافقت على ان الحال هنا مختلف . وهي تطلب مني فقط أن اطعها على كل رسائلي وجميع رسائل الفارس دانسني ، لكي تكون متأكدة انني لن اقول إلا ما يجب ان يقال . وهاأنذا أجد نفسي الآن مطمئنة ... يا الهي كم احب السيدة دي ميرتاي! انها طيبة القلب جداً ! وهي امرأة محترمة، وهكذا ليس هناك ما يخشى منه .

وبما انني كتبت الى الفارس دانسني فكم سيكون مسروراً. وسيكون ايضا اكثر سروراً مما يعتقد : لأنني حتى الآن لم احده إلا عن صداقتي ، وهو يريد دوماً ان اعلنه حيي ، واعتقد ان الامر سيان . ولكنني لم اجرؤ بعد ، بينما هو يصر على ذلك .

لقد صارحت السيدة دي ميرتاي بالأمر ، فقالت لي انني على حق ، وانه لا ينبغي التحدث عن الحب إلا حين لا يستطيع ان امنع نفسي من ذلك . وعليه فأنا متأكدة بأنني لا أستطيع منع نفسي مدة طويلة ، وعلى كل حال فان الأمر سيان ، وهذا ما يعجبه اكثر .

لقد قالت لي السيدة دي ميرتاي ايضا انها ستعيرني كتباً تتحدث عن كل ذلك . وتعلمني جيداً أن احسن التصرف وان اكتب ايضا بأسلوب افضل مما افعل الآن . لأنها كما ترين ، تدلني على جميع اخطائي ، وهذا دليل على انها تحبني ، وقد أوصتني فقط بالأخبار امي شيئاً عن هذه الكتب ، لان ذلك سيجعلها تظهر كما لو انها املت تربيتي كما يجب ، مما قد يكدرها . وهكذا فلن اعلمها طبعاً بالأمر ابداً . انه لأمر نادر ان تكون هناك امرأة ليست من اهلي ولكنها تبذل مثل هذه العناية الفائقة بي كأمي . وانه لمن حسن حظي ان اكون قد تعرفت عليها !

وقد طلبت ايضا الى امي بأن تصطحبني معها بعد غد الى دار الاوبرا ، وقالت لي اننا سنكون وحدنا في مقصورتها ، وسنتحدث كل الوقت دون ان نخشى ان يسمعنا احد : وانا افضل ذلك على مشاهدة الاوبرا . سنتحدث ايضا عن زواجي ، لانها قالت لي انني سأزوج حقيقة ، ولكننا لم نستطع ان نتحدث اكثر . أليس مدهشاً ان تكون امي لم تطلعني على شيء بعد ؟ الوداع يا صوفي ، سأكتب الآن الى الفارس دانسني ، انني سعيدة جداً بذلك .

## من سيسيل فولانج الى الفارس دانسني

في ٢٤ آب ?? ١٧

اخيراً يا سيدي اوافق على الكتابة اليك ، لأؤكد لك صداقتي وحيي .  
لأنك ستصبح تعيساً كثيراً لولا ذلك . انت تقول انه ليس عندي قلب رقيق ،  
ولكنني اؤكد لك انك مخطيء . وآمل في الوقت الحاضر ألا تشك مطلقاً في الأمر .  
اذا كنت قد عانيت العذاب لأنني لم اكتب اليك ، فهل تظن ان ذلك لم يسبب  
لي عذاباً ايضاً ؟ ولكن القضية عائدة الى انني لا اريد ان ارتكب اي اثم ،  
ولولم اكن متأكدة تماماً من حيي ، لكنك استطعت ان امنع نفسي منه .  
ولكن حزنك اثار في نفسي كثيراً من الألم ، وآمل الآن ألا يكون لديك اي  
حزن ، سنكون سعيدين جداً .

أرجو ان يتم لي السرور برويتك هذا المساء ، وان تحضر في ساعة مبكرة .  
ولن يكون ذلك ابكر مما اتمناه . والدتي ستعشى في بيتها ، وربما ستعرض  
عليك ان تبقى ، وآمل ألا تكون مرتبطاً بموعد كما حدث أول أمس . اذن لقد  
كان ممتعاً ان تتعشى حيث ذهبت لأنك مضيت في ساعة مبكرة . ولكن  
لندع الحديث عن ذلك الآن . ففي الوقت الحاضر انت تدري انني أحبك ، واتمنى ان  
تبقى معي أطول مدة تستطيعها ، لانني لا اكون سرورة إلا حين اكون معك ،  
وأود جيداً ان يكون الأمر كذلك بالنسبة اليك .

انني متكدرة جداً لان تكون ما زلت حزيناً الآن . ولكن الذنب ليس  
ذني ، وسأطلب ان اعزف على القيثارة حين تصل ، حتى تحصل على رسالتي  
حالاً ، ولا استطيع ان افعل افضل من ذلك .

الوداع يا سيدي ، احبك كثيراً من كل قلبي ، وكما قلتها لك كما كنت  
سعيدة . وآمل ان تكون ايضاً مثلي .

## من الفارسي دانسي الى سيسيل فولانج

في ٢٥ آب ١٧??

اجل لا شك باننا سنكون سعيدين ، وان سعادتي اصبحت اكيدة لاني محبوب منك . وسعادتك لن تنتهي أبداً ، اذ أنها ستدوم مادام الحب الذي اوحيته لي قائماً . ماذا ؟ انت تحبينني ، ولا تخشين ان تؤكدي لي حبك ، وكما رددته لي كلما كنت سعيدة ؟ انني بعد ان قرأت هذه العبارة «أحبك» مكتوبة بخط يدك سمعت فك الجميل يكرر هذا الاعتراف ، ورأيت عينيك الفاتنتين تحديقان في فتجملان أيضاً تعبير الحنو في نفسك . لقد تلقيت قسمك بأن تعيشي دائماً من اجلي . آه ! فتلقي أنت ايضاً قسمي بان اكرس كل حياتي لسعادتك ، اقبله وكوني متأكدة انني لن احنت به .

يا له من نهار سعيد امضيته معاً بالإمس ! آه ، لماذا لا يوجد لدى السيدة دي ميرتاي دائماً اسرار تفضي بها الى والدتك كل يوم ؟ ولماذا يجب أن تأتي فكرة الخوف الذي ينتظرنا، فتخيم على الذكرى اللذيذة التي تشغلني ؟ ولماذا لا أستطيع أن امسك باستمرار هذه اليد الجميلة التي كتبت لي : احبك ! فأفعمها بالقبل ، واثار نفسي هكذا من الرفض الذي اظهرته لي .

قولي لي يا سيسيلتي ، حين عادت والدتك ، وحين اضطررنا بسبب وجودها الى عدم تبادل سوى نظرات شاردة، وحين لم تتمكني من تخفيف لواعجي بتأكيد حبك لي ، وبالرفض الذي ابديته في اعطائي دلائل على حبك ، ألم تشعرني إذن بأي أسف ؟ ألم تقولي لنفسك : «ان قبلة واحدة كان يمكن ان تجعله اكثر سعادة ، وانني انا الذي حرمته هذه السعادة ؟ » عديني يا صديقتي الحبيبة ، انك في اول فرصة ستكونين اقل قساوة من قبل ، وعن طريق هذا الوعد سأجد الشجاعة على تحمل المنغصات التي تخلقها لنا الظروف ، إن الحرمان الظالم سيصبح على الأقل خفيفاً فيما لو تأكد لي انك تشاطرينني الاسف .

الوداع يا سيسيلتي الفاتنة : لقد حانت الساعة التي يجب ان اذهب فأراك .  
وسيكون من المستحيل عليّ ان اتركك إلا لكي اذهب فاشاهدك من جديد .  
الوداع يا من احب ، انت يا من سأحبها على الدوام اكثر من اي وقت مضى .

٣٢

### من السيدة دي فولانج الى السيدة الرئيسة دي تورفيل

في ٢٤ آب ?? ١٧

تريدين اذن يا سيدتي ان أومن بفضيلة السيد دي فالون ؟ كلا . واعترف  
بأنني لا استطيع ان اسلم بذلك . اذ انني سأكون متألمة جداً لو حكمت عليه  
كرجل شريف بسبب حادث واحد منفرد . كما لو كان علي ان احكم على رجل  
فاضل بأنه مستهتر سافل بسبب غلطة واحدة . فللايم فضائله كما ان للرجل  
الشريف هناته . وهذه الحقيقة تبدو لي اكثر ضرورة لأن نؤمن بها ، حتى تنبتق  
عنها ضرورة التسامح مع الاشرار كما مع الطيبين ، وهي تصون هؤلاء من الفخر ،  
وتنقذ اولئك من تثبيط الهمة . ستجدين حتماً انني لا امارس جيداً هذا التسامح  
الذي اتادي به ، ولكنني لا ارى في هذا التسامح إلا تحاذلاً خطيراً حين يؤدي  
بنا إلى معاملة الشرير والفاضل معاً على مستوى واحد .

انني لن اسمح لنفسي مطلقاً بان أبحث عن الاسباب التي حملت السيد دي فالون  
على القيام بهذا العمل ، بل أود أن اجدها تستحق الثناء . ولكنه لم يقض حياته  
في اشاعة التكبير ، والعار ، والفضيحة بين الأسر ؟ اصفي - اذا شئت - الى  
صوت الرجل البائس الذي اعانه ، ولكن ذلك يجب الا يمنحك من سماع صرخات  
مئات الضحايا التي لطخها بالعار وهتك سترها . وعندما يصبح ، كما تقولين مثلاً  
على خطر العلاقات ، الا يغدو هو على الأقل ، علاقة خطيرة ؟ انت تفترضين ان  
من الممكن اعادته إلى جادة الصواب ؟ ولنذهب إلى ابعد من ذلك ، ونفترض  
ان هذه المعجزة تمت . الا يبقى الرأي العام ضده ؟ ثم الا يكفي حكم هذا الرأي  
العام لكي تنظمي مسلكك ؟ ان الله وحده يستطيع أن يعفو عنه في ساعة

الدينونة ، وهو يعلم ما في الصدور : ولكن الناس لا يستطيعون ان يحكموا على خفايا الافكار إلا من خلال ظواهر الاعمال . ولا يحق لأي واحد منهم ، بعد ان يكون قد فقد اعتبار الآخرين ، أن يشكو من فقدان الثقة الضرورية به ، مما يجعل من الصعب اعادتها اليه . فكري أيضاً يا صديقتي الشابة انه في بعض الاحيان يكفي للمرء أن يفقد هذه الثقة حين يبدو أنه لا يعلق عليها أهمية كبرى . وارجو ألا تنعتي هذه الصرامة بالظلم . لأن هذا الشخص بالفعل هو أقرب الى ارتكاب المعصية من اي انسان آخر بحيث لا يستطيع ان يمتنع عنها . ذلك هو المظهر الذي تسبغه عليك معاشره صحيحة مع السيد دي فالون مها كنتِ على شيء كثير من البراءة .

ونظراً لحوفي من الحماس الذي تدافعين بواسطته عن هذا الرجل ، أسارع إلى انذارك بالاعتراضات التي اتوقعها . لقد استشهدت لي بالسيدة دي ميرتاي التي غفر لها الناس هذه المعاشرة ، وأنت تسألين لماذا أستقبله في بيتي : وستقولين لي أنه بدلاً من ان يرفض الناس الشرفاء استقباله نجده على العكس مقبولا ومبحوثاً عنه فيما يسمى بالمرافقة الحسنة . واعتقد انني استطيع أن اجيب على كل ذلك . اولاً ، ان السيدة دي ميرتاي هي محترمة جداً ، ولكن ليس لها عيب سوى ان عندها كثيراً من الثقة بقواها ، فهي رائد بارع يعجبها ان تقود عربة بين الصخور والفجوات ، وان نجاحها وحده يبرر مسلكها ؛ وأجد ان من الانصاف الثناء عليها ، ولكن من الخطر ان نحذو حذوها ، وهي نفسها تعترف وتتهم نفسها بذلك . وقد اصبحت لفرط ما شاهدت ورأت صارمة . ولا اخشى بأن أوكد لك انها هي نفسها ستفكر مثلي .

أما في ما يتعلق بي ، فاني لا ابرر نفسي اكثر من الاخريات . ولا ريب بأنني استقبل السيد دي فالون ، وهو يُستقبل في كل مكان ؟ وهذا عيب آخر من عيوب العلاقات يجب اضافته الى الوف العيوب الاخرى التي تسود المجتمع ، وانت تعرفين مثلي اننا نقضي حياتنا في مراقبة هذه العيوب ، وفي الشكوى منها ، وفي الانسياق معها . فالسيد دي فالون بما لديه من اسم رنان ، وثرثرة

طائفة ، ومزايا كثيرة محبوبة ، قد عرف منذ ساعة مبكرة انه يكفي للمرء ان يزاوِل بمحاذقة متساوية الاطراء والسخرية حتى يسيطر على المجتمع .

وليس هناك احد مثله يملك هذه المقدرة المزدوجة . فهو يُسحر بالاولى ، ويجعل الناس تخشاه بالاخرى . والناس لا يحترمونَه بقدر ما يظرونه . تلك هي حياته وسط عالم ، اكثر حذراً وقل شجاعة ، يفضل ان يسايره ويداريه بدلاً من ان يكافحه .

ولكن لا السيدة ميرتاي نفسها ، ولا اية امرأة اخرى تجاسرت ولا ريب على ان تحتلي في الريف ، وجهاً لوجه تقريباً ، مع رجل من هذا النمط . وهكذا كان مقدرأ على اكثر النساء حشمة وتعقلاً ، واشدهن تواضعاً ان تضرب المثل على هذا التناقض . اغفري لي هذه الكلمة التي تشذ عما تقضي به الصداقة . ان نزهاتك نفسها تخونك عن طريق الامن الذي توحيه اليك . فكري اذن ان من سيحكون عليك هم فئتان : فمن ناحية اولئك العابثون الذين لا يؤمنون بعفة ولا يجدون نموذجاً لها في ما بينهم ، ومن ناحية ثانية اصحاب الألسنة الطويلة الذين يتباهون بأنهم لا يؤمنون بها ، لكي يعاقبونك على انك كنت ذات عفة . اعتبري انك تفعلين الآن في الوقت الحاضر ما لا يجسر بعض الرجال على المخاطرة به . وبالفعل أجد بين الشبان الذي جعل السيد دي فالون من نفسه حكماً عليهم ، اجد اكثرهم تعقلاً يخشون ان يبدوا مرتبطين كثيراً بصورة حيمة بينما انت لا تخشينه ابداً ! آه ! عودي ، عودي الى صوابك ، استحلفك بالله . واذا لم تكن الاسباب التي عرضتها عليك كافية لان تقنعك ، فسلمي نفسك لصدائقي ، فهي التي تجعلني اجدد اصراري عليك ، وهي ستبررها لك . انك تجدينها صارمة . وكم اود ان تكون غير مجدية . ولكنني افضل ان تتذمري من إلحاحها بدلاً من اهمالها .

## من المركبة دي ميرتاي الى الفيكونت دي فالون

في ٢٢ آب ?? ١٧

ما ان تحشى النجاح يا عزيزي الفيكونت ، وما ان تلاحظ ان مشروعك سيقدم اسلحة ضدك ، وتقل رغبتك في الانتصار بدلاً من المقارمة ، فليس عندي ما اقوله . ذلك ان مسلكك هو مثال على الحذر . وسيكون مثلاً على الحماقة في حالة افتراض العكس . ولكي اقول لك الحقيقة اخشى ان تكون قد غرقت في الاوهام .

انني لا ألومك على انك لم تنتهز الفرصة بل على العكس ، فمن جهة لا ارى بوضوح ان الفرصة قد حانت ، ومن جهة اخرى اعلم جيداً - مهما يقال - ان الفرصة التي تفوتت يمكن أن تعود . بينما لا يمكن العودة مطلقاً عن مسعى أهوج معجتل .

ولكن الخطأ الحقيقي انك تركت نفسك تكتب اليها . وانني أتحداك بأن تنبأ في الوقت الحاضر إلى اين يمكن ان يقودك ذلك . فهل تأمل مثلاً ان تثبت لهذه المرأة انه ينبغي عليها ان تنام معك؟ يلوح لي ان القضية قد لا تكون سوى حقيقة عاطفية ، وليست ظاهرة، وأنت لكي تجعلها ترضى يجب اثاره عطفها وليس تعقلها . ولكن ماذا يفيدك ان تثير عطفها بالرسائل لأنك لن تكون معها حين تقرأ رسائلك لكي تغتنم الفرصة ؟ وحين تؤدي عباراتك الجميلة إلى احداث نشوة عارمة في نفسها قد تحملها على الاستسلام اليك ، هل تعتقد ان هذه النشوة ستدوم طويلاً بحيث تحول بينها وبين التفكير بتعقل قد يمنعها من الاقدام على ذلك ؟ فكتر في ما تحتاجه من الوقت اللازم لكتابة احدى الرسائل ، وفي الوقت الذي يمضي قبل تسليمها اياها ، وأنظر اذا كانت هذه المرأة ، لا سيما وهي تقية ورعة ذات مبادئ مثلها ، تستطيع ان ترغب مدة طويلة في ما تحاول الا تريده ابداً . ان هذه الوسيلة قد تنجح مع المراهقين الذين عندما يكتبون كلمة



« احبك » لا يعرفون انهم يقولون بذلك « اني استسلم اليك » . ولكن العفة العقلية عند السيدة دي تورفيل تبدو لي انها تعرف جيداً قيمة العبارات . وهكذا رغم السبق الذي احرزته عليها في محادثتك ، فهي تهزملك في رسالتها . ثم هل تدري ماذا يحدث ؟ وهذا ما يختلف عليه . انها لا تريد الاستسلام . وهي لشدة البحث عن الاسباب الحسنة ، تستطيع العثور عليها ، ثم ستقولها . وبعد ذلك ستصر على التمسك بها ، ليس لأنها حسنة بل لكي لا تكذب نفسها .

وفضلاً عن ذلك هناك ملاحظة أندھش من انك لم تكتشفها . وهي انه ليس في الحب اسهل من الكتابة والتعبير عما لا نحسه . اعد قراءة رسالتك فستجد انه يسودها نظام يفضحك في كل عبارة . واريده الاعتقاد ان رئيسك ليست على شيء كبير من الذكاء لكي تلاحظها ، ولكن هذا لا يهم ؟ فالتأثير معدوم . وهذا هو خطأ الروايات القصصية . فالمؤلف يبذل المستحيل لكي يثير الحرارة ، ولكن القارئ يظل بارداً . وان رواية هيلوييز هي الوحيدة التي تشذ عن هذه القاعدة ، ورغم مقدرة الكاتب فان هذه الملاحظة جعلتني دائماً اعتقد ان اساسها صحيح . ولكن الأمر ليس كذلك في الكلام المباشر . وإن العادة في تشغيل حاسة الكلام تعطيتها الحساسية ، كما ان سهولة الدموع تضيف عليها ايضاً تأثيراً أعظم . وان التعبير عن الرغبة يمتزج في العميون مع التعبير عن العاطفة . واخيراً فان الكلام المتقطع يؤدي بسهولة الى خلق الشعور بالاضطراب الذي يشكل بلاغة الحب الحقيقية ، وكذلك فان وجود الشخص المحبوب يشل التفكير ويجعلنا نرغب في الاستسلام . ولهذا فان المأساة التمثيلية الاكثر رداءة والتي لا يمكن ان تقرأ ، لا يعوزها ابداً احداث التأثير المطلوب على المسرح .

صدقني ايها الفيكونت ، انها تطلب اليك الا تعود الى الكتابة ، فاستغل الفرصة لتدارك غلظتك وانتظر المناسبة لكي تتحدث اليها . هل تدري ان لدى هذه المرأة قوى اكثر مما كنت أتصور؟ وان دفاعها جيد . ولولا طول رسالتها ، والحجة التي تمنحك اياها لكي تعود فتكسب إمتنانها ، فانها لن تكون

مفضوحة .

ان ما يبدو لي من واجب لتطمينك بالنجاح ، هو أنها تستهلك قوى كثيرة في آن واحد . واتوقع انها ستحطمها من اجل الدفاع عن الكلمة ، بحيث لن تبقى لها قوة على الدفاع عن الغرض .

أعيد اليك رسالتيك ، واذا كنت محترساً فستحفظهما حتى تحين اللحظة السعيدة . ولو لم يكن الوقت قد فات لكنت حدثتك عن الصغيرة فولانج التي تتقدم بسرعة تجعلني مسرورة جداً . واظن انني سأفرغ قبلك ، ويجب ان تكون خجلاً من نفسك . الوداع اليوم .

٣٤

### من الفيكونت دي فالون الى المراكزة دي ميرتاي

في ٢٥ آب ?? ١٧

انك تتحدثين بروعة يا صديقتي الحسنة . ولكن لماذا تتعيبين نفسك في اثبات ما لا يجمله أحد ؟ أجل للسير بسرعة في الحب من الافضل التحدث بدلاً من الكتابة . وهذا هو كما أعتقد كل ما تضمنته رسالتك . ولكن هذه هي أبسط عناصر فن الاغراء . وألاحظ فقط انك ابدت استثناء واحداً لهذا المبدأ . بينما هناك اثنان ، اذ يجب ان تضيفي الى المراهقين الذين ينتهجون هذا السبيل الجبار ويستسلمون يجهل ، اولئك النساء ذوات التفكير الجميل ، اللواتي يتركن انفسهن تنساق من قبيل حب الذات ، ثم يوقعن الزهو والتكبر في الشرك . واليك مثلاً على ذلك ، فأنا متأكد ان الكونتيسة دي ب ... التي ردت بسهولة على رسالتي الأولى لم يكن عندها اي حب نحوي مثلما لم يكن عندي نحوها . وانها لم تجد في ذلك سوى مناسبة لكي تعالج موضوعاً ينبغي أن يشرفها .

ومها يكن من أمر فان اي محام سيقول لك ان المبدأ نفسه لا يطبق في هذا المجال . وبالفعل فانك تفترضين ان امامي الخيار بين الكتابة والتحدث مما ليس هو موجوداً . فمذ حادث ١٩ الجاري وظالمتي التي كانت ما تزال تعتمد خطة

الدفاع ، تبذل براعة متناهية لتجنب المقابلات ، مما قلب جميع خططي .  
وهي الآن من الدقة بحيث اذا استمر ذلك ستحملني على الاهتمام بصورة جدية  
بالبحث عن وسائل جديدة ، لأنني من المؤكد لن اتحمل ان اكون منهزماً من  
جانبا منها كلف الأمر . وان رسائلي نفسها موضوع حرب صغيرة ؛ فهي مسرورة  
اذالم تجب عليها ، ولذلك ترفض قبولها . ولا بد لكل منها من حيلة جديدة وهي  
لا تنجح دائماً .

أنت تتذكرين بأية وسيلة سهلة سلمتها رسالتي الأولى . كما ان رسالتي الثانية لم  
تصادف صعوبات اكثر . وقد طلبت إلي ان اعيد اليها رسالتها . فسلمتها رسالتي  
مكانها دون أن تتسرب اليها بادرة شك . ولكنها رفضت باصرار قبول الثالثة  
اما عن انتقام لأنني خدعتها ، واما عن قصد فجائي بلا داع ، واما عن تعفف .  
لأنها ستجبرني على الاعتقاد بذلك ، وآمل أن الارتباك الذي وقعت فيه على اثر  
هذا الرفض سيعاقبها في المستقبل .

انني لم اندهش كثيراً لأنها لم تشأ تسلم هذه الرسالة التي قدمتها اليها بكل  
بساطة ، لان ذلك معناه التسليم بشيء ما . وانني اتوقع دفاعاً أطول . وبعدهذه  
المحاولة التي لم تكن سوى تجربة عابرة ، وضعت مغلفاً لرسالتي ، واغتنمت فرصة  
وجود السيدة دي روزموند والحادمة عندها ، فبعثت اليها برسالتي مع خادمي  
وطلبت اليه ان يقول لها ان هذه هي الورقة التي طلبتها مني . وقد توقعتم انها  
ستخشى التفسير الفاضح الذي سيثيره رفضها ؛ وبالفعل فقد اخذت الرسالة ،  
وقال لي سفيرتي الذي طلبت اليه ان يراقبها وهو لا تنقصه دقة الملاحظة : انه  
لم يلاحظ سوى طيف خفيف من التورّد قد اعترأها ، مع شيء من الارتباك ،  
لا الغضب .

فهنأت نفسي ؛ إذ من المؤكد انها إما ان تحتفظ بهذه الرسالة ، واما اذا  
شاءت ان تعيدها لي فلا بد لها من خلق مناسبة لتكون وحدها معي مما يتيح  
لي فرصة التحدث اليها . ولم تمض ساعة على ذلك حتى دخل احد خدمها الى غرفتي وسلمني  
من قبل سيدته ربطة ذات شكل مختلف عن ربطتي ، تحمل فوق غلافها خطها

المرغوب . فسارعت الى فتح الربطة فاذا بي اجد رسالتي مطوية دون ان تفضها واعتقد ان خوفها من ان ارفض استرجاع رسالتي قد حملها على استخدام هذه الحيلة الشيطانية .

انت تعرفيني جيداً ، ولا حاجة بي الى ان اصف لك ثورة غضبي . وكان لا بد من ان استعيد روعي وهدوتي ، والتفكير بالوسائل التي اسجل عليها سبقي واليك ما استنبطت :

ففي كل صباح يذهب احد الخدم لإحضار البريد الذي لا يبعد من هنا سوى ثلاثة ارباع الفرسخ . وهو يستخدم لذلك صندوقاً تملك السيدة دي روزموند مفتاحه ومدير البريد مفتاحاً آخر ، وهنا يضع كل انسان بريده في الساعة التي يريد ، وفي المساء يحمل الخادم الصندوق إلى البريد ، ثم يعود فيحضره صباح اليوم التالي . وفي الاثناء كتبت رسالتي ، وحرقتُ خطي عند كتابة عنوانها على الغلاف ، ورسمت بعناية على الغلاف خاتم بريد مدينة ديجون . ذلك انني سمعتها تردد مراراً انها تنتظر رسائل من ديجون . فبدأ لي من الانصاف ان ابعث في نفسها هذا السرور .

وبعد ان اتخذت هذه الاحتياطات لم يكن من الصعب عليّ ان القي برسالتي بين الرسائل . ثم فزت ايضاً بأن اكون شاهداً على وصول هذه الرسالة اليها بهذه الطريقة . ذلك ان العادة هنا تقضي بان يتجمع القوم عند الصباح بانتظار وصول الرسائل قبل ان يتفرقوا . واخيراً وصل البريد .

فتحت السيدة دي روزموند العلبة . وقالت وهي تسلم الرسالة إلى السيدة تورفيل : اليك رسالة من ديجون . فاجابتها هذه وهي تتناولها : ولكن هذا الخط ليس خط زوجي . ثم فتحت الغلاف بفضول . وما ان القت اول نظرة عليها حتى فهمتُ كل شيء . واعترتها ثورة جامحة بدت على وجهها حتى ان السيدة دي روزموند لاحظت ذلك . فسألتها : ما بك ؟ فاقتربتُ بدوري وانا اقول : « ان هذه الرسالة هي اذن فظيعة جداً » ولم تجرؤ التقيّة الخجولة على رفع بصرها . ولم تنبس ببنت شفة ، ولكي تنقذ نفسها من الارتباك اضطرت الى قراءة الرسالة ولكنها لم تكن

في حالة مطالعة . فابتهجت لاضطرابها ، ولم اتمالك من ان اثير غيظها فأضفت قائلاً : ان مظهرك الهادىء يبعث على الظن ان هذه الرسالة قد بعثت في نفسك الدهشة اكثر من الاستياء . « وكان ان اوحى لها الغضب بعبارة افضل مما قد أوحاه لها عدم الحذر ، فقالت : انها تحتوي على اشياء تهينني وانني لندهشة بأن تكون قد كتبت اليّ » وقاطعتها السيدة دى روزموند : « ومن بعث اليك بها؟ » فقالت : انها بدون توقيع . ثم اضافت : ولكن الرسالة وصاحبها لا يوحيان لي الا باحتقار مماثل . ثم مزقت الرسالة الجريشة ووضعت قطعها في جيبها ونهضت فخرجت .

وعلى الرغم من هذا الغضب فانها قد تسلمت الرسالة . وإنني أثق بفضولها الى درجة اعتقد أنها قرأتها بكاملها .  
 أما تفاصيل بقية النهار فقد تجعلني اطيل رسالتي جداً . ولكنني ابعث اليك طيه بمسودة رسالتيّ الاثنتين . الوداع يا صديقتي الحسنة .

## ٣٥

### من الفيكونت دي فالون الى الرئيسة تورفيل

في ٢١ آب ?? ١٧

ينبغي ان اطبعك يا سيدتي . وينبغي ان اثبت لك انك رغم العيوب التي يسرك ان تعتقديها فيّ ، ما زالت عندي الكرامة بالأا اسمح لنفسى بأبي مأخذ ، والشجاعة الكافية لأن افرض على نفسي اقسى التضحيات . انت تأمريني بالصمت والنسيان ! اذن سأحمل حيي على ان يصمت . وسأنسى - اذا كان بالامكان - الطريقة الجائرة التي استقبلته بها . ولا ريب بأن الرغبة في أن اعجبك لا تمنحك مثل هذا الحق . واعترف لك ايضاً ان الحاجة التي كانت عندي في الحصول على تسامحك لا تسمح لك بذلك : ولكنك تنظرين الى حيي كجناية . وتنسين اذا كان ذلك خطأ . فأنت في آن واحد السبب والمبرر . ثم تنسين انني وقد اعتدت على ان

افتح لك نفسي، حتى حين يمكن لهذه الثقة ان تضرّ بي، لم يعد بإمكانني ان اخفي عنك المشاعر التي جعلتها تتغلغل في نفسي. وان ما كان نتيجة النية الحسنة تنظرين إليه على انه ثمرة الجرأة. وكثمن للحب الاكثر رقة والاكثر حقيقة واحتراماً، تلقين بي بعيداً عنك. ثم محدثيني اخيراً عن كراهيتك. وأي انسان آخر لا يشكو من مثل هذه المعاملة؟ وانا وحدي أَرْضخ للأمر، واتحمل كل شيء دون ان أنبس بكلمة. انت تضرين وانا اعبد. وان السلطان غير المحدود الذي لك علي يجعلك سيدة مطلقة التصرف بعواطفني، واذا كان حبي وحده يقاوم، واذا كنت لا تستطيعين تحطيمه، فذلك لأنه من صنع يديك، ولا دخل لي به.

انتي لا اطلب ابداً تراجعاً لا افخر به. ولا انتظر حتى هذه الشفقة التي جعلني الاهتمام الذي ابديته نحوحي في بعض الاحيان أمل بها. ولكنني اعتقد ان باستطاعتي ان اطلب عدالتك.

لقد اخبرتني يا سيدتي ان البعض حاول ان يؤذي بي في ذهنك، وانك لو كنت اتبعت نصائح اصدقائك لماكنت تركتني اقرب منك. وهذه هي عباراتك! فمن هم هؤلاء الاصدقاء؟ لا ريب بأن هؤلاء الناس الصارمين ذوي العفة المتصلبة، يوافقون على ان يكونوا معروفين، ولا ريب بأنهم لا يودون ان يستروا انفسهم بغموض يجعل الناس لا يفرقون بينهم وبين الواشين الاشرار. انني لن اجعل اسماءهم ولا ماآخذهم. فكترني يا سيدتي بأنه يحق لي ان اعرف كل ذلك. لأنك تحكين علي استناداً الى حكمهم.

المعروف انه لا يجري الحكم على متهم قبل ان تقال له ما هي جريمته ودون ان يسمى له متهموه. وانتي لا اطلب اي عفو آخر، بل اتعهد سلفاً ان ابرر نفسي، وأن اجبرهم على تبديل رأيهم.

واذا كنت قد احتقرت صيحات الاستنكار من جمهور لا احترامه كثيراً، فان الامر ليس كذلك بالنسبة لاحترامك، وحين اكرس حياتي لكي اكون جديراً به، فلن اترك نفسي أشان بلا عقاب. إن هذا الاحترام أصبح لي ثميناً بحيث اجد نفسي

مديناً له بهذا الطلب الذي تخشين ان تلبيه لي، وهو ما يعطيني الحق كما تقولين لأن انال امتنانك ، آه ، انني لا اطالب بهذا الامتنان ، بل أعتقد انني انا سأكون المدين لك بالامتنان اذا أتحت لي فرصة ان اكون لطيفاً بنظرك ، إبدأي اذن بأن تعيدي اليّ الانصاف ولا تتركيني اجهل ماذا ترغين مني . وانا لو كنت احزر ذلك لكنت جنبتك مشقة قوله لي . اضيفي الى متعة رؤيتك السعادة بأن أخدمك ، وسأهنيء نفسي على تسامحك .

من الذي يستطيع ان يمنحك ؟ أمل ألا يكون الخوف من الرفض ؟ وأشعر بأنني لا استطيع ان اسامحك على ذلك . ليس لأنني لا اريد ان اعيد اليك رسالتك . فأنا ارغب اكثر منك في ألا تصبح لي ضرورية : ولكن بما انني اعتدت ان ارى فيك روحاً ناعمة لطيفة ، فلا استطيع إلا عن طريق هذه الرسالة ان اراك كما تريد ان تكوني بالنسبة لي . وعندما أتمنى أن أجعلك حساسة ، فإنها تذكرني - بدلاً من ان توافقني على ذلك - بانك تهربين مئة فرسخ بعيدة عني . وعندما يزداد كل شيء ويبرر حيي ، فهذه الرسالة ايضاً تكرر لي ان حيي يهينك . وعندما اراك ويصبح لي هذا الحب في اعلى عليّين ، أجد انني بحاجة لأن اقرأك لسكي اشعر بأن ذلك ليس سوى وهم بشع . انت تفهمين الآن ان اقصى سعادتي هي في ان اعيد اليك هذه الرسالة : وان طلبك اياها ايضاً ، سيكون معناه السماح لي بالأا اصدق ما فيها : وانت لا ترتابين كما أمل ، في تعجلي لإعادتها اليك .

٣٦

من الفيكونت دي فالون إلى الرئيسة توفيل

في ٢٣ آب ١٧??

ان صرامتك تزداد يوماً عن يوم ، ياسيدي ، واذا كنت اجرؤ على قول ذلك ، فلأنك تبدين انك تخشين الظلم كما تخشين التسامح. اذ بعد ان عمدت الى ادانتي دون

ان تسمعي دفاعي . فلا بد من انك شعرت بالفعل أنه سيكون من السهل عليك عدم الاطلاع على حججي بدلاً من الرد عليها ، انت ترفضين رسائلي بعناد ، وتعيدينها اليّ باحتقار ، وتجبريني اخيراً على ان ألقأ الى الحيلة . بينا هديني هو اقناعك بحسن نيتي . وان الضرورة التي وضعتني فيها لكي ادافع عن نفسي تكفي ولا ريب لمعذرة الوسائل . ونظراً لاقناعي بصدق عواطفني - حسبي لتبريرها في نظرك ان اجعلك تعرفينها - اعتقدت بانني اسمح لنفسي بسلوك هذا المنعطف الخفيف . واجسر على الاعتقاد ايضاً بانك ستغفرين لي ، وستكونين غير مفاجأة كثيراً حين تعلمين بان الحب هو ابرع في استنباطه من اللامبالاة في استبعاده .  
إسمحي اذن يا سيدتي لقلبي بأن يفتح بكامله امامك . فهو يخصك ومن العدل ان تعرفيه .

لقد كنت أبعد ما أكون عن التفكير لدى وصولي لأول مرة الى منزل السيدة دي روزموند ، بتنبؤ المصير الذي ينتظرني وكنت اجهل انك موجودة هنا . وأضيف بالصرحة التي اتميز بها انني حين علمت بذلك أصبح انمي مضطرباً : ليس لانني ابديت نحو جمالك ما رفضته من انصاف ، بل لانني وقد اعتدت على ان أشعر فقط بالشهوات وان انساق فقط وراء تلك الرغبات التي يغذيها الامل ، لم اكن اعرف عذابات الحب .

وقد كنت شاهدة على إلحاح السيدة دي روزموند في ان تجعلني أبقى هنا بعض الوقت ، وقد أمضيت نهاراً معك ، ومع ذلك لم أشعر إلا بالسرور الطبيعي المألوف لكوني برهنت عن تقديري نحو قرينة محترمة وان نمط الحياة التي نعيشه هنا يختلف كثيراً عما اعتدت عليه . ولم يكلفني الأمر اي عناء في ان اتعود عليه ، دون أن اسبر غور هذا التبدل الذي اخذ يعتمل في نفسي . وقد عزوت ذلك فقط الى هذه السهولة في الطباع التي اعتقد انني حدثتك عنها .

ولسوء الحظ ( ولماذا يجب ان يكون سوءاً ) حين تعرفت عليك جيداً عرفت فوراً ان هذا الوجه الساحر الذي جذبني وحده ، كان اقل مزاياك ، اذ ان روحك السماوية ادهشت وسحرت روحي . وهكذا أخذتُ أعجب بالجمال ،



واعبد العفة . واخذت دون أن اهدف الى امتلاكك ابذل اهتمامي لكي ألتقي بك .  
وانتي بطليبي نيل تسامحك عن الماضي ، أطمع في نيل رضاك عن المستقبل .  
وكنت أبحث عنه في كلامك وأتقب عنه في نظراتك : في هذه النظرات التي  
ينطلق منها سحر لعل اخطر ما فيه انه انتشر دون هدف ، وتلقيته دون حذر .  
وعندئذ عرفت الحب ، ولكن كم كنت بعيداً عن الشكوى ! وقد  
قررت أن أكفنه بصمت أبدي ، فانسقت دون وجل ودون تحفظ في هذا  
الشعور اللذيذ . وكان كل يوم يمضي يزيد من سلطانه عليّ . وتحولت المتعة في  
رؤيتك الى حاجة ملحة ، فاذا غبت لحظة ما ينعصر قلبي أسي . ولدى الضجة  
التي تحدثها عودتك ترينه يخفق فرحاً . ولم أكن أعيش إلا من أجلك وعن  
طريقك . ومع ذلك فأنت نفسك أشهدك على ما اقول : هل افلنت مني اية  
كلمة في حبور الألعاب العابثة أو اثناء محادثة جدية يمكن ان تفضح سر قلبي ؟  
وأخيراً جاء ذلك اليوم الذي بدأ فيه سوء طالعي . ولعله من تلاعب الأقدار  
أن يغدو العمل الخيري الذي قمت به بمثابة انذار . اجل يا سيدتي ، ففي وسط  
البؤساء الذين أغثتهم ، وهو عمل جعلك تنساقين وراء هذه الحساسية الثمينة التي  
تضفي جمالاً على الجمال نفسه ، وتضيف قيمة على الفضيلة . أجل ففي وسط هؤلاء  
عمدت إلى اكمال تضجيع قلب كان الحب المفعم قد اسكره من قبل . ربما أنت  
تذكرين أي اهتمام استولى عليّ لدى عودتي اوبيا للأسف كنت أحاول مكافحة  
ميل شعرت انه سيصبح اقوى مني .

وكان بعد أن استنزفت قواي في هذه المعركة غير المتعادلة ، أتاحت لي مصادفة  
لم اتكن من توقعها أن أكون وحيداً معك . وهنا وقعت صريعاً ، واعترف بذلك ،  
اذ أن قلبي الطافح لم يستطع أن يمسك نفسه عن إلقاء ذلك الكلام ، وذرف  
تلك الدموع . ولكن هل في ذلك جريمة ؟ واذا كان الأمر كذلك أفلم أعاقب  
بالعذاب المرير الذي دُفعتُ اليه ؟

أما وقد افترسني حب دون أمل فانني أناشدك الرأفة ، ولكنني لا ألقى سوى  
كراهيتك . ان عيني تبجثان عنك رغماً عني ولا هدف يسعدهما إلا رؤيتك ،

وارتجف اذا قابلت نظراتك. ومن جراء هذه الجائزة الظالمة التي وضعتني فيها أصبحت أمضي الأيام في اخفاء آلامي ، والليالي في الاستسلام اليها . بينما انت هادئة مطمئنة ، لا تعرفين من هذه الآلام إلا انك تسببينيها لي وتطربين لها . ومع ذلك فانت التي تتذمرين وانا الذي أعذر .

هذه هي ياسيدي ، القصة الصحيحة لما دعوته اخطائي وذنوبي ، والتي كانت من الانصاف لو دعيتها آلامي وتعذبي : حب طاهر مخلص ، واحترام دائم لم يخاتل ولم يخدع ، وخضوع كامل : تلك هي المشاعر التي اوحيتها لي ؛ ولا اخشى أن اشكر العناية الالهية على ذلك . آه انت يا من تعتبرين خير مخلوق على الارض أحتذي حذو العناية الالهية في تسامحها وغفرانها ، وفكري بآلامي القاسية ، فكري بأن كلمة واحدة منك تقرر مصيري الى الابد .

## ٣٧

### من الرئيسة تورفيل الى السيدة دي فولانج

في ٢٤ آب ?? ١٧

انني أمثل يا سيدتي للنصائح التي شئت صداقتك ان تسديها إلي . أما وقد اعتدت بأن اعتمد دائماً على آرائك ، فلذا اصبحت مؤمنة بأنها جميعها قائمة على اساس التعقل : أنا اعترف بأن دي فالمون يجب ان يكون خطيراً جداً اذا كان يستطيع في آن واحد ان يبدو كما يظهر عليه الآن هنا ويظل كما تصفينه انت . ومهما يكن من أمر ، وبما انك تطلمين مني ذلك ، فسأبعده عني ، أو على الأقل سأبذل كل ما في وسعي : لأن الامور التي يجب ان تكون في الاساس أشد سهولة ، تصبح غالباً مربكة ومحيرة من حيث الشكل .

ويبدو لي دوماً ان من غير الممكن التقدم بهذا الطلب الى عمته . لا بل ويصبح ايضاً مكدرراً لها وله ، كما انني لن أقرر ابداً - دون تكدر - الابتعاد بنفسني من هنا ؛ إذ فضلاً عن الاسباب التي اوضحتها لك وهي متعلقة بالسيد دي تورفيل ، فان

سفري لن يجدي حق ولو اغاظ السيد فالمون كما هو ممكن ، لأنه ليس اسهل .  
عليه من ان يتبعني الى باريس ! ثم ألا تبدو عودته - التي سأكون أو على الأقل  
سأبدو انني هدفها - اكثر غرابة من مقابلة في الريف عند شخص معروف  
بأنها عمته وصديقتي ؟

فلم تبق لي اذن من حيلة اخرى سوى أن احصل منه على رغبة في الابتعاد ،  
واشعر ان هذا الاقتراح صعب التنفيذ . ومع ذلك نظراً لأنه تواق لكي يثبت لي  
بأنه شهيم اكثر مما اظن فانني لا أياس من النجاح ، ولن اكون حتى متكدره  
من اغرائه ، ومن إيجاد مناسبة احمله فيها على ذلك لكي يحكم على أن النساء  
الشريفات حقيقة كما يقول ، ليس عليهن ولن يكون عليهن أن يتذمرن من  
أساليبه . اما اذا ذهب كما ارغب ، فسيكون ذلك من قبيل الاحترام لي ، لانني  
لا أشك بأنه ينوي ان يقضي هنا قسماً كبيراً من الحريف . واذا رفض طلبي  
وأصرّ على البقاء ، فسيحين الوقت لكي اذهب بدوري وأنا أعدك بذلك .

هذا يا سيدتي كل ما تتطلبه صداقتك مني كما اعتقد ، وهأنذا اسارع إلى ارضائها  
وإلى ان اثبت لك - رغم الحماسة التي استطعت ان اضعبها في الدفاع عن السيد  
دي فالمون - بأنني لست اقل استعداداً من قبل لأن اصغي الى نصائح اصدقائي  
فحسب ، بل لأن أتقيد بها ايضاً . لي الشرف بأن اكون . الخ ...

## ٣٨

### من المر كيزة دي ميرتاي الى النيكونت دي فالمون

في ٢٧ آب ?? ١٧

تلقيت الآن رزمتك الضخمة يا عزيزي الفيكونت ، ولو صح تاريخها لكان  
يجب أن اتلقاها قبل أربع وعشرين ساعة . ومهما يكن فانني لو انصرفت الآن  
إلى قراءتها فلن يكون عندي وقت لكي اجيبك عليها . ولذلك افضل ان ابلفك  
فقط تسلمي اياها ، وستحدث عن موضوع آخر . ليس لأنه لا يوجد عندي

ما اخبرك اياه في ما يتعلق بي، بل لأن الخريف لم يترك في باريس تقريبا اي رجل له وجه انساني. وهكذا فإنني اعيش منذ شهر في رصانة خطيرة. وأن اي رجل آخر غير فارسي كان تعب من أدلة ثباتي ولذلك أخذت أنسلى الآن مع الصغيرة فولانج، ونظراً لأن ثمة ما يشغل بالي فسأحدثك عنه الآن.

هل تدري انك خسرت اكثر مما تعتقد لعدم اهتمامك بهذه البنت؟ انها حقيقة رائعة لذيدة. وهي لا تملك طبعاً ولا مبادئ خاصة. وبإمكانك ان تتصور كم أن مجتمعها سهل وناعم للغاية، ولا اظن انها ستلمع ابدأ في العاطفة. ولكن كل شيء يبشر بالمشاعر الحادة. فهي دون تفكير ودون لباقة، ولكنها ذات زيف طبيعي، اذا صح هذا القول، حتى انها تدهشني انا نفسي، لأنها ستنتج بصورة ممتازة، نظراً لأن وجهها يعبر في آن واحد عن السذاجة والاستنباط. وهي بطبيعة الحال متهاككة جداً، وانني اتسلى بذلك غالباً: وأن تفكيرها يرتفع بسهولة مدهشة. وهي بالاضافة الى ذلك متمعة، بحيث انها لا تعرف ان ترغب في شيء اكثر مما تعرفه. ويعتبرها احياناً نفاذ صبر غريب. انها تضحك وتبتئس وتبكي ثم ترجوني ان اعلمها بنية حسنة جذابة كل شيء. وفي الحقيقة انني غيورة تقريباً من ذلك الذي تحتفظ له بهذه المتعة.

لا اذكر اذا كنت قد اخبرتك بأنه أصبح لي الشرف منذ أربعة او خمسة ايام بأن اكون موضع اسرارها. وانت تدرك انني اظهرت في البداية كثيراً من الصرامة. ولكنني ما ان لاحظت انها بدت كمن تريد اقتناعي بوجهات نظرها الباطلة حتى اظهرت انني اعتبر هذه الآراء صحيحة وحقة. وهي مقتنعة كل الاقتناع بأن الفضل في هذا النجاح يعود الى فصاحتها: لقد كان هذا التدبير الاحتياطي ضرورياً لئلا اورط نفسي. وكان ان سمحت لها بأن تكتب له وتقول «احبك». وفي اليوم نفسها رتبتُ - دون ان ترتاب في الامر - اجتماعاً سرياً بينها وبين عشيقها دانسي. ولكن تصور انه كان على مبلغ كبير من الحماسة الى درجة انه لم ينل منها حتى قبلة واحدة. مع ان هذا الشاب يبدو من اجل الفتيان، يا إلهي كم ان

هؤلاء الناس اغبياء ! وكم ان هذا الشاب غبي بحيث اخذ يثير حيرتي وارتباكتي ،  
لأنني أخيراً بالنسبة اليه لا اريد ان اقوده .

وانت في هذا الوقت بالذات ستكون مفيداً لي جداً . فانت على صلة  
وثيقة بدانسي لكي تنسال ثقته . واذا منحك اياها مرة ، فاندنا سنسير  
سيراً حسناً . سارع اذن مع رئيسك لأنني لا اريد ان يفلت جيركور ، وقد  
تحدثت أمس عنه مع الصغيرة ، ووصفته لهاوصفاً جيداً بحيث انها لو كانت امرأته  
منذ عشر سنوات ، لما اصبحت تكرهه اشد مما تكرهه الآن . وقد وعظتها  
بصورة خاصة بصدد الامانة الزوجية ، وليس هناك ما يساوي احترامامي حول  
هذا الموضوع وبذلك اكون من جهة قد اعدت الى نفسها الثقة بسمعتي في ميدان  
العفة والفضيلة ، ومن جهة اخرى زدت في نفسها البغضاء التي اريد ان تمنحها  
لزوجها . واخيراً آمل - يجعلها تعتقد أنها لا تستطيع ان تستسلم الى الحب إلا في  
هذه الفترة القصيرة المتبقية لها قبل الزواج - ان تقرر بصورة سريعة وان لا  
تضيع شيئاً من الوقت .

الوداع ايها الفيكوزت .

٣٩

### من سيسيل فولانج الى صوفي كارني

باريس في ٢٧ آب ?? ١٧

انني كئيبة وقلقة يا عزيزتي صوفي ، وقد بكيت تقريباً طوال الليل . لا لأنني  
في الوقت الحاضر لست سعيدة . ولكنني اتنبأ بأن ذلك لن يدوم طويلاً .  
لقد كنت أمس في دار الأوبرا مع السيدة دي ميرتاي ، وتحدثنا عن زواجي ،  
فلم أعلم منها إلا كل ما هو سيء . انه الكونت دي جيركور الذي ينبغي ان  
اتزوجه ، وسيتم زواجي منه في شهر تشرين الاول . انه غني ، وذو مزايا عديدة  
وكولونيل في الجيش و... كل ذلك حسن جداً . غير انه كبير السن بالنسبة

إليّ، تصوري ان عمره لا يقل عن السادسة والثلاثين ! ثم ان السيدة دي ميرتاي تقول عنه أنه متجهم صارم ، وهي تخشى ألا اكون سعيدة معه . ولاحظت جيداً انها متأكدة من ذلك، ولا تريد ان تخبرني لكي لا تحزنني . وهي لم تحدثني طوال السهرة تقريباً إلا عن واجبات الزوجات نحو ازواجهن . وهي تعترف بأن عليّ ان أحبه . وابلغتي انني متى تزوجت يجب ألا احب ابدأ الفارس دانسني ، كما لو ان الأمر ممكن ! آه اؤكد لك جيداً انني سأحبه دائماً . وأنا بالفعل افضل ألا أتزوج . فليتدبر السيد دي جيركور أمره ، فلست انا التي بحثت عنه . وهو الآن موجود في كورسيكا بعيد جداً عن هنا . اتمنى ان يبقى هناك عشر سنوات اخرى . ولولا انني اخشى ان اعود الى الدير لقلت لوالدي انني لا أريد هذا الزوج . ولكن الأمر سيكون اسوأ . وانني حائرة جداً . واحس انني لم أحب السيد دانسني كما احبه الآن . وحين افكر انه لم يبق امامي سوى شهر واحد لأظل كما انا في الوقت الحاضر ، فان الدموع تسيل من عيني فوراً . وليس لي من عزاء الا لدى السيدة دي ميرتاي ، فهي ذات قلب طيب جداً ! انها تشاطرنني جميع اشجاني . وهي بالغة اللطف بحيث انني حين اكون معها لا افكر مطلقاً بأحزاني . وفضلاً عن ذلك فهي مفيدة لي جداً . لأن القليل الذي أعرفه لكي أتصرف في المجتمع ، عرفته بفضلها . وهي طيبة القلب الى درجة انني اروى لها كل ما افكر به دون ان ارتبك مطلقاً ، وحين تجد ان ذلك ليس حسناً فإنها تؤنّبني في بعض الأحيان ، ولكن بكل رقة ، ثم اقبلها من كل قلبي الى ان ينتهي غضبها . انني على الاقل استطيع ان احب هذه المرأة بقدر ما أشاء ، دون ان يكون في الأمر اي بأس ، وهذا ما يسرني كثيراً . ومع ذلك فقد اتفقنا على ألا اظهر امام الناس انني احبها الى هذا الحد ، لا سيما امام والدي حتى لا ترتاب في شيء بصدد السيد دانسني . اؤكد لك انني لو استطعت ان أعيش دوماً كما اعيش الآن لكنت أسعد مخلوقة . وليس هناك الا هذا الثقل دي جيركور !... ولكنني لا اريد أن احدثك عنه مطولاً ، لأنني سأصبح تعيسة من جديد . وبدلاً من ذلك سأكتب إلى السيد دانسني ، ولن

أحدثه إلا عن حيي لا عن همومي ، لأنني لا أريد ان أحزنه .

الوداع يا صديقتي الطيبة ، أنت ترين جيداً أن من الخطأ أن تعاتبيني ، واني  
مهما كنت « مشغولة » كما تقولين . يظل لديّ الوقت الكافي لكي احبك  
واكتب اليك .

٤٠

### من الفيكونت دي فالون الى المراكيزة دي ميرناي

في ٢٦ آب ١٨??

لقد وجدّت ظالمتي قاسية القلب انه قليل عليّ ألاّ تردّ على رسائلي ، وان  
ترفض تسلمها ، ولذلك تريد الآن حتى حرمانني من رؤيتها، وهي تطالبني بأن ابتعد  
عنها . ولكن ما سيدهشك اكثر أنني سأخضع نفسي لمثل هذه المشقة . لعلك  
ستستنكرين موقعي . ومع ذلك لم اعتقد اني سأفقد فرصة تركها تصدر إلي  
امراً : لأنني كنت مقتنعا من ناحية بأن من يصدر الأوامر يلزم نفسه بها، ومن ناحية  
ثانية فإن السلطة الوهمية التي تبدو باننا نتركها للنساء هي احدى الكائن التي  
يتفادينا بكل صعوبة . وفضلاً عن ذلك فان البراعة التي عرفت ان تقوم بها  
لكي تتجنب الاجتماع بي وحدها ، وضعتني في موقف خطير، اعتقد بأن من واجبي  
الخروج منه مهما كلف الأمر : لأن كوني باستمرار معها دون ان اتمكن من اشغالها  
بجبي ، يحمل على الخوف من ان تعتمد على رؤيتي اخيراً دون ازعاج . وهذا وضع  
تعرفين جيداً كم من الصعب الرجوع عنه .

غير انني كاتصورين لم ارضخ للأمر دون شرط ، بل وضعت شرطاً مستحيلاً ،  
لكي أظل دائماً متمكناً من أن افي بوعدتي او احث به لكي اخوض مناقشة شفهية  
أو كتابية في الوقت الذي تكون حسناي فيه مسرورة مني ، لأنها بحاجة لأن  
اكون مسروراً : مع العلم انني سأكون عديم الفطنة ، اذا لم اجد الوسيلة للحصول  
على بعض التعويض مقابل نزولي عند طلبها مهما كان لا يطاق .

بعد أن عرضت لك وجهات نظري في هذه المقدمة الطويلة أبدأ في سرد الاحداث التي جرت خلال اليومين الأخيرين ، وأبعث اليك طيه برسالة حسناي وجوابي عليها ، وهكذا تجد ان هناك مؤرخين قليلين يدعمون الاحداث بالوثائق مثلي . انت تذكرين ما حدثته اول امس رسالتي من ديجون في نفسها . اما باقي النهار فقد كان عاصفاً جداً ، وقد حضرت الورعة الحسنة فقط في وقت الغداء . واعلنت انها مصابة بصداع شديد وهي حجة تريد أن تغطي بها اقسى ما يمكن ان يطرأ على امرأة من افراط في الغضب . وقد كان وجهها بالفعل متغيراً . وقد تبدلت مسحة النعومة التي تعرفينها فيها الى هيئة متمردة اضفت عليها جمالاً جديداً .

وتوقعت ان يكون ما بعد الغداء كثيراً . ولكي انقذ نفسي من الضجر اعلنت ان عليّ ان اكتب بعض الرسائل ، وانسحبت الى غرفتي ، ثم عدت الى الصالون في الساعة السابعة . وهنا اقترحت علينا السيدة دي روزموند أن نقوم بنزهة فوافقنا عليها . ولكن المريضة الحبيثة تحججت بأن آلامها قد تضاعفت وتركنتي التحمل وحدي عناء مرافقة عمي العجوز . ولدى عودتنا وجدناها طريحة الفراش .

وفي اليوم التالي عند الفطور عادت الى حالتها الطبيعية ، وقد استعادت رونقها ، مما حملني على الظن بأنها ساحتني . ولم نكد نفرغ من تناول الطعام حتى نهضت الحسنة الناعمة بطريقة وقحة ، وتوجهت نحو الغابة ، فلحقت بها كما تتوقعين ، وسألتها : من أين جاءتك هذه الرغبة في التنزه ؟ فقالت :

– لقد كتبت مطولاً هذا الصباح واشعر بأن رأسي متعب . فقلت :

– هل تجد انني لست سعيداً بشكل كافٍ لكي تلوميني على هذا التعب ؟ فقالت :

– لقد كتبت اليك ، ولكنني اتردد في تسليمك رسالتي ، وهي تتضمن طلباً ،

وانت لم تعودني على ان آمل في النجاح . فأجبت : آه ... اقسامك بأنني أوافق عليه اذا كان ممكناً . فقاطعتني : ليس هناك اسهل منه . ثم سلبتني اياها ، وحين اخذتها تناولت يدها ، ولكنها سحبتها مني دون غضب بل بكثير من الارتباك . وقالت : ان الحر أشد مما كنت اظنه ، يجب ان اعود . ثم سلكت طريق



القصر ، و قمتُ بعد عدة محاولات لكي اقمعها بالاستمرار في نزهتها دون جدوى . ولكنني تذكرت انه يمكن ان يرانا احد على هذه الحال ، فاقلمت عن الجادة واكتفيت باظهار بلاغتي . وعادت هي دون ان تنبس ببنت شفة ، ولاحظت جيداً ان هذه النزهة لم تكن تهدف الا الى تسليمي رسالتها، وكان ان صعدت الى غرفتها ، بينما انسحبت انا الى غرفتي لكي اقرأ رقيمها الذي يستحسن ان تقرأه وتقرأ أي كذلك ردي عليه .

## ٤١

### من الرئيسة دي تورفيل الى الفيكونت دي فالمون

في ٢٥ آب ١٧??

يلوح يا سيدي انك بتصرفاتك معي ، تعتمد كل يوم الى زيادة اسباب الشكوى التي تعتمرها بها نفسي ضدك . ان اصرارك على الرغبة في بشي ، دون توقف ، عاطفة اعلمتك ما فيه الكفاية من قبل بأني عازقة عن الاستماع اليها ، وان استغلالك الذي لم تخش ان تقوم به لحسن نيتي او حيائي لكي تضع رسائلك بين يدي ، وبصورة خاصة تلك الوسيلة الخالية من اللياقة التي استخدمتها لا يصلح رسالتك الاخيرة الي دون ان تخشى تأثير المفاجأة التي قد تحدثها في فتوقعي في ورطة ، كل ذلك ينبغي ان يشكل عندي مأخذ حادة عليك لا شك انت تستحقها .

ومع ذلك فبدلاً من العودة إلى التحدث عن هذه الاخطاء . ابادر إلى تقديم طلب سهل وعادل اليك ، فاذا نلتك منك ، وافق على ضرب صفح عن الماضي . لقد قلت لي ، يا سيدي ، اني يجب ألا اخشى الرفض من جانبك ، وعلى الرغم من ان هذه الجملة قد يتبعها الرفض الوحيد الذي يمكن أن تقوم به نحوي - وهذا من تناقضك الذي تتميز به - فإنني أعتقد انك لن تتراجع عن كلامك الذي اعلنته لي منذ مدة وجيزة .

اني أود اذن ان تتلطف فتبتعد عني ، وتترك هذا القصر ، حيث لا يمكن

لكوثك فيه مدة أطول إلا ان يعرضني اكثر فأكثر إلى حكم جمهور واقف دوماً بالمرصاد لكي يسيء الظن بالآخرين ، وانت لم تعوّده الا على ان يحدق بعينيه في النساء اللواتي يستقبلنك في مجتمعاتهن .

اما وقد حذرتُ منذ مدة طويلة من هذا الخطر ، بواسطة اصدقائي ، فقد اهملته ، لا بل وحاربت رأيهم ، لشدة ما جعلني مسلكك تجاهي اعتقد انك لم تشأ أن تخلط بيني وبين هذا الحشد من النساء اللواتي جعلتهن يتذمرن منك . أما وقد اخذتَ اليوم تعاملني مثلهن ، ولم أعد استطيع ان اتجاهل ذلك ، فيجب عليّ تجاه الرأي العام ، وتجاه اصدقائي ، وتجاه نفسي ان اتخذ هذا الموقف الضروري . واستطيع ان اضيف هنا انك لن تريح شيئاً لو رفضت طلبي ، بعد ان قررت الذهاب انا بنفسي اذا أصرتَ على البقاء . ولكنني لا احاول ابدأ التقليل من الامتنان الذي سأكون مدينة لك به تجاه هذا المعروف . واود جيداً ان تعرف انني باضطراري للسفر من هنا ، ستعاكس ترقبباتي . فاثبت لي اذن يا سيدي ، بأن النساء الشريفات كما قلت لي ذلك مراراً ، ليس من حقهن أن يتذمرن منك ابدأً . برهن لي على الأقل ، انه حين تكون على خطأ معهن ، تستطيع ان تتدارك هذا الخطأ .

واذا اعتقدت انني بحاجة إلى ما يبرر طلبي هذا تجاهك ، فحسي ان اقول لك انك قضيت حياتك لتجعله ضرورياً ، ومع ذلك لم تكن تبعة هذا الطلب متوقفة عليّ في التقدم به اليك . ولكن فلنفس احداثاً لا اريد ان اتذكرها ، وهي ستضطرنني الى الحكم عليك بشدة ، في وقت اعرض عليك فرصة استحقاق كل امتناني .

الوداع يا سيدي ، ان مسلكك سيعلمني بأية مشاعر يجب ان اكون طول الحياة الخ...

## من الفيكونت دي فالون الى الرئيسة دي تورفيل

٢٥ آب ?? ١٧

مها كانت قاسية ، يا سيدتي ، الشروط التي تفرضينها عليّ ، فاني لا أرفض التقيد بها . واشعر انه من المستحيل عليّ أن اعاكس اية رغبة من رغباتك . وما دمنا متفقين حول هذه النقطة ، تجرأ بدوري على أن أطلب اليك السماح لي بأن أقدم ببعض الطلبات التي هي أسهل في المنح من طلباتك ، والتي لا اريد بواسطتها مع ذلك سوى الحصول على خضوعي الكامل لارادتك .

أحدهما - وهو ما آمل أن اطالب به عدالتك وانصافك - ان تتكرمي فتظلميني اخيراً على اسماء اولئك الذين يتهموني ظلماً عندك ، فهم كما يبدو لي قد اوقعوا بي أشد الأذى بحيث اجد من حقي ان أعرفهم . والطلب الآخر الذي انتظره من تسامحك ان تتفضلي فتسمحي لي بأن اجدد بشك حي الذي سيستحق اكثر من أي وقت مضى شفقتك .

فكري يا سيدتي انني سأسارع إلى اطاعتك في الوقت الذي لا يستطيع ان اقوم بذلك إلا على حساب سعادتي ، لا بل اقول اكثر من ذلك ، رغم الاقتناع الذي اشعر به ، فأنت لم ترغي في ذهابي إلا لكي تنقذي نفسك من رؤية مؤلمة دائماً لموضوع ظلمك .

اعترفي يا سيدتي بأن خشيتك لمجتمع اعتاد على ان يحترمك كثيراً بحيث لا يجرؤ على ان يأخذ عنك حكماً سيئاً ، هي اقل من خشيتك لما يسببه لك من تكدر وجود رجل من السهل معاقبته اكثر من لومه . انت تبعديني عنك كما لو أن احدهم يشيح ببصره عن رؤية بأس لا يريد اغاثته .

ولكن بينما سيضعف الغياب لواعجي ، الى أي انسان غيرك يستطيع ان اتوجه بتوسلاتي وشكاواي ؟ ومن اي انسان غيرك يستطيع ان انتظر مؤاساة ستكون لي ضرورية ؟

هل ترفضينها لي بينما انت وحدك سبب عذابي وآلامي ؟  
بدون شك سوف لا يدهشك ابداً ، انني قبل ان اذهب ، أجد من  
حق فؤادي عليّ ان ابرر امامك المشاعر التي أوحيت بها اليّ حتى انني لا أجد  
الشجاعة على الابتعاد قبل ان اتلقى الأمر من فمك .

ان هذا السبب المزدوج يجعلني اطلب منك منحي لحظة واحدة للاجتماع  
بك . وانه لمن غير المفيد أن نعوض عن ذلك بالرسائل : اذ يستطيع احدنا ان  
يكتب المجلدات ، ولا يحسن شرح ما يمكن ان تكفي ربع ساعة من المحادثة  
لتوضيحه جيداً . وسوف تجدين بسهولة الوقت لكي تمنعني لي . لأنني مهما كنت  
متعجلاً في ان امثل لطاعتك ، فأنت تعلمين ان السيدة دي روزموند عالمة  
بعزمي على تمضية جزء من الحريف عندها ، وينبغي على الأقل ان انتظر وصول  
رسالة ما لكي اتحجج بوجود قضية تستدعي سفري عاجلاً .

الوداع يا سيدتي ، ثقي انه لم تكلفني ابداً كلمة مثل هذا الجهد ، لأنها  
تذكرني بفكرة انفصالنا . آه ، لو كنت تتصورين كم جعلتني أتعذب . تفضلي  
على الأقل بقبول تأكيد حبي الأرقّ والأشد احتراماً ، بصدر رحب .

## تابع الرسالة . ٤

### من الفيكونت دي فالون إلى المراكيزة دي ميرتاي

لنفكر الآن بتعقل ، يا صديقتي الحسنة ، انت ترين مثلي أن المتشككة  
الشريفة السيدة دي نورفيل لا تستطيع أن توافق على طلبي الأول ، وتخون  
بذلك ثقة اصداقائها ، وتعلن لي اسماء الذين يتهمونني . وهكذا فإنني بفرضي هذا  
الشرط ، لا أكون قد تعهدت نحوها بشيء . ولكنك تلاحظين أيضاً ان هذا  
الرفض من جانبها سيفتح مجالاً للحصول على الطلبات الباقية . وهكذا سأفوز ،  
بإتعمادي عنها ، بخوض مراسلة معها أصبحت باعترافها منتظمة ، لأنني لا أعتمد  
كثيراً على الموعد الذي اطلبه منها والذي لا يهدف إلا إلى تعويدها سلفاً على

عدم رفض طلبات اخرى حين تصبح ضرورية لي .  
والشيء الوحيد الذي بقي عليّ أن أفعله هنا قبل سفري هو أن أجد وسيلة  
أعرف بواسطتها من هم هؤلاء الأشخاص الذين يسعون للايقاع بي لديها . أفترض  
أن يكون زوجها الأحمق الذي يفعل ذلك . أنني لأبغيه : لأنه علاوة على ان  
الدفاع الزوجي يشحذ الرغبة فسأكون متأكداً انها ما دامت قد وافقت على  
الكتابة اليّ ، فليس عليّ ان اخشى شيئاً من هذه الناحية ، لأنها ستجد نفسها بحاجة  
الى خيانته .

ولكن اذا كانت لديها صديقة حيمة استطاعت ان تكون موضع اسرارها ،  
وان هذه الصديقة هي ضدي ، فسيكون من الضروري لي ان أخلفها معاً ،  
وأرجو ان أفلح في ذلك ، ولكن يجب ان اعلم قبل كل شيء من هي .

لقد خيّل اليّ أمس انني سأنجح في معرفة ذلك ، ولكن هذه المرأة لا تفعل  
شيئاً كالأخريات . وكنت في زيارتها مع السيدة دي روزموند حين تبلغنا أن  
الغداء اصبح جاهزاً . وكانت قد فرغت لتوها من زينتها ، ولاحظت انها لشدة  
سرعتها وهي تبدي أعذارها قد نسيت مفتاح مكتبها فوقه . وكنت  
أعرف عاداتها في عدم نزع مفتاح غرفتها . وفكرتُ بذلك اثناء الغداء . وحين  
رأيت خادمتها تخرج ، سارعت حالاً الى غرفتها ، وكدت اجرح انفي ، وتوجهت  
حالا نحو مكتبها ، غير انني وجدت جميع الادراج مفتوحة ولا توجد فيها أية  
ورقة مكتوبة ، ومع ذلك فليست هناك مناسبة لإحراق الاوراق في هذا الفصل .

تري ماذا تفعل اذن بالرسائل التي تتلقاها ؟ وهي تتلقى منها الكثير في اغلب  
الاحيان . لم اغفل شيئاً في تنقيبي عنها . وكان كل شيء مفتوحاً امامي . وقد بحثتُ  
في كل مكان ولكنني لم أفر الا بأقناع نفسي ان هذا المستودع الثمين هو في جيوبها .  
ولكن كيف يمكن الحصول على أوراقها من جيوبها ؟ منذ أمس وانا اشغل  
تفكيري دون جدوى بايجاد الوسائل التي تمكنني من ذلك . إنني آسف جداً  
لكوني لا أتحملي ببراعة النشالين . افلا ينبغي أن يدخل ذلك ضمن تربية كل من  
يخوض المؤامرات الغرامية ؟ ألن يكون من المبهج سرقة رسالة أو صورة مزاحم أو نسل

ما من شأنه ان يفضح امرأة ورعة من جيوها؟ ولكن اهلنا لا يفكرون بمثل هذه الأمور ، وعليّ انا وحدي أن افكر بكل شيء ، وأجد انني قليل الدراية في هذا الموضوع دون ان اتمكن من معالجة ذلك .

ومهما يكن فقد عدتُ إلى المائدة ، وكان ان هدأتُ حسناتي قليلاً من روعي ، ببادرة الاهتمام الذي ابدته نحو تضمضي المقلق . فلم أتوانَ عن التأكيد لها بأنني اشعر منذ بعض الوقت باضطرابات عنيفة تنهك صحي . ولاقتناعها بأنها هي السبب أليس من واجبها ان تعتمد إلى تهديتها؟ ولكنها رغمًا عن انها ورعة تقية فهي قليلة الاحسان ، وهي ترفض منحني اية صدقة غرامية . وهذا الرفض وحده يكفي كما يبدو لي لكي اسمح لنفسني بسرقتها . الوداع لانني رغم الكتابة اليك لا اكفُ عن التفكير بهذه الرسائل الملعونة .

## ٤٣

### من الرئيسة دي تورفيل الى الفيكونت دي فالمون

في ٢٦ آب ?? ١٧

لماذا تحاول يا سيدي ان تقلل من قيمة امتناني؟ لماذا لا تريد الا أن اكون نصف مدينة لك ، فتساوم نوعاً ما على طريقة شريفة؟ إلا يكفيك اذن أن أشعر بعبء الثمن؟ انك لا تطلب مني شيئاً كثيراً فحسب ، بل تطلب مني اموراً مستحيلة . واذا كان اصدقائي بالفعل قد حدثوني عنك ، فذلك لأنهم فكروا بمصلحتي : وأن نيتهم سليمة حتى ولو كانوا مخطئين في رأيهم بك . ثم تريدني ان اعترف لك بأسمائهم وابوح بأسرارهم ! لقد أخطأتُ في التحدث اليك عنهم ، انك لتجعلني أشعر بفداحة خطأي الآن . وان ما يكون مجرد سذاجة ليس إلا ، يصبح بمثابة حماقة معك . وسيوقعني هذا الطلب في ورطة اذا وافقتك عليه . انني اناشدك إذن ، اناشد ضميرك وشرفك ، هل تظن انني قادرة على القيام بهذا العمل حتى تطلبه مني؟ كلا ولا ريب . انني متأكدة بأنك لو فكرت جيداً لما عدت الى بحث موضوع هذا الطلب مرة اخرى ابداً.

اما طلبك الآخر ، بأن تكتب إلي ، فان الموافقة عليه ليست أسهل من الأول ، واذا شئت ان تكون منصفاً ، فليست انا التي ستوقعهما في الشرك ، أو تجعل هذه الخدعة تنطلي عليها. انني لا أود الاساءة اليك البتة ، ولكن نظراً للسمعة التي اشتهرت بها ، باعترافك نفسه ، فأية امرأة تستطيع ان تعترف بأنها تجاذبك اطراف المراسلة ؟ وأية امرأة شريفة يمكن أن تقر القيام بعمل ستكون مضطرة إلى اخفائه عن عيون الناس ؟

ثم لو كنت متأكدة ان رسائلك لن تتضمن ما أتذر منه ، أو أستطيع أن أبرر بنظري تسمي اياها ، فلربما جعلتني الرغبة عندئذ ابرهن لك على ان الانصاف - وليست الكراهية - هو الذي يميل عليّ تصرفاتي ، ولكنك تجاوزت عن هذه الاعتبارات القوية ، وفعلت اكثر مما ينبغي بالسماح لك بالكتابة إليّ في بعض الأحيان . هذا اذا كنت تصرّ بالفعل على ذلك كل الاصرار كما تقول ، حتى تقبل بالطلب الوحيد الذي رجوته منك والذي يمكن ان يجعلني أوافق . واذا كان لديك بعض العرفان بالجميل لما أفعله من أجلك الآن ، لعجّلت بذهابك على الفور .

إسمح لي ان ألاحظ بهذا الصدد انك تلقيت رسالة هذا الصباح ، ولم تنتهز الفرصة لكي تعلم السيدة دي روزموند بقرب سفرك كما وعدتني . وآمل الآن ان ليس هناك ما يحول بينك وبين التقيد بكلامك ، وأحسب بصورة خاصة انك لن تنتظر لتنفيذه ذلك الموعد الذي تتطلبه مني والذي لا أريد مطلقاً ان اجاريك فيه . وبدلاً من الموعد الذي تدّعي انه ضروري لك ، حسبك ما اكرره اليك الآن من رجاء بهذا الشأن ، الوداع يا سيدي .

٤٤

من الفيكونت دي فالمون الى المراكيزة دي ميوتاي

٢٨ شباط ?? ١٧

شاطريني فرحي ، يا صديقتي الحسنة ، فانا محبوب ، لقد أنتصرت على القلب

المتنرد . وهو ما زال إلى الآن يتصنع المواربة عبثاً . ذلك ان براعتي السعيدة قد فاجأت سرها . وبفضل اتهامي النشيط اصبحت اعرف كل ما يهمني معرفته . ومنذ تلك الليلة ، ليلة الأمس السعيدة ، أجد نفسي في جوّي . وقد استعدت كل وجودي . وكشفت النقاب عن سر مزدوج ، من الحب والتعسف : وسأتمتع بالأول ، وسأنتقم من الآخر . وسأطير من متع الى متع . إن الفكرة الوحيدة التي اكوئنها تجعلني أحلّق بالخيال الى درجة انني أجد صعوبة في تذكر احتراسي . ولا بد لي أن اضح شيئاً من التنسيق في هذه القصة التي يجب ان اطلعك عليها . فلنحاول اذن .

ففي اليوم نفسه الذي كتبت اليك فيه رسالتي الاخيرة ، تلقيت رسالة من الورعة السماوية ، تجدينه طيه . وسترين أنها تسمح لي ببراعة أن أرسلها . ولكنها تعجل سفري بحيث بت اشعر انني لا استطيع ان أوّجل طويلاً هذا السفر دون ان يسبب لي ذلك شيئاً من الأذى .

وفي الاثناء كانت تعصف بي رغبة ملحة لأن اعرف من الذي يستطيع ان يكتب ضدي وكنت ما زلت غير متأكد من الطريقة التي سأنتهجها . وحاولت ان احظى بخادمتها الخاصة ، لكي احملها على ان تسلمني محتويات جيوب سيدتها . وهي تستطيع ان تستولي عليها بسهولة في المساء ، ومن السهل عليها ان تعيدها الى مكانها في الصباح دون ان تثير اية ريبة . فعرضت عليها عشر ليرات ذهبية مقابل هذه الخدمة البسيطة : ولكنني لم اجد امامي سوى امرأة مفرطة في الحذر موسوسة أو خجولة ، ولم تنفع معها بلاغتي ولا رشوتي . وكنت ما أزال احاول اقناعها حين دعيت الى العشاء ، وكان لا بد من تركها وانا سعيد بانها شاءت ان تعديني بكتمان السر مما لم اكن اثق به مطلقاً .

واعتراني غمٌ شديد لم أصب بمثله ابدأ . وشعرت بأنني واقع في ورطة ، وكنت الوم نفسي طوال السهرة على مسمى غير حذر .

وعدت الى غرفتي وانا مفعم بالقلق ، وتحدثت بالامر الى خادمي الامين الذي ينبغي ان تكون له عندها بعض الحظوة بوصفه عشيقها السعيد . وطلبت منه



اما ان يحمل هذه البنت على ان تفعل ما طلبته منها ، واما على الأقل ان يتأكد من كتابتها للسـر . ولكنه ، وهو الذي لا يرتاب عادة بشيء ، بدا وكأنه يشك بنجاح هذه المفاوضة ، وابدى لي بهذا الصدد ملاحظة ادهشتني بعمقها . اذ قال لي : « ان سيدي يعلم اكثير مني ان مضاجعة فتاة تعني جعلها تفعل كل ما يعجبها ، ولكن من المستبعد ان نجعلها تفعل ما نريد نحن . وفضلا عن ذلك فلست بقادر على السيطرة على هذه الفتاة لأن لها عشيقاً آخر في باريس كما اعتقد ، وانني لم استطع ان اناها إلا لتقززها من حياة الريف . وهكذا لولا حماسي من اجل خدمة سيدي لما كنت ضاجعتها سوى مرة واحدة ( ياله من كنز هذا الفتى ) . اما في ما يتعلق بالسـر ، فماذا ينفع ان نجعلها تعد بكتاتنه ما دامت لا تخشى شيئاً اذا خدعتنا ؟ ولو حدثناها مرة اخرى عنه ، فإننا بذلك نلقت انتباهها الى انه سر مهم ، مما يثير رغبتها في افشائه الى سيدتها . »

وكلما بدت لي هذه الملاحظات على صواب كلما زاد ارتباكـي . ولحسن الحظ اخذ يثرثر ، وبما انني كنت بحاجة اليه فقد تركته يفعل . وقد اعلمني وهو يروي لي قصته انه - نظراً لأن الغرفة التي تقطنها هذه الفتاة ليست منفصلة عن غرفة سيدتها إلا بجاذب بسيط يجعل من السهل سماع أية حركة مريبة - كان يجتمع بها كل ليلة في غرفته . وهذا ما اوحى لي بخطتي التي وضعتها على الاثر وابلغته اياها ونفذها بنجاح .

فلقد انتظرت حتى الساعة الثانية صباحاً لكي اذهب كما اتفقنا الى غرفته ، فدخلت ومعـي ضوء صغير . فوجدته مجتمعاً بها . وكانت حجتي انني دققت الجرس عدة مرات دون ان يسمعني احد . وقد مثل خادمي الذي يعتبر ممثلاً حاذقاً ، مشهداً صغيراً من المفاجأة واليأس والاعتذار . فوضعت حداً لهذا التمثيل بأن كلفته بتسخين ماء قلت انني بحاجة اليه ، بينما كانت الخادمة الموسوسة قد وقعت في مأزق نخجل لم تدر كيف تبرر نفسها منه ، لا سيما وأن الحديث كان قد امرها بأن تتزين بشكل مريب جداً لا عذر لها فيه . ونظراً لكونني شعرت بانـه كلما كانت هذه الفتاة مهانة مذلولة كلما سهل عليّ ان اسيطر عليها ، فلم اسمح لها بأن

تبدل شيئاً من الوضع ولا الزينة . وبعد ان أمرت خادمي بأن ينتظرنني في غرفتي، جلست الى جانبها فوق سرير كان مشوشاً جداً ، ثم بدأت حديثي وانا محتفظ بهدوي التام لانني كنت بحاجة الى أن احتفظ بسلطاني على الموقف ، وهذا ما كان له تأثير كبير على مسلك العاشقة . وكان ان تحدثنا مباشرة وبكل هدوء عن الموضوع الذي يعني دون أن أتمادى في حرיתי معها ، مع العلم ان طراوتها المنعشة وهذه المناسبة تعطينا حقاً بالامل .

وكانت شروطي انني سأحتفظ بسرهما ولا افصحها ، شرط أن تسامني غداً في الساعة نفسها او ما حولها محتويات جيوب معلمتها ثم اضفت قائلاً: «وبما انني كنت قد عرضت عليك عشر ليرات امس فاني اعدك بها اليوم ولا اريد ان استغل وضعك هذا » .

وكان ان وافقت على ذلك ، كما تتوقعين ، فانسحبت عندئذ الى غرفتي ، بعد ان تركتها الى عشيقها السعيد الذي سمحت له بأن يسارع الى استدراك ما فاتته من الوقت .

اما انا فقد اغتنمت الفرصة لكي انام ، ولدى استيقاظي أردت ان اخلق مبرراً لكي لا اجيب على رسالة حسناي ، قبل ان اطلع على اوراقها السرية — وهذا ما لم يكن ممكناً إلا في اليوم التالي — فاعلنت انني قررت القيام برحلة صيد قضيت فيها النهار كله تقريباً .

ولدى عودتي قوبلت ببرودة ، مما جعلني اعتقد ان ثمة بعض الاستياء من جانبها لكوني أظهر قليلاً من الحماسة في الافادة من الوقت المتبقي لي هنا لا سيما بعد رسالتها اللطيفة الاخيرة . أنني احكم على الأمر بهذه الطريقة نظراً لما وجهته الي عمي السيدة دي روزموند من لوم بسبب هذا الغياب الطويل ، وقد علمت حسناي على ذلك بقولها :

«آه .. ليس علينا ان نلوم السيد دي فالون على اندفاعه في المتعة الوحيدة التي يمكن ان يجدها هنا » .

فشكوت هذا الظلم بحقي واغتنمت الفرصة لأؤكد انه يتعني جداً ان اكون

بصحبة السيدتين المحترمتين ، وقد ضحيت من اجل ذلك بكتابة رسالة هامة جداً كان عليّ ان اكتبها اليوم . ثم اضفت قائلاً : لقد شئت ان احاول بذل مجهود شاق هذا النهار ، لانني لم اذق طعم النوم منذ عدة ليال ، املاً في ان اجعل النوم يتطرق الى جفوني هذه الليلة . ثم قد افصحتم نظراتي ما فيه الكفاية عن قضية الرسالة وسبب أرتقي . وهكذا حرصت طوال السهرة على ان اظهر رقعة كئيبة بدا لي انها نجحت تماماً ، وكنت اخفي تحتها ما يساورني من فقدان صبر بانتظار الساعة التي سأسلم بها السر الذي أصرت على اخفائه عني . واخيراً افترقنا ، وبعد فترة قصيرة حملت الى الخادمة الامينة الثمن المتفق عليه مقابل كتابتي سرها .

وما ان اصبح هذا الكنز ملك يدي حتى قمت بجرده بالعناية التامة التي تمهيدتها في . لانّ من المهم وضع كل شيء في مكانه كما كان . وقد وقعت اولاً على رسالتين من زوجها تتضمنان خليطاً لا يهضم من تفاصيل الحماكات ولواعج غرام زوجي تحملت بصبر نافذ قراءته بكامله ، ولم اجد فيه اية اشارة تتعلق بي . فأعدتها الى مكانها بجنون . ولكن غضي تضاءل جداً حين عثرت على قصاصات رسالتي الشهيرة من ديون ، وقد 'جمعت' بعناية ، وخطر ببالي لحسن الحظ أن أعيد قراءتها بجمور . وبامكانك ان تتصورني كم كانت بهجتي حين وجدت فوقها آثاراً واضحة من دموع ورعتي المعبودة . واعترف انني استسلمت الى حركة شاب مراهق فقبّلت هذه الرسالة بكثير من الخيال . ثم تابعت تفحصي للرسائل فعثرت على جميع رسائلي الاخرى مرتبة حسب تسلسلها التاريخي . ولعل ما ادهشني اكثر من ذلك ايضاً انني عثرت على رسالتي الاولى التي ظننت انها اعادتها اليّ ، وقد نسختها بيدها بأمانة ، وبخط مضطرب يدل على تأثر قلبها الناعم خلال تلك الفترة .

وحق الآن كنت ما ازال غارقاً في الحب . واذا بموجة غضب واستنكار شديدتين تجتاحني . اذ من تصورين يكون ذاك الذي يريد ان يسيء الى سمعتي لدى هذه المرأة التي أعبدها ؟ وأية امرأة لثيمة مؤذية تفترضين انها تقوم بمثل هذه

الاساءة التي لا تغتفر؟ انت تعرفينها؛ انها صديقتك وقريبتك السيدة دي فولانج، انت لا تتصورين اي نسيج من القذارات الجهنمية المزعومة شاءت ان تلصقه بي. وهي وحدها التي عكّرت صفو هذه المرأة الملائكية. وانني بسبب نصحها وآرائها الخطيرة اللئيمة اجد نفسي مجبراً على الابتعاد. وهانحن نضحى بأنفسنا بسببها. آه، بدون شك يجب اغواء ابنتها. ولكن ذلك ليس كافياً، إذ يجب ان نجعلها تضل السبيل. وبما ان عمر هذه المرأة الملعونة يضعها بمنجى من ضرباتي، فلا بد من ضربها في أعز ما تحبه.

انها تريد اذن ان اعود الى باريس! وهي تجبرني على ذلك! فليكن، سوف اعود، ولكنها ستجأ من عودتي. انني متكدر لكون دانسي هو بطل هذه القضية، اذ انه يملك اساساً من الشرف يمكن ان يزعجنا: فضلاً عن ذلك فهو عاشق... ها انني أنسى نفسي في فورة غضبي ولا افكر بأن عليّ ان اكمل رواية ما حدث اليوم، فلنستأنف:

شاهدت هذا الصباح حسناً الحساسة، ولم تبدُ ابداً بنظري أجمل مما كانت عليه اليوم. وهذا يجب ان يفسر على النحو التالي: ان اجمل لحظة في حياة امرأة، لا بل واللحظة الوحيدة التي تستطيع ان تنتج هذا الانتشاء الروحي الذي طالما تحدث عنه الكثيرون دون ان يشعروا به إلا نادراً... هي اللحظة التي نكون فيها متأكدين من حبها، دون ان نتأكد بعد من مفاتها الخاصة. وهذه هي تماماً حالتي التي وجدت نفسي بها. ولعل ايضاً الفكرة التي تساورني بأنني سأكون محروماً من لذة رؤيتها قد ساعدت على مضاعفة جمالها. واخيراً لدى وصول البريد تسلمت رسالتك المؤرخة في ٢٧ وفيما كنت اقرأها ترددت ايضاً في ما اذا كنت سأحافظ على وعدي، ولكنني التقيت بنظرات حسناً، وقد كان من المستحيل علي في ذلك الحين ان ارفض طلبها. فأعلنت اذن سفري. وبعد فترة قصيرة تركتنا السيدة روزموند وحدنا، ولكنني كنت ما أزال اشكل بعمياً بنظر المرأة النفور، فنهضت وقد تجلى عليها الفزع وقالت: دعني، يا سيدي، استحلفك بالله ان تتركني وشأني.

ولكن هذا الرجاء الحار الذي كشف عن انفعالها ، لم يؤدي إلا الى شحذ رغبتي . وكنت واقفاً بقرعها ، فتناولت يديها اللتين كانت قد شبكتها بطريقة مؤثرة ، وبدأت هنا في توسلات ناعمة حين أعاد شيطان عدو السيدة دي روزموند الى الصالون ، وقد اغتنمت الورعة الحنجول هذه الفرصة فانسحبت .

ومع ذلك عرضت عليها يدي لكي ارافقها ، فقبلت وشعرت بشيء من اللطف الذي لم تحصل عليه منذ وقت طويل ؛ وحاولت مع استثنائي للشكوى ان اضمها ، فأرادت في البداية ان تملص ، ولكنها بعد اصراري الملح استسلمت بكل طيبة خاطر رغم انها لم ترد على هذه الحركة بمثلمها . كما لم ترد على مطارحتي اياها عبارات الغرام والوجد . وحين وصلنا الى باب غرفتها حاولت ان أقبل هذه اليد التي سلمتني اياها ، قبل ان أفارقها . وهنا بدأ الدفاع يبدو صريحاً . ولكنني تلفظت هنا بعبارة : « فكري اذن بأنني راحل » وقد قلتها لها بكل نعومة وهيام ، مما جعلها تبدو مرتبكة مضطربة ، فتركتني أفعل . وما أن فرغت من قبلي حتى سحبت يدها ودخلت الى غرفتها حيث كانت خادمتها موجودة . وهنا تنتهي قصتي .

وكما افترض ستكونين غداً في زيارة الماريشال دي ... حيث لن اذهب اكيداً الى رؤيتك ، وبما أنني اتوقع عند مقابلتنا الاولى انه سيكون لدينا اكثر من قضية لنعالجها معاً وبصورة خاصة قضية الصغيرة دي فولانج التي لن انساها ، فقد قررت أن تسبقني هذه الرسالة اليك ومهما كانت طويلة فإنني لن أختمها إلا حين سأضعها في البريد : إذ في الحالة التي انا فيها الآن كل شيء يتوقف على فرصة معينة ، وإنني اتركك الآن لكي اقتفي أثرها .

في الساعة التاسعة مساءً

لا جديد حتى الآن ولا أية لحظة حرية ، بل هناك حرص من جانبها على أن تتجنبني . وفي الاثناء كان لا بد لي من اظهار المزيد من التعاسة تفرضها الآن الظروف على الأقل ، ولكن هناك حدثاً لا يخلو من أهمية ، وهو أنني كُلفت .

من قبل السيدة دي روزموند بدعوة السيدة دي فولانج لكي تحضر فتمضي  
بقرها بعض الوقت في الريف .  
الوداع يا صديقتي الحسنة ، وإلى الغد أو بعد غد على أقصى تعديل .

## ٤٥

### من الرئيسة تورفيل الى السيدة دي فولانج

قصر ... في ٢٩ آب ?? ١٧

لقد رحل السيد دي فالون هذا الصباح يا سيدتي ، وقد بدوت لي أنك  
كنت تتمنين جداً هذا الرحيل بحيث اجد من واجبي ان اعلمك به . غير أن  
السيدة دي روزموند قد تأسفت كثيراً على سفر ابن شقيقها الذي لا بد من  
الاعتراف بأن صحبته ممتعة . وقد أمضت الصباح كله وهي تحدثني عنه بالحساسية  
التي تعهدتها فيها . ولم تكن تخفي ثناءها عليه . وقد وجدت أن اللياقة تقضي  
علي تجاهها بأن أصغي اليها دون اعتراض ، مع العلم انه يجب التسليم بأنها على  
حق في كثير من النقاط ، وشعرت فضلاً عن ذلك بأنني ملامة لأنني كنت السبب  
في حرمانها منه ، وانت تعلمين بطبيعة الحال أنه لا توجد هنا اية تسلية ، وان نمط  
الحياة الذي نعيشه هنا يجعل المعيشة جافة خالية من المرح .

ولو أنني لم اتصرف حسب توجيهاتك لكنت خشيت ان تصدر عني بعض  
الخفة ، لأنني كنت حقيقة متأثرة لحزن صديقتي المحترمة . وقد أثرت في إلى  
درجة أنني كنت أشاطرها دموعها .

اننا نعيش الآن على امل أن تقبلي الدعوة التي يجب أن يقدمها اليك السيد  
دي فالون من قبل السيدة دي روزموند ، وانني لأرجو ألا ترتابي في ما  
ستحدثه مشاهدتك من تعويض . وسأكون مرتاحة جداً لأغتم هذه الفرصة فأتعرف  
قريباً الى الآنسة دي فولانج ، وان أكون قريبة منك لكي أعبر لك عن مشاعر  
التقدير التي أكنها لك . لي الشرف ان الخ ...

## من الفارس دانسي إلى سيسيل دي فولانج

باريس في ٢٩ آب ١٧??

ماذا جرى لك يا معبودتي سيسيل؟ من الذي سبب لك هذا التبدل المفاجيء القاسي؟ واين هو قسمك لي بالألتبدي؟ وبالامس فقط كنتِ تؤكدينه بكثير من السرور! من يستطيع اليوم ان يجعلك تنسينه؟ لقد تفحصت نفسي طويلا فلم استطع ان أعثر على السبب عندي. وانه لمن المؤلم لي جداً ان ابحت عنه عندك... آه... انك لست خفيفة ولا محتالة، وحتى في هذه اللحظة من اليأس التي اكتب اليك اثناءها. لا يمكن ان يتطرق الى ذهني اي شك مهين. ومع ذلك فأني قدر عابث شاء ألا تكوني ابداً كما انت؟ كلا، انك لست قاسية القلب. فسيسيل اللطيفة، سيسيل التي أعبدها والتي تلقيت منها العمود والمواثيق، ما كانت لتتجنب نظراتي، وما كانت لتعاكس المصادفة السعيدة التي جعلتني اكون بقربها. أم ان هناك بعض الأسباب التي لا أستطيع فهمها وقد حدثت بك أن تعامليني بمثل هذا الجفاء، ورفضت على الأقل ان تنبئيني بها. آه... انك لا تدرين، وسوف لا تدرين ابداً، يا سيسيلتي كم جعلتني أتعذب اليوم، وكم أتعذب الآن! فهل تعتقدين اني قادر على العيش دون ان اكون محبوباً منك؟ ومع ذلك فحين طلبت منك كلمة، كلمة واحدة، تبدئين بها مخاوفي، عمدت بدلاً من الرد عليّ، إلى اظهار الخوف من ان يسمعك احد. وهذا الحاجز الذي خلقته بيننا عن طريق المقعد الذي اخترته في الاجتماع، وهو حاجز ما كان قائماً من قبل. وحينما اضطررت الى تركك، سألتك عن الساعة التي تستطيع فيها ان اعود فأراك غداً، فإذا بك تبدين انك تجهلينها. وكان ينبغي أن تكون هي والدتك السيدة دي فولانج التي حددتها لي. وهكذا فان هذه اللحظة المرغوبة جداً والتي يجب ان تقربني منك غداً، لن تخلق في نفسي إلا القلق. وسيجعل الخوف من ان اكون مضايقاً لك محل متعة رؤيتك التي كانت حتى الان

عزيزة على قلبي .

لقد اخذت اشعر بذلك منذ الآن ، ان هذا الخوف يوقفني  
فلا اجروء على ان احدثك عن حيي . ان كلمة « احبك » التي كنت أحب  
كثيراً ان اكررها بدوري ، هذه الكلمة الناعمة اللطيفة التي كانت تكفي لبعث  
غبطتي ، لم تعد تقدم لي - اذا كنت قد تبدلت -- سوى صورة ياس ابدي .  
ومع ذلك فلم أستطع بعد ان أومن بأن « تعويذة الحب » هذه قد فقدت كل  
قوتها ، وما زلت احاول استخدامها أيضاً. اجل يا سيسيلتي احبك . كرري  
اذن معي هذا التعبير عن سعادتي . وفكري بأنك عودتني على سماعه ، وانك  
بجرماني اياه ، ستحكيين علي في تحمل عذاب لن ينتهي- كما هو الحال مع حيي- الا  
بانتهاى حياتي .

## ٤٧

### من الفيكونت دي فالمون الى المراكيزة دي ميرتاي

ب ... في ٣٠ آب ?? ١٧

لن أراك اليوم ايضاً ، يا صديقتي الحسنة ، واليك اعداري التي ارجوك ان  
تتلقيا بصدر واسع .  
إنني بدلاً من ان اعود بالأمس رأساً ، توقفت عند الكونتيسة ... التي  
يقع قصرها تقريباً على طريقي ، فطلبت اليها أن أتغدى . ولم أصل إلى باريس الا  
نحو الساعة السابعة . ونزلت إلى دار الاوبرا حيث كنت آمل أن أجدك .  
وانتهت الاوبرا ، فذهبت لمقابلة صديقاتي المعتادات في النادي ، فوجدت  
هناك صديقتي القديمة اميلين ؛ محاطة بمحاشية عديدة من النساء والرجال ، كانت  
قد دعتهن الى حفلة عشاء في ذلك المساء نفسه في ب ... ولم اكد ادخل هذا  
النادي حتى دعيت الى العشاء مع القوم ، وقد قوبلت بالهتاف الشديد ، وكان  
الذي وجه الي الدعوة رجل قصير ذو وجه ضخم أخذ يثرثر معي برطانة لم افهمها  
بل تبينت انها مزيج من الهولندية والفرنسية ، وقد عرفت فيه انه هو بطل هذه  
الحفلة ، فقبلت .



وعلمت ونحن في الطريق أن المنزل الذي نقصده هو الثمن المتفق عليه مقابل ما تكلمت به اميليين من غراميات على هذا الوجه البشع ، وان حفلة العشاء هذه هي بمثابة حفلة عرس حقيقي . ولم يكن الرجل القصير يملك نفسه لشدة الفرح . وقد بدا لي أنه راض عن نفسه جداً الى درجة بعثت بنفسي الرغبة في مضايقته . وهذا ما فعلته بالفعل .

والصعوبة الوحيدة التي صادفتها كانت في أن أقنع اميلي بأن ثروة المحافظ الهولندي هي موضع رغبة . وكان أن وافقت ، بعد شيء من التردد المصطنع ، على الخطة التي رسمتها ، وهي أن تعبىء هذا البرميل القصير بالحجارة ، وبذلك تضعه خارج المعركة طوال الليل .

وقد جعلتنا الفكرة الرائعة التي كوناهما عن سكير هولندي نستخدم جميع الوسائل المعروفة لمحله على الاكثار من الشراب . وقد نجحنا جيداً ، بحيث انه حين وصلنا الى الفواكه لم تبق لديه القوة على امسك كأسه . ولكن المساعدة اميليين وانا لم نكف عن ملئه بالشراب حتى سقط تحت المائدة ، وقد تمتعه السكر الى درجة ان ذلك سيجعله في غيبوبة لمدة ثمانية ايام . وقررنا عندئذ ان نبعث به الى باريس . وبما انه لم يكن قد احتفظ بعربته ، فقد حملته في عربتي واستوليت على مكانه . وكان ان تلقيت على الاثر تهاني المجتمعين الذين انسحبوا بدورهم على أثره وتركوني سيد الموقف . لقد جعلني هذا المرح ، وربما عزلي الطويلة ، أجد ان اميليين امرأة تثير الرغبة مما حملني على وعدها بالبقاء معها حتى انبعث الهولندي من غيبوبته .

وقد كانت هذه البادرة اللطيفة من جانبي ثمناً لتكريمها عليّ باعاري مكتبها لكي اكتب الى حسنا في الورعة التي وجدت من الممتع ان أبعث اليها برسالة مكتوبة من سرير امرأة اخرى ، او تقريباً بين ذراعيها مرتكباً بذلك خيانة كاملة لحبها . وقد وصفت لها في الرسالة وضعي الحقيقي ومسلكي معها . وقد قرأت اميلي الرسالة فضحكت كجنونة ، وارجو ان تضحكي انت ايضاً . وبما انه ينبغي ان تحمل رسالتي خاتم بريد باريس فانني ارسلها اليك واتركها

مفتوحة راجياً ان تعمدي الى قراءتها واقفائها ووضعها في البريد . الوداع  
يا صديقتي الحسنة .

أعيد الآن فتح رسالتي فقد اقنعت اميلي بالذهاب الى مسرح الايطاليين  
وسأعتمد هذا الوقت لكي اذهب فأراك . وسأكون عندك في الساعة السادسة على  
الاكثر . واذا وافقك هذا الموعد فسندهب معاً لتزور السيدة دي فولانج . اذ  
ليس من اللائق أن أوجل الدعوة التي كلفتُ بإبلاغها اياها من قبل السيدة دي  
روزموند . وبالإضافة الى ذلك سأكون مسروراً جداً لمشاهدة الصغيرة فولانج .  
الوداع ايها السيدة الجميلة جداً . سأكون مسروراً جداً بتقبيلك حتى يصبح  
الفارس غيوراً .

## ٤٨

### من الفيكونت دي فالمون الى الرئيسة دي تورفيل

باريس في ٣٠ آب

بعد ليلة عاصفة لم أستطع خلالها ان اغمض عيني ، وبعد ان كنت باستمرار  
اما في هرج ومرج ، واما في غلواء مفترسة ، أو في انعدام كامل لجميع طاقاتي  
وروحي ، اعمد الى البحث عندك يا سيدتي... عن هدوء اشعر انني بحاجة اليه ، ولا  
آمل مع ذلك في التمكن من التمتع به بعد . وبالفعل فإن الوضع الذي انا فيه  
الآن وانا اكتب اليك يجعلني اعرف اكثر من اي وقت مضى قوة الحب التي  
لا تقاوم . إنني اجد صعوبة في الاحتفاظ مدة كافية بأي سلطان علي لكي اضع  
أفكاري موضع الترتيب . وها انذا أتوقع انني لن اختم هذه الرسالة دون ان  
أضطر إلي قطعها . ماذا ! أفلا يمكن اذن ان آمل بأن تشاطريني بضعة ايام هذا  
الاضطراب الذي اعانيه في الوقت الحاضر ؟ ومع ذلك اجرؤ على الاعتقاد بأنك  
لو عرفته يوماً فلن تكوني كلياً عديمة الحساسية . صدقيني يا سيدتي أن الدعة  
الباردة ، ورقاد الروح ، وصورة الموت ، لا تقود ابداً الى السعادة . وأن

الهوايات النشيطة تستطيع وحدها ان تقود اليها . أعتقد رغم العذاب الذي تجعليني اعانيه ، انني استطيع ان اؤكد دون وجل بأنني في هذه اللحظة ذاتها ، أكثر سعادة منك . وهكذا ترهقيني عبثاً بقساوتك المؤسفة التي لا تمنعني من ان انساق انسياقاً تاماً وراء الحب ، وان انسى - في الجنون الذي يحدثه الحب لي - القنوط الذي تدعينني فيه . وهذه الطريقة أريد أن اثار من المنفى الذي حكمت به علي . انني لم أشعر قط بمثل هذا السرور من قبل في الكتابة اليك كما هو الآن ، وهو سرور حاد عنيف . وكل شيء هنا يزيد من فرحي بالانطلاق : الهواء الذي أتنفسه مغمم بالشهوة ، والمنضدة التي اكتب عليها تكرر لأول مرة لهذه الغاية ، وقد اصبحت عندي بمثابة مذبح مقدس للحب ، وكم ستصبح جميلة بنظري ! وددت لو أن اخط فوقها القسم بأن احبك دوماً . اغفري لي ، كما أرجو ، الجنون الذي اعانيه . لربما ينبغي علي أن اقلل من انطلاقي الممنح الذي لا تشاطريني اياه . ينبغي ان اتركك فترة قصيرة لكي أبدأ نشوة تزداد كل لحظة ، وتصبح اقوى مني .

اعود اليك يا سيدتي ، ولا ريب بأنني سأعود دائماً بالعجلة نفسها . وفي الاثناء لقد تاه شعور السعادة مني بعيداً جداً ، وحل محله شعور الحرمان القاسي . وماذا ينبغي ان احدثك عن عواظفي ما دمت ' ابحث عبثاً عن وسائل اقناعك بها ؟ اذ بعد كثير من الجهود المتكررة اصبحت ' الثقة والقوة تخونانني في آن واحد . واذا كنت ' اعيب أيضاً تصوير متع الحب ، فذلك لكي اشعر بالأسف الشديد لحرمانني منه ، ولا اجد لي وسيلة لذلك سوى حملك وتسامحك . أنني أحس الآن اكثر مما يجب كم انا بحاجة إلى سعة صدرك لكي آمل بالحصول عليها . ومع ذلك فان حيي لم يكن ابداً اشد احتراماً لك مما هو عليه الآن ، وهو ما لا ينبغي ابداً أن يهينك . إنه في حالة يجب معها أن لا تخشاه اية عفة صارمة . ولكنني اخاف من نفسي ان احادثك مدة طويلة بسبب العذاب الذي اعانيه . ونظراً لتأكيدي بأن الانسان الذي يسببه لا يشاطريني اياه ، فيجب علي الاقل الا استغل عطفه ومكارمه . ومن الافضل ان اعانيه وحدي بدلاً من ان استخدم هذا الوقت في رسم صورة مؤلمة

وانا لا ارجو سوى ان ألح عليك بالاجابة عليّ وبألا ترتابي بحقيقة عواطفني .

٤٩

### من سيسيل فولانج الى الفارس دانسي

في ٣١ آب ١٧??

حسي يا سيدي دون أن اكون خفيفة او مخاتلة ، ان اكون مدركة تمام الادراك موقفي ، لكي أشعر بضرورة تبديله . فقد قطعتُ عهداً بأن أضحى بنفسني في سبيل الله الى ان اتمكن من ان اقدم اليه عواطفني التي كنت أكنها نحوك ، نظراً لأن الحالة الدينية التي انت فيها الآن تجعلها اكثر اجراماً ايضاً . وأشعر بأن ذلك سيؤلني ولن اخفي عليك انني بكيت امس الأول كل مرة فكرت بها فيك . ولكنني آمل ان يمنحني الله نعمة تزويدي بالقوة الضرورية لكي انساك ، كما اتضرع اليه بذلك صباح مساء . وانا انتظر ايضاً من صداقتك وشرفك ألا تحاول ثنبي عن القرار الصالح الذي أوحى اليّ به . والذي أحاول أن اتمسك به . وبالنتيجة اطلب اليك ان تتطلف بعدم الكتابة اليّ ما دمتُ ابلفك سلفاً بأنني لن اجيب ابدأ ، وانك تضطرنني الى اطلاق والدتي على كل ما يجري ، مما يحرمني تماماً من متعة رؤيتك .

انني سوف أحتفظ لك بالتعلق الذي يمكن ان اشعر به دون ان يكون هناك من اثم في ذلك .

انني اتمنى لك من كل قلبي جميع انواع السعادة . واحس جيداً انك لن تعود فتحبني كالسابق . وعساك تحب فتاة اخرى افضل مني . ولكنني سأعرض لعقوبة اكبر من الغلطة التي ارتكبتها بمنحك قلبي الذي يجب ألا امنحه الا الله ولزوجي حين يكون لي زوج . وارجو ان تكون لدى الرحمة الالهية شفقة على ضعفي ، وألا تتبعني من العذاب إلا ما استطيع تحمله .

الوداع يا سيدي . اؤكد لك بأنه لو سمح لي ان احب احداً لما كان سواك . ولكن هذا هو كل ما استطيع ان اقله لك ، ولعله اكثر مما يجب .

## من الرئيسة دي توفيل الى الفيكونت دي فالون

في اول ايلول ?? ١٧

أهكذا يا سيدي تتقيد بالشروط التي وضعتها لكي أتلقي في بعض الاحيان رسائلك ؟ وهل يمكن لي « الا ان أتدمر منها » حين لا تحدثني إلا عن عاطفة اخاف ايضاً من الانسياق فيها دون ان اخلّ بجميع واجباتي ؟  
 الخلاصة لو كنت بحاجة الى اسباب جديدة لكي احتفظ بهذا الخوف المريح ، لبدا لي انني استطيع ان اجدها في رسالتك الاخيرة .  
 وبالفعل ففي الوقت الذي تعتقد انك تقوم باطراء الحب ، ماذا تفعل على العكس سوى انك تظهر لي عواصفه المخيفة ؟ من الذي يستطيع ان يرغب في سعادة مشتراة بثمرن عقله ، ولا تكون لذائذها التي لا تدوم طويلاً إلا مشفوعة بالتأسف إن لم يكن بتبكييت الضمير ؟ ..

انت نفسك الذي يجب أن تكون العادة عندك على ممارسة هذا الجنون الخطير قد خففت من تأثيره ، ألسنت مضطراً مع ذلك الى الاعتراف بأنه يصبح غالباً أقوى منك ؟ ثم ألسنت اول من يتدمر من نفسه بسبب الاضطراب التلقائي الذي يسببه ؟ فأني اجتاح مخيف لا يحدثه اذن فوق قلب جديد حساس سوف يضيفه الى سلطانه عن طريق عظمة التضحيات التي سيضطر الى بذلها ؟

أنت تعتقد يا سيدي ، أو يبدو لك انك تعتقد ، أن الحب يقود الى السعادة ، وانا مقتنعة جداً بأنه يجعلني تميصة الى درجة أود معها ألا أسمع ابداً بلفظ اسمه .  
 ويبدو لي ان الحديث عنه فقط يعكر الهدوء ، وانني من قبيل الذوق والواجب أرجوك ان تعتصم بالصمت حول هذا الموضوع .

وبعد كل شيء ، فان هذا الطلب هو جد سهل لكي تلبيه لي في الوقت الحاضر . اذ يعودتك الى باريس ، ستجد فيها مناسبات كافية تنسيك عاطفة لم تنشأ إلا لتعودك على الاهتمام بمثل هذه المسائل ، ولم تشتد إلا بسبب تفرزك من الريف . فهل أنت

الآن في مكان مماثل للمكان الذي رأيتني فيه ؟ هل تستطيع ان تخطو الآن خطوة واحدة دون ان تقابلك امثلة تحملك على سهولة التبديل ؟ ثم ألسنت محاطاً بنساء جميعهن اكثر لطفاً مني ولهن حق اكثر مني بعواطفك ؟ فأنا لا أملك العجرفة التي تؤخذ على بنات جنسي ، وليس لدي ايضاً هذا التواضع الزائف الذي ليس سوى مظهر ناعم من مظاهر التكبر . ولذلك اقول لك بكل نية طيبة انني لا اعرف إلا وسائل قليلة تثير الاعجاب : حتى ولو كانت لدي جميع الوسائل فلن اعتقد انها كافية لجعلك تثبت . ولذلك فهل الطلب اليك ألا تهتم بي معناه عندك الرجاء ان تفعل اليوم ما كنت تفعله من قبل ؟ من المؤكد انك ستفعله ايضاً خلال وقت قصير . ومع ذلك فانني اطلب اليك العكس .

ان هذه الحقيقة التي لا تغيب عن نظري ، ستكون وحدها سبباً قوياً لكي لا ارجب في الاصغاء اليك . فلدي مئات المشاغل الأخرى ، ولكنني أصر - دون ان ادخل معك في نقاش طويل - على رجائك ، كما فعلت من قبل ، بالألا تحدثني عن عاطفة ينبغي عليّ الا اصغي اليها ، ولا اريد ان اجيب عليها .

## ٥١

### من المراكيزة دي ميرتاي الى الفيكونت دي فالمون

في ٢ ايلول ١٧??

في الحقيقة ايها الفيكونت انك غير محتمل . وانت تعاملني بخفة كبيرة كما لو كنت خليلتك . هل تعلم انني سأتكدر؟ وانني اشعر في هذه اللحظة باستياء هائل ؟ كيف ! يجب عليك ان تقابل دانسني غداً صباحاً ؟ انت تعلم كم هو هام جداً ان اتحدث اليك قبل هذه المقابلة . لا بل تتركني - ودون أن تقلق كثيراً - انتظرك طول النهار ، بينما تذهب أنت فتركض لست ادري في أي مكان ؟ انك أنت السبب الذي جعلتني اذهب متأخرة « دون تهذيب » لأرى السيدة دي فولانج حيث وجدتني جميع النساء العجائز فظيعة .

وكان لا بد لي من ان اقدم اليهن الملاحظات طوال السهرة لكي اخفف من حداثتي . لأنه يجب عدم اغضاب العجائز ، فهن اللواتي يخلقن سمعة الصغيرات . الساعة الآن هي الواحدة صباحاً ، وبدلاً من أن انام ، كما احس برغبة شديدة في ذلك ، يجب ان اروي لك قصة طويلة ستعمل على مضاعفة نعاسي بالضجر الذي ستسببه لي . انت سعيد جداً لأنني لم اؤنبك بصورة كافية ، ولكن لا تظن انني سأسأحك . بل ليس عندي وقت لذلك فأسمع أذن وبسرعة .

انك ستصبح غداً - مع قليل من البراعة - موضع أسرار دانسني . والوقت الآن مؤاتٍ للثقة ! فالصغيرة سيسيل ذهبت الى الاعتراف عند احد رجال الدين . وقد روت كل شيء كطفلة . ومنذ ذلك الحين أصبحت مهمومة منشغلة البال بسبب الخوف من الشيطان الى درجة انها تريد ان تقطع كل صلة لها مع دانسني . وقد حدثتني عن جميع وساوسها الصغيرة بحماستها المعروفة ، وعرفت منها كم ان رأسها اصبح مشحوناً . ثم اطلعتني على رسالة الانفصال التي هي عبارة عن ورقة نعوة . وقد ثرثرت معي مدة ساعة دون ان تقول كلمة ذات معنى هام . ولكنها اثارت حيرتي كثيراً لانني لا استطيع ان اكشف نفسي ازاء مثل هذه الفتاة ذات التفكير الاهوج .

وقد لاحظت من خلال هذه الثرثرة انها ما زالت تحب دانسني ووجدت لديها احدى المصادر التي لا تحفي ابداً الحب . فهي بعد أن ساورها القلق من جراء الرغبة في الاهتمام بحبيبها ، ومن جراء الخوف من الإثم إذا اهتمت به ... تصورت ان عليها ان تصلي كي تنسيها الصلاة اياه . وبما انها تكرر صلاتها في كل لحظة من لحظات النهار ، فهي تجد بذلك الوسيلة للتفكير به دون توقف .

ولو ان هذا الحادث وقع مع شخص مجرب غير دانسني لكان رأى فيه عاملاً مشجعاً لا العكس ، ولكنه هو شديد الغباء الى درجة اننا اذا لم نساعده ، لن يبقى لنا شيء لكي ننفذ مشروعنا .

انت على حق ، هذا مؤسف ، وانا أيضاً متكدرة مثلك . ولكن ما حصل

قد حصل . وهذه هي غلطتك . وقد طلبتُ ان اطلع على جوابه ، فاذا به يدعو الى الشفقة ، فهو يحاول اقناعها دون انقطاع بجمع الوسائل لكي يبرهن لها على ان « اية عاطفة تلقائية ليست جريمة » : ولكن بما انها لا تكف عن أن تكون تلقائية ، فعلى الأقل يجب الكف عن مقاومتها . وهذه الفكرة هي بسيطة جداً بحيث انها خطرت للصغيرة نفسها . وهو يشكومن تعاسته بطريقة مؤثرة جداً . ولكن عذابه ناعم جداً ويبدو قوياً وصادقاً جداً بحيث يخيل الي ان من المستحيل على المرأة التي تجد فرصة لترك رجل اللباس الى هذه الدرجة وبشيء قليل من الخطورة ان تتخلى عن هذه اللعبة . وهو يوضح لها اخيراً انه ليس كما كانت تظنه الصغيرة ، ولكن ذلك لا يناقض ما يفعله .

ومها يكن فبدلاً من اضاءة وقتي في التحليل المنطقي الذي قد يورطني ، وربما دون ان اتوصل الى الاقناع ، وافقت على مشروع الانفصال ولكنني قلت لها انه من الافضل في مثل هذه الحالة ابداء الاسباب بدلاً من كتابتها . وانه قد جرت العادة ان تعيد الرسائل وغيرها التي تلقتها ، وبأظهارني انني سايرت الصغيرة في آرائها جعلتها تقرر تحديد موعد لدانسني . وبادرننا حالاً الى وضع المشروع وتعمدتُ يجعل الأم تخرج دون ابنتها ، وسيكون موعد هذه اللحظة الحاسمة غداً بعد الظهر . وقد اطلع دانسنني على الأمر . ولكنني ارجوك ، اذا شئت ، ان تقنع هذا الراعي الجميل بأن يكون اقل ارتخاء وفتوراً . وعلمته - لأن من الضروري ان تشرح له كل شيء - ان الطريقة الصحيحة للقضاء على الوسوس والقلق ، هي عدم ترك أي شيء يضاع لدى اوائك الموسوسين .

الخلاصة ، لكي لا ادع هذه الحادثة السخيفة تتجدد ، عملتُ على اثاره بعض الشكوك في ذهن الصغيرة حول تكتم رجال المعرفين . واؤكد لك انها الآن تعاني اشد الوجع من ان يقوم معرفها فيطلع أهما على كل شيء . وآمل بعد ان اكون قد تحدثت معها مرة او مرتين ايضاً ، ألا تعتمد الى رواية حماقاتها الى أي معرف آخر .

الوداع ايها الفيكونت ، سيطر على دانسنني ، ووجهه . وسيكون من المحجل



الانكون بعد قد فرغنا مما نريد من هذين الغلامين . واذا كانت هذه المغامرة تعذبنا اكثر مما كنا نعتقد ، فلنفكر ، لكي نجد نشاطنا، انت بان الامر يتعلق بابنة السيدة فولانج ، وانا بانها ستكون زوجة جير كور . الوداع .

٥٢

## من الفيكونت دي فالمون الى الونيسه تورفيل

في ٣ ايلول ?? ١٧

تحظرين علي يا سيدتي ان اتحدث اليك عن حيي . ولكن اين اجد الشجاعة الكافية على اطاعتك ؟ انني منشغل البال فقط بعاطفة يجب ان تكون لطيفة مبهجة ، بينما انت تجعلينها قاسية . كما انني اعيش بفتور وارتخاء في المنفى الذي حكمت به عليّ ، ولا احيا إلا في حرمان وتحسّر وانا فريسة منغصات لا تنفك تزداد ايلاماً يوماً عن يوم ، لتذكرني دون توقف بلامبالاتك ، فهل يجب أن أفقد ايضاً العزاء الوحيد الباقي لديّ ؟ وهل يمكن ان يكون ثمة عزاء آخر سوى ان افتح لك احباناً روحي التي تملأينها بالهم والمرارة ؟ هل تشيحين بأنظارك عني لكي لا تري الدموع التي تشيرينها ؟ وهل ترفضين حتى قبول تقدير التضحيات التي تطلبينها ؟ أفلا يكون أذن جديراً بك وبروحك الشريفة الناعمة ان تعطفي على بائس كنت انت السبب في بؤسه ، بدلاً من ان ترغي ايضاً في زيادة آلامه خطورة ؟

تبدين انك تخشين الحب ، ولا تريدين ان تري انك انت وحدك تسببين الآلام التي تلومينه عليها .

آه ! لا شك بأن هذا الشعور مرهق جداً حين لا يكون الشخص الذي يوحيه يشاطره ابداً . ولكن اين نجد السعادة اذا لم يوفرها لنا حب مشترك ؟ فالصداقة الحنون ، والثقة الناعمة التي تكون وحدها دون تحفظ ، والآلام الخفيفة ، والمباهج المتوفرة بكثرة ، والأمل المفرح ، والذكريات اللذيذة أين

نلقاها كلها خارج نطاق الحب؟ أنت تفترين على هذا الحب ، لأن عليك ان ترضي به لكي تتمتعني بجميع المزايا التي يوفرها لك ، وبذلك أنسى آلامي التي اعانيها فلا أهتم إلا بالدفاع عنه .

انتِ تحمليني بهذه الصورة على الدفاع عن نفسي ، لأنني فيما اكرس حياتي لكي اعبدك تمضين حياتك في البحث عن مساوئي واخطائي . وها أنت تفترضين انني خفيف مخائل مستغل ، بالاضافة الى بعض المساوىء التي اعترفت لك بها بنفسي . وأنه ليسرك ان تخلطي دائما بين ما كنت عليه في الماضي وما أنا عليه الآن . كأنه لم يكفك ان تركتني فريسة العذاب والعيش بعيداً عنك ، بل تريدن ان تضيفي الى ذلك تهكماً لاذعاً حول مسرات تعلمين جيداً كم جعلتني انتِ عديم الحساسية إزاءها .

انتِ لا تصدقين وعودي ولا عهودي . اذن لم يبق لي إلا ضمانته واحدة اقدمها اليك ولا يمكن ان ترتابي بها ، الا وهي أنتِ نفسك ، وانني اطلب اليك ان تسألني نفسك ، بصدق نية ، اذا كنتِ لا تؤمنين بجبي . وإذا كنتِ قد شككتِ لحظة ما في انك المسيطرة الوحيدة على روحي ، واذا لم تكوني متأكدة بأنك عملت بالفعل على استقرار هذا القلب الذي اعتاد ان يكون هائماً طياراً ؛ فإنني أوافق على تحمل هذا الوزر وحدي ، وسأجأر منه بالشكوى ، ولن اعترض مطلقاً : اما اذا كان الأمر على العكس ، وبذلك تكونين قد وفيت العدالة حقها تجاهنا نحن الاثنين ؛ فأنت مضطرة اذن الى الاعتراف ، بينك وبين نفسك ، أنه لم توجد ولن توجد لك اية مزاحمة ، فلا تجبريني ، أرجوك ، على مقاومة الاوهام . ودعي لي على الأقل هذا العزاء الوحيد بالأرأك ترتابين في عاطفة لا تنتهي ولن تنتهي ابداً إلا بانتهاء حياتي . واسمحي لي يا سيدتي ان ارجوك الاجابة بصورة ايجابية على هذه النقطة من رسالتي .

واذا كنتِ قد اقلعتُ مع ذلك عن تلك الفترة من حياتي التي تبدو بأنها تسبب لي أذى قاسياً عندك ، فليس ذلك لأن الحجاج تعوزني لكي ادافع عنها عند الحاجة ، بل على العكس .

فماذا فعلتُ ، بعد كل شيء ، سوى انني لم اقاوم بصورة كافية الدوامة التي دُفعتُ اليها ؟ اذ انني خِضتُ معترك الحياة صغيراً دون خبرة . فتناقلني ايدي النساء - اذا صح هذا التعبير - من امرأة الى امرأة ، كن جميعهن يسارعن بسهولة الفائقة الى اثاره حساسية قوية كن يشعرن بأنها غير متحمسة لهن ، فهل كان عليّ ان اضرب المثل وحدي على ابداء مقاومة لم يقف بوجهها احد ؟ أم كان عليّ ان اعاقب نفسي من جراء لحظة أثم دُفعتُ الى ارتكابها غالباً عن طريق مباشرة غير مجدية ، وكان الناس اعتبروني مغفلاً ابله ؟

بيد اني استطيع القول ان نشوة الحواس هذه ، وربما هذا الجنون في الفخر والمباهاة ، لم يتوصلا الى قلبي بعد . وهو قلبُ خلق من اجل الحب ، وما كان العيب واللغو الا موضع تسلية له ، ولم يكونا كافرين مطلقاً لإثارة اهتمامه . وقد أحيط بنساء جذابات مغريات ولكنهن محقرات ، ما كانت اية واحدة منهن لتتغلغل الى اعماق روحي . وكن يقدمن إليّ اللذائذ والمتع ، ولكنني كنت ابحت عن الفضائل ، وقد خيل اليّ بأنني غير مستقر ، لأنني كنت رقيقاً جداً شديد الحساسية .

وحين شاهدتك أضيئت نفسي ... وما لبثت ان عرفت توأ ان فتنة الحب تعود الى فضائل الروح وخصالها الحميدة ، وانها وحدها تستطيع ان تسبب الافراط والتطرف ، ثم تبررها . وشعرت اخيراً بأنه من المستحيل عليّ ايضاً ألا احبك ، أو أحب احداً غيرك .

هذا هو ، يا سيدي ، القلب الذي تخشين من الاستسلام اليه ، وهذا هو المصير الذي تستطيعين ان تحكي عليه . ولكن مهما كان الحكم الذي تتخذينه ، فلن يبدل شيئاً من العواطف التي تشده نحوك ، وهي عواطف ثابتة غير متزعزعة كالفضائل التي تنبثق عنك .

## من الفيكونت دي فالمون الى المركيزة دي ميرتاي

٣ ايلول ?? ١٧ مساءً .

قابلت دانسني ، ولكنني لم احصل إلا على نصف مسارة ، وقد أصر بصورة خاصة على ان يكتفم عني إسم الصغيرة فولانج التي لم يتحدث عنها إلا كما يتحدث عن فتاة عاقلة جداً ، لا بل وحتى عن تقيّة ورعة ، ولكن اين يمكن العثور على السعادة اذا لم يوفرها حب متبادل ؟ وقد روى لي تقريباً بكثير من التحفظ مفاخرته ، ولا سيما الحوادث الأخير . وقد استطعت أن أثير ضرامه على قدر الامكان ، ثم سخرت منه جداً بسبب رفته ، وبصورة خاصة وساوسه . ولكنه يبدو متمسكاً بها ، ثم لا أستطيع اذن ان اكون مسؤولاً عنه . الخلاصة استطيع ان اخبرك المزيد من أمره غداً لأنني سأصطحبه معي إلى فرساي ، وسأهتم في انتزاع اسراره خلال الطريق .

أمل ان يكون قد تم كل شيء حسب ما نشتهي في الموعد الذي كان مضروباً اليوم ، وربما سوف لا يبقى لنا إلا ان نهتم الآن بانتزاع الإعراف وجمع الاثباتات ، لأن الفتاة الصغيرة هي أشدّ وثوقاً ، أو اكثر ثرثرة من عشيقها المتكتم ، ومع ذلك سأبذل جهدي .

الوداع يا صديقتي الحسنة ، انني مسرع جداً . لن اراك هذا المساء ولا غداً . واذا كان لديك من جديد ، فاكتبي اليّ كلمة عند عودتي ، لأنني اكيداً سأعود لأنام في باريس .

## من المركيزة دي ميرتاي الى الفيكونت دي فالمون

في ٤ ايلول ?? ١٧

أجل هناك من جديد يجب ان تعرفه عن دانسني ، واذا كان قد رواه لك ، فيكون قد أفتخر بنفسه . إنني لا أعرف شخصاً أكثر منه غباوة في الحب .

وانني لألوم نفسي اكثر فأكثر على المكارم التي أتحناها له . هل تدري انني ظننت نفسي متورطة بسببه ؟ وأن المشروع كان قد آل الى الفشل الذريع ؟ آه سأنتقم من تصرفه ، وأقسم على ما اقول .

حين ذهبت بالأمس لأخرج مع السيدة دي فولانج ، وجدت انها لم تكن ترغب في الخروج ، وكانت تشعر بأنها متوعكة . وكان علي ان أستخدم كل بلاغتي لكي احملها على الخروج ، وقد خشيت أن تحين ساعة حضور دانسني قبل خروجنا ، وعندئذ كانت مساعينا كلها قد أحبطت ، لاسيا وان السيدة فولانج كانت قد اخبرته قبل ليلة انها لن تكون في البيت . وكنا - الصغيرة وانا - تتقل على لظى الجمر ، واخيراً خرجنا . وضغطت الصغيرة على يدي بعطف وحنان وهي تودعني . وكنت اتوقع على الرغم من مشروعها بقطع العلاقة مع دانسني حدوث عجائب في تلك المقابلة .

ولكنني لم افرغ من مخاوفي وقلقي ، إذ لم تمض نصف ساعة علينا ونحن في زيارة السيد دي... حتى اصيبت السيدة دي فولانج بعارض صحي مؤلم، ولكن ألمها كان هذه المرة شديداً. وبما انها طلبت أن تعود الى منزلها كما يفرضه المنطق ، وكنت انا لا أريد ذلك لخوفي من ان نفاجيء الشاب والفتاة في خلوتها ، وبما أن إلحاحي على الأم بعدم العودة إلى المنزل كان سيثير في نفسها الشكوك والريب . فقد قررت ان ازيد من قلقها على صحتها ... ولحسن الحظ لم يكن ذلك مستصعباً . وكان ان ابقيتها ساعة ونصف ساعة لدى الصديقة دون ان أوافق على عودتها إلى منزلها خشية ان تؤثر اهتزازات العربة على جسمها فتزيد من آلامها . واخيراً قدناها الى منزلها في الساعة المتفق عليها بيني وبين الصغيرة التي ظهرت لدى وصولنا بمظهر منجمل أعترف معه انني كنت آمل أن تكون جهودي على الأقل لم تذهب أدراج الرياح .

وقد جعلتني الرغبة التي كانت تعتمل في نفسي لكي اطلع على ما حدث امكث بالقرب من السيدة دي فولانج التي رقدت فور وصولها بعد ان تناولت العشاء وهي في السرير مع ابنتها . ثم تركناها في ساعة مبكرة ، بحجة انها بحاجة ماسة إلى

الراحة ، وانتقلنا الى شقة الصغيرة . وقد علمت انها نفذت من جانبها كل ما كنت أنتظره منها : وساوس ، وعهود جديدة بأن تحب دائماً الخ... الخ... وقد فعلت كل شيء بطيبة خاطر . ولكن الأحمق دانسني لم يتقدم خطوة واحدة من النقطة التي كان قد وصل اليها في السابق . أوه... تستطيع أن تتشاحن مع هذا الفتى ، وستجد أن اصلاح ذات البين معه ليس خطيراً .

وتؤكد الصغيرة مع ذلك أنه طلب المزيد ، ولكنها دافعت عن نفسها جيداً . وأنا اراهن إما أنها تفتخر بنفسها وإما أنها تبرر موقفه . وقد تأكدت من ذلك تقريباً . وبالفعل لقد اجتاحتني رغبة في معرفة اي دفاع يمكن لهذه الفتاة ان تكون قادرة عليه . وقد تسنى لي ، انا المرأة البسيطة - من حديث إلى حديث - أن اشحن رأسها الى درجة... واخيراً تستطيع ان تصدقني بأنه ليس هناك شخص يمكن ان يكون عنده استعداد لمفاجأة الحواس اكثر منها . انها بالحقيقة لطيفة جداً هذه الفتاة العزيزة ! وهي تستحق عشيقاً آخر . وسأكون لها صديقة عظيمة ؛ لأنني اخذت ائتمارها باخلاص . وقد وعدتها بأن أدرجها واكوتها . واعتقد انني سأفي بوعدي . إذ لطالما تبين لي غالباً كم انا بحاجة الى امرأة ابادل معها الاسرار ، وإنني افضل هذه على سواها . ولكنني لا أستطيع ان افعل شيئاً ما دامت غير... ما يجب ان تكون . وهذا سبب آخر للحقد على دانسني .

الوداع ايها الفيكونت ، لا تحضر غداً إلى زيارتي اللهم إلا في الصباح فقد رضخت لإلحاحات الفارس من اجل تضيئة ليلة معه في «البيت الصغير» .

٥٥

من سيدسيل فولانج الى صوفي كارني

في ٤ ايلول ١٧??

لقد كنت على صواب ، يا عزيزتي صوفي ، إن تنبؤاتك تنجح اكثر من نصائحك . وكما توقعت ، كان دانسني اقوى من المعرف ومنك ومني انا

نفسي ، وها اننا عدنا تماماً الى ما كنا عليه . آه انني لست نادمة . وانتِ لو  
لمتني ، فذلك لانك لا تعرفين اية متعة يخلقها في النفس حب دانسني . وانه لمن  
السهل عليك ان تقولي ماذا يجب ان نفعل ، ولا شيء يمنعك من ذلك . ولكنك  
لو شعرت كم ان حزن الشخص الذي نجبه يثير فينا العذاب ، وكيف ان فرحه  
يصبح فرحنا ؛ وكم من المستصعب قول كلا ، حين تكون كلمة نعم هي التي  
نعنيها ، لما كنت دهشت من شيء : وانا نفسي التي شعرت بكل هذه الامور لا  
استطيع ان افهم ذلك حتى الآن . هل تصدقين مثلاً انني لا استطيع ان ارى  
دانسني يبكي دون أن اجاربه في البكاء ؟ وحين يكون سعيداً اشعر ايضاً  
بالسعادة مثله . تستطيعين ان تقولي ما تشائين ولكن ذلك لن يبدل شيئاً من الواقع ،  
وانا متأكدة بأن الامور تسير على هذا النحو .

كم اتمنى ان اراك يا عزيزتي في مكاني . كلا ، ليس هذا تماماً ما أعني . لأنني  
اكيداً لا اريد أن اتخلي عن مكاني إلى أحد ، ولكنني اتمنى لو تكوني قد أحببت  
أحدهم وانني اتمنى ذلك لك لكي تفهميني جيداً ، ولا تقللي من تقريعتك لي  
فحسب ، بل لكي تكوني انت ايضاً اكثر سعادة ، أو بالأحرى لكي تبدأي في  
ان تكوني سعيدة .

ان تسلياتنا وضحكاتنا جميعها ليست سوى لعب اطفال . ولكن الحب ،  
آه من الحب ... كلمة واحدة ، نظرة واحدة ، يكفي ان تعرفي انه هنا ... يا  
لها من سعادة . وحين اشاهد دانسني لا أرغب في اي شيء آخر ابداً ،  
وحين لا أراه ، فانني لا ارغب الا فيه ! ولا أدري كيف يحدث ذلك ! حتى  
ليقال ان كل ما يعجبني يشبهه . وحين لا يكون معي افكر فيه دائماً . وحين  
استطيع ان افكر فيه دون اية تسلية ، وانا وحدي مثلاً ، اكون سعيدة  
ايضاً . وحسي ان اغمض عيني حتى اراه مائلاً امامي حالاً ، وحسي ان اتذكر  
كلماته حتى اسمعه . ان ذلك يجعلني اتأوه ، ثم اشعر قليلاً بشيء من الانفعال .  
ولا أستطيع ان استقر في مكان . كما لو كان الأمر فيه عذاب . وهذا العذاب  
يولد عذوبة لا يستطيع ان اصفها لك .

اعتقد ايضاً ، حين يكون الانسان عاشقاً ، بأن العشق يطغى على الصداقة . ومع ذلك فإن الصداقة التي اكنها لك لم تتبدل . وهي مازالت كما كنا في المدرسة . ولكن ما ا قوله لك ، بتُ أشعر به مع السيّدة دي ميرتاي . ويبدو لي ان حبي لها قد ازداد حتى بات في درجة متساوية مع حبي لدانسني وكما احبك انتِ ، وفي بعض الأحيان اتنى لو تكون هو . ولعل هذا عائد إلى ان صداقتها ليست صداقة طفولة كصداقتنا نحن ، أوروباً لأنني اراها غالباً معاً ، مما يجعلني لا أفرق بينها . وأخيراً أجد بالحقيقة أنني مدينة بالسعادة اليها معاً . وعلى كل حال ، فليس هناك من إثم كبير في كل ما افعله . وكذلك لا أطلب سوى ان اظل على ما انا عليه ، وايست هناك سوى فكرة الزواج التي تؤرقني ، لأنه لو كان السيد دي جيركور كما وُصف لي - وانا لا أشك بذلك - فانني لا ادري ماذا سيكون عليه حالي معه . الوداع يا عزيزتي صوفي . احبك دائماً بكل اخلاص .

٥٦

### من الرئيسة توفيل إلى الفيكونت دي فالون

في ٥ أيلول ١٧??

ماذا يفيدك يا سيدي الجواب الذي تطلبه مني ؟ تصديق عواطفك ؟ أن يكون ذلك سبباً لكي اخشاها ؟ وحتى لو لم أهاجم او ادافع عن صدقها ، الا يكفيني ، أو بالاحرى الا يجب ان يكفيك ان تعلم بأنني لا أريد لا بل ولا ينبغي أن اجيبك عليها ؟

لنفترض انك تحبني حقيقة ( وانني أرضى فقط بهذا الافتراض لكي لا تعود إلى بحث هذا الموضوع ) فهل ستكون العقبات التي تفصلنا أقل جساماً ؟ افلا يكون لديّ اذن سوى التمني بأن يتسنى لك قريباً التغلب على هذا الحب ، وبصورة خاصة مساعدتك على ذلك بنفسني ، عن طريق المبادرة إلى استزاع كل أمل ؟ انت نفسك توافق على أن « هذه العاطفة هي مرهقة حين يكون الشخص



الذي يوحى بها لا يشاطرها البتة ، بيد انك تعلم جيداً انه من المستحيل عليّ ان اشاطرك اياها . وحق لو أن هذه النكبة ستصيبني ، فسأكون في أمرٍ الشكوى منها ، مما لن يجعلك اكثر سعادة . وآمل ان تحترمني بصورة كافية لكي لا تشك بذلك لحظة . كفّ أذن ، ناشدتك الله ، كفّ عن الرغبة في تعكير صفو قلب أجد أن الهدوء ضروري جداً له . ولا تحملني على الندم لكوني تعرفت عليك . انني معززة محترمة من زوج أحبه واحترمه . ولذلك تنحصر واجباتي ومتعي في هدف واحد . انني سعيدة ويجب ان اكون سعيدة . واذا كانت توجد هناك لذائذ اكثر حرارة فلست ارغب فيها أبداً ، ولا اريد أن اعرفها . فهل ثمة أجمل من ان يكون الانسان في طمأنينة مع نفسه ؟ وألا تكون لديه سوى ايام صافية ؟ وان ينام دون همّ او قلق ، وان يستيقظ دون تأنيب ضمير ؟ وإن ما تسميه سعادة ليس الا ضجيج حواس ، او عاصفة من النوازع والاهواء التي يخيف منظرها ، وحق رؤيتها من بعيد . آه ... كيف يتسنى لي مواجهة هذه الامور ؟ وكيف أجسر على ركوب بحر يغمره حطام ألوف ألوف الغرقى ؟ ومع من ؟ كلا ياسيدي ، كلا . انني سأبقى على الارض . انني استمرىء الصلّات التي تربطني بالارض .

لماذا تتعلق بخطاي ؟ ولماذا تستمر باصرار على ملاحظتي ؟ ان رسائلك التي يجب ان تكون نادرة تتلاحق بسرعة هائلة . ومع أنها يجب ان تكون عاقلة ، أراك لا تحدثني فيها إلا عن حبك الجنوني الارعن . انك تحيطني بفكرتك أكثر مما تفعله بشخصك . لقد ابتعدت بشكل من الاشكال ولكنك تنبعت لي بشكل آخر . ان الاشياء التي اطلب منك ألا تقوها ، تكرر قولها ولكن بطريقة اخرى . لعله يسرك ان تثير ارتباكى بحجج جذابة . ولكنك تهرب من حججي . انني لا أودّ بعد الآن ان أرد عليك ولن ارد عليك . ثم انك كيف تعامل النساء اللواتي أغويتهن ! وبأي ازدراء تتحدث عنهن ؟ اود الاعتقاد بأن بعضهن جديرات بذلك . ولكن هل كلهن محترقات الى هذا الحد ؟ أجل بدون شك لأنهن خنّ واجباتهن لسكي ينطلقن وراء حب « مجرم » . ومنذ

هذه اللحظة فقدن كل شيء ، حتى احترام ذلك الذي ضحين من اجله بكل شيء . ان هذا التعذيب عادل ، ولكن الفكرة وحدها تدبُّ الرهبة في النفس . ولكن لماذا اشغل نفسي بهن وبك ؟ ماذا يهني على كل حال ؟ بأي حق تأتي لنفسك هنائي ؟ دعني يا سيدي ، دعني ولا تراني أبداً . لا تكتب الي مطلقاً ، ارجوك ، بل أصر عليك . وهذه الرسالة هي الاخيرة التي تتلقاها مني .

## ٥٧

### من النيكونت دي فالمون الى المركيزة دي ميرتاي

في ١٥ ايلول ?? ١٧

وجدتُ رسالتكِ أمس لدى وصولي ، وقد سرني جداً غضبك . من المهم لو ان دانسني ارتكب هذه الاخطاء تجاهك لما كنتِ حنقت عليه مثل هذا الحنق . ولا ريب بأن الانتقام هو الذي يلمي عليكِ تعويد « خليلته » على القيام ببعض الحينانات الصغيرة له . فأنتِ كائن فظيح . اجل انك فاتنة ، ولا يدهشني ان تكون الفتاة أقل مقاومة نحوكِ مما هي عليه نحو دانسني .

وأخيراً بتُ اعرف جيداً بطل الرواية الجميل هذا ! ولم يعد يخفي عني أي سر . لقد كررت كثيراً على مسامعه ان الحب الشريف هو ذروة الحب ، وان العاطفة افضل من المكيدة ، وانني انا نفسي اصبحت الآن واقعة في الحب وخجولاً . وقد وجد عندي بذلك طرازاً من التفكير متفقاً مع طرازه ، بحيث انه لقبطته من سذاجتي ، روى لي كل شيء ، واقسم لي على منحي صداقته دون تحفظ . ولكننا لم نتقدم خطوة واحدة بعد في مشروعنا .

لقد أظهر لي في البداية ان طريقته تقوم على أساس أن الأنسة تستحق المداراة والملاطفة اكثر من المرأة التي لا تحشى فقدان أي شيء . وهو يحد بصورة خاصة انه لا شيء هناك يبرر قيام رجل يجعل فتاة في حاجة ماسة الى الزواج منه أو العيش مفقودة الشرف ، حين تكون الفتاة أغنى منه ثروة ، كما هو الحال

معه الآن . فهناء الأم واملها وسذاجة الفتاة ، كل ذلك يرهبه ويوقفه عند حده .  
والخَيْر في الأمر ليس مقارعة حججه ومنطقه ، مها كانت صحيحة ، بل لا بدّ  
من البراعة والدهاء لتحطيم هذه الحجج ، لاسيما انها لا تخلو من سخافة . ولكن  
ما يحول دون ذلك هو أنه لا يشعر بتذمر من وضعه الحالي ، بل انه سعيد كما هو  
الآن . وبالفعل اذا كانت الغراميات الأولى تبدو بصورة عامة شريفة وبريئة  
كما يقال ، واذا كانت بطيئة في سيرها ، فليس لأن ذلك عائد الى الرقة والحياء ،  
بل لأن القلب ، وقد أفعمَ بعاطفة مجهولة ، يتوقف ، اذا صح هذا التعبير ، عند  
كل خطوة ، لكي يتذوق المتعة التي يشعر بها . وان هذه المتعة على جانب كبير  
من القوة بالنسبة لقلب جديد ، بحيث تشغله الى درجة تنسيه اية متعة أخرى .  
ان هذا صحيح بحيث ان الإباحي العاشق ، مها كان على درجة كبيرة من الفسق ،  
يصبح منذ هذه اللحظة ، اقل استعجالاً للمتعة ، واخيراً فان مسلك دانسي مع  
الصغيرة فولانج لا يختلف كثيراً عن مسلكي تجاه السيدة دي تورفيل .

وقد كان ينبغي لإلهاب حواس شابنا الفرير ، ان يصادف في طريقه عقبات  
أشد صعوبة ، وبصورة خاصة ان يكون بحاجة الى دافع خفي ، فالدافع الخفي  
يقود الى الجرأة ، ولذلك فلا أستبعد الاعتقاد بأنك قد آذيتنا من حيث لا تشعرين  
بتسهيل السبل امامه زيادة عن الحد اللازم ، ولربما كان مسلكك رائعاً بالنسبة  
لرجل ذي خبرة لا تعتمل في نفسه سوى الشهوات . ولكن كان بإمكانك ان  
تتوقمي بالنسبة لشاب فتى شريف وعاشق بأنّ جل ما يتمناه هو ان ينال  
برهاناً على الحب . وبالنتيجة كلما كان متأكداً بأنه سيكون محبوباً ، كلما كان  
أقل مغازلة ورغبة في مطارحة الغرام . فما العمل الآن ؟ لست ادري ، ولكنني  
لا اتوقع بأن تُغتصب الفتاة قبل الزواج . وبذلك تكون جهودنا قد ذهبت  
ادراج الرياح ، انني متكدر جداً ، ولكنني لا أجد اي علاج .

فيا اكتب اليك هذه الرسالة الآن ، اعتقد انك تفعلين شيئاً أفضل مع فارسك  
المتيّم . وهذا ما يجعلني افكر بأنك كنت قد وعدتني بأن تحوئيه معي ، وما زلت  
أملك وعدك خطياً . ولكنني لا أريد أن اجعل منه وعداً خيالياً . انا موافق

على ان موعد تنفيذه لم يحن بعد ، ولكن سيكون تلطفاً من جانبك لو تركتني لا انتظر طويلاً ، وانا من ناحيتي سأمنحك كل عنايتي . فما زأليك يا صديقتي الحسنة ؟ ألم تتعي بعد من ثباتك ؟ فهذا الفارس هو اذن رائس ؟ آه ، دعيني أقول . أود ان املك على الاعتراف بأنك اذا كنت قد وجدت فيه بعض المزايا فذلك يعني انك نسيتني .

الوداع يا صديقتي الحسنة ، اقبلك كما اشتبهك ، واني التحدى جميع قبلات الفارس اذا استطاعت ان تكون بمثل هذه الحرارة .

## ٥٨

### من الفيكونت دي فالون إلى الرئيسة دي تورفيل

في ٧ أيلول ?? ١٧

من اين استحققتُ ياسيدتي الملامات التي توجيهينها إليّ والغضب الذي تبدينه نحوي ؟ فالتعلق الشديد ولكنه مع ذلك الأشد احتراماً ، والخضوع الكامل لأقل رغباتك ، هما بكلمة واحدة كل قصة عواطفني ومسلكي نحوك . أما وقد هدت قواي آلام حب تعيس ، فلم تبق لي من سلوى سوى رؤيتك . وقد أمرتني بأن أحرم نفسي منها ، فامتثلتُ دون أن اسمح لنفسي بأي اعتراض . وكثمن لهذه التضحية سمحت لي بأن اكتب اليك ، واليوم تريدان ان تنزعي مني هذه المتعة الوحيدة . فهل أدع نفسي أسلب هذه المتعة دون ان احاول الدفاع عنها ؟ كلا بدون شك . اذ كيف لا تكون عزيزة على قلبي ؟ وهي الوحيدة التي بقيت لي وقد حصلت عليها منك .

تقولان ان رسائلي متكاثرة جداً . فكري إذن ، أرجوك ، بأن منفاي قد مضت عليه عشرة أيام ، واني لم أقض لحظة واحدة دون أن اهتم بك ، وانك خلال ذلك لم تتلق مني سوى رسالتين لم احدثك فيها إلا عن حيي ! ولكن ماذا استطيع ان اقول سوى ما أشعر به ؟ إن كل ما قمت به هو انني

خفت التعبير - وتستطيعين ان تصدقيني - لأنني لم ادعك ترين إلا ما كان من المستحيل علي اخفاؤه .

تهديني أخيراً بأنك لن تجيبي مطلقاً على رسائلي . وهكذا كأنه لم يكفك ان تعاملي بقساوة الرجل الذي يفضلك على الجميع ، ويحترمك أيضاً اكثر مما يجبك فإذا بك تريدن الآن ان تضيفي الاحتقار الى ذلك . ولماذا هذه التهديدات ؟ وهذه الحركة ؟ هل انت بحاجة اليها ؟ ألسنت متأكدة بأنك مطاعة ، حتى في اوامرك العاتية ؟ وهل من الممكن لي أن اعارض اية رغبة من رغباتك ؟ ألم ابرهن على ذلك من قبل ؟ ولكن هل انت تستغلين هذا السلطان الذي لك عليّ ؟ اذ بعد ان جعلتني تعيساً ، وبعد أن اصبحت جائرة ، هل سيكون من السهل عليك اذن ان تتمتعني بهذا الهناء الذي تؤكدين انه ضروري لك ؟ ألن تقولي لنفسك ابدأ : لقد تركني اكون سيدة مصيره فسببت تعاسته ، لقد منحني ثقته فخنت هذه الصداقة ، وقد استغاث بمساعدتي ، فنظرت اليه دون شفقة ؟ هل تدرين إلى اي حد يمكن أن يمضي ياسي وقنوتي ؟ كلا .

لكي أحسب آلامي ، ينبغي ان تعرفي إلى اية درجة احبك ، انت لا تعرفين قلبي . مقابل اي شيء تضحين بي ؟ مقابل مخاوف وهمية . ومن الذي يوحى اليك بها ؟ إنه رجل يعبدك ... انه رجل لن تكفي عن ان يكون لك سلطان مطلق عليه . ماذا تخشين اذن ؟ لا بل ماذا يمكن ان تخشين من عاطفة ستكونين انت دوماً سيدتها ، توجهينها كما تشائين ؟ ولكن خيالك يستنبط اشباحاً وهمية خيفة . وان الرعب الذي تسببه لك هذه الاشباح تعزينها الى الحب . قليل من الثقة واذا بأشباحك تختفي .

قال احد الحكماء لكي يبدد مخاوفه « يكفي دوماً أن نتعمق في البحث عن اسبابها »<sup>(١)</sup> . إن هذه الحقيقة هي اكثر انطباقاً على الحب بصورة خاصة . احيي ،

(١) يعتقد بأن هذا القول مأخوذ من روسو في كتابه « اميل » ولكن الاستشهاد به ليس صحيحاً ، وان التمثيل به كما يفعل فالون خطأ . ثم هل تكون السيدة تورفيل قد قرأت « اميل » ؟  
المؤلف

وإذا بمخاوفك تزول . وستجدين مكان الأشياء التي تخيفك ، عاطفة لذيذة ، وعاشقاً حنوناً خاضعاً . ولن تدع لك جميع ايامك المفعمة بالسعادة اي ندم آخر سوى انك اضعت بعضها في اللامبالاة . وانا نفسي ، ما ان اقلعت عن اخطائي ، حتى أخذتُ لا اعيش إلا من اجل الحب ، وانا أندم على وقت اعتقدت انني قضيته في اللذائذ ، فاذا بي اشعر انه كان من حقلك وحدك ان تجعليني سعيداً . ولكنني أناشدك ألا تعكري المتعة التي اجدتها في الكتابة اليك بسبب الخوف من الا أعجبك . انني لا أريد أن اعصي لك مشيئة . ولكنني اجثو عند اقدمك ، واطالب بالسعادة التي تريدان ان تسلبها مني ، وهي الوحيدة التي تركتها لي . استصرخك قائلاً : إصغي الى توسلاتي وانظري الى دموعي . آه يا سيدتي ، هل ستصدينني ؟

٥٩

### من الفيكوت دي فالون الى المراكزة دي ميرتاي

في ٨ ايلول ?? ١٧

اعلميني ، اذا كنتِ تدرين ، ماذا يعني هديان دانسني هذا ؟ ماذا حدث اذن ؟ وماذا اضاع ؟ لعل حسناؤه غضبت عليه من إحترامه الابدي . يجب ان يكون هناك إنصاف ، وان يكون هناك غضب اقل . ماذا سأقول له هذا المساء في الموعد الذي طلبه مني ، والذي حددته له كيفما اتفق ؟ من المؤكد انني لن اضيع وقتي في الاصفاء الى لواعجه واشجانته ، اذا كان ذلك سوف لا ينفعنا شيئاً . لان استماع اللواعج الغرامية ليست محتملة إلا في الاغاني المصحوبة مع انغام الموسيقى او في الالحان الخفيفة الوزن . ابلغيني اذن ماذا حدث ؟ وماذا يجب ان اعمل ؟ وإلا فاني سأخل بالموعد واهرب لتجنب الضجر الذي اتوقعه . هل تستطيع ان اتحدث اليك هذا الصباح ؟ اذا كنتِ « مشغولة » اكتبي إليّ على الأقل كلمة واحدة واطلعيني على دوري في المسرحية .

اين كنتِ اذن أمس ؟ انني لا أتوصل الى رؤيتك . في الحقيقة لم يكن من الضروري ان احضر الى باريس في شهر ايلول . احزمني امرك إذن ، لأنني تلقيت الآن دعوة ملحة من الكونتيسة دي ب ... لكي اذهب فأراها في الريف ، حيث تعلمني «ان زوجها يملك اجمل حديقة في العالم يحتفظ بها بعناية لمنع اصدقائه » . وسأذهب لأراها اذا لم تكوني بحاجة إلي . الوداع ، لا تنسي ان دانسني سيكون عندي حوالي الساعة الرابعة .

٦٠

## من الفارس دانسني الى الفيكونت دي فالمون

(مرفقة مع الرسالة السابقة)

في ٨ أيلول

انني في حالة شديدة من اليأس يا سيدي ، لقد فقدت كل شيء . ولا أجرؤ على الافضاء بسر آلامي على الورق . ولكنني بحاجة إلى ان أشرها في صدر صديق موثوق حساس .

في أية ساعة استطيع اذن ان اراك ، لأبحث لديك عن عزاء ونصائح ؟ لقد اصبح الوضع في الوقت الحاضر مختلفاً ! لقد تبدل كل شيء بالنسبة لي . إن ما أعانيه الآن من عذاب ليس إلا قسطاً صغيراً من شجوني وقلقي على انسان عزيز . وهذا ما لا أستطيع تحمله . أنت اسعد مني حظاً ، إذ تستطيع ان تراها ، وانا انتظر من صداقتك الا ترفض لي هذا المسمى .

ولكن يجب ان أحدثك ، ان اطلعك على الأمر . انك سترني لحالي كما ستغيبني ، وليس لي امل الا فيك . انت واسع الصدر وتعرف ما هو الحب ، انت الوحيد الذي استطيع ان اركن اليه . فهل ترفض منحي مساعدتك .

الوداع يا سيدي ، ان العزاء الوحيد الذي اشعر به في عذابي هو التفكير بأنه ما زال لي صديق مثلك . ارجوك ان تعلمني في أية ساعة استطيع ان القاك . واذا لم يكن هذا الصباح فليكن في ساعة مبكرة بعيد الظهر .

## من سيسيل فولانج إلى صوفي كارني

في ١٧ ايلول ?? ١٧

أرثي لي يا عزيزتي صوفي لإنّ سيسيلتك المسكينّة أصبحت في حالة تعيسة جداً ! ذلك انّ والدتي باتت تعرف كل شيء الآن . ولا افهم كيف تسنى لها ان تشك بشيء ما ، ومع ذلك فقد اكتشفت كل شيء . ففي مساء امس تعشت السيدة دي ميرتاي هنا مع بعض الاشخاص الآخرين ، وقد بدت والدتي مشغولة البال . ولكنني لم اعلق اهمية كبيرة على ذلك ، وحتى بانتظار انتهاء حفلتها كنت اتحدث مجبور مع السيدة دي ميرتاي ، وقد تحدثنا طويلا عن دانسني . ولا اظن مع ذلك ان احداً استطاع ان يسمعنا . وحين انصرفت ، ذهبت الى شقتي .

كنت ما زال أخلع ملابسي ، حين دخلت والدتي عليّ ، وأخرجت الخادمة ، ثم طلبت مني مفتاح خزانة مكنتي ، وقد سببت لي اللهجة التي خاطبتني بها انفعالاً قوياً لم أستطع معه أن اتمالك نفسي . وبدوت كأنني لم اعثر عليه : ولكن كان لا بدّ في النهاية من أن اطيع . وكان أول درج فتحتّه هو ذلك الذي اخبىء فيه رسائل الفارس دانسني . وكنت مضطربة جداً بحيث انها حين سألتني ما هذا ؟ لم استطع أن اجيبها سوى انه لا شيء . ولكنني حين رأيت انها اخذت تقرأ اول رسالة وقعت يدها عليها ، أصبت بدوار شديد ، فوقعت فوق أول « كنبّة » ثم أغمي علي . وما ان استعدت رشدي حتى انصرفت امي بعد ان استدعت الخادمة ، وطلبت اليّ ان أنام : ثم حملت معها جميع رسائل دانسني . انني ارتعب الان خوفاً كلما افكر بأن عليّ ان اظهر من جديد امامها ، ولم انقطع عن البكاء طول الليل .

انني اكتب اليك عند طلوع النهار ، على امل ان تأتي جوزفين . واذا استطعت ان اتحدث معها وحدي ، فسأطلب اليها ان تنقل للسيدة دي ميرتاي رسالة



صغيرة ساكتبها اليها الان ، والا سأضعها ضمن رسالتي ، وارجو ان تبعثي بها اليها كما لو كانت من قبلي . وانني لا استطيع ان اتلقى اي عزاء الا منها . وأستطيع على الاقل ان اتحدث معها عنه ، لأنني لم اعد آمل في رؤيته . انني تعيسة جداً ! وقد تتكرم هي بأن تنقل مني رسالة الى دانسني . اذ لا اجرؤ على الوثوق بجوزفين في هذه المهمة ، ولا بخادمتي التي قد تكون هي اخبرت امي عن وجود رسائل في خزانتي !

لن اكتب اليك مطولاً ، لأنني اريد ان اكتب الى السيدة دي ميرتاي ، وكذلك الى دانسني ، لكي تكون رسالتي جاهزة اذا وافقت على تسليمها ، وبعد ذلك سأنام حتى اذا ما دخل احدهم لرؤيتي فسيجدني في السرير ، وسأقول انني مريضة لكي اعفي نفسي من الذهاب لمقابلة والدتي . ولن اكذب كثيراً اذا قلت ذلك ، لأنني اتعذب الآن اشد مما لو كنت مصابة بالحمى . وإن عيني الآن تحرقانني لفرط ما بكيت ، واشعر بثقل فوق معدتي يمنعني من التنفس . حين افكر انني سوف لا ارى دانسني اتنى ان اكون ميتة . الوداع يا عزيزتي صوفي ، لا استطيع ان اقول لك اكثر من ذلك . فالدموع تجعلني في غصة . \*

## ٦٢

### من السيدة دي فولانج الى الفارس دانسني

في ٧ ايلول ١٧??

بعد أن أسأت يا سيدي الأمانة التي وضعتها فيك أم ، واستغللت براءة ابنة ، سوف لا يدهشك ولا شك انك لن تستقبل ابداً في منزل لم تستطع ان تتقيد مع اهله بشروط الصداقة الخالصة ، بل تناسيت جميع المبادئ .

\* لقد حذفنا رسالة سيبييل الى السيدة دي ميرتاي وهي لا تتضمن سوى الوقائع السابقة مع تفاصيل أقل ، اما رسالتها الى دانسني فلم نعر عليها وسنعرّف السبب في الرسالة رقم ٦٣ .

افضل ان أرجوك عدم المجيء الى منزلنا، بدلاً من إصدار أوامر بذلك الى خدمي  
 يمكن ان تورطنا جميعاً ، عن طريق الملاحظات التي قد يبدوها . ولي الحق بأن  
 أرجوك ألاّ تضطرنني الى اللجوء الى هذه الوسيلة ، وأنذرك ايضاً بأنك إذا  
 قمت في المستقبل بأقل محاولة للتغريب بابنتي ، فسأعد الى عزلها عزلة قاسية  
 أبدية لكي انتزعها من ملاحقاتك . وان عليك وحدك يتوقف ، يا سيدي ، اذا  
 كنت لا تخشى تسبب مثل هذا الحظ التعيس لها ، كما لم تخش من قبل  
 محاولة ثلم شرفها . أما في ما يتعلق بي فان اختياري قد تم ، وقد أعلمتها به .  
 تجد طيه ربطة تضم رسائلك ، واعتقد انك ستعيد إليّ بالمقابل جميع رسائل  
 ابنتي ، وترضى بعدم ترك اي أثر من حادث لا نستطيع ان نحفظ بذكراه :  
 انا دون استنكار ، وهي دون خجل ، وانت دون تبكيت ضمير . لي الشرف  
 يا سيدي ان اكون النخ ...

٦٣

من المر كيزة دي ميرتاي إلى الفيكونت دي فالون

في ٨ أيلول ?? ١٧

أجل ، سأشرح لك رسالة دانسني : ان الحادث الذي جعله يكتب رسالته  
 اليك هو كما اعتقد من صنع يدي . ومنذ ان وصلتني رسالتك الاخيرة لم أضغ  
 دقيقة واحدة من وقتي سدى ، وقد قلتُ كذلك المهندس الاثيني: « أن ما قاله ،  
 سأفعله » .

أجل لا بدّ من ايجاد عقبات بوجه هذا البطل الجميل ، فهو ينام على حرير !  
 آه ! فليأت إليّ الآن وسأجد له عملاً . فإما أن أخطيء وأما أن أقضّ مضجعه .  
 إذ عليه ان يتعلم قيمة الوقت ، وانا مغتبطة لأنه الآن نادم على الوقت الذي  
 أضاعه . وينبغي كما قلت أنت ان يكون بحاجة الى دافع خفي . وهكذا فان  
 هذه الحاجة لن تعوزه بعد الآن أبداً . وانا مصممة على ذلك ، اذا ما إن يطلعني.

احد على اخطائي حتى اسارع حالاً الى تلافئها واصلاحها. فاعلم اذن ماذا جرى :  
لدى عودتي صباح أمس الاول الى بيتي قرأت رسالتك ووجدتها رائعة مضيئة . وقد اقتنعت بأنك قد حددت جيداً موضع الألم ، فلم اهتم إلا بإيجاد الوسيلة لشفائه . وقد بدأت مع ذلك بالرقاد ، لأن فارسي الذي لا يكلم لم يدعي انام لحظة واحدة ، وظننت اني سأشعر بالنعاس ولكن على العكس تماماً . فحصرت كل اهتمامي بدانسي وبالرغبة في انتزاعه من بلادته ، وبأن أثار منه على ذلك ، بما حرمني الرقاد ، ولم استطع الى النوم سبيلا الا بعد أن نسقت خطتي كما يجب ، فزمت ساعتين . وكان شأني كشأن المارشال دي ساكس الذي لم يتم باطمئنان الا بعد ان وضع جميع خطط معركة اليوم التالي .  
وقصدت في المساء منزل السيدة فولانج ، وانتهيت بها جانباً وفق خطتي ، وأخبرتها ان لديّ سرّاً يجب الافضاء به اليها ، وقلت : اعتقد انني متأكدة من وجود علاقة خطيرة بين ابنتها وبين دانسي . ومع أن هذه المرأة تعتبر حذرة ومتيقظة جداً ضدك ، الا أنها معمية القلب الى درجة انها اجابتي اولاً بأنني مخطئة أكيداً وان ابنتها ما تزال طفلة الخ . الخ... ولكنني لا استطيع ان اقول لها كل ما اعرفه ، فاستشهدت بنظرات واقوال «لم تستطع فضيلتي وصدائقي ان تسكت عنها» . ثم تحدثت معها بطريقة تجعل اعظم التقيات الورعات يخشعن امامها . وعمدت لكي اوجه الضربة الحاسمة الى القول «اظن انني شاهدت تبادل مراسلة بينهما» . ثم أضفت : ان ذلك يذكرني بأنني رأيت ذات يوم وقد فتحت سيسيل امامي خزانة مكتبها عدداً لا يستهان به من الرسائل ، وانها لا شك تحتفظ بها . وهنا سألتها : هل تعرفين بوجود مراسلة متواترة عندها ؟ فكان ان تبذل وجه السيدة دي فولانج ، ورأيت بعض الدموع تترقرق في عينيها . وقالت لي وهي تضغط على يدي : اشكرك يا صديقتي الفاضلة ساحاول ان استوضح الأمر .

بعد هذه المحادثة القصيرة جداً التي لا يمكن ان تثير الشبهة ، تقربت بدوري الى الفتاة ، ثم تركتها بعد فترة وجيزة لكي أرجو امها بالألا تورطني تجاهها ، وكان ان وعدتني بذلك عن طيبة خاطر ، وقلت لها كم سيكون من

حسن الحظ لو ان « هذه الطفلة » تمنحني ثقتها بصورة كافية لكي تفتح لي قلبها وتجعلني في وضع اتمكن معه من « تقديم نصائحي الحكيمة اليها » .  
وان ما يضمن لي انها ستبرئ بعدها هو كوني لا اشك بانها تريد ان تفخر بابنتها . وهكذا وجدت نفسي هنا مأذونة بان احتفظ بلهجة الصداقة مع البنت دون ان ابدو مزيفة بنظر الأم ، وهذا ما اردت تجنبه . وقد فزت في ان امكت على الاثر اطول مدة ممكنة مع الفتاة لتبادل الاسرار بحيث لم يتبادر الى ذهن الأم اي ظل من الشك .

وقد اغتنمت الفرصة - في المساء نفسه بعد ان انتهيت من تنفيذ خطتي - بان انتحيت بالفتاة جانباً وانتقلت بالحديث معها الى موضوع دانسي ، وهو موضوع لا يمكن ان تكلّ فيه ابداً . وكنت اتسلى في شحن ذهنها باللذة التي ستناها عند رؤية دانسي غداً . اذ لا يد من جعلها تعيش بالأمل بعد ما حطمتها لها في الحقيقة . ثم ان كل ذلك سيؤدي الى جعل الضربة اكثر تأثيراً ، وانا مقتنعة بانّه كلما كان عليها ان تتعذب كلما اصبحت متعجلة في ان تعوض عما فاتها في اول فرصة . وانه لمن الافضل تدريب المرء على الحركات الكبيرة بعد ان أُعد للمغامرات الكبرى .

وعلى كل حال الا تستطيع هي ان تذرف بعض الدموع مقابل متعة الحصول على عشيقها دانسي؟ انها متيمة به الى حد الجنون . اذن اتعهد لها بانها ستناها حتماً . وبالاحرى لن تناله دون دفع هذه الجزية . إن هو إلا حلم مزعج سيكون الاستيقاظ على أثره ممتعاً . ومهما يكن يلوح لي أنها ستكون مدينة لي بالامتنان . وفي الواقع اكون قد وضعت شيئاً من الخبث ، ينبغي ان نتسلى جيداً .  
« والحقاء هم هنا في الاسفل لتغذية متعنا »<sup>(١)</sup>

واخيراً إنصرفت وانا مسرورة جداً من نفسي ، وقلت : إما ان تزيد العقبات حيوية دانسي فيضاعف نشاطه ، وعندئذ سأخدمه بكل قوتي ، واما أنه احمق مقفل ، كما يخيل لي احياناً ، فسيعد اليأس يتطرق إلى قلبه ويعترف

(١) غريسيه في مسرحيته الكوميديّة « الشرس » .

بهزيمته . وفي هذه الحالة اكون على الأقل قد انتقمتم منه كما انتقم مني ، و اكون في هذه العملية قد زدت من احترام الأم لي ، ومن صداقة الفتاة نحوي وثقتها بي . أما جيركور : الهدف الأول لاهتامي ، فسأكون تجاهه تعيسة جداً او هوجاء . ولكن بما انني سأكون المسيطرة على تفكير زوجته كما انا الآن وكما سأزداد سيطرة عليها ، فسأجد ألف وسيلة لأجعل منها ما أريده أن يكون . وكان ان نمت على هذه الافكار : وهكذا نمت جيداً ولم استيقظ الا في ساعة متأخرة جداً . ولدى نهوضي وجدت رسالتين : احدهما من الأم والأخرى من البنت ، ولم استطع منع نفسي من الضحك حين وجدت في الرسالتين تماماً هذه العبارة نفسها « وانتي انتظر منك وحدك بعض العزاء » . أليس ذلك ممعاً ان أواسي الاثنتين في وقت واحد وأن اكون الوكيلة الوحيدة لمصلحتين متضاربتين بصورة مباشرة؟ وها انني أصبحت كالألوهية اتلقى التمنيات من البشر ولا أبدل شيئاً من قراراتي المتخذة سلفاً . وقد تخلت عن هذا الدور الجبار لكي اقوم بدور الملك المؤاسي ، وكان أن زرت الصديقتين على التوالي محاولة تفريغ همها .

وبدأت بالأم ، فوجدتها في حالة من الكآبة تجعلك تنتقم لنفسك مما سببته لك من مضايقات تجاه الورعة الحسنة . وقد نجح كل شيء بصورة رائعة : وكان قلقي الوحيد هو انها لم تغتم هذه الفرصة لتفوز بثقة ابنتها ، وهذا ما كان اكثر سهولة عليّ حين استخدمت معها لهجة النعومة والصداقة ، وتقديم الحجج المنطقية بصيغة التسامح الحنون . ولحسن الحظ تسلّحت بالصرامة ، واخيراً اساءت التصرف بحيث انني هلمت لها . صحيح انها فكرت بهدم جميع مشاريعنا بالرأي الذي اتخذته بان تجعل ابنتها تدخل الدير : ولكنني تغلبت على هذا الرأي وحملتها على ان نعمد فقط إلى التهديد به في حالة استمرار دانسي في ملاحظاته : كل ذلك بقصد حملها كلنا الاثنتين على ان تحذر احدهما الاخرى ، وهذا ضروري لنجاح الخطة .

ثم ذهبت لرؤية الابنة ، وليس بإمكانك ان تتصور كم ان العذاب زاد من جمالها . يخيل لي بأنها ستبكي غالباً من اجل قليل من البهاء الذي تبدو عليه . وفي هذه المرة

كانت تبكي بصورة جدية ، وقد أدهشتني فيها هذه الميزة الجديدة التي بعثت على الاعجاب والتي لم اكن اعلمها فيها من قبل ، فكنت مسرورة بمراقبتها ، ولم أقدم اليها في البداية سوى مؤاساة خرقاء: تزيد الآلام بدلاً من ان تخففها . وبهذه الطريقة وجهتها نحو نقطة جعلتها متأثرة حقيقة . ولم تعد تبكي ، وخشيت لحظة ان تصاب بالاغماء ، فنصحتها بالتزام الفراش ، فرضيت بذلك ، وطلبت الى الخادمة أن تساعدها على التخلص من زينتها ، وما لبث شعرها الاشقر ان تبعثر على كتفها وفوق صدرها الذي كان منكشفاً بكامله ، فقبلتها ، واذا بها تستسلم من جديد للبكاء . يا السهي كم كانت جميلة وهي بين ذراعي . آه لو أن المجدلية كانت بهذا الجمال لكانت اكثر خطراً .

وحين رقدت المتحسرة الحسنة في السرير اخذتُ أراسيها هذه المرة من كل قلبي . فطمأنتها أولاً بصدد خوفها من العودة الى الدير ، وجعلتها تأمل بأنها تستطيع ان ترى دانسي بصورة سرية . ثم جلست على السرير وقلت لها : « لو كان هنا الآن » وأخذت أدور حول هذا الموضوع . وهكذا من تسلية الى اخرى لم تعد تتذكر شيئاً مما سببه لها الألم ، وكان ان افترقنا ونحن سرورتان كل السرور لولا انها كلفتني بتسليم رسالة الى دانسي ، وهذا ما رفضته كل الرفض ، واليك الأسباب وانت ستقرّني عليها بدون شك :

أولاً عدم رغبتني في أن اورط نفسي تجاه دانسي ، وهو السبب الوحيد الذي ابديته للصغيرة . ثم هناك أسباب كثيرة بيني وبينك . افلا نكون قد جازفنا بثمره اتعابنا حين نتيح لهذين الشابين وسيلة سهلة جداً لتخفيف لواعجها ؟ وكذلك لا اجد غضاضة في ان اجعلها يشارك بعض الخدم في هذه المغامرة حتى اذا جرت بصورة حسنة كما آمل ، ينبغي أن تعرف حالاً بعد الزواج ، وليست هناك وسائل لنشرها أضمن من الخدم . أما لو حدثت اعجوبة ولم يكشف الخدم السر ، فأننا سنكشفه بدورنا ، وسيكون من السهل وضع المسؤولية على عاتقهم عندئذ .

ولا بد إذن من ان توحى اليوم بهذه الفكرة الى دانسي ، وبما انني غير واثقة

من خادمة الصغيرة فولانج التي تبدو هي نفسها حذرة منها ، فانصحها باستخدام خادمتي فيكتوار الأمينة . وسأهتم بأن اجعل المسمى ينجح . وهذه الفكرة تعجبني جداً لاسيما وأنها تتيح لنا ان نطلع على الاسرار بسهولة مما يخدم مشاريعنا اكثر . لم أصل بعد الى نهاية قصتي .

إذ فيما كنت أتمتع عن قبول نقل رسالة صغيرة ، كنت اخشى في اية لحظة ان تقترح عليّ وضعا فقط في البريد . ولحسن الحظ لم تحدثني عن ذلك ، بسبب اضطرابها أو بسبب جهلها او لانها تهتم بالجواب اكثر من رسالتها . الخلاصة لكي أبعدها عن هذه الفكرة ، أو لأحول بينها وبين استخدامها صممت على اتخاذ قرار في الحال ، فذهبت الى الام وحملتها على ان تقرر إبعاد ابنتها بعض الوقت وان تقودها الى الريف ؟ واين ؟ الا يخفق قلبك فرحاً ؟ لدى عمك العجوز السيدة دي روزموند . وهي تعترم ان تبلغها النبأ اليوم : وهكذا سيتاح لك أن تعود فترى ورعتك الحسنة التي لن تخشى هذه المرة الفضيحة بأن تجدد نفسها معك وجهاً لوجه . كما ان السيدة دي فولانج بفضل عنايتي ستتدرك بنفسها خطأها الذي ارتكبته نحوك .

ولكن إصغِ اليّ جيداً، ولا تهتم بقضاياك كثيراً بحيث تضيع هذه القضية التي هي امامك الآن، بل فكر بأنها تهمني . أود ان تجعل من نفسك مراسل ومستشار هذين الشابين . ابلغ اذن نبأ هذه الرحلة الى دانسني ، واعرض عليه خدماتك ، ولا تجد صعوبة في ايصال اوراق اعتمادك منه الى حسنائه ، بل أزل هذه العقبة حالاً ، بأن تدله على طريقة خادمتي ، وليس هناك من شك في انه سيقبل . وستنال مقابل متاعبك ثقة قلب جديد ممتع ، وكم ستورد الصغيرة المسكينة خجلاً حين تسلمك رسالتها الأولى ؟ وفي الحقيقة يبدو لي أن دورك كموضع إسرار هو تسلية جميلة حين تكون مشغول الفكر بشيء آخر .

إذن يتوقف حل هذه العقدة على عنايتك . وفكر في اللحظة التي يجب فيها جمع هذين الممثلين . والريف يتيح الف وسيلة لذلك ، وسيكون دانسني مستعداً لأن يذهب الى الريف عند اول دعوة منك . ثم تكفي ليلة واحدة مع

تتكبر ونافذة ، وما شاكل ... انت أدرى. ولكن اذا عادت الفتاة من رحلتها كما ذهبت فان اللوم يقع على عاتقك هذه المرة ، ويا ويلك مني .. واذا كنت تجد انها بحاجة الى بعض التشجيع من جانبي ، اكتب اليّ . واعتقد انني اعطيته درساً ممتازاً حول اخطار الاحتفاظ بالرسائل بحيث انها لن تجسر على الكتابة اليه في الوقت الحاضر ، وما زلت أصرّ على ان اجعل منها تلميذتي .

اظن انني نسيت ان اخبرك ان شكوكها حول فضح الرسالة قد حامت اولاً حول خادمتها ، ولكنني حولتها نحو المعرف . واكون بذلك قد رشقت عصفورين بحجر واحد .

الوداع ايها الفيكونت ، ها قد مضى وقت طويل وانا اكتب اليك ، وقد تأخرت عن الغداء . ولكن حب الذات والصدقة أملتا عليّ هذه الرسالة وكلاهما ثمرتان ... الخلاصة ستصلك هذه الرسالة قبل الساعة الثالثة . وهي كل ما تحتاج اليه .

هل ما زلت تشكو مني الآن ؟ اذا جرؤت على ذلك فاذهب وشاهد غابة الكونت دي ب ... تقول انه يحتفظ بها لإمتاع اصدقائه ، فهذا الرجل اذن هو صديق جميع الناس .. ولكن الوداع انا جائعة .

## ٦٤

### من الفارس دانسي الى السيدة دي فولانج

( مسودة مرسلة ضمن الرسالة رقم ٦٦ من الفيكونت دي فالون الى المركيزة دي ميرتاي )

في ٩ ايلول ?? ١٧

ان احاول يا سيدتي ، ان ابرر مسلكي ، ولن أتذمر من مسلكك ، فاني متكدر كل التكدر من حادث سبب تعاسة ثلاثة اشخاص ، جميعهم جديرون بصير أسعد ، وانني اشد تأثراً لحزن كنت سببه بدلاً من ان اكون ضحيته . وقد حاولت غالباً منذ أمس ان يكون لي الشرف بالرد عليك ، دون ان يتسنى لي ذلك .



ولديّ مع ذلك اشياء كثيرة لأقولها لك بحيث ينبغي ان ابذل جهداً في هذا الصدد. واذا كانت هذه الرسالة غير منتظمة وغير متلاحقة الافكار فذلك - كما تشعرين - لأن وضعي مؤلم جداً حتى امنح نفسي بعض التسامح .

إسمحي لي أولاً أن أحتج على العبارة الأولى من رسالتك ، فانا لم أسيء الامانة التي وضعتها بي ولم استغل براءة الآنسة دي فولانج ، بل احترمت هذه وتلك في تصرفاتي . وحين تجعليني مسؤولاً عن عاطفة خارجة عن ارادتي ، لا اخشى بان أضيف الى ذلك قولي ان العاطفة التي اوحت إلي بها الآنسة ابنتك قد تكون لا تعجبك ولكنها يجب ألا تهينك . ولست اريد قاضياً يحكم في هذه القضية التي تتعلق بي - وهذا كل ما استطيع ان اقله لك - سواك انت ، وسوى رسائلي كشهود .

انك تحظرين علي الهجاء الى بيتك في المستقبل ، ولا ريب بأنني سأخضع لكل ما يعجبك ان تصدره من اوامر بهذا الصدد . ولكن أفلا يبعث هذا الانقطاع التام المفاجيء على أثارة الملاحظات اكثر مما أردت تجنبه بامتناعك عن اصدار أمر لهذا السبب الى خدمك ؟ إنني أصر على هذه النقطة لأنها اكثر أهمية بالنسبة للآنسة دي فولانج مما هي بالنسبة لي . فأرجوك اذن أن تزي في بعناية كل شيء وألا تدعي قساوتك تضر بحدرك . ولاقتناعي بان مصلحة الآنسة ابنتك وحدها هي التي تملي عليك قراراتك فسأنتظر اوامر جديدة من جانبك .

اما في حالة سماحك لي بان احصل على شرف حضور مجلسك في بعض الاحيان ، فانني أتعهد لك يا سيدتي ( وتستطيعين ان تعتمدني على وعدي ) بالألا أستغل ابدأ هذه المناسبات لكي احاول التحدث بصورة منفردة مع الآنسة دي فولانج ، او أسلمها اية رسالة . ان الخوف من ان اورط سمعتها ، يحلمني على بذل هذه التضحية وان السعادة في ان أراها بعض الاحيان تعوضني عن ذلك . هذه النقطة من رسالتي هي جوابي الوحيد الذي استطيع أن ابدية رداً على تهديداتك بشأن المصير الذي توجهين اليه الآنسة دي فولانج والذي تريدن جعله يتوقف على مسلكي . وقد اخدعك لو وعدتك بأكثر من ذلك . ولو كان

هناك غايرٍ شريرٍ مكاني لكان طوى مشاريعه في هذه الظروف وأخذ يعد العدة لكي يتحينَ الفرص . ولكن الحب الذي يلهب مشاعري لا يسمح لي الا بشعورين هما : الشجاعة والثبات .

من ؟ انا ! أوافق على ان تنساني الآنسة دي فولانج وانساها ؟ كلا . كلا .  
أبدأ . بل سأظلُ وفياً لها ، وقد اقسمت امامها على ذلك ، وها أنا أجدد قسمي اليوم . عفواً يا سيدتي اني اشرد يجب ان أعود .

بقي عندي موضوع آخر لمعالجته معك . موضوع الرسائل التي تطلبينها مني . وانه ليؤسفني حقيقة ان اضيف على المآخذ التي تجدينها في رفاضي هذا الطلب . ولكنني اناشدك ان تصغي الى أعذارى ؛ وستقدرينها لو علمت بأن العزاء الوحيد للعذاب الذي أشعر به بسبب فقداي صداقتك ، هو الامل بأن احتفظ باحترامك .

ان رسائل الآنسة دي فولانج هي دائماً ثمينة جداً بالنسبة لي . وقد أصبحت اكثر قيمة ايضاً في هذا الوقت بالذات . فهي الاثر الوحيد الذي بقي لي . وهي وحدها تصور عاطفة تشكل كل متعة حياتي . ومع ذلك تستطيعين ان تصدقيني بأنني لست مستعداً لحظة واحدة لأن اقوم بمثل هذه التضحية . وان الندم على حرمانني منها أقل من الرغبة في ان ابرهن على احترامي الشديد لك . ولكن هناك اعتبارات أقوى تشدني . وانا متأكد انك انت نفسك لا تستطيعين ان تلوميني عليها .

صحيح انك تملكين سر الآنسة دي فولانج . ولكن اسمحي لي ان اقول بانه يحق لي ان اعتقد ان ذلك ناتج عن تأثير المفاجأة وليس عن تأثير الثقة . لست ازمع بأنني الوم مسعى يفرضه الحرص الامومي ، بل احترم حقوقك ولكنها لا تجعلني أعفي نفسي من واجباتي . وان واجبي الأكثر قداسة من كل شيء هو عدم خيانة الثقة التي مُنحت لي . وسيكون من جانبي اخلال هذه الثقة لو عرضت على انظار الغير أسرار قلب لم يشأ ان يكشفها الا امام انظاري . فاذا وافقت الانسة ابنتك على ان اسلمك اياها ، فلتبلغني ذلك ! ان رسائلي لا تفيدك بشيء ، واذا

شأت على العكس ان تحتفظ بها بينها وبين نفسها ، فليس من اختصاصي أن ابغلك ذلك .

اما فيما يتعلق بالكتان الذي تريد ان أدفن به هذا الحادث ، فكوني مطمئنة يا سيدتي بصدد كل ما يخص الانسة دي فولانج ، واني استطيع ان اتحدى بذلك قلب أم . ولكي أفرغ من ازالة كل قلق لديك فقد تحسبت لكل شيء . ان هذا المستودع الذي كان يسمى حق الان « اوراق للحرق » بات يدعى الان « اوراق تحمص السيدة دي فولانج » . يجب ان يبرهن لك هذا القرار الذي اتخذته ايضاً على ان رفضي لا علاقة له بالخوف من ان تجدي في هذه الرسائل عاطفة يمكن ان تتدمري منها انت شخصياً .

هذه يا سيدتي رسالة طويلة جداً ، وما كنت اريدها ان تكون بهذا الطول الا لكي تزيل من نفسك اقل شك في شرف عواطفي ، وفي الاسف الصادق لكوني لم اعجبك ، وفي الاحترام العميق الذي لن اكف دوماً عن الخ .

٦٥

### من الفارس دانسي الى سيسيل دي فولانج

( رسالة مفتوحة مرسله الى السيدة دي ميرتاي  
ضمن الرسالة رقم ٦٦ من الفيكونت دي فاللون )

في ١٩ ايلول ?? ١٧

آه ! يا عزيزتي سيسيل ماذا ستغدو عليه حالتنا ؟ واية قوة خفية تستطيع ان تنقذنا من الآلام التي تهددنا ؟ وليمنحنا الحب على الاقل الشجاعة على تحملها ! كيف أصور لك دهشتي ويأسي لدى رؤيتي رسائل مرتجعة ، وقراءتي كلمة السيدة دي فولانج ؟ من الذي استطاع ان يخوننا ؟ وحول من تحوم شبهاتك ؟ هل يمكن ان تكوني قد ارتكبت بعض التمورر ؟ ماذا تفعلين الآن ؟ ماذا قيل ملك ؟ اريد ان اعلم كل شيء ، وأنا أجهل كل شيء . لعلك أنت لا تعرفين

اكثر مني .

ارسل لك طيه رسالة والدتك ، ونسخة عن جوابي عليها . وآمل أن تقرّيني على كل ما قلته لها . إنني بحاجة شديدة إلى الموافقة على المساعي التي قمت بها منذ وقوع هذا الحادث الجسمي وجميعها تهدف الى الاطلاع على اخبارك واطلاعتك على اخباري . ثم من يدري ؟ ربما أراك ثانية وبجربة اكثر مما حدث حتى الآن . هل تدركين ، ياسيسيلتي ، كم هو ممتع أن نلتقي معاً من جديد . وان نستطيع تبادل القسم على حب خالد ، وأن نرى بأعيننا ونشعر بروحنا أن هذا القسم لن يكون مخادعاً ؟ وأية آلام لا تنسيها لحظة عذبة ؟ وهكذا أصبح لديّ أمل الآن في ان نسال هذه اللحظة ، وانني مدين بذلك الى المساعي نفسها التي قمت بها والتي أناشذك ان توافقي عليها . ماذا اقول ؟ اني مدين بذلك الى عناية أعز صديق عليّ والذي كان سلواي الوحيدة في محنتي وأنّ طلي الوحيد هو أن تسمح لي هذا الصديق بأن يكون صديقك ايضاً .

لعله ينبغي عليّ ألاّ أمنح ثقتك دون موافقتك ؟ ولكن عذري الوحيد هو التعاسة والحاجة . فالحب هو الذي يقود خطاي . وهو يطلب صفحك وعفوك عن الافضاء بمسارة ضرورية لولاها لكننا بقينا ربما الى الأبد متفرقين . انت تعرفين الصديق الذي احدثك عنه . انه صديق المرأة التي تحبينها اكثر من الجميع ، انه الفيكونت دي فالون .

وقد كانت غايتي من التحدث اليه ان أرجوه حمل السيدة دي ميرتاي على نقل رسالة مني اليك ، ولكنه لا يظن ان هذه الطريقة يمكن ان تنجح . غير انه يتكفل بدلاً من السيدة بخادمتها ، وهي مدينة له ببعض الالتزامات . وستكون هي التي ستنقل هذه الرسالة اليك ، وبإمكانك ان تسلمها جوابك .

ولكن هذه المساعدة لن تكون مفيدة لنا ، اذا كنت كما يعتقد السيد دي فالون سندهين الى الريف . إذ عندئذ سيكون هو نفسه الذي يتطوع لخدمتنا ، لأن المرأة التي سندهين الى زيارتها هي عمته . وسيقتم هذه الفرصة لكي يذهب فيراها في آن واحد معك . وستمر مراسلتنا المتبادلة بواسطته . وهو يؤكد

ايضاً أنه يستطيع ، اذا تركت نفسك تتقادين اليه ، ان يخلق الوسائل لكي نشاهد بعضنا البعض دون ان يجعلك تتورطين بشيء .

والآن يا عزيزتي سيسيل ، اذا كنت تحبيني ، واذا كنت تترين لعذابي ، واذا كنت ، كما آمل ، تشاطرينني أسفي ، هل ترفضين منح ثقتهك الى رجل سيكون ملاكنا الحارس؟ إذ لولاه لكنت وقعت في يأس مرير ، لعدم تمكيني من تخفيف الاشجان التي اسببها لك ، وهي ستنتهي كما آمل . ولكن عديني يا صديقتي الحنون ، بأنك لن تدعي نفسك تنهار ، وبأنك لن تستسلمي إلى اليأس . وان فكرة عذابك تبعث في نفسي غمًا لا يطاق . انني اضحي بحياتي لكي اجعلك سعيدة ! وانت تعرفين ذلك . فهل يمكن لتيقنك بانك معبودة ان يحمل بعض العزاء إلى روحك ! ان روحي بحاجة لأن تؤكدي لي بانك ساحت الحب على الآلام التي جعلك تعانينها .  
الوداع يا سيسيلتي ، الوداع يا صديقتي اللطيفة .

٦٦

من النيكونت دي فالمون الى المر كيزة دي ميرناي

في ٩ ايلول ١٧??

ساترين يا صديقتي الحسنة ، لدى قراءتك الرسالتين المرسلتين طيه . اذا كنت قد نفذت مشروعك ام لا . ومع ان كليتها مؤرختان اليوم فقد كتبتا بالأمس في بيتي وتحت انظاري . فالرسالة الموجهة الى الصغيرة توضح كل ما نريده وأنه لا يمكن للمرء إلا ان يخشع امام عمق آرائك ، لو حكنا على نجاح مساعيك . فلقد أصبح دانسني ملتهاً كالنار . ومن المؤكد انه عند اول فرصة لن يدع لك أية مأخذ تلومينه عليها . واذا شاءت حسناؤه ان تكون اكثر طواعية ، فسيتم كل شيء بعد وصوله الى الريف ولدي مائة وسيلة جاهزة لذلك ، وها أنذا بفضل عنايتك اصبحت بالفعل صديق دانسني . ولم يبق له الا ان يصبح اميراً .  
ان هذا الشاب ما زال حدثاً . هل تصدقين انني لم استطع ان احصل منه

على وعد للأم بالاقلاع عن حبه . كم هو مزعج ان يعطي الانسان وعداً حين يكون مصمماً على عدم التنفيذ! وقد كان يكرر لي قائلاً: ان هذا معناه الخداع . ولكن هل يكون هذا الوسواس بناءً اذا كان يرغب في مضاجعة الفتاة ؟ هؤلاء هم رجال ! جميعهم آثمون في غاياتهم ، وان ما يظهرونه من تخاذل في تنفيذها يسمونه نزاهة وطهارة ذيل .

بقي عليك انت ان تتولي عدم جعل السيدة دي فولانج تستنكر هذا الاختيار الصغير للعاطفة الذي شاء صاحبنا دانسنى ان يضعه في رسالته . أحمينا قبل كل شيء من الدير . وحاولي ايضاً ان تقنعيني بالتخلي عن طلب رسائل الصغيرة . اولاً لانه لن يعيدها ابداً ، وهو لا يريد ان يفعل ذلك ، وانا من رأيه . والحب والمنطق هنا متفقان . لقد اطلعت على هذه الرسائل ، فافترسني الضجر ؛ ولكنها يمكن ان تصبح مفيدة . واليك الإيضاح :

بالرغم من جميع الاحتياطات التي تتخذها ، فقد يحدث انفجار ما يلغى مشروع الزواج ، اليس ذلك صحيحاً ؟ ثم يحبط جميع « مشاريع جير كور » . ولكن بما انه بالنسبة لي يجب ان انتقم من الأم ، فاني احتفظ في هذه الحالة بحق ثلم شرف البنت . من يدري ؟ فقد تقام دعوى . ولكن باختيار ما يعيننا من هذه المراسلة ستبدو الصغيرة فولانج بانها هي التي قامت بالمساعي الاولى والقت بنفسها على رأسها . ان بعض هذه الرسائل يمكن ان تورط الأم « وتلوث سمعتها » على الاقل باهمال لايسامح \* . انا أشعر جيداً أن الموسوس دانسنى سيثور أولاً ولكن بما انه سيكون هو شخصياً مورطاً ، فاعتقد اننا نصل الى غايتنا . ولكن هناك جزءاً من الف في ان يدور الحظ على هذه الصورة . وانا يجب ان نحسب حساباً لكل شيء .

الوداع ، يا صديقتي الحسنة ، لست بحاجة الى ان اوصيك بالتكتم الشديد

---

\* قد لا يستطيع القارئ ان يحكم على صحة هذه الملاحظة ، واكتننا فضلنا ان ندعه في الشك بدلاً من ان نضخم هذه المجموعة برسائل لا تخصي وهي جميعها غير مكتوبة جيداً ، وفالمون على حق حين يقول انها تبعث على الضجر .

امام السيدة دي فولانج ، بصدد عزمي على العودة الى الريف . اذ عليها  
بالاحرى أن تبقى في المدينة : ولو منحتنا فقط ثمانية ايام سأكون مسؤولاً عن  
كل شيء .

٦٧

## من الرئيسة تورفيل إلى الفيكونت دي فالمون

في ٩ ايلول ?? ١٧

لم اكن أود الاجابة على رسالتك ، يا سيدي ، ولعل الارتباك الذي أشعر  
به الآن هو دليل بالفعل على أنه ينبغي الافعل ذلك ، ومع ذلك لا اريد ان  
دع لك أي موضوع للشكوى مني . بل ارجب في ان اقنعك بأنني فعلت من  
اجلك كل ما قدرت عليه .

انت تقول أنني سمحت لك بان تكتب إليّ ؟ اني اوافقك على ذلك ، ولكن  
حين تذكرني بهذا السماح ، هل تعتقد أنني أنسى الشروط التي بموجبها منح لك؟  
وانا لو تقيدت بهذه الشروط ، كما لم تتقيد بها انت ، هل كان من الممكن ان  
تتلقى جواباً واحداً مني ؟ ومع ذلك اليك الآن جوابي الثالث ، وبينما تفعل  
كل شيء لمجلي على وقف هذه المراسلة ، فأنني أهتم انا نفسي بالوسائل اللازمة للبقاء  
عليها . وهناك وسيلة واحدة ، واذا رفضت الأخذ بها ، ستكون بذلك قد  
برهنت لي - رغم ما بإمكانك ان تقول - على القيمة الضئيلة التي تساويها بنظرك .  
دع اذن هذه اللغة التي لا استطيع ولا أود الاستماع اليها . واقطع عن عاطفة  
تهينني وتفرزني . وربما يجب ان تكون اقل تعلقاً بها حين تفكر بانها تشكل  
العقبة الوحيدة التي تفرقنا . فهل تكون هذه العاطفة هي الوحيدة التي يمكن ان تعرفها؟  
وهل للحب هذا الأثر بنظري لكي يطرد الصداقة ؟ وانت نفسك هل يكون  
لديك ذلك الشعور الذي لا تريده لصديقتك ، تلك التي طالما رغبت في ان  
يكون لديها مشاعر اكثر رقة ؟ لا أريد أن أعتقد ذلك : فهذه الفكرة المهينة

تثيرني ، وتبعدي عنك دون رجعة .

وأنا بعرضي عليك صداقتي ، يا سيدي ، امنحك كل ما هو لي وكل ما استطيع ان اتصرف به . ماذا تستطيع ان ترغب في اكثر من ذلك ؟ ولكي استسلم الى هذا الشعور الرقيق الذي هو مخلوق قلبي ، لا انتظر سوى موافقتك فقط . وان الوعد الذي اطلبه ، سيكفي لاسعادك . وسأنسى كل ما قيل لي عنك ، وسأعتمد عليك للعناية بتبرير اختياري .

أنت ترى صراحتي ، ويجب ان تثبت لك ثقتي . ولا يتوقف الأمر إلا عليك لكي تزيدها ايضاً : ولكنني احذرك من ان اول كلمة حب تنطق بها ستحطمها الى الابد ، وتعيد إلي جميع مخاوفي وستصبح بصورة خاصة لي بمثابة انذار بصمت ابدي تجاهك .

وإذا كنت كما تقول « قد عدت عن خطأك » ألا تفضل ان تكون موضع صداقة امرأة شريفة ، بدلاً من ان تكون مبعث تبكيت ضمير امرأة مذنبه ؟ الوداع يا سيدي انت تشعر اني بعد ان تحدثت بهذه الطريقة لا استطيع ان اقول شيئاً قبل ان تكون قد اجبتني .

٩٨

## من الفيكونت دي فالمون الى الرئيسة تورفيل

في ١٠ ايلول ١٧??

كيف اجيب ، يا سيدتي ، على رسالتك الاخيرة ؟ وكيف اجرؤ على ان اكون صريحاً حين يمكن لصديقي ان يفقد قيمتي تجاهك ؟ هذا غير مهم لا بدّ من ذلك وسأفسلح بالشجاعة . اقول في نفسي وأكرر القول ، بأنه من الأفضل ان اكون جديراً بك بدلاً من ان انا لك ، وهل كان ينبغي ان ترفض منحي سعادة سأظل أرغب فيها باستمرار ؟ يجب ان ابرهن لك على الاقل على ان قلبي جدير بذلك .



كم هو مؤسف أن اكون ، كما قلتِ « قد عدت عن اخطائي » ! وبأي انطلاق مع الفرح كنت قرأتُ رسالتك ذاتها التي ما زلت ارتجف في الرد عليها اليوم . انت تحدّثيني « بصراحة » وتولينيني « ثقتك » ، وتعرضين عليّ أخيراً « صداقتك » : يا لها من أشياء جميلة ، يا سيدتي ، واي أسف اشعر به لعدم التمكن من انتهاز الفرصة ؟ لماذا لم أعد كما كنت ؟

انني لو كنت الآن كما كنت بالفعل ، ولو كان لدي نحوك ميل عادي ، ميل خفيف ، وليد الاغراء واللذة ، أو ما يسمونه اليوم مع ذلك الحب ، لكنت سارعت الى استغلال كل ما استطيع نيله ، دون ان اهتم بالسائل ، شرط ان توفر لي الفوز ، ولكنت شجعتُ صراحتك بسبب الحاجة الى كشف نواياك . ولكنت رغبت في ثقتك ، وفي نيتي ان اخونها . ولكنت قبلتُ صداقتك على امل أن اضيعها ... ماذا يا سيدتي ؟ هذه الصورة تخيفك ؟ اجل انها كانت قد رُسمت من جانبي لو انني كما قلتِ وافقتُ على ألا اكون إلا صديقك ...

من ، انا ؟ أو افق على ان اشاطر مع احد غيري عاطفة صادرة عن روحك ؟ واذا حدث وقلت لك ذلك يجب ألا تصدقيني البتة . اذ منذ تلك اللحظة سأحاول ان أخدعك . وسأظل ارغب فيك ايضاً ، ولكنني من المؤكد سوف لا احبك ابداً .

ولا يعني ذلك ان الصراحة المحببة ، والثقة اللطيفة ، والصداقة الحساسة ، لا قيمة لها بنظري ... ولكن الحب ، الحب الحقيقي ، كما توحين إليّ به ، يجمع كل هذه العواطف ، ومنحها حيوية اشد ، لا يمكن ان ينساق الى هذا الهدوء وهذه البرودة في الروح التي تدع سبيلاً للمقارنات ، او تشعر بالافضليات . كلا ، يا سيدتي ، لن اكون ابداً صديقك . فأنا سأحبك أرق الحب لا بل أحرّ الحب رغم انه أشد احتراماً . وتستطيعين ان ترميه في احضان اليأس ولكن لن يتسنى لك ان تزيليه .

وبأي حق تتصرفين بقلب ترفضين قبول هواه ؟ وبأي رقة في القساوة

تحسدني حتى على سعادة حبك؟ ان هذه السعادة هي ملكي، وهي مستقلة عنك .  
وسأعرف كيف اذاع عنها؟ واذا كانت هي مصدر متاعبك، فإنها هي أيضاً  
علاجها .

كلا، ومرة اخرى كلا . إستمري في رفضك القاسي، ولكن دعي لي حيي .  
انت تقتبطين في جعلي تيمساً؟ فليكن . حاولي ان تنهكي شجاعتي، فأنا اعرف  
ان احملك على الأقل على ان تقرر مصيري . وربما يأتي يوم تنصفيني فيه . ليس  
لأني آمل بأن اجعلك حساسة، ولكن بدلاً من ان تقتنعي ستكونين مفحمة .  
وستقولين لنفسك : لقد اخطأت في الحكم عليه .

ولنقل افضل من ذلك : فانت التي تظلميني . لأن التعرف عليك دون ان  
احبك، ومنحك حيي دون ان اكون ثابتاً، هما امران مستحيلان . وعلى الرغم  
من التواضع الذي يزينك، ينبغي ان يكون من السهل الرثاء لك، بدلاً من  
ادهاشك بعواطف تخلفينها بنفسك . اما في ما يتعلق بي، وقد كانت ميزتي  
الوحيدة أنني عرفت ان اقدرك، فلا اريد ان افقد هذه الميزة . ومع عدم  
ميلي للموافقة على عروضك المغرية، اجدد لك امام قدميك قسماً على حبك  
دوماً ..

٦٩

من سيسيل دي فولانج الى الفارس دانسي

(بطاقة مكتوبة بالقلم الرصاص وقد اعاد نسخها دانسي)

في ١٠ ايلول ١٧??

تسألني ماذا افعل؟ أنني احبك وابكي . والدي لا تكلمني، وقد نزعت  
مني الورق والاقلام والخبز . ولذلك تراني استخدم هذا القلم الذي بقي عندي  
لحسن الحظ . انا اكتب اليك على قصاصة من رسالتك . يجب ان وافق على كل  
ما فعلته . انني احبك حباً شديداً بحيث ارضى بجميع الوسائل لكي احصل على

اخبارك وتحصل على اخباري . لم اكن احب السيد دي فالمون ، ولم اكن اعقد انه صديقك ، ولكنني سأحاول أن اتعود عليه ، وسأحبه من اجلك . لست اعرف من الذي فضح حبنا . لعلها خادمتي او معرفتي . انني تعيسة جداً : سنذهب غداً الى الريف ، ولا اعلم كم سنبقى هناك من الوقت . يا الهي كم هو صعب ألا اراك . لم يبق لي مكان . الوداع . حاول أن تقرأني . ان هذه الكلمات المكتوبة بالقلم ربما ستمحي ، ولكن العواطف ستظل منقوشة في قلبي .

## ٧٠

### من الفيكونت دي فالمون الى المر كيزة دي ميرتاي

في ١١ ايلول ١٧??

لديّ انذار هام ابغلك اياه ، يا صديقتي العزيزة . فقد كنت اتعشى أمس ، كما تعلمين ، عند الماريشال دي ... واخذنا نتحدث عنك ، وقلتُ - كما تستطيعين ان تعتقدي - ليس كل شيء حسن أعرفه عنك فحسب ، بل كل ما لا افكر به . وقد بدا ان الجميع كانوا من رأيي ، ثم تراخت المحادثة كما يحدث دائماً حين لا يتحدث احدهم الا بالخير عن قريبه ، واذا بأحد المعارضين ينهض . وكان هو بريغان .

ثم قال وهو واقف : انني اشك في تعقل السيدة دي ميرتاي ، واعتقد ان ذلك عائد الى خفتها اكثر من مبادئها . وقد يكون من الصعب اللحاق بها اكثر من الحصول على اعجابها . وبما انه يحدث غالباً حين تركض وراء امرأة ان تصادف رجالاً آخرين على طريقها ، فان هؤلاء يمكن ان يكونوا مثلها ان لم يكونوا افضل منها . ولكن بعضهم يكون ملتصقاً بحب جديد والبعض الآخر يتوقف من الارهاق . وهكذا فان هذه المرأة هي الوحيدة في باريس التي كان عليها ان تدافع عن نفسها اقل من غيرها . ثم اضاف : اما في ما يتعلق بي ( وهنا تشجع بنظرات بعض النساء ) فاني لا اؤمن بعفة السيدة دي ميرتاي إلا بعد ان اكون قد

اهلكت ستة خيول في مطاردها .

وقد نجحت هذه المزحة الثقيلة كجميع المزحات التي تنبثق عن الاستغابة والنميمة . واثناء الضحك الذي اثاره بريغان استعاد مكانه وجلس بالقرب من الكونتيسة دي... حيث كنت لحسن الحظ استمع إلى ما يدور بينه وبينها من مسارة . هذا بينما انتقل الحديث العام الى موضوع آخر .

وقد قبل التحدي بأن يجعلك حساسة نحوه . واعطى وعداً على نفسه بأن يروي كل شيء . ولكن ها أنت قد أنذرت بالأمر وانت تعرفين المثل القائل : « لقد اعذر من أنذر » .

بقي عليّ ان اخبرك ان بريغان هذا الذي لا تعرفينه جيداً هو محبوب للغاية وكثير الدهاء ايضاً . واذا كنت قد سمعتني اقول العكس في بعض الاحيان ، فذلك لكوني لا أحبه . وانه ليعجبني ان اعاكس نجاحاته التي لا أجهل كم تشكل مزاحمة عليّ لدى حوالي ثلاثين من أجمل نساءنا البارزات .

وبالفعل لقد حاولت مطولاً ان احول بينه وبين الاقدام على هذه المغامرة . ولكنه يبدو مصمماً على المضي فيها حتى النهاية ، لأنه منذ ان نجحت مغامرته الثلاثية الشهيرة وجعل الانظار تصوب نحوه ، اخذ يتسلح بثقة جديدة في نفسه كانت تعوزه حتى الآن . وجعلته حقيقة ممن يخشى بأسهم . وهو اخيراً الرجل الوحيد اليوم الذي ربما اخشى ان اصادفه في طريقي ، وبغض النظر عن مصلحتي الخاصة ، فانك تؤدين لي خدمة كبرى لو جعلته عرضة للسخرية اذا قام بهذه المحاولة . وانني ادعه بين ايدي امينة ولدي امل في انه سيصبح بعد عودتي غريقاً .

أعدك ، مقابل ذلك ، ان اقود الى النهاية مغامرة طفلتك ، وان أهتم بها كما اهتم بورعقي الحسناء .

وقد بعثت لي هذه برسالة تعرض علي فيها مشروع استسلام . ورسالتها بأكملها تفضح عن رغبتها في ان تكون مخدوعة . وانه لمن المستحيل عرض وسيلة اكثر ملائمة واكثر شيوعاً من هذه الوسيلة . فهي تريد ان اكون « صديقها » ولكنني

انا الذي احب الوسائل الجديدة الصعبة ، لا أأمل في أن اجعلها تصفي حسابها  
معني بمثل هذا الثمن الرخيص . من المؤكد انني ما كنت قد بذلت مثل هذا  
العناء الشديد في سبيلها لكي اصل الى مثل هذا الاغراء العادي .

ان مشروعني هو على العكس يقضي بان اجعلها تشعر ، تشعر جيداً بقيمة  
واتساع كل تضحية من تضحياتها التي تبذلها في سبيلي ، ثم عدم توجيهها بسرعة حتى لا  
يلاحقها تبكيت الضمير ثم تمويت عفتها في إحضرار طويل . وحصرها باستمرار  
حول هذا الهدف ، وعدم منحها سعادة ضمني بين ذراعيها إلا بعد اجبارها على  
عدم اخفاء رغبتها في ذلك . وفي الواقع قد لا تكون لي سوى قيمة ضئيلة ، ولا  
أساوي حتى عناء ان اكون مطلوباً . ولكن لا بد لي الا ان انتقم من امرأة  
متعالية تبدو انها تحمرّ خجلاً اذا اعترفت بانها تعبدني .

وكان ان رفضتُ اذن الصداقة الثمينة ، وتمسكتُ بلقي كعاشق . وبما أنني  
لا أخفي ان هذا اللقب الذي لا يبدو لاول وهلة سوى تلاعب على الا لفاظ -  
وهو مع ذلك ذو أهمية حقيقية لمن يريد الحصول عليه - فقد بذلت عناية فائقة في  
كتابة رسالتي . وحاواتُ أن اضع فيها هذا التشويش الذي يستطيع وحده أن  
يصور العاطفة . وقد عمدت في النهاية إلى رصف كلام خالٍ من المنطق على قدر  
ما استطعت . لأنه بدون تحوير المنطق ، لا يمكن أن تكون هناك عاطفة رقيقة .  
وأعتقد أن النساء عن طريق هذا المنطق هنّ متفوقات علينا في رسائل الحب .  
وكان ان ختمت رسالتي بملاطفة رقيقة جاءت اثر ملاحظاتي العميقة ، لأنه  
بعد ان يكون قلب المرأة قد أجهد بعض الوقت فهو بحاجة الى الراحة . ولاحظت  
ان الملاطفة هي أنعم وسادة يمكن تقديمها اليهن .

الوداع يا صديقي الحسنة ، سأرحل غداً واذا كان لديك تعليمات لكي تبلغنيها  
إلى الكونتيسة دي ... فسأتوقف عندها على الأقل لتناول الغداء . انا متكدر  
لكوني ارحل بدونك ، بلغيني او امرك العليا وزوديني بنصائحك الحكيمة في  
هذه اللحظة الحاسمة .

لا تنسي ان تدافعي عن نفسك جيداً امام بريفان ، وارجو ان اتمكن يوماً  
ما من ان اعوض عليك هذه التضحية ! الوداع .



القسم الثاني

## من الفيكونت دي فالون الى المراكزة دي ميرتاي

قصر ل ... في ٣١ ايلول ١٧??

تصوري ان خادمي الأرعن نسي حقيقتي في باريس! وفيها رسائل حسناي!  
ورسالة دانسني الى الصغيرة فولانج، وكل شيء بقي هناك.. وانا هنا بحاجة اليها  
جميعاً... وسيسافر اتدراك حماقته... وفيها هو يسرج الآن حصانه، سأروي لك  
ما حدث معي في الليلة الماضية : أرجوك ان تعتقدي بأنني لا أضيع وقتي عبثاً .  
وهذه المغامرة في حد ذاتها لا أهمية لها ، وهي ليست سوى تسلية عابرة مع  
الفيكونتيسة دي م... ولكنها أمتعني بتفاصيلها ، وانه ليسرني ان اعلمك  
أنني اذا كنت بارعاً في إضاعة عقول النساء فان البراعة لا تنقصني ، اذا أردت ،  
في إنقاذهن . وانه لا يحلولي سوى اتخاذ المواقف الاكثر صعوبة والاشد مرحاً .  
كما انني لا ألوم نفسي على القيام بعمل خيري شرط ان يتعني أو يسليني .  
لقد وجدت إذن الفيكونتيسة هنا، وبمأنها اضافت التهديدات الى الحاحاتها  
لكي امضي الليل في القصر فقد قلت لها : « اوافق بشرط ان أمضيه معك »  
ولكنها اجابتي : « هذا مستحيل لأن بريساك هنا » وقد أثارتي كلمة مستحيل  
هذه كجاري العادة ، وشعرت بنفسي مهاناً لان تضحي بي في سبيل بريساك ،  
وقررت الا أتعذب . فأصررت اذن على شرطي .

ولم تكن الظروف مؤاتية ، فان بريساك هذا قد أثار بعدم احترامه رغبة زوجها  
الفيكونت بحيث ان الفيكونتيسة لم تعد تستطيع ان تستقبله في بيتها . وقد  
كانت هذه الزيارة إلى الكونتيسة مدبرة في مسا بينها لكي يحاول اختلاس بعض



الليالي . وقد أبدى الفيكونت لأول وهلة بعض الحنق لأنه سيقابل بريساك هنا . ولكن بما أنه شغوف بالصيد أكثر من اهتمامه بالغيرة فقد رضخ للأمر الواقع . وانت تعرفين الكونتيسة صاحبة القصر ، وكان ان عمدت إلى وضع الفيكونتيسة في غرفة ووضعت الزوج من جهة والعشيق من جهة أخرى ، وتركتهم يتدبرون انفسهم في ما بينهم . وقد شاء المصير السيء لكل منهما ان اكون في غرفة مواجهة لها . وفي ذلك اليوم ، أعني أمس ، ذهب بريساك الذي اعتاد أن يسير الفيكونت إلى الصيد برفقته رغم عدم شغفه بهذه الهواية ، وكان ينوي ان يتعزى في الليل بين ذراعي زوجته . عما سبب له الزوج من ضجر طوال النهار . ولكنني رأيت انه سيكون بحاجة الى الراحة ، واهتممت بالوسائل اللازمة لحل خليلته على ان تتركه يأخذ قسطه من الراحة .

وقد نجحتُ في ذلك ووعدتني بأنها ستثير معه مشاجرة بسبب رحلة الصيد هذه والتي لم يشترك بها بطبيعة الحال الا اكراماً لها ، وفي الواقع ليست هناك حجة اسوأ من ذلك : ولكن ليست هناك اية امرأة تفوق الفيكونتيسة بهذه الصفة المشتركة بين جميع النساء : اي وضع الحنق محل المنطق . وفي الواقع لم يكن الوقت ملائماً لهذه الايضاحات ، وبما اني لا أطمع الا بليلة واحدة فقد وافقت على ان يتصالحا في اليوم التالي .

وهكذا كان ان قابلت الفيكونتيسة بريساك بتبرم لدى عودته ، واراد هذا ان يسألها عن السبب ، فتشاجرت معه . وحاول ان يبرر نفسه ، ولكن الزوج الذي كان حاضراً أنقذ الموقف ، وقد اتخذته هي حجة لقطع المحادثة ، وحاول اخيراً ان يفتنم فرصة غياب الزوج لحظة لكي ترضى بالاصغاء اليه في المساء . وهنا كانت الفيكونتيسة رائعة ، إذ استنكرت جرأة الرجال الذين يعتقدون - لأنهم تتمتعوا بكرم امرأة مرة أو بعض الوقت - ان لهم الحق بأن يستغلوا ذلك ايضاً ، حتى ولو كانت المرأة غاضبة عليهم . ثم بدلت الموضوع ببراعة فتحدثت عن العواطف والرقعة ، بحيث جعلت بريساك يبقى صامتاً مرتبكاً ، وجعلتني اعتقد انها على حق . وتعلمين اني بوصفي صديقاً للطرفين كنت طرفاً ثالثاً في

هذه المحادثة .

واخيراً اعلنت بصورة ايجابية انها لن تضيف عناء الغرام الى عناء الصيد ،  
وأنها ليست مستعدة لارهاق العاشق فيما هو بحاجة الى الراحة . وكان ان  
توجه بريساك المسكين الذي لم تتح له حرية الجواب إليّ ، فروى لي مطولاً  
حججه التي اعرفها اكثر منه . ورجاني ان اتحدث بذلك الى الفيكوتنيسة  
فوعده خيراً . وقد حدثتها بالفعل ، ولكن لكي اشكرها واتفق معها على  
ساعة لقائنا ووسائله .

وقالت لي بما انها تحتل غرفة بين زوجها وعشيقتها فقد اعتادت ان تذهب  
عادة الى غرفة بريساك بدلاً من ان تدعه يحضر الى غرفتها ، نظراً لكوني اظن  
غرفة مواجهة لها فهي تعتقد ان من الأفضل ان تأتي الى غرفتي . وانها ستحضر  
حين تتخلص من خادمتها ، وانه ليس عليّ الا ان ادع باب غرفتي نصف مفتوح .  
وقد تم تنفيذ كل شيء كما اتفقنا عليه . ووافقتني في ساعة مبكرة .

« ... في لباس بسيط

وجمال انتزع من السبات \* »

وبما انني لا أحب المباهاة ، فانتي لا اتوقف عند تفاصيل هذه الليلة ، بيد انك  
تعرفينني جيداً ، وقد كنت مسروراً من نفسي .

ولدى بزوغ الفجر ، كان لا بد من ان نفرق . وهنا تبدأ لذة القصة ، فالطائشة  
ظنت انها تركت باب غرفتها نصف مفتوح ، ولكننا وجدناه مقفلاً . وقد بقي  
المفتاح من الداخل : وليس بإمكانك ان تتصورني كم اصابها من الذعر واليأس . إذ  
قالت لي : « آه . . . لقد انفضحت » . ويجب الاعتراف انه كان من المتع  
تركها في هذا الموقف . ولكن هل يمكن لي ان ادع امرأة تنفضح بسببي ؟  
وهل يجب علي كسائر الرجال ان اتخاذل امام الظروف ؟ ماذا كان بإمكانك ان  
تفعلي يا صديقتي الحسنة ؟ اليك ماذا فعلت وقد نجحت :

لقد تبين لي حالاً ان الباب المذكور يمكن خلعه ولكن بعد إحداث ضجة

\* راسين في مأساته « بريتايكوس » .

كبيرة . وقد اقنمت اذن الفيكونتيسة ليس دون عناء بأن تطلق صرخات حادة مفزعة مثل : الى اللص ، او الى المجرم الخ. الخ. واتفقنا على ان ادفع الباب لى اول صرخة ، ثم تركض الى سريره . ولا تستطيعين ان تتصورى كم احتجت من الوقت لملها على ذلك . ولكن كان لا بد مع ذلك من تنفيذ هذه الطريقة فصرخت ، ولدى اول ضربة قدم منى انخلع الباب ، فلم تضع الفيكونتيسة ثانية واحدة من الوقت ، لانه فى اللحظة نفسها خرج الفيكونت وبريساك والخادمة راكضين الى غرفة السيدة الوجلة .

وكنى الوحيد بينهم هادىء الاعصاب ، وقد اغتنمت الفرصة لكي اطفىء مصباح السرير والقيه على الارض ، اذ تتصورين كم سيكون سخيفاً اظهار الذعر الخيف ومصباحها مضاء فى غرفتها ، ثم لمت الزوج والعشيق على نومهما العميق مؤكداً لهما ان الصيحات التى ركضت انا على اثرها ومحاولاتى لخلع الباب قد استغرقت على الاقل خمس دقائق .

وقد ايدتني الفيكونتيسة التى استجمعت شجاعته فى سريره واقسمت بأنه كان هناك لص فى غرفتها ، ووضعت فى لهجتها المزيد من الصدق ، وقالت انها فى حياتها كلها لم تصب بمثل هذا الذعر ، وكان ان بحشنا فى كل مكان فلم نعثر على شيء ، وكان ان لاحظت المصباح ملقى على الارض فرجحت بأن جرذاً كبيراً دون ريب قد تسلل الى الغرفة وسبب هذا الخوف والذعر ، ثم تبادلنا بعض المزاحات حول الجرذان ، ومضى الفيكونت اولاً الى فراشه لينام راجياً زوجته ان تقننى فى المستقبل جرذاناً اكثر هدوءاً .

وبقى بريساك معنا ثم اقترب من الفيكونتيسة لكي يقول لها بجنون ان ذلك كان انتقاماً من قبل الحب . وقد اجابت عليه وهى تنظر نحوى : « لقد كان اذن غاضباً جداً لانه عرف ان ينتقم بشدة » ثم اضافت : اننى منهوكة القوى واريد ان انام ..

وكنى على الاثر فى احسن حالاتى قبل ان نفرق ، فدافعت عن قضية بريساك وعملت على اصلاح ذات بينهما ، وكان ان تبادل العاشقان القبلا ، ونالنى نصيبى

منها أيضاً من كلا الطرفين . ولم اهتم كثيراً بقبيلات الكونتيسة بل اعترف ان  
قبيلات بريساك سرتني جداً ، وكان ان خرجنا معاً بعد ان تلقيت منه كثيراً  
من الشكر ، ومضى كل منا الى فراشه .

اذا وجدت هذه القصة متممة ، فاني لا اطلب اليك الاحتفاظ بها ، بل من  
حق الجمهور وقد استمتعت الآن بها ان يستمتع بدوره ، وفي الوقت الحاضر  
لا اتحدث الا عن هذه الحكاية ، وربما قريباً سنتحدث عن البطلة .  
الوداع ، ها قد مضت ساعة وخادمي ينتظر ، ولا آخذ من الوقت سوى  
ان اقبلك واوصيك ان تحترسي من بريفان .

## ٧٢

### من الفارس دانسي الى سيسيل فولانج

( سلمت فقط في ١٤ )

باريس في ١١ ايلول ١٧??

آه ، يا سيسيلتي ، كم اغبط حظ دي فالون ! فهو سيراك غداً ، وهو الذي  
سيسلمك هذه الرسالة . وانا الآن مضى بعيد عنك ، أخرج حياتي القاسية بين  
الندم والبؤس . فارثي لي ، يا صديقتي الطيبة ، على آلامي ، وبصورة خاصة  
إرثي لي على ما سببته لك من آلام . فالشجاعة تخونني ازاءها .

كم هو مؤلم ان اكون السبب في شقائقك ! اذ لولاي لكنت سعيدة ناعمة  
البال . فهل تسامحينني ؟ قولي .. آه ! قولي انك عفوت عني ، قولي ايضاً انك  
تحبينني وانك ستحبينني دائماً . انني بحاجة لان تكرر لي ذلك ، ليس لأنني  
اشك في حبك ، بل يبدو لي أنه كلما كان المرء متأكداً منه كلما كان عذباً ان  
يسمعه يقال . انت تحبينني بكل قواك ، وانني لا أنسى ان هذه آخر كلمة  
سمعتها من فلك . ولكم احتفظت بها في قلبي ! ولكم هي محفورة في اعماقه !  
وبأي حبور لباها فؤادي !

من المؤسف في تلك اللحظة من السعادة انني لم اكن اتوقع المصير المخيف

الذي ينتظرنا . فلنهتم اذن يا سيسيلتي بالوسائل التي تساعد على التخفيف من حدته . وانني اذا صدقتُ ما ارتآه صديقي ، حسبنا لكي نفوز بذلك ، ان توليه ثقة هو بها جدير .

لقد تكدرتُ ، وانا اعترف بذلك ، للفكرة السيئة التي يبدو انك كوتتها عنه . وقد لاحظت انها من وحي تحذيرات والدتك : وكان ذلك لكي يذكرني بأنني املت منذ بعض الوقت ، هذا الرجل المحب حقيقة الذي يفعل اليوم كل ما في وسعه من اجلي ، والذي يعمل اخيراً من اجل جمعنا ، فيما تكون والدتك قد فرقتنا . انني استحلفك ، يا صديقتي العزيزة ، بأن تنظري اليه نظرة حسنة . وفكري انه صديقي ، وانه يريد ان يكون صديقك وهو يستطيع ان يعيد اليّ السعادة في ان أراك ، واذا لم تكن هذه الاسباب لتقنعك ، يا سيسيلتي فذلك لانك لا تحبينني كما احبك ، ولن تحبينني بقدر ما احببتني ! آه لو كان عليك ان تحبينني يوماً اقل ، فسيكون من السهل عليّ ان اموت بدلاً من ان أتعزى . ولكن لا . ان قلب سيسيلتي هولي ، وهو لي مدى الحياة ، واذا كان عليّ ان أخشى عذاب حب بائس ، فان ثباتها على الأقل سينقذني من عذابات حب مخان .

الوداع يا صديقتي الرائعة ، لا تنسي انني اتعذب ، وان الامر لا يتوقف إلا عليك لكي تجعليني سعيداً ، سعيداً تمام السعادة ، اسمعي امنية قلبي واقبلي أرق قبلات الحب .

٧٣

من الفيكونت دي فالمون الى سيسيل فولانج

(مرفقة بالرسالة السابقة)

قصر دي ... في ١٤ ايلول ١٧??

ان الصديق الذي يخدمك قد علم انه ليس لديك ما يلزم للكتابة ، وقد أعد للأمر عدته . تجدين إذن في الغرفة المقابلة للشقة التي تحتلونها، تحت الخزنة الكبيرة

باتجاه يدك اليسرى كمية من الورق والأقلام والحبر ، يستطيع ان يجدها متى شئت . ويبدو له انك تستطيعين ان تتركبها في المكان نفسه اذا لم تجدي لها ملجأ اكثر أمناً .

وهو يطلب اليك الا تشعرى بإهانة اذا بدا انه لا يبدي نحوك اي اهتمام خلال الاجتماعات ، ويرجوك الا تنظري إليه الا كما تنظرين الى طفل . ان هذا المسلك يبدو له ضرورياً لإيحاء الأمن الذي هو بحاجة اليه . والعمل بفعالية من أجل سعادة صديقه وسعادتك . وسيحاول ان يخلق المناسبات لكي يتحدث معك اذا كان لديه ما يطلعك عليه او يسلمك اياه وهو يأمل ان يتوصل الى ذلك اذا ابدت نشاطاً في مساعدته .

وهو ينصحك بأن تعيدي اليه الرسائل التي ستلقينها لكي لا تتورطي بسببها .

وهو يختم هذه الرسالة بأن يطمئنك انك اذا منحتة ثقتك فسيبدل كل عنايته لكي يخفف من وطأة الاضطهاد الذي شاءت أم قاسية ان تجعل كائنين يعانيناه ، احدهما من خيرة اصدقائه والآخر يبدو له جدير بارق الاهتمام .

## ٧٤

### من المر كيزة دي ميرتاي الى الفيكونت دي فالمون

باريس في ١٥ ايلول ??

آه ! منذ متى يا صديقي ، تخيف نفسك بسهولة ؟ هل ان بريقان هذا يخيف إلى هذا الحد ؟ ولكن لاحظ كم انا بسيطة ومتواضعة ! لقد قابلت غالباً هذا الغازي الرائع : ولم اكن انظر إليه إلا لماماً !  
وكان لا بد من رسالتك حتى تجعلني اتنبه إليه . وقد تداركت ظلمي له أمس . اذ كان في دار الاوبرا قبالي تقريباً ، وقد اهتمت به . أنه جميل على الاقل ، لا بل جميل جداً ، ذو تقاطيع ناعمة ورقيقة ! ولا غرو فان رؤيته عن كسب

تزيد من بهائه . أنت تقول انه يريدني؟ اكيداً انه ليشرفني بذلك لابل «ويمتني»  
ولدي رغبة فيه . واعلمك هنا اني قمت بالمساعي الأولى . ولا ادري اذا  
كانت ستنجح ، واليك ما حدث :

لقد كان على بعد خطوتين مني ، ولدى خروجي من الاوبرا حددت بصوت  
عال موعداً مع المرميزة دي ... لكي اتعشى معها يوم الجمعة عند الماريشالة ...  
واعتقد ان هذا هو المنزل الوحيد الذي استطيع ان اقابله فيه . ولا اسك في انه  
سمعي . واذا كان جاحداً فسوف لا يحضر؟ ولكن قل لي اذن ألا تعتقد بأنه  
سيحضر؟ هل تدري انه اذا لم يأت فسأكون مستاءة طوال السهرة؟ أرأيت انه  
لن يجد صعوبة كبرى « في ملاحقتي » ، ولعل ما سيدهشك اكثر انه اصبح بعد  
الآن يعجبني . انه يريد ، كما يقول ، أن يهلك ستة جياذ لكي يغازلني . اعتقد  
انه ليس لدي صبر على الانتظار طويلاً . انت تعلم انه ليس من عاداتي ان اجعل العاشق  
يتقل على حر الجمر ، حين اكون قد حزمت امري واتخذت قراري بشأنه .  
أوه ! إعترف ان هناك لذة في ان تحدث بتعقل ! أليس « إنذارك الهام »  
سوى نجاح كبير؟ ولكن ماذا تريد؟ إنني اعيش في بطالة وضيق منذ مدة  
طويلة ! وها قد مضى علي اكثر من ستة اسابيع لم اسمح لنفسي خلاها بأي  
انشراح . وها ان الانشراح معروض الآن . هل أستطيع ان ارفضه؟ ألا  
يستحق الموضوع هذا الاهتمام؟ هل هنالك ألد منه مها كان المعنى الذي تفسر به  
هذه الكلمة؟ ..

انت نفسك مضطر لأن تنصفه . ولا تقوم إلا بالثناء عليه ، رغم انك غيور منه .  
اجل سأضع نفسي قاضياً بينكما : ولكن لا بد اولاً من ان احقق معه ، وهذا  
ما افعله الآن . سأكون قاضياً نزيهاً ، وستكونان موزونين كلاهما في ميزان  
واحد . اما في ما يتعلق بك ، فلدي ذكرياتك ، قد جرى التحقيق في قضيتك  
تماماً . اليس من العدل ان اهتم الآن بخصمك؟ هيا ، نفذ اوامري بطيبة  
خاطر . وارجو ان تعلمني في البداية ما هي هذه المغامرة الثلاثية التي هو بطلها .  
انت تحدثني عنها كما لو كنت اعرفها . بينما لا اعلم عنها شيئاً ، يبدو انها حدثت

اثناء رحلتي الى جنيف ، وقد منعتك غيرتك من ان تكتبها لي . تدارك هذه الغلطة في اقرب وقت . وفكر « ان لا شيء يتعلق به الا وهمي » ، ويبدو لي ان الناس كانوا يتحدثون بها لدى عودتي . ولكنني كنت مشغولة بامر آخر . وانا لا اصغي الا نادراً الى كل ما لم يكن وليد الامس او اليوم .

اما اذا كان ما اطلبه منك سيغيبك قليلاً ، افليس هو اقل ثمن انت مدين به اليّ مقابل العناية التي بذلتها نحوك؟ اليست هذه العناية نفسها هي التي جعلتك تقترب من رئيسك في الوقت الذي أدت بك حماقاتك إلى الابتعاد عنها؟ ثم الست انا التي وضعت بين يديك ، ما يجعلك تنتقم من نشاط السيدة دي فولانج المرير تجاهك؟ لقد شكوت غالباً من الوقت الذي تضيقه في البحث عن مغامراتك! اما الآن فانها في متناول يديك . الحب ، والكراهية ، ليس عليك الا ان تختار . كلاهما ينام تحت سقف واحد ، وانت تستطيع ، بمضاعفة جهودك ، ان تداعب بيد وتضع بالأخرى ، ثم انت مدين لي ايضاً . بمغامراتك مع الفيكونتيسة ، لأن الفضل فيها لرحلتك هذه وانا سرورة لذلك . ثم تقول ان على الناس ان يتحدثوا بهذه القصة ، ولكنني اعتقد ان هذه المرأة لا تستحق مثل هذه الطريقة الشريفة .

الوداع يا فيكونت ، فكر ان الوقت ثمين جداً في الوضع الذي انت فيه الآن . وانا سأستخدم وقتي من اجل سعادة بريفان .

## ٧٥

### من سيسيل دي فولانج الى صوفي كارني

من قصر ... في ١٤ ايلول ?? ١٧

( ملاحظة : تسرد سيسيل دي فولانج في هذه الرسالة تفاصيل كل ما وقع لها من احداث سبق القاري . ان اطلع عليها في نهاية القسم الاول وقد وجدنا من الافضل حذف هذا التكرار . ثم نتحدث اخيراً عن الفيكونت دي فالون كما يلي : )

.. اؤكد لك انه رجل خارق ، ان والدي تتحدث عنه بالسوء بينما يتحدث



عنه الفارس دانسنى بالخير ، واعتقد انه على حق . ولم أرَ في حياتي رجلاً  
بمثل دهائه . وحين سلمني رسالة دانسنى ، فعل ذلك أمام جميع الناس ، ولم  
يلاحظ احد شيئاً ، واعتراني في الحقيقة خوف شديد ، لأنني لم اكن أتوقع  
شيئاً ، ولكنني اصبحت الآن اتمياً لمثل ذلك ، وقد فهمت جيداً كيف يجب ان  
أصرف لكي اسلمه جوابي . والتفاهم معه سهل جداً . لأنه يملك نظرة تقول  
كل ما يريد . ولا أدري كيف يفعل . وقد قال لي في الرسالة التي حدثتك عنها  
انه لن يبذومهما بي امام والدتي ، وبالفعل يبدو وكأنه لا يفكر ابداً بي .  
ومع ذلك ففي كل مرة ابحت عن نظراته ، أكون متأكدة بأنني سأقابلها  
حالا .

توجد هنا صديقة لطيفة لوالدتي لم اكن اعرفها من قبل ، وهي كما تبدو  
لا تحب السيد دي فالون مطلقاً رغم انه يحيطها بعنايته واهتمامه . واخشى ان  
يتضجر قريباً من الحياة التي يقضيها هنا ، وان يعود الى باريس . وسيكون ذلك  
مزعجاً جداً ، اذ ينبغي ان يكون نبيل القلب حتى يأتي خصيصاً لكي يؤدي  
خدمة الى صديقه والي اكم أود أن ابلفه عرفاني بالجميل . ولكنني لا أعلم كيف  
أفعل لكي اتحدث معه . وحين ستتاح لي المناسبة سأكون خجولة جداً بحيث لن  
اعلم ماذا سأقول له .

وليس لي سوى السيدة دي ميرتاي اتحدث معها بجرية حين اتحدث  
عن حيي ، وربما معك ايضاً التي اروي لك كل شيء . اما اذا كان علي ان  
اتكلم فسأكون مرتبكة حتى مع دانسنى نفسه . فقد شعرت غالباً ، رغماً  
عني ، ببعض الخوف يعني من ان اقول كل ما افكر به . وألوم نفسي  
كثيراً على هذا التخوف ، وابذل كل ما في وسعي لكي أجهد لحظة استطيع  
ان اقول له فيها ، مرة واحدة ، مرة واحدة فقط ، كم احبه . وقد وعده السيد  
دي فالون بأنني اذا تركت نفسي اسير حسب توجيهاته ، فستتاح لنا الفرصة  
لكي نلتقي . وسأفعل كل ما يشاء . ولكنني لا استطيع ان افهم كيف  
سيكون الأمر ممكناً .

الوداع يا صديقي العزيزة ، لم يبق عندي مكان \*

٧٦

## من الفيكونت دي فالمون إلى المر كيزة دي ميرتاي

قصر ... في ١٧ ايلول ?? ١٧

إما ان رسالتك هي تهكمية لم افهم منها شيئاً ، واما انك كنت عند كتابتها في حالة جنونية خطيرة جداً . ولو كنت لا اعرفك بصورة كافية ، يا صديقي الحسنة ، لكنك حقيقة ارتعبت جداً . ومهما تستطيعين ان تقولي ، فأنا لا ارتعب بسهولة .

قرأت رسالتك مرة ومراراً ، ولكنني لم اتقدم خطوة واحدة ، لأنه ليست هناك وسيلة افسرّ بها رسالتك حسب المعنى الطبيعي الذي تعطيه . فماذا عنيت بها اذن ؟

فهل فقط من غير المفيد ان أعلق مثل هذه الأهمية على عدو ليس مخيفاً؟ ولكنك في هذه الحالة يمكن ان تكوني على خطأ . لأن بريفان هو حقيقة جذاب . وهو اكثر مما تتصورين . انه يتمتع بصورة خاصة بتلك المقدرة المفيدة جداً لأن يشغل الناس بحبه ، عن طريق البراعة التي لديه في التحدث عنه في المجتمعات وامام جميع الناس ، منتهزاً اول مناسبة يجدها . وقليل من النساء يستطيعن ان يتخلصن من الكمين الذي ينصبه لهن . لانهن جميعاً يملكن ادعاءات من الذكاء ، وليست هناك واحدة تريد ان تضيع الفرصة للتدليل على ذلك . بينما انت تعلمين أن المرأة التي توافق على التحدث عن الحب تصل في النهاية الى ان تعلق به ، او تتصرف كما لو كانت عالقة في الحب . وهو ما زال ينجح بهذه الطريقة التي

---

\* بما ان الآنة دي فولانج قد عثرت بعد وقت قليل على صديقة اخرى تفضي ليلها بأسرارها كما سئني في بقية هذه الرسائل ، فلن نجد بعد الآن في هذه المجموعة اية رسالة من الرسائل التي استمرت في ارسالها الى صديقتها في المدرسة ، لأنها لا تطلع القاريء على شيء جديد .

اتقنها الى درجة كبيرة بحيث يدعو النساء انفسهن الى الاعتراف بهزيتهن وان ما احدثك عند الآن قد خبرته بنفسى .

ولم اطلع على سرّه الا بواسطة شخص آخر . لاننى لم اكن ابدأ على علاقة وثيقة مع بريغان . ولكننا اخيراً كنا ستة اشخاص : وقد روت لنا الكونتيسة ب... التي لا يعوزها الدهاء والبراعة بحيث انها بدت كما لو كانت تتحدث عن موضوع عام ، اقول انها روت لنا بكثير من التفاصيل ما يفهم منه انها استسلمت لبريغان ، وكل ما جرى بينها . وقد روت هذه الحكاية باطمئنان وثبات حتى انها لم تنتبه الى الضحك الشديد الذي اجتاحتنا جميعاً في وقت واحد . واذكر دائماً ان احدنا شاء - بعد ان اعتذر - ان يظهر وكأنه شك بما قالته ، او بالاحرى ما تبدو أنها قالته . ولكنها اجابتنا بتأكيد انه ليس هناك احد سواها اكثر معرفة بما حدث ، وهي لا تحشى بأن تسأل بريغان نفسه عما اذا كانت قد اخطأت بكلمة واحدة في روايتها .

وقد استطعت ان أوقن اذن ان هذا الرجل يشكل خطراً على الجميع . ولكن الا يكفيه بالنسبة لك ، ايها المرکيزة أنه «جميل ، جميل جداً» كما تقولين انت نفسك ؟ فإما ان يوجه اليك احدى هذه الهجمات التي يعجبك ان تكافئها احياناً ، دون اي سبب آخر سوى انك تجدينها بارعة حقاً ؟ او انك وجدت من الممتع ان تسلمى نفسك اليه لسبب مبتذل ؟ او... من يدري ؟ هل يتسنى لي ان احزر الوف الالوف من المقاصد الفجائية التي تدور في رأس امرأة وليس لها داع ، والتي عن طريقها وحدها تتمسكين بيجنسك ؟

اما وقد أذرت الآن بالخطر فلا اشك بأنك ستفقدين نفسك معه بسهولة . ولكن كان لا بد مع ذلك من تحذيرك ، ها انى اعود من جديد الى رسالتك .. ماذا عنيت بها ؟

اذا لم تكن سوى تهكم على بريغان ، فانها لولا كونها طويلة ، ليست مفيدة تجاهي . بل يجب ان تعلمنيها على الناس لكي تسخري به امامهم ، واكرر لك رجائي في هذا الصدد .

آه . اعتقد انني اكتشفت السر ! ان رسالتك هي نبوءة ، ليس عما ستفعلينه بل عما سيعتقدك مستعدة لان تفعليه عند السقوط الذي تدبرينه له . وانا وافق كل الموافقة على هذا المشروع الذي يتطلب مع ذلك مداراة كثيرة . انت تعرفين مثلي ان خداع رجل ما ، وتلقي مغازلاته لها بنظر الجمهور تأثير واحد . اللهم الا اذا كان هذا الرجل مفعلاً . وبريفان ليس من هذا النوع . واذا فاز فقط حتى ولو بالمظهر ، فان ذلك كاف لأن يتباهى ويفتخر بنفسه ويروي كل ما حدث . وسيصدقه الاغبياء ، اما اللؤماء فسيبدون أنهم صدقوه : فماذا ستكون وسائلك ؟ انني في خوف عليك من ذلك . ليس لأني أشك في براعتك ولكن اولئك الذين يسبحون جيداً هم الذين يفرقون .

لا أعتقد بأنني أشد غباوة من اي رجل آخر ، وانا اعرف مئة وسيلة لالصاق العار بأمرأة ، لا بل ألف وسيلة : ولكنني حين اهتمت بالبحث كيف تستطيع ان تنقذ هذه المرأة نفسها لم أبدأ اي احتمال . وانت نفسك ، يا صديقتي الحسنة ، التي يعتبر سلوكها مثالياً ، لقد خيل إلي مئة مرة بأنني اجد فيك من السعادة اكثر من البراعة في التمثيل .

ولكنني ابحت على كل حال ، عن سبب ما ليس له وجود . وانا اعجب ، كيف اني منذ ساعة أعالج بصورة جدية ، ما ليس ، من المؤكد ، سوى مزاحة من جانبك . وستهزأين مني حتماً ! فليكن ولكن سارعي ، ولنتحدث عن موضوع آخر . عن موضوع آخر ؟ لقد اخطأت . لأن الموضوع دوماً هو نفسه ، فهناك دوماً نساء اما لامتلاكهن وإما لاضاعة عقولهن ، وغالباً كلا الفريقين .

لديّ هنا ، كما لاحظت جيداً ، ما يجعلني أتمرن في هذين النوعين معاً ، ولكن ليس بسهولة متعادلة ، وانا اتنبأ بأن الانتقام سيحدث بصورة اسرع من الحب . لقد وافقت الصغيرة فولانج على كل ما طلبته منها ، وأصبحت مسؤولاً عنها . والأمر لا يتوقف إلا على المناسبة ، وأتعهد بتكوينها . ولكن القضية ليست كذلك في ما يتعلق بالسيدة دي تورفيل : فهذه المرأة هي مؤسفة ، لا افهمها ابداً . لان عندي مئة دليل على حبها ، ولكن عندي الف دليل آخر على مقاومتها .

وفي الحقيقة أخشى أحياناً ان تكون قد افلنت مني .  
ان التأثير الاول الذي احدثته عودتي جعلني ازداد املًا . وانت تدركين اني اردت ان احكم بنفسي على هذا التأثير . ولكي اؤكد من رؤية الحركات الاولى لم اعلن عن قدومي بواسطة احد . وقد رتبتُ حضوري بطريقة تجعلني أصل خلال تناول الطعام . وبالفعل بدوت كأني سقطت من السماء .

وبعد ان احدثت كثيراً من الضجيج لدى دخولي لكي اجعل نفسي محط الانظار ، استطعت ان أرى بنظرة واحدة فرح عمي العجوز وغضب السيدة دي فولانج ، والسرور المشوش لابنتها . اما حسناي فكانت - بسبب المقعد الذي تحمله - تدير ظهرها إلى الباب ، وقد شغلها في اللحظة نفسه قطع شيء ما ، فلم تلتفت : ولكني وجهت الكلام الى السيدة دي روزموند ، ولدى الكلمة الاولى عرفت الورعة الحساسة صوتي ، فندت عنها صرخة ظهر لي فيها من الحب اكثر من المفاجأة أو الفزع . وكنت حينئذ قد تقدمتُ كثيراً لكي ارى وجهها : فإذا بصخب روحها ودمراع افكارها وعواطفها قد ارتسما على هذا الوجه بعشرين طريقة مختلفة . وجلست عند المائدة الى جانبها . فلم تعرف ماذا تقول ولا ماذا تفعل بل حاولت ان تنابع الأكل ، فلم تفلح .

واخيراً بعد مضي أقل من ربع ساعة وهي على هذه الحال حتى اصبح الارتباك والسرور اقوى منها ، لم تتخيل طريقة افضل من طلب الإذن بأن تخرج ، فغادرت المائدة وتوجهت نحو الحديقة بحجة انها بحاجة الى شم بعض الهواء . وشاءت السيدة دي فولانج ان ترافقها ، ولكن الورعة الرقيقة لم تسمح لها بذلك : لا ريب بأنها كانت جذلة جداً بأن تكون وحدها ، وتستسلم لانفعالات قلبها اللذيذة دون وجل .

وقد اختصرتُ الغداء على قدر الامكان ، ولكن السيدة دي فولانج الجهنمية أرادت ان تؤذييني ولا شك ، فنهضت سريعاً لكي تلحق بالريضة الفاتنة ، ولكني احبطت مشروعها هذا ، بأن حملت سائر الحضور على القيام بمثل هذه الحركة . وكان ان توجهنا جميعاً للاجتماع بحسناي التي وجدناها وحدها في البستان قرب

القصر . وبما انها لم تكن بحاجة الى شم الهواء اكثر من حاجتها الى العزلة ، فقد فضلت ان تعود معنا بدلاً من ان تدعنا نبقى معها .

وبعد ان تأكدت انه لن تتاح للسيدة دي فولانج فرصة التحدث معها على انفراد ، فكرت بتنفيذ اوامرك ، واهتمت بمصالح ربيبتيك الصغيرة دي فولانج . وكان ان صعدت بعد تناول القهوة الى غرفتي ، ودخلت ايضاً الى الغرف الاخرى لكي اتعرف الى من يحتملها . واعدت ترتيباتي لكي اضمن مراسلة الصغيرة ، ثم كتبت كلمة صغيرة الى الفتاة اعلمها فيها بالامر واطلب اليها منحي ثقتها . وارفقت كلمتي برسالة دانسني . وعدت الى البهو الكبير حيث وجدت حسائني الورعة مستلقية فوق كرسي طويلة في حالة استرخاء لذيذ .

وانعش هذا المنظر الذي ايقظ رغباتي ، انظاري ايضاً ، وشعرت بأنها يجب ان تكون رقيقة ناعمة ، وجلست بطريقة استطيع معها ان أستغلها . وكان تأثيرها الاول ان جعلت عيني حسائني الساوية الورعة تنخفض ، ورحت اتأمل بعض الوقت هذا الوجه الملائكي ، ثم اخذت اتفحص كل شخصها ، واخذت أسلئ بتخمين الزوايا والاشكال عبر رداء خفيف ولكن غير مناسب . وبعد ان نزلت بابصاري من الرأس ... لاحظت ان نظرة صديقتي الجميلة كانت مصوبة نحوي . وفجأة انخفضت من جديد . ولكني حولت انظاري عنها لكي اشجعها على مبادلتني النظرات . وهنا قام بيننا هذا الاتفاق الضمني الذي يعتبر اول معاهدة في الحب الخجول الذي يسمح بالنظرات ان تتلاحق بانتظار ان تتلاقى وذلك لارضاء حاجة متبادلة للنظر .

ولاقتناعي بأن هذه المتعة الجديدة تشغل حسائني كلها ، حرصت على ضمان امننا المشترك . وحاولت ان أفهم من عينيها ما تحدثني به صراحة بلغتها . وقد فاجأت في هذا الصدد بعض النظرات ولكن بكثير من التحفظ الذي لا يشين التواضع ، ولكنني بدوت انا نفسي مرتبكاً لكي اجعلها مطمئنة . وكان ان اعتادت انظارتنا شيئاً فشيئاً على ان تتجاوب في ما بينها ، وحدقت مدة اطول ، وما لبثت ان علقنت كل منها بالاخري . ولاحظت في نظراتها هذا الاسترخاء

المتع . وهي اشارة سعيدة على وجود الحب والرغبة . ولكن ذلك لم يستمر وقتاً طويلاً ، وكان ان عادت الى نفسها ، وبدلت وضعها ونظراتها بشيء من الخجل . ولم أشأ ان ترتاب في اني لاحظت مختلف حركاتها ، فنهضت بجيوبية سائلاً اياها بوجل ، عما اذا كانت تشعر بالأم .

وما لبث القوم جميعهم ان عادوا الى البهو فأحاطوا بها . فتركهم جميعاً يرون قبلي ، وبما ان الصغيرة فولانج كانت منهمكة في التطريز قرب النافذة وقد توقفت لبعض حاجتها ، إغتنمت الفرصة لكي اناولها رسالة دانسني . وكنت بعيداً قليلاً عنها ، فرميت بالمكتوب فوق ركبتيها . فلم تعرف في الحقيقة ماذا تفعل . ولو رأيتها لكنت ضحكت كثيراً من مظهر الارتباك والمفاجأة الذي بدا عليها . ومع ذلك لم اكن اضحك ابداً . لأني خشيت ان تفضحنا بتصرفاتها الخرقاء ، ولكنني افهمتها بنظرة حادة وبايماء واضحة بان عليها ان تضع الرسالة في جيبيها .

اما بقية النهار فلم تكن بذات بال ، وان ما جرى منذ ذلك الحين سيؤدي الى حوادث ستكون مسرورة منها على الأقل في ما يتعلق بمحضينتك . ولكن من الافضل استخدام الوقت للتنفيذ بدلاً من الكلام . وهذه هي الصفحة الثامنة التي اكتبها اليك وقد تعبت . الوداع اذن .

لعلك لا تشكين بان الفتاة قد اجابت دانسني \* ، كما انني تلقيت جواباً من حسناتي ردأ على رسالة وجهتها اليها غداً ووصولي . وسأرسل اليك الرسالتين لتقرأينها أولاً ثم تعيدنيها ، لأن هذه الثروة الدائمة التي لا تمتعني كثيراً قد لا تم شخصاً لا مصلحة له في الأمر .

الوداع ايضاً مرة أخرى ، احبك دائماً جداً ، ولكنني ارجوك - اذا عدت للتحدث ثانية عن بريفان - أن تجعليني افهمك .

---

\* هذه الرسالة لم نهثر عليها .

## من الفيكونت دي فالمون الى الرئيسة دي تورفيل

في ١٥ أيلول ١٧??

من اين يمكن ياسيدي، ان يأتي هذا الحرص الشديد الذي تبدلينه على الافلات مني؟ كيف يتسنى للشوق الملح من جانبي أن لا يلقي من جانبك الا معاملة لا تكاد تكون مسموحة تجاه رجل هو احق بالثناء منه بالجفاء؟ ماذا! لقد دفعني الحب الى الارتقاء عند قدميك، وحين وضعتني مصادفة سعيدة بالقرب منك، فضلت إظهار عارض صحي أقلق اصدقاءك بدلاً من ان توافقني على البقاء الى جانبي! وكمن مرة شئت بالأمس ان تحوي انظارك عني حتى تحرميني لذة التمتع بها، واذا كنت قد استطعت ان احظى لحظة واحدة بقليل من التساهل، فان هذه اللحظة كانت قصيرة جداً بحيث بدا لي انك لم ترغبني في ان اتمتع بها فترة اطول مما اشعرني بعذاب لحرمانني منها.

أجروء على القول ان هذه المعاملة ليست جديرة بالحب. وحتى مما لا تسمح به الصداقة! وانت تعلمين اي واحدة من هاتين العاطفتين هي التي تلهبني، وكنت اعتقد انك لن ترفوعي لي الأخرى. هذه الصداقة الثمينة التي اعتقدت ولا ريب اني جدير بها، لانك تلتفت بعرضها عليّ، فماذا فعلت اذن منذ ذلك الحين حتى فقدتها؟ هل تكون ثقتي هي التي اضرّت بي عندك؟ وهل تعاقبيني على صراحتي؟ ثم ألم التقي فعلاً بسرّ قلبي في صدر صديقي؟ أليس صحيحاً انه تسنى لي تجاهها وحدها ان اعتقد بأنني مضطر لرفض شروط كان يكفيني ان اقبلها لكي امنح نفسي سهولة عدم التقيد بها. لا بل وربما استغلها لمنفعتي؟ هل تريدان أخيراً بسبب قساوة لا استحقتها ان تحمليني على الاعتقاد بأنه كان ينبغي اني اخذعك لأنال زيداً من سعة الصدر والتسامح؟

انني لست نادماً ابداً على مسلك اشعر بأنني مدين به اليك، لا بل ومدين به إلى نفسي. ولكن اي قدر شاء ان يصبح كل عمل يستحق الثناء بالنسبة لي بمثابة إنذار بشقاء جديد؟



إنك بعد ان أحتج السبيل للثناء الوحيد الذي تنازلت فشملت به مسلكي اذا بي اجأر لأول مرة من الشقاء لكوني لم اعجبك . وانني بعد ان برهنتُ على خضوعي التام لاوامرك بجرمان نفسي من سعادة رؤيتك ، كل ذلك لكي اطمئن احتراسك، اذا بك ترغبين في قطع كل مراسلة معي ، واحرمانني من هذا التعويض الضعيف مقابل تضحية انت طالبتني بها ، ثم سلبتني الحب الذي اعطاك وحده هذا الحق . وبعد ان حدثتك باخلاص لم تضعفه مصلحة هذا الحب نفسها ، اذا بك اليوم تهربين مني كما لو كنت طاغوتاً خطيراً .

الا تكتفين ابدأ عن ان تكوني جائزة ؟ اعلميني على الأقل ما هي الاخطاء الجديدة التي حملتك على اظهار مثل هذه القساوة الشديدة، ولا تتورعي عن املاء الأوامر التي تريد ان اتبعها ، وحين اتمهد بتنفيذها هل اطلب شيئاً كثيراً اذا وددت معرفتها ؟

## ٧٨

### من الوثيقة نورفيل إلى الفيكونت دي فالون

في ١٦ ايلول ١٧??

انك تبدو يا سيدي مندهشاً من مسلكي ، ولا ينقصك سوى ان تطلب مني حساباً عن ذلك كما لو كان لك الحق بلومي عليه . واعترف بأنه كان بالأحرى عليّ ان اندهش وان اشكو ، ولكن منذ الرفض الذي ابديته في رسالتك الأخيرة قررتُ ان الجأ إلى لامبالاة متناهية لا تدع مجالاً للملاحظات ولا للمآخذ . ومع ذلك بما انك طلبت مني توضيحات عن هذا الموقف ، وانا بفضل السماء ، لا اشعر ان هناك ما يمكن ان يمنعني من تقديمها اليك ، فاني اود ان اخوض معك مرة اخرى مناقشة من هذا النوع .

ان من يقرأ رسائلك يعتقد انني ظالمة وغريبة الاطوار ، واعتقد انني استحق الا يكون اي انسان عني هذه الفكرة . ويبدو لي انك انت بصورة خاصة اقل

من غيرك اخذاً بمثل هذه الفكرة . لا ريب في انك شعرت - يجمل  
تبرير موقفي ضرورياً - انك تحملني على تذكر كل ما حدث بيننا .  
لقد اعتقدت ظاهرياً انك لا محالة ناجح في هذا الامتحان . وأنا من جهتي  
لا اعتقد بانني سأكون خاسرة ، على الاقل بنظرك . ولذلك لست خائفة من  
وضع نفسي موضع الامتحان . ولربما كان هذا هو السبيل الوحيد لمعرفة من منا  
عليه ان يشكو من الآخر .

اذا استعرضت يا سيدي علاقتنا منذ وصولك الى هذا القصر لاعترفت - كما  
اعتقد - ان سمعتك جعلتني على الاقل ابدو متحفظة تجاهك . وقد كان بإمكانني  
دون ان اخشى ان يوصفي الناس بالمفرطة في التعفف ، ان اتقيد فقط بالتقاليد  
الوحيدة للتهذيب الفاتر ، ولكنك انت نفسك عاملتني برحابة صدر ، ولكنك  
وجدت طبيعياً ، من امرأة قليلة الخبرة ، ان لا تكون لديها الزية الضرورية  
لتقدر مزيتك . وقد كان أكيداً ان اقف هنا موقف الحذر ، وما كان ذلك  
كفني شيئاً . لا اخفي عليك انه حين اعلمتني السيدة دي روزموند نبأ  
وصولك ، اضطررت الى تذكر صداقتي نحوها وصداقتها نحوني ، لكي اجعلها  
لا تلاحظ كم ان هذا النبأ اغاظني .

وكان عندئذ ان استغللت حسن نيتي ، ولم تخش ان تطارحني عاطفة لم تكن  
تشك في انها تبهيني . وبينما لم تهتم الا بزيادة خطورة اخطائك بمضاعفتها ، كنت أنا  
احاول ان اجد مبرراً لتناسيها ، عارضة عليك فرصة الرجوع عنها وتداركها .  
او على الاقل تدارك قسم منها .

وكان طلبي عادلاً الى حد انك انت نفسك لم تستطع ان ترفضه : ولكنني  
بمنحك حق الحصول على تسامحي ، اغتنمت الفرصة لكي تطلب مني السماح لك  
بالكتابة اليّ ، وهو امر كان يجب عليّ ولا شك ان لا امنحك اياه ، ومع ذلك  
فقد نلته ، لا بل وفرضت شروطاً لذلك ، غير انك لم تتقيد بواحد منها . وكانت  
مراسلتك متطاوله بشكل كان كل واحد من خطاباتك يعرض عليّ واجب عدم  
الرد عليه . وفي الوقت الذي حملني فيه عنادك على ابعادك عني تماماً ، حاولت

ربما في تصرف يستحق اللوم اتباع الوسيلة الوحيدة التي يمكن ان تسمح بتقربك . ولكن اي ثمن بنظرك شئت ان تفرضه مقابل عاطفة شريفة ؟ انت تحتقر الصداقة . وارك في حالة نشوتك الجنونية لا تحسب حساباً للتعاسات والحجبل ، ولا تبحت الا عن اللذات والضحايا .

وكا انك خفيف في تصرفاتك ، كذلك انت غير واع في ماخذك ، لأنك تنسى وعدك ، او بالاحرى تقوم بلعبة لخرقها . واذا بك بعد ان وافقت على الابتعاد عني ، تعود الى هنا دون ان يدعوك احد ، ودون ان تحترم رجائي او ظروفي ، ودون ان يكون في عزمك ان تبلغني الامر ، كما انك لم تحش ان تعرضني لمفاجأة رغم ان تأثيرها بسيط اكيراً ، إلا انها ربما فُسرّت من قبل الاشخاص الذين يحيطون بنا بشكل سيء الى سمعي . ان هذه اللحظة من الارتباك التي خلقتها لم تعمد إلا إلى زيادتها بدلاً من ان تحاول ازلتها او تحويلها : فلقد تعمدت اختيار مقعدك على المائدة إلى جانبي ، ثم حملني عارض بسيط على الخروج قبل الآخرين . واذا بك بدلاً من ان تحترم عزلي ، تحمل جميع القوم على الحضور لمقابلتي . وبعد ان عدت الى الصالون ، لم يتسن لي ان اقوم بخطوة دون ان اجدك امامي ، واذا قلت عبارة ، تنقطع دوماً للإجابة عليّ . وان الكلمة الاكثر لا مبالاة تخدمك كحجة لكي تخوض معي محادثة لا اريد سماعها ، لا بل يمكن ان تورطني : واخيراً يا سيدي مها كانت البراعة التي تبذلها في الحديث فان ما أفهمه انا يستطيع غيري ان يفهمه ايضاً .

وهكذا اضطرت بسببك الى التزام الجمود والصمت ولكنك لم تكف مع ذلك عن ملاحظتي . ولا استطيع ان ارفع انظاري دون ان اقابل انظارك ، وانا مضطرة باستمرار لأن أحول ابصاري عنك ، لا بل ان تصرفاتك الهوجاء تجعل انظار القوم تحطّ عليّ بينما أود لو ان اتخلص من انظاري نفسها .

ثم انت تشكر فضلاً عن كل ذلك من معاملتي ! وتندش من استعجابي في الافلات منك ! لقد كان الأجدر بك ان تلومني على سعة صدري ، وعلى اني لم ارحل عند مجيئك . لربما كان عليّ ان افعل ذلك . وستضطرني الى اتخاذ هذا القرار

العنيف ، ولكنه ضروري ، اذا لم تكفّ اخيراً عن ملاحقاتك المهينة .  
كلا ، لست أنسى ولن انسى مطلقاً ، ماذا يجب عليّ ان افعل تجاه نفسي ،  
وتجاه ما عقدت عليه النية . وهي نية احترامها واعزها . وأرجوك ان تعتقد  
انني اذا ما اضطررت يوماً الى هذا الاختيار المرير ، بين ان اضحي بها او أضحي  
بنفسي ، فلن اتردد لحظة واحدة . الوداع يا سيدي .

٧٩

## من الفيكونت دي فالمون الى المر كيزة دي ميرتاي

قصر ... في ١٨ ايلول ?? ١٧

كنت اعترم الذهاب الى الصيد هذا الصباح ، ولكن الطقس رديء للغاية ،  
ولا يوجد عندي ما اطالعه سوى رواية جديدة قد تضجر حتى التلميذة الداخلية ،  
وما زالت امامنا ساعتان لتناول الغداء : وهكذا سأتحادث اليك اليوم ايضاً  
مطولاً رغم رسالتي الطويلة امس . وانا متأكد بأنني لن ادخل السأم الى نفسك .  
لانني سأحدثك عن «الجميل جداً» بريفان : كيف لم تعرفي بعد بمغامرته الثلاثة  
الشهيرة ، تلك التي فرقت بين من كان لا يمكن تفريقهم؟ اراهن بأنك ستندكرينيها  
لدى اول كلمة . ومع ذلك فاليك بها ، ما دمت تطليبنها :

انت تذكرين ان مجتمع باريس بأسره كان مندهشاً لرؤية ثلاث نساء جميعهن  
جميلات فاتنات ، يملكن أرهف المواهب ، ويتمتعن بالاذواق ذاتها . وقد ظلن  
دائماً متوثقات الصلة في ما بينهن منذ ان دخلن المجتمع الراقي . وقد ظننّ أن  
ثمة سبباً مجبولاً يحملهن على سلوك هذه العلاقة الحميمة المفرطة ، ولكنهن ما لبثن أن  
وجدن انهسهن محاطات بعدد كبير من المعجبين كن يتقاسمن اطراءهم ، وقد  
عرفن مقامهن في النفوس بما كن يتعرضن له من اهتمام وإحاح . ولكن اتحادهن ظل  
ثابتاً لا يتزعزع بل ازدار توطداً ، حتى قيل ان الفوز باحداهن معناه دائماً  
الفوز بالاثنتين الباقيتين . وكان يؤمل بأن تؤدي فترة الحب وغرقهن فيه الى

اثارة شيء من التزاحم والغيرة او الخصومة بينهم ، ولكن شيئاً من ذلك لم يحدث . لا سيما وان احلى شبابنا اخذوا يتزاحمون على شرف التفريق بينهم . وأنا نفسي كنت اود ان اضع نفسي في طريقهم لولا ان غرام الكونتيسة دي .. كان قد استولى عليّ في ذلك الحين ، ولم اشأ ان اشغل نفسي بشيء آخر قبل ان احقق بغيتي منها .

وفي الاثناء وقع اختيار جيلاتنا الثلاث في حفلة تنكرية على ثلاثة عشاق في آن واحد ، وكان الانسجام بين الجميع تاماً . ومع ان هذا الحدث لم يثر من العواصف ما توقعه الجميع ، الا انه على العكس جعل صداقتهم أشد توثقاً . وقد انضم فريق الطامعين الفاشلين من الشبان إلى فريق النساء الحسودات ، وهكذا أصبح ثبات هؤلاء الفتيات الثلاث على حبهن عرضة للقليل والقال . وكان البعض يزعم ان القانون الأساسي « لمجموعة غير المتفرقات » ( هكذا كانوا يدعونهن في ذلك الحين ) يقضي بتقاسم الاملاك بصورة مشتركة في ما بينهم ، وكان البعض الآخر يؤكد ان الحب نفسه أصبح قاسماً مشتركاً وان العشاق الثلاثة يتقاسمون في ما بينهم حظوة النساء الثلاث .

ولكن هذه الاشاعات الصحيحة او الباطلة لم تؤد الى النتيجة المطلوبة ، بل شعر الأزواج الثلاثة ان في تفرقهم هلاكهم ، فقرروا الصمود بوجه العاصفة ودحض جميع الاقاويل . وما لبث ان سلام المجتمع ، وتحول إنتقاده الى تقريظ واعجاب بمسلك هؤلاء العشاق والعشيقات المنابرات على العهد . الى ان وصل النبأ الى بريغان فأعلن انه مستعد ان يتحقق من الامر بنفسه ، مسلطاً بذلك انظار المجتمع عليه وعلى هؤلاء النساء العجيبات .

وكان ان سعى الى التقرب من النساء حتى حظي بالدخول الى مجتمعهن ، فوجد ان الانسجام لم يكن سائداً بينهم ولا بينهم وبين عشاقهم تماماً كما كان يتصور الجميع ، بل ان هذا وذاك من العشاق الثلاثة كان غالباً ما يتخلف عن الحضور للاجتماع بمجيبته . وكان بريغان يفتن الفرصة ليواسي العشيقة المهجورة ويغازلها في الوقت نفسه . وفي الاثناء ظل النساء الثلاث يحافظن على صداقتهم الحميمة امام اعين الناس ، بينما أصبح عشاقهن اكثر حرية وهكذا كانت

سهرات الجميع غالباً غير مكتملة .

وقد رأى بريغان بثاقب بصره ان اختيار واحدة منهم سيخبط مشروعه ، وان الاولى بينهن التي ستفكر بأن تخون عشيقها معه . ستجد نفسها عرضة لعداء الأخيرتين . مما قد يشكل مصاعب عديدة بوجه العشيق الجديد .

وأخيراً جاء اليوم الحاسم . إذ بعد ان تأكد بريغان من عطف الفتيات الثلاث عليه كل على حدة وبعد ان حصل على اعتراف كل منهن بحبه دون ان تعلم رفيقتها بالامر . أيقن انه بات سيد الموقف ، ووجه ثلاث رسائل الى جميلاته الثلاث كلا على حدة ، يهددها فيها انها اذا لم تنفصل عن عشيقها فإنه سيتخلى عن حبها . وهكذا اضطرت كل من الحسان الثلاث الى ارسال رسالة الى عشيقها السابق تقطع فيها علاقتها معه .

كما نجح بريغان في الاجتماع بكل امرأة على حدة دون ان تشعر الاخرى بها . اما الرجال الثلاثة فقد اتضح لكل منهم ان عشيقته قد ضحّت به في سبيل بريغان وقد ثارت ثائرتهم جميعاً ، وقرروا دون ان يكون هناك سابق اتفاق في ما بينهم ان يتحدّوا بريغان ويدعونه الى المباراة .

وهنا تفتقت الحيلة البارة لدى بريغان فعين للجميع موعداً واحداً لمبارزته في مكان واحد وساعة واحدة .

وذهب في الموعد المقرر الى المكان الذي حدده لهم فوجد خصومه الثلاثة قد التقوا وهم مندهشون في ما بينهم لهذه المفاجأة ، اذ لم يكونوا يعلمون ان المصيبة قد جمعتهم ، مما ادخل الى قلب كل منهم بعض الغزاء لرؤية رفيقه واقعاً في المشكلة ذاتها . وقد قابل بريغان خصومه الثلاثة بروح النبل والشهامة وقال لهم : «لقد اتضح لكم جميعاً بوجودكم هنا معاً انكم مشتركون في الشكوى مني ، وانا اعطيكم كل الحق في ذلك ، واضع مصيري بين ايديكم . فاختراروا من بينكم واحداً بالقرعة لمنازلتني واخذ ثأره مني» .

ولكن خصومه وقد اعجبوا بجرأته ، اخذوا يتبادلون النظر في ما بينهم ، ولعلمهم شعروا ان المعركة لن تكون متكافئة ، فالتزموا الصمت . وهنا استأنف

بريفان كلامه قائلاً : لا اخفي عليكم انني قضيت امس ليلة متعبة جداً ، وسيكون كرمًا منكم لو تلطفتم فسمحتم لي بأن اذهب فأرتاح هذا النهار . ولكنني اصدرت اوامري باحضار غداء جاهز إلى هنا ، فامنحوني شرف قبول دعوتي ، ولتتغدى الآن معاً . لا بل لتتغدى ببحبور ومرح ، وليس ما يمنع المرء الذي يريد ان يبارز من اجل شرفه ان يظل محتفظاً بروحه المرحة الكبيرة .

وقد اظهر بريفان خلال المأدبة من الكرم واللفظ الزائدين ما أشعر ضيوفه باحترامه الشديد لهم ، وانه ابعد ما يكون عن الرغبة في اهانتهم . كما أقنع الجميع ان اياً كان غيره كان حتماً سيفوز بحظوة الفتيات الثلاث لو حاول محاولته . وان مثل هؤلاء الفتيات لا يستحقن ان يقتل الانسان نفسه من اجلهن . وهكذا خرج الجميع من المأدبة وهم اصدقاء .

وقال لهم بريفان : « كان الاحرى بكم ان تنتقموا من خليلاتكم الخائنات بدلاً من ان تحاولوا الانتقام مني ، وها انذا اعرض عليكم الفرصة . لأنني انا نفسي سأشعر مثلكم بالاهانة ، وانه اذا لم يستطع اي واحد منكم ان يجعل الواحدة منهن تثبت على عهده ، فهل استطيع انا ان اثبت الثلاث معاً ؟ ولذلك ادعوك الى تناول العشاء معي هذا المساء نفسه في بيتي . وآمل ألا اكون بذلك قد أجتلتُ طويلاً فرصة انتقامكم » . وسألوه عن الغاية من هذه المأدبة فقال لهم : « دعوا الأمر لي واعتمدوا عليّ » . ولم يشأ ان يوضح اكثر من ذلك ، وقد وافق الجميع على الدعوة وتبادلوا مع صديقهم الجديد القبلات الحارة !

ولم يشأ صاحبنا ان يضيع دقيقة واحدة من وقته فعاد رأساً الى باريس ، وتوجه الى زيارة حسناواته الثلاث حيث حصل منهن ببراعة على وعد بالحضور الى منزله في المساء نفسه لتناول العشاء ، وقد حدد لكل منهن موعداً مختلفاً عن موعد الاخرى بمدة ساعة واحدة من الوقت . ثم رجع بريفان الى رفاقه الثلاثة فأعلمهم بالأمر .

وحين وصلت الاولى استقبلها بريفان وحده بكل شوق وترحاب وقادها الى مخدع الغرام حيث اعتقدت نفسها انها ذات حظ كبير ، ثم اختفى بحجة

خفيفة ، تاركاً مكانه على الاثر للعاشق المهجور .

وبامكانك ان تتصورى مبلغ خجل امرأة ليست معتادة على المغامرات في مثل هذه اللحظة ، حيث يكون الفوز بها سهلاً . وغالباً ما يتحول اللوم الى عطف وتكريم ، وهكذا سامت الجارية الهاربة من جديد الى سيدها ، وهي سعيدة بانها تستطيع ان تأمل في الحصول على تسامحه وعفوه ، واستئناس علاقتها معه . وهكذا عقدت معاهدة الصلح في مكان منعزل بين العاشقين ، من جديد ، ثم تخليا عن المسرح الى الممثلين الآخرين اللذين شغلوا بالطريقة نفسها وقاما بتمثيل الرواية نفسها .

ومع ذلك كانت كل من النساء الثلاث تعتقد انها هي وحدها موضع الشبهة وبطلة الرواية . ولكن دهشتن وارتباكهن ما لبثا ان تضاءلوا وقت العشاء حين اجتمع الأزواج الثلاثة . ولكن المأساة بلغت ذروتها حين ظهر بريغان في النهاية وسط الجميع ، وبلغت به الجراءة القاسية ان قدّم اعتذاره للنساء الثلاث . فاضحاً بذلك سرهن وقد تبين لهن كم كن مخدوعات .

ومع ذلك جلس الجميع الى المائدة ، واستسلم النساء لرجالهن ، وحلّ المرح محل الغضب والكراهية ، والرغبة محل الاهانة ، واستمرت المعركة حتى الصباح ، وحين افترق الجميع ظن النساء انهن نلن الصفح ، ولكن الرجال الذين ما زالوا حاقدين عليهن انفصلوا عنهم انفصاليا لا رجوع بعده . وكانوا ان فضحوا خيلاتهم امام الرأي العام . ومنذ ذلك الحداث ذهبت احدهن الى الدير ، وعادت الاثنتان الباقيتان الى قريتهما مفضلتين الابتعاد نهائياً من مجتمع باريس . هذه هي قصة بريغان ، بقي الآن عليك ان تقرري ما اذا كنت تريد ان تضيفي الى اجماد بريغان مجدداً آخر . لأن رسالتك اثارت في نفسي قلقاً خطيراً ، وانا انتظر بصبر نافذ جواباً اكثر تعقلاً واكثر وضوحاً من جوابك الأخير .

الوداع يا صديقتي الحسنة ، حاذري من الافكار المرحّة او الغريبة التي تغريك دائماً بسهولة . وفكري ان الذكاء وحده ليس كافياً في التصرفات التي تسلكينها وان غلطة واحدة تصبح شقاء لا دواء له . واشعري اخيراً ان الصداقة الحذرة



يجب ان تكون دليل متمك .  
الوداع ، أحبك مع ذلك كما لو كنت متعلقة .

## ٨٠

### من الفارس دانسي إلى سيسيل دي فولانج

باريس في ١٨ أيلول ?? ١٧

سيسيل ، يا عزيزتي سيسيل ، متى يحين اذن وقت تلاقينسا ؟ ومن يعلمني كيف أعيش بعيداً عنك ؟ ومن يمنحني القوة والجرأة ؟ كلا ، ابدأ ، لن أستطيع تحمل هذا الغياب المرير ، وكل يوم يأتي يزيد من شقائي ، ولا أرى له من نهاية ! ان فالون يهمني ، لعله ينساني . إنه قريب من يحب ولا يعرف كم يتمذّب المرء حين يكون بعيداً عن حبيبته ، وهو حين أوصل إليّ رسالتك الاخيرة لم يكتب اليّ شيئاً . ومع ذلك فهو الذي يجب ان يبلغني متى وبأية طريقة أستطيع ان أراك ، أليس لديه اذن ما يعلمني به ؟ وانت نفسك لا تحدديني عن ذلك . فهل يكون معنى ذلك انك لا تشاطريني هذه الرغبة ؟ آه يا سيسيل اني تعيس جداً ، وأحبك اكثر من اي وقت مضى ، ولكن هذا الحب الذي كان لذة حياتي أصبح الآن يشكل هما الأوحده .

كلا ، لا أستطيع ان أعيش هكذا . لا بد من ان اراك . ولو للحظة قصيرة .  
وحين انهض صباحاً اقول لنفسني : « ترى متى اراها » وحين انام اقول : « اني لم اراها ابدأ » . ولا اجد طوال هذه الأيام الطويلة اية لحظة سعادة . وكل ما حولي حرمان ، وندم ، ويأس ، وجميع هذه الآلام تأتيني من تلك التي انتظر منها مُتمعي . واذا أضفت الى هذه الآلام المميّنة قلقي على آلامك ، تستطيعين ان تكوني فكرة عن وضعي ، اني افكر بك على الدوام ، ولا افكر ابدأ دون اضطراب . واذا رأيتك تعيسة بائسة أحس بجميع اشجانك . واذا رأيتك هادئة مطمئنة تتضاعف آلامي . وهكذا القى التعاسة في كل مكان .

آه كم كان الحال مختلفاً حين كنت هنا . اذ كان كل شيء لذة ونعياً .  
وكان التأكد بأن أراك يضي سعادة على الاوقات التي اكون غائباً فيها عنك ،  
وكان الوقت الذي امضيه بعيداً عنك يقربني منك بمروره . كما ان ما اصرفه  
من وقت لم يكن غريباً عنك ، فاذا قمت ببعض الواجبات فلكي تجعلني جديراً  
بك . واذا غذيت في نفسي بعض المواهب فلكي اعجبك . حتى ولو صرفتني  
جميع التسلية بعيداً عنك أظلم غير منفصل عنك . ففي المسرح  
كنت احاول ان احزر ماذا يمكن ان يكون قد اعجبك . وفي الحفلة الموسيقية  
كنت اتذكر مواهبك ومشاعرك الرقيقة الناعمة . وفي المجتمع والنزهات كنت  
ابحث عن اقل شبه بك ، وكنت اقارنك بالجميع . وكل لحظة من النهار كانت  
تجعلني اكتشف فيك مزية جديدة . وفي كل مساء كنت اقدم الجزية عند قدميك .  
اما الآن فماذا بقي لي ؟ حسرات مؤلمة ، وحرمان ابدي ، وامل ضئيل  
جعله صمت فاللون يزداد تضاداً ، وجعلني صمتك أزداد قلقاً . ان عشرة فراسخ  
فقط تفصل بيننا ، ولكن هذه المسافة القصيرة أصبحت بالنسبة لي عقبة لا  
أستطيع اجتيازها . وحين أناشد صديقي وحبيبي لكي يساعدني على اجتيازها ،  
اذا بهما يقابلاني بالصمت والهدوء .

ماذا جرى اذن لصداقة فاللون النشيطة ؟ وماذا أصبحت عليه مشاعرك  
الرقيقة التي كانت تبتدع المناسبات للقائنا ( كل يوم ) ؟ وفي بعض الاحيان ،  
استعيد ذكرها دون ان اكف عن الرغبة فيها بحيث انني اضطر الى ايجاد بعض  
الاعذار والاعتبارات والواجبات لك . ولكنك لا تحذيني عنها بشيء . ولكن  
بأية أعذار تقاومين رغباتي ؟ كم ان رغباتي تتفق مع رغباتك ؟ انني لا اجعل  
منها موضع فخر لي ، ولن اضحي بها بل إن ما ترغبين في نيله اتحرق انا شوقاً  
لمنحه . ولكنني اطلب منك اخيراً - ويا له من طلب - ان اراك فقط لحظة  
قصيرة ، اجدد لك واتلقى خلالها قسماً على الحب الابدي الدائم . اليس في ذلك  
سعادتك كما هي سعادتي ؟ إنني استبعد اليأس الذي يكاد يقضي عليّ . انت  
تحبينني ، وستحبينني دائماً كما اعتقد ، وانا متأكد من ذلك . ولا اريد ابدأ ان

اشك في هذا الامر . ولكن وضعي أصبح في حالة يرثى لها ، ولا أستطيع ان  
اتحملة طويلاً ، الوداع يا سيسيل .

## ٨١

### من المراكيزة دي ميرتاي الى الفيكونت دي فالمون

باريس في ٢٠ ايلول ?? ١٧

كم تثير مخاوفك شفتي ! وكم تبرهن لي عن تفوقتي عليك ! انت تريد ان  
تعلمني كيف أتصرف ! آه . كم ان الشقة بيننا ايها المسكين فالمون ماتزال  
بعيدة ! كلا .. ان كل عظمة جنسك لا تكفي لسد الهوة التي تفصل بيننا .  
ثم نظراً لجزءك عن تنفيذ مشاريعي ، تحمك عليها بأنها مستحيلة ! وان كونك  
متكبراً وضعيفاً يقعدك عن الرغبة في ان تحسب حساباً لوسائلتي وفي الحكم على  
اساليبي ! في الحقيقة ايها الفيكونت ان نصائحك قد أثارت استيائي ، ولا أخفي  
عليك ذلك .

لقد عمدت لتغطية سوء تصرفك الاخرق تجاه رئيستك ، إلى التباهي امامي  
تكراراً ، كما لو انك حققت نصراً عظيماً ، بأنك استطعت ان تدخل الحيرة على  
امرأة خجول تحبك . وهنا أود ان اصدقك . ثم انك حصلت على نظرة ، نظرة  
واحدة فقط منها ، وهنا اسمح لي ان أبتمس ، وارجو ان تبتمس معي . لعلك  
شعرت ، رغماً عنك ، بما للمسلوك هذا من قيمة ضئيلة ، فحاولت أن تخفيها عني  
عن طريق اطلاعي على الجهد الكبير الذي يتطلبه جمع غلامين يتحرقان  
شوقاً لكي يتقابلا ، وكلاهما - واقول ذلك بصورة عابرة - مدين لي وحدي  
بحرارة هذه الرغبة ، وهنا اوافقك على ذلك ايضاً ، ثم تسمح لنفسك أخيراً  
باستخدام هذه العبارة الطنانة لكي تقول لي بلهجة مدعية « بأن من الأفضل استخدام  
الوقت لتنفيذ المشاريع بدلاً من روايتها » ان هذه المباهاة لا تؤذي ، وانا اسامحك  
عليها ... ولكن ان تتمكن من الاعتقاد أنني بحاجة إلى حذرك ، وأني سأضيع

نفسى إذا لم أتقيد بأرائك ، وان عليّ ان اضحي من أجلها بمتعة او برغبة دون مقصد ! في الحقيقة يا فيكونت انك تبالغ جداً في الفخر بثقة شئت أن أمنحك إياها .

وأى عمل قمتَ به دون أن أتمكن من سباقك فيه بأشواط ؟ لقد أغويت . وأضعت عقول كثير من النساء ، ولكن اية صعوبات كان عليك ان تتغلب عليها ؟ وما هي العقبات التي وقفتَ في طريقك ؟ وأين هي الميزة الحقيقية التي يمكن أن تُعزى إليك ؟ وجه جميل : وليد مصادفة بحتة ، وشمائل لطيفة : وليدة التمرين الذي يمنحها لأي كان ، وتلاعب بارع في الكلام في الحقيقة يمكن استبداله بلفظة متفق عليها عند الحاجة . وقحة متناهية تُحسدُ عليها ، ولكنها عائدة ربما إلى نجاحاتك الاولى . تلك هي وسائلك إذا لم اخطيء العد : لأنك بالنسبة للشهرة التي استطعت ان تحصل عليها ، لن تطالبني كما اعتقد ان احسب حساباً لخلق المناسبات او اغتنامها .

أما في ما يتعلق بالحذر والرقّة ، فإنني لا أريد أن أتحدث عن نفسي ، ولكن أية امرأة في العالم لا تملك منها اكثر منك ؟ ثم ألا تلاحظ ان رئيسك تقودك كما لو كانت تقود طفلاً ؟

صدقني أيها الفيكونت ، من النادر الحصول على الخصال الحميدة التي يمكن الاستغناء عنها . ربما انك تحارب دون مجازفة ، وتتصرف دون احتراس . وبالفعل فان الانهزامات بالنسبة إليكم معشر الرجال ليست سوى نجاحات أقل . وفي هذه المباراة غير المتعادلة فان ثروتنا هي عدم الخسارة ، ومصيبتكم عدم الفوز . وحين أمنحك هذا القدر من المواهب مثلنا ، فكم ينبغي علينا اذن أن نتفوق عليكم ، بسبب ما لدينا من حاجة لكي نستخدم مواهبنا بصورة مستمرة ! لنفترض انك تبذل من البراعة للتغلب علينا بقدر ما نبذل نحن منها لكي ندافع عن انفسنا او نستسلم ، ولكن يجب ان تعترف معي ان براعتكم هذه تصبح عديمة الفائدة بعد نجاحكم . إذ تهتمون فقط بذوقكم الجديد ، فتستسلمون دون وجل ودون تحفظ ، لأن طول مدة النجاح يتعلق بكم .

وبالفعل فإن هذه العلاقات المعطاة والمأخوذة بتبادل ، - ولنستخدم هنا لغة الحب - تستطيعون انتم وحدكم ، وباختياركم ان توثقوها او تقطعوها : وهن سعيدات ايضاً ، إذا فضلتم في خفتكم ، الغموض على الوضوح . ولم تجعلوا من معبودة الأمس ضحية اليوم التالي !

ولكن حين تشعر امرأة منكودة الحظ بثقل القيد الذي كبلتموها به ، فأية اخطار تتعرض لها إذا حاولت الافلات منها او اذا تجرأت فقط على ازالتها ؟ انها تحاول ، وهي ترتجف فقط ، ان تبعد عنها الرجل الذي يدفعه قلبها يجهد . واذا أصر على البقاء ، فان ما تمنحه للحب ، يجب ان تسلمه الى الخوف : وان ذراعها ينفتحان فقط بينما يظل قلبها موصداً . إن حذرنا يجب ان يفك ببراعة هذه الروابط نفسها التي كان بإمكانكم ان تقطعوها . وهي تحت رحمة عدوها دون وسيلة اذا لم يكن كريماً . وكيف يمكن انتظار الكرم منه ؟ فاذا كان لديه منه فانه يُمدح عليه ، واذا لم يكن على العكس فانه لا يُلام ..؟

لا ريب بأنك لا تنكر هذه الحقائق البديهية التي اصبح وضوحها مبتدلاً . واذا كنت مع ذلك قد رأيتني أتصرف باحداث وآراء ، وأجعل من هؤلاء الرجال الخيفين جداً العاباً لنزواتي الطارئة أو لنوازعي التي لا تهدف الى أي قصد ، وانزع الرغبة في ايذائي من بعضهم أو القوة من الآخرين . واذا كنت قد عرفت على التوالي ، وحسب اذواقي المتنقلة ، ان اعلق ورائي أو أبعد عني هؤلاء الرجال ، فذلك لأن اولئك الجبابرة العتاة الذين أنزلوا عن عروشهم اصبحوا عبيدي . واذا كنت قد حافظت مع ذلك خلال هذه الثورات المتكررة على سمعتي الطاهرة ، أفلم تستنتج انني ، وقد ولدت لكي اثار لجنسي واسيطر على جنسكم ، قد عرفت ان ابتكر لنفسي وسائل مجهولة حتى من نفسي ؟

آه ... إحتفظ بنصائحك وخاوفك لاولئك النساء المجنونات اللواتي يصفن أنفسهن بنساء «العواطف» واللواتي يجعلهن الخيال المجنح يعتقدن ان الطبيعة قد وضعت حواسهن في رأسهن . واللواتي لم يفكرن ابداً ، ولذلك يمزجن باستمرار

بين العشق والعاشق . واللواتي يتصورن في اوهامهن المجنونة ، ان ذلك الرجل الذي بحثن لديه عن المتعة هو المستودع الوحيد لها . واللواتي هن متطيرات حقيقيات ينظرن نحو الكاهن نظرة ايمان واحترام بينما ليست هذه النظرة سوى من حق الالهية فقط .

أجل تستطيع ان تخاف ايضاً على اولئك العابثات اكثر من الفاضلات اللواتي لا يعرفن عند الحاجة ان يوافقن على ان يُتركن .

وتستطيع ان ترتجف خوفاً بصورة خاصة على اولئك الذشيطات في فراغتهن اللواتي تدعوهم حساسات واللواتي يستولي الحب بسهولة على جميع كيانهن ، واللواتي يشعرن بالحاجة للاهتمام به ايضاً حتى ولو كن لا يتمتعن به ، واللواتي ينسقن دون اي تحفظ وراء تخمر افكارهن ، ويولدن عن طريقها هذه الرسائل اللاهبة الناعمة جداً ولكنها الخطيرة جداً عند كتابتها ، ولا يخشين ان يسلهن هذه البراهين على تحاذهن الى الشخص الذي يسببها : وهن لفرط عدم احتراسن لارين في عشيقهن الحالي عدوهن المقبل !

ولكن ! ماذا لديّ من شيء مشترك مع هؤلاء النساء غير المعتمرات ؟ ومتى رأيتني أبعد عن القواعد التي وضعتها لنفسي وعن المبادئ التي اختطيتها لحياتي ؟ اقول مبادئ عرضاً ، لأنها ليست كمبادئ النساء الأخريات التي تُمنح مصادفة ، وتقبل دون تفحص ، وتُتبع بحكم العادة . بل انها ثمرة تفكيري العميق ، وقد خلقتها بنفسي واستطيع ان اقول أنني صنع ذاتي .

لقد دخلت المجتمع في الوقت الذي كنت ما ازال بنتاً وقد انصرفت بحالة من الصمت وعدم النشاط ، إلى المراقبة والتفكير ، وبينما كان الناس يعتبروني طائشة أو لاهية ، لاني كنت اصغي قليلاً الى الاحاديث التي يسارعون الى اسماعي اياها ، كنت التقط بعناية جميع الأقوال التي يحاولون ان يخفروها عني .

ان هذا الفضول المفيد الذي استخدمته لكي اتعلم ، قد علمني ايضاً على التخفي والتنكر ، ذلك انني اضطررت غالباً الى اخفاء ما يجذب اهتمامي أمام انظار من يحيطون بي ؛ فحاولت ان أقود انظاري حسب اهوائي . وكان ان

حصلت منذ ذلك الحين على مقدرة انخاد هذه النظرة الشاردة التي غالباً ما اطرقتها في ، وذلك وفق ارادتي . وبعد ان شجعتني هذه المقدرة الاولى جهدت من ثم لكي أعرف ان اكيّف بالطريقة نفسها حركاتي وتعابير وجهي . فاذا شعرت ببعض الغم ، كنت أعوّد نفسي لكي أبدو في اطمئنان ودعة ، لا ببل حتى في ابتهاج . وقد روضت نفسي الى درجة تسبب آلام تلقائية لذاتي لكي ابحت خلال ذلك عن تعبير اللذة . وقد نحت نفسي بالعناية ذاتها وبعذاب اكثر لكي اطرده عوارض بهجة غير منتظرة . وهكذا عرفت ان اسيطر على تقاطيعي وافرض على هيئتي هذه القوة التي رأيتك مراراً مندهشاً منها .

وكنت ما ازال صغيرة أيضاً ودون مصلحة ، ولكن لم يكن عندي سوى تفكيري ، وكنت اثور اذا ما سلبه احد مني او فاجأني فيه ضد رغبتني . وهكذا بعد ان تزودت بهذه الأسلحة الأولى ، حاولت ان استخدمها : ولم اكن مسرورة بان أدع احداً يتغلغل إلى نفسي ، فاخذت اتسلى باظهار نفسي تحت اشكال مختلفة ، وانا واثقة من حركاتي . وكنت اراقب اقوالي ، فأكيّف هذه وتلك حسب الظروف ، او حتى حسب اهوائي . ومنذ ذلك الحين أصبحت طريقة تفكيري من اختصاصي . ولم اكن اظهر نفسي الا ما ارى فائدة من اظهاره . وقد أدى هذا الى تعليق اهتمامي على تعبير الوجوه وطباع الهيئات ، وقد نجحت في القاء هذه النظرة الخاطفة العميقة التي علمني الاختبار ألا اثق بها كثيراً والتي لم تخدعني الا نادراً .

لم اكن قد تجاوزت الخامسة عشر من عمري ، حين كنت امتلك هذه المواهب الخارقة ، والتي كون كبار سياسينا شهرتهم بفضلها ، ولم اكن إلا في المبادئ الأولى من العلم الذي اردت ان أبرع فيه .

أنت تتصور انني حاولت كجميع الفتيات ان اكتشف الحب وملذاته ، ولكن بما انني لم اكن ابدأ في الدير ، ولم تكن لدي اية صديقة ممتازة ، وكنت خاضعة لمراقبة ام متيقظة فلم تتح لي عن الحب سوى افكار غامضة لا استطيع تحديدها . وحتى الطبيعة لم تعطني عندئذ اية اشارة ، حتى ليقال

انها كانت تعمل بصمت على اتقان ما صنعتها يدها . وكان عقلي وحده يجتم ، ولم تكن عندي فكرة التمتع ، بل اردت ان أعرف ، وكان ان ساعدتني الرغبة في التعلم على اقتراح الوسائل .

وشعرت ان الرجل الوحيد الذي استطيع أن يتحدث معي حول هذا الموضوع دون ان اورط نفسي هو المعرف . فقررت حالاً الذهاب اليه ، وتغلبت على خجلي الصغير وتباهيت امامه بغلظة لم ارتكبتها واتهمت نفسي بأنني « فعلت ما تفعله النساء » . وقد كانت هذه هي عبارتي بالضبط . ولكنني حين تحدثت بهذه الطريقة لم اكن اعلم في الحقيقة ما هي الفكرة التي اعبر عنها . ولكن املي لم يكن خائباً تماماً ولا محققاً تماماً ، ذلك ان الخوف من ان انكشف قد حال دون ان اتور ؛ ولكن الرجل الصالح صور لي الخطيئة كبيرة جداً بحيث جعلني استنتج ان لذتها يجب ان تكون فائقة الحد . وهكذا ولدت عندي الرغبة في تذوق هذه اللذة بعد رغبتني في معرفتها .

لم اكن اعرف الى اين كان يمكن ان تقودني هذه الرغبة ، ولعدم تزودي بالخبرة الكافية فان فرصة واحدة كان يمكن ان تجعلني اضيع نفسي . ولكن امي ابلغتني لحسن حظي بعد ايام قليلة انني سأتزوج قريباً ، وهكذا وصلت وانا عذراء الى ذراعي السيد دي ميرتاي .

وانتظرت باطمئنان اللحظة التي يجب ان اتعلم فيها وكنت بحاجة الى التفكير لكي اظهر الارتباك والخوف . ان ليلة العرس الاولى التي اعتاد النساء على ان يأخذن عنها فكرة قاسية او لذيدة ، كانت بالنسبة لي فرصة للاختبار ؛ كنت اراقب كل ما هناك من ألم ولذة ، ولا ارى في مختلف هذه المشاعر إلا حقلاً للتجارب التي تستحق التأمل والاتقاط .

وقد توصل هذا النوع من الدرس الى اعجابي ؛ ولكنني بقيت وفية لمبادئ . وشعرت - ربما من قبيل الغريزة - انه لا احد يجب ان يكون ابعد من زوجي في الحصول على ثقتي ، فقررت ما دمت حساسة لذلك فقط ، ان اظهر انني عديمة الحساسية بنظره . وكانت هذه البرودة الظاهرة على الاثر الاساس غير



المتزعزع لثقته العمياء . وقد أضفت الى ذلك مظهر الطيش الذي يسمح به عمري ولم يحكم علي ابدأ بأني أكثر طفولة الا حين ألعب بمزيد من الجرأة .

وفي الاثناء - وانا اعترف الآن - تركت نفسي انقاد في دوامة المجتمع ، وانسقت بكليتي وراء تسليات هذا المجتمع التافهة . ولكن السيد ميرتاي اصطحبني معه بعد عدة اشهر الى ريفه الكئيب . وقد جعلني الخوف من السأم اعود الى هواية الدراسة . ولم اجد نفسي هناك محاطة الا بأناس تضعني المسافة بيني وبينهم بمنجى من الشبهة . فاغتنمت الفرصة لكي افتح حقلاً اوسع لتجاربي . وهناك تيقنت ان الحب الذي طالما وصفوه لنا بأنه مصدر ملذاتنا لم يكن سوى مبرر لها .

وكان ان جاء مرض السيد دي ميرتاي يقطع علي مشاغل ممتعة ، وكان لا بد من اللحاق به الى المدينة حيث عاد للمعالجة ، ومات كما تعلم بعد وقت قصير من ذلك . وعلى الرغم من انني لم اكن اشكو منه شيئاً ، فقد شعرت حقيقة بثمان الحرية التي سيمنحني اياها ترملي ، وسمحت لنفسي بأن استفيد من ذلك كما يجب .

وكاذت والدتي تظن انني سأدخل الدير او اعود فأعيش معها ، فرفضت هذا وذاك ، وكل ما فعلته انني عدت قليلاً الى هذا الريف حيث كان ما زال عليّ ان اكمل بعض الملاحظات .

وقد عززت هذه الملاحظات بمساعدة المطالعة ، ولكن إياك ان تظن ان مطالعتي كلها كانت من النوع الذي تفترضه . بل درست عاداتنا في الروايات ، وآراءنا في الفلاسفة ، لا بل وبحث عند الاخلاقيين الاشدهم صرامة عما يتطلبونه منا ، وهكذا اخذت اناك ما يمكن عمله ، وما يمكن ان تفكر به ، وما يجب ان تبدو عليه . وبعد ان تعمقت في هذه المواضيع الثلاثة وجدت ان الموضوع الاخير يشكل بعض الصعوبة في تنفيذه ، وكنت ارجو ان اتغلب عليها ، ورحت ابحث عن الوسائل .

ثم بدأت أنضجر من متعي الريفية الخشنة التي لا يوجد فيها سوى تنوع

قليل بالنسبة لعقلي النشط . وشعرت بحاجة الى الفنج والتزين الذي يقتضيه الحب ، ليس لكي اشعر به بالحقيقة ، بل لكي أوحيه وأبدو فيه .

لقد قيل لي عبثاً وقرأت انه من المستحيل اخفاء هذه العاطفة . ومع ذلك كنت ارى انه يكفي للتوصل الى ذلك إضافة تفكير المؤلف الى براعة الممثل . ورحت اتمرن على النوعين وربما بشيء من النجاح ، ولكنني بدلاً من البحث عن تصفيقات لا طائل تحتها على المسرح ، قررت ان استخدم في سبيل سعادتي ما تضحني به الكثيرات في سبيل الفخر والمباهاة .

ومضت سنة عليّ وأنا في هذه المشاغل المختلفة ، وكان ان سمح لي حدادي بأن اظهر من جديد في المجتمعات ، فعدت الى المدينة حاملة مشاريعي الكبيرة ، ولم اتوقف طويلاً لدى أول عقبة صادفتها .

وقد اذفت عليّ هذه العزلة الطويلة وهذا الاعتكاف المتكشف لمعان خلق مفرط الاحتراس في ما يتعلق بالعفة مما كان يُفزعُ أحلى شبابنا ، فكانوا يتجنبونني ويتركونني عرضة لحشد من المضجرين يسعون جميعهم لطلب يدي . ولم تكن المشكلة في رفضهم ، بل كانت في أن رفضي عدداً منهم قد أغاظ عائلتي ، ورحت أقضي في هذه المزعجات الداخلية الوقت الذي وعدت نفسي بقضائه في لحظات ممتعة . وكنت مضطرة أذن - لكي اقرب البعض وأبعد البعض الآخر - الى اظهار تصرفات متناقضة لا تنطبق على الواقع ، واعمل على تشويه سمعتي بدلاً من المحافظة عليها . وقد نجحت في ذلك بالسهولة التي تظنها . ولكن بما انني لم اكن مستسلما لاية هواية فإنني لم أفعل الا ما رأيته ضرورياً ، وأقيس بعناية كليات طيشي .

وما أن حققت الهدف الذي أرغبه ، حتى عدت على أعقابني ، ورويت ما حدث لي الى بعض النساء اللواتي يعجزن عن بلوغ المثل العليا ، فيرمين بانفسهن امام اولئك اللواتي يتمتعن بالفضيلة والحصل الحميدة . وقد نجحت هذه الطريقة بصورة لم اكن اتوقعها . وقد اخذت هؤلاء النساء الفاضلات اللواتي يسهرن على حماية الصغيرات لا ينقطعن عن كيل المديح لي في كل مكان . وقد بلغت

بين الحماسة العمياء لما يسمونه صنع ايديهن انهن جعلن من انفسهن مدافعات عني  
لدى أقل بادرة انتقاد قد توجه اليّ . كما ان الوسيلة نفسها اتاحت لي ان اتمتع  
باعجاب النساء غير الفاضلات اللواتي كن يخترنني كموضوع لاطرائهن كل مرة شئن  
فيها ان يبرهن على انهن لا يتقولن على جميع الناس ، وذلك لاقتناعهن بأنني  
رفضت ان اسلك مسلكن .

ومع ذلك قاد مسلكي السابق نحو العشق . ولكي اتدبر نفسي بين  
هؤلاء وبين حامياتي الامينات ، اظهرت نفسي كأمرأة حساسة ولكن  
صعبة ، وان فرط حساسيتها تزودها بأسلحة ضد الحب .

وعندئذ بدأت انشر امام مسرح الرأي العام المواهب الكبيرة التي امتلكت  
ناصيتها . وكان اهتمامي الأول منصباً في الحصول على سمعة المرأة التي لا يمكن  
التغلب عليها . وللوصول الى ذلك ، كان الرجال الذين لا يعجبوني مطلقاً هم  
الوحيدون الذين اتظاهر بأنني أقبل اطراءهم ، وكنت استخدمهم ببراعة لكي  
يزودوني بشرف المقاومة ، بينما كنت استسلم دون وجل للعاشق المفضل . ولكن  
هذا لم يكن يسمح له بحياتي الظاهر مطلقاً بأن يلحق بي امام الناس . وبهذه الطريقة  
كانت انظار المجتمع مصوبة دائماً نحو العاشق الفاشل .

أنت تعلم كم انني اقرر بسرعة ، ذلك انني لاحظت ان التصرفات السابقة دائماً  
هي التي تفضح تقريباً سر المرأة .

ومها فعلت فان الحديث عنها ليس نفسه ، قبل النجاح أو بعده . وان هذا  
الاختلاف لا يخفى على المراقب الواعي . وكان ان وجدت بأن الخداعي في  
اختياري هو أقل خطورة من ان ادع الاختيار يأتي من الخارج . وأنا أفوز بهذه  
الطريقة في القضاء على الحقائق التي يمكن على أساسها وحدها ان يحكم الناس علينا .  
ان هذه الاحتياطات بالاضافة إلى حرصي على عدم الكتابة ، وعدم تسليم  
اي دليل على انهمازي ، قد تبدو زائدة عن الحد ، ولكنها لم تبدُ بالنسبة لي كافية .  
ذلك انني بعد أن تغلغت في دراسة قلبي درست قلوب الآخرين . ورأيت فيها  
انه لا يوجد شخص إلا ويحتفظ بسر يهيمه ويحرص على ألا ينكشف مطلقاً ، وهذه

حقيقة يبدو ان العصور القديمة قد عرفتها اكثر منا ، وأن قصة شمشون ودليله ليست إلا مثلاً عليها ، وهكذا جعلت من نفسي دليله جديدة واستخدمت مثلاً قوتي لاكتشاف هذا السر الهام عند الرجل . وكم من شمشوناتنا العصريين الذين امسك بشعرهم تحت يدي ، قد توقفتُ عن الخوف منهم . وهم الوحيدون الذين سمحت لنفسي بأن اهيئهم أحياناً . ولكنني كنت اكثر لباقة مع الآخرين . واستخدمت فني لأجعلهم خائنين دون أن أبدو محبة للتنقل ، ومنحتهم صداقة ظاهرة ، وجعلتهم يعتقدون بفخر ان كلاً منهم كان الوحيد الذي حظي بحبي ، وكل ذلك اتاح لي أن أحملهم على الكتمان . وأخيراً حين كانت تعوزني هذه الوسائل كنت اعرف ، وانا اتوقع انفعالاتي ، ان اخنق سلفاً - عن طريق السخرية أو النيمية - تلك الثقة التي كان يمكن ان يحصل عليها هؤلاء الرجال الخطرون .

ان ما اقوله لك هنا ، امارسه باستمرار ، ثم انت تشك بحذري ! حسناً ! تذكر الوقت الذي احطتني به باهتمامك الأول : إذ لم ابتهج مطلقاً مثلما ابهجني اطراؤك . لأنني كنتُ اشتبهك قبل ان اراك . وقد أغرتني سمعتك على ان اضيفك الى اجمادي ، وكنتُ أنحرق شوقاً الى مصارعتك جسماً إلى جسم . وهذا هو الميل الوحيد الذي سيطر عليّ خلال فترة من الزمن . ومع ذلك فاذا كنتَ قد أردتَ ان تفضحني ، فما هي الوسائل التي كان بإمكانك ان تستخدمها؟ اقوال عابثة لا تترك بعدها اي اثر ، وان سمعتك وحدها ستساعد على جعلها مشبوهة ، وعبارة عن سلسلة احداث لا اساس لها من الصحة تجعل روايتها بصدق تبدو كأنها رواية غير محبوكه النسيج ، وفي الحقيقة لقد سلمتك منذ ذلك الحين جميع اسراري ، ولكنك تعلم اية مصلحة تربطنا وهل يمكن ان اكون انا التي يجب ان تهتم بقلة الحذر ؟

وبما انني اقوم الآن باستعراض حياتي امامك ، أودُّ ان افعل ذلك على خير وجه . وأسمعك هنا تقول انني على الأقل تحت رحمة خادمتي . وبالفعل فاذا كانت هذه لا تملك اسرار عواطفني ، فهي تملك اسرار اعمالني . وحين حدثتني قديماً عنها قلتُ لك انني واثقة منها . وكان هذا الجواب وحده كافياً لتطمينك .

وكان ان عهدت اليها منذ ذلك الحين باسرارك الخطرة. ولكن ما دام بريفان يشير الآن قلقك ووساوسك وان رأسك يدور بسببه فإنني اشك بأنك تصدقني حسب اقوالي فقط . ولذلك يجب ان تعيد النظر في كل آرائك .

أولاً إن هذه الخادمة هي شقيقتي بالرضاعة ، وان هذه الرابطة قد تبدوا قيمة لها بالنسبة للأشخاص الذين هم في مثل هذه الحالة ، ولكنني فضلاً عن ذلك املك سرها والأحسن من ذلك ايضاً اعلم انها كانت ضحية حب جنوني ، وقد كانت ضالة لو لم ابادر الى انقاذها . وقد شاء اقرارها المحافظون على اصول الشرف ان يحجزوها ، واستشاروني بالأمر ، ولاحظتُ بنظرة خاطفة كم ان غضبهم يمكن ان يكون مفيداً لي ، فساعدتهم وطلبت اليهم ان يثقوا بي ، ثم سألتهم الصفر عنها فوافقوا على ذلك شرط ان يعملوني مسؤولة عن ابنتهم ، ومنحوني حرية التصرف في ان اطلب اليهم تنفيذ قرارهم أو التوقف عنه ، وفق ما احكم عليه من مسلك هذه الفتاة . وهي تعلم اذن ان مصيرها بين يدي . وحين لا تنجح هذه الوسائل في حالة المستحيل فان انكشاف مسلكها سينزع الصدق من أقوالها .

وبالإضافة الى هذه الاحتياطات التي اعتبرها أساسية لديّ ألوف الاحتياطات الأخرى اما محلية أو مرهونة بالمناسبات التي يليها التفكير أو العادة عند الحاجة . وتكون تفاصيلها دقيقة جداً ، ولكن تطبيقها اكثر أهمية . ولا بد من ان تزج نفسك باستعراض مسلكي اذا اردت ان تتوصل الى معرفتها .

ولكن ان تدعي بأنني اتعب نفسي كثيراً لكي لا أقطف أية ثمار ، وانني بعد ان ارتفعت فوق مستوى النساء الاخريات بأعمالي المرهقة ، أرضى بأن ازحف مثلهن في سيري بين عدم الحذر والحياء ؟ وانني بصورة خاصة قد اخشى رجلاً الى درجة لا ارى راحتي منه إلا بالافلات والهرب ؟ كلا، ايها الفيكونت ، كلا ابداً . يجب الابتعاد او الهلاك . أما في ما يتعلق بريفان فانني اود ان اتاله ، وسأناله ، ولن يقول ذلك لأحد ؛ وبكلمة واحدة هذه هي قصتنا . الوداع .

## من سيسيل فولانج الى الفارس دانسي

قصر ... في ايلول ?? ١٧

يا إلهي ، كم أمتني رسالتك ! لقد كنت بحاجة الى كثير من نفاذ الصبر لكي اتلقاها ! وكنت آمل ان اجد فيها عزاء واذا بي اجد نفسي أشد عذاباً مما كنت عليه قبل ان اتلقاها . وقد بكيت كثيراً حين تلوتها ، وليس هذا ما أوأخذك عليه . وقد سبق ان بكيت مراراً بسببك دون ان يزيد ذلك من ألمي . ولكن الامر هذه المرة لم يكن كذلك .

ماذا تعني إذن بقولك أن حبك أصبح عذاباً لك ؟ وانك لا تستطيع ان تعيش على هذه الصورة ، ولا ان تتحمل مدة اطول وضعك الحالي؟ هل تريد ان تكف عن حبي لأن ذلك لم يعد مبهجاً كالماضي ؟ يبدو لي انني لست أسعد حالاً منك ، بل على العكس . ومع ذلك فإن حبي لك يزداد يوماً عن يوم . واذا كان السيد دي فالون لم يكتب اليك ، فليس الذنب ذنبي ، اذ أنني لم أستطع أن أرجوه ذلك ، لأنني لم اتمكن من ان اكون معه على انفراد ، ونحن متفقان على ألا نتحدث ابداً أمام الآخرين . كل ذلك هو إكراماً لك ، من اجل ان يتسنى له تحقيق ما ترغبه بأسرع وقت ممكن ، ولا اقول انني لا ارغبه انا ايضاً ، بل تستطيع ان تكون واثقاً من ذلك . ولكن ماذا تريدني ان أفعل ؟ فاذا ظننت ان الأمر هين ، فاعثر إذن على الوسيلة ، ولا اتنى اكثر من ذلك .

هل تظن ان من الممتع لي ان أوئب كل يوم من قبل والدي بينا لم تعمد ان توجه الي كلمة واحدة في السابق ، بل على العكس . وفي الوقت الحاضر . أصبحت في وضع أسوأ مما كنت عليه في الدير . ومع ذلك فأنتي أنتعزي لكوني تحمل ذلك من اجلك . لا بل مرت علي لحظات كنت اجد نفسي خلالها مرتاحة جداً لهذا الشعور . ولكن عندما افكر بأنك أنت غاضب ايضاً . ودون أن يكون الذنب ذنبي اصاب بجزن شديد لعله أشد ما أصابني حتى اليوم .

إن تلقي رسائلك وحده يضعني في حالة من الارتباك البالغ . ولو لم يكن السيد دي فالون على مبلغ كبير من الحدق والبراعة كما هو، لما كنت عرفت كيف أفعل . كما ان الكتابة اليك أصعب من ذلك . إذ لا أجرؤ على ذلك طيلة الصباح لأن والدتي هي دائماً بقربي ، تأتي في كل لحظة الى غرفتي . وفي بعض الأحيان أستطيع الكتابة بعد الظهر ، بحجة اني اريد ان اغني او اعزف على القيثارة ، ثم لا بد لي من ان أقطع الكتابة عند كل سطر لكي يسمعوني أراجع . ولحسن الحظ تنام خادمتي باكراً عند المساء في بعض الاحيان ، فأبلغها اني سأنام حالاً وحدي لكي تذهب وتترك لي النور مضاءً . ثم ينبغي عليّ أن اغمر نفسي بغطاء حتى لا يرى الضوء ، وأن أصخي السمع إلى كل حركة لكي اتمكن من إخفاء كل شيء في حالة قدوم احد . كم أتمنى أن تكون هنا لترى بنفسك ! ولتعرف ان على المرء ان يكون متيماً لكي يفعل ذلك ، وأخيراً ، في الحقيقة أفعل كل ما في وسعي ، وأود لو أفعل المزيد .

من المؤكد انني لا أرفض ان أقول لك احبك . وسأحبك دائماً . وانني لم اقل ذلك ابدأ من كل قلبي كما ا قوله الآن . وها انت غاضب ؟ لقد أكثرت لي مع ذلك - قبل ان اقول لك - ان ذلك يكفي لجعلك سعيداً . ولا تستطيع ان تنكره : لأنه وارد في رسائلك . وعلى الرغم من انها ليست عندي ، فإنني اتذكرها كما لو كنت أقرأها كل يوم . ولكن بما اننا الآن مفترقان فانك لا تفكر كالسابق . غير ان هذا الافتراق قد لا يدوم طويلاً ! ... يا إلهي كم انا تعيسة ! وانت السبب في ذلك ! ...

بمناسبة رسائلك ، آمل ان تكون قد احتفظت بتلك التي اخذتها والدتي مني ، وأعادتها اليك . لا بد ان يأتي يوم أستطيع ان احتفظ بها بحرية ، وستعيدها إليّ كلها . كم سأكون سعيدة حين اتمكن من الاحتفاظ بها دون ان يرى احد في ذلك اية غضاضة ! انسي في الوقت الحاضر اسمها كلها الى السيد دي فالون لأن من الخطر أن افعل خلاف ذلك ، وعلى الرغم من ذلك فاني لا اسلمه رسائلك دون أن يسبب لي ذلك كثيراً من العذاب .

الوداع يا صديقي العزيز ، احبك من كل قلبي . وسأحبك كل حياتي ، وأمل ان لا تكون الآن غاضباً ، ولو كنت واثقة من ذلك لكان خفف من اشجائي . اكتب لي في اقرب فرصة ممكنة ، اذ أشعر بأنني سأظل تعيسة حتى يصلني كتابك .

٨٣

## من الفيكونت دي فالمون الى الرئيسة دي تورفيل

قصر ... في ٢٣ ايلول ١٧??

الامان ، يا سيدتي،لنستأنف هذه المهادثة التي 'قطعت' بشكل مؤسف ! عساي أتمكن من إكمال ما أسعى للتدليل عليه امامك وهو اني اختلف عن الصورة البشعة التي رسموها لك عني . عساي اتمكن بصورة خاصة ، من ان اتمتع أيضاً بهذه الثقة الحبيبة التي بدأت تمنحنيها إياي ! وكم تعرفين ان السحر يضفي جمالاً على العفة ! وكم تزدادين جمالاً ، وتجعلين المرء يستمرى،المشاعر الشريفة ! آه .. هنا اغراؤك ، وهو اقوى اغراء لديك ، وهو الوحيد الذي يمكن أن يكون قوياً ومحترماً .

لا ريب بأنه يكفي للمرء أن يراك ، لكي يرغب في ان ينال اعجابك . ويكفي بأن يسمعك تتحدثين في المجتمع لكي تزداد هذه الرغبة . ولكن من ينال سعادة معرفتك بصورة أكثر ، ويستطيع في بعض الاحيان ان يقرأ روحك ، ما يلبث حتى يندفع في أشرف حماسة ، ويعبد فيك صورة جميع الفضائل . بعد أن تغفل في نفسه الحب والقداسة . وهذا ما شعرت به . وأنت لا تجهلين ذلك . لعلني مخلوق اكثر من غيري لكي أحب هذه الفضائل وأتقيد بها ، بعد ان أنسقت وراء بعض الأخطاء التي ابعدتني عنها ، ولكنك جئت انت فقربتني اليها . وجعلتني أشعر من جديد بلذتها فهل تنسبين إلي جريمة لكوني شعرت بهذا الحب ؟ وهل ستلومين ما صنعتها يدك ؟ وهل ستأخذين على نفسك حتى المصلحة التي يمكن ان تفيدها من ذلك؟ واي اثم يمكن ان يخشى من جراء عاطفة



بريئة طاهرة ؟ واي متع لا توجد في تذوقها ؟

ان حيي يخيفك ، وتجدينه عنيفاً لا ضابط له ... فخففه بحب أرق ، ولا ترفض السلطان الذي يقدمه لك ، وأقسم لك بأنني لن اتخلى عنه ، ولن يكون كما أعتقد ، مخالفاً للفضيلة ... وأية تضحية يمكن ان تبدو لي باهظة لو كنت متأكداً بأن قلبك سيحفظ لها التعويض ؟ وأي رجل هو اذن ذلك التعيس جداً الذي لا يعرف التمتع بالحرمان الذي يفرضه على نفسه ، والذي لا يفضل كلمة واحدة أو نظرة واحدة تمنحان له ، على جميع المتع التي يستطيع ان يمتنعها أو يفاجئها ! وقد ظننت اني هذا الرجل ! ثم خفت مني ! آه ، لماذا لا تتوقف سعادتك عليّ ! كم سأنتقم منك يجعلني اياك سعيدة ! ولكن الصداقة العقيمة لا يمكن ان تنتج هذا السلطان اللذيذ ، فالفضل فيه لا يعود إلا إلى الحب .

ان هذه الكلمة تفرعك ! لماذا ؟ وماذا هناك من غرابة على روحك في تعلق أرق ، واتحاد أقوى ، وفكرة متبادلة ، وكيان مشترك ، وسعادة واحدة وآلام واحدة ؟ ذلك هو الحب ! وذلك هو على الأقل ما توحينه وما أشعر به . وهو أيضاً الذي يقدر الأعمال وفق مزاياها ، وليس وفق قيمتها . إنه كنز لا ينضب للنفوس الحساسة ، وكل شيء يصبح ثميناً اذا صنع منه او من اجله . هذه الحقائق السهلة التمس ، الممتعة جداً عند الممارسة ، ما هو الخيف فيها ؟ وأية مخاوف يمكن أيضاً ان يسببها لك رجل حساس لا يتيح له الحب سعادة سوى سعادتك ؟ انها اليوم الأمنية الوحيدة التي أرجوها . سأضحى بكل شيء لكي احققها ، ما عدا العاطفة التي توحين بها . فاقبلي بأن تشاطريني اياها ، وستكتفينها حسب اختيارك . ولكن لنكف عن معاناة ما يفرق بيننا في الوقت الذي يجب ان يوحدنا . ولو كانت الصداقة التي عرضتها عليّ ليست سوى كلمة لا طائل تحتها ، ولو انها - كما قلت لي بالأمس - هي أرق عاطفة تعرفها روحك ، وانها هي التي يشترط وجودها بيننا ، فاني لا أرفضها مطلقاً ، ولكن لتحكم هي على الحب ، ولتوافق على الاصغاء اليه ، وعندئذ

سيكون رفض الانصياع إليها ظالماً ، وتصبح الصداقة عادلة .

ان محادثة ثانية بيننا لن يكون فيها ما يشين اكثر من الأولى . ولعل المصادفة يمكن ان تخلق مناسبتها ، كما تستطيعين انت نفسك ان تحددى موعدها . وانا أود الاعتقاد بأني على خطأ ، ولكن الا تفضلين ان تعيديني الى الصواب بدلاً من محاربتى ؟ أم هل ترتابين بطواعيتى ؟ ولولا ان هذا الشخص الثالث المزعج لم يأت فيقطع علينا تقاربنا ، فلعلى سأكون بكليتي قد أيدتُ رأيك ، ومن يسدري الى اين يمكن ان تمضي سلطتك !

هل أقولها لك ؟ ان هذه القوة الجبارة التي لا تقهر التي انساق فيها دون ان احسب لها حساباً ، وهذه الفتنة الطاغية التي لا تقاوم التي تجعلك سيدة افكاري واعمالى ، اصبحت اخشاهما كما يحدث لي في بعض الاحيان . مع الاسف هل ينبغي علي ان اخشى هذه المحادثة التي اطلبها منك ؟ لعلى بعدها - وقد قيّدتُ بوعودى - سأرى نفسي مقتصرأ على الاحتراق بنار حب اشعر جيداً انها لا يمكن أن تنطفئ ، دون ان أجرؤ على التوسل اليك لإغاثتى ! آه ! يا سيدتى ! اطلب منك الصفر والأمان ، فلا تستغلي سلطانك عليّ ! ولكن ماذا ! اذا كان ينبغي ان تكونى اكثر سعادة ، واذا كان ينبغي أن ابدو اكثر جدارة بك ، فأية آلام لا يمكن ان تحفّف من جراء هذه الفكرة المؤاسية ؟ أجل ! أشعر بذلك . لانك اذا تحدثت ايضاً فهذا معناه منحك اسلحة أقوى ضدى ، واخضاع نفسي تماماً لإرادتك . انه ان الأسهل الدفاع ضد رسائلك ، مع انها هي اقوالك بالذات ، ولكنك ستكونين موجودة هنا لاعطائها القوة . ورغم ذلك فان متعة سماعك تجعلاني لا ابالي بالأخطار ، بل على الأقل سأشعر بسعادة كونى فعلت كل شيء من اجلك حتى ولو كان ضد مصلحتى ، وان تضحياتى تصبح موضع ثناء . سأكون سعيداً جداً لأثبتُ لك ذلك بألف طريقة ، كما اشعر به بألف شكل ، وانك ستكونين دوماً دون ان استثنى نفسي ، اعز مخلوق على قلبى .

## من الفيكونت دي فالون الى سيسيل فولانج

في ٢٤ ايلول ١٧??

اقد لاحظت كم عاكستنا الظروف أمس . إذ لم استطع طول النهار ان اسلمك الرسالة التي كانت معي لك . ومع ذلك اجهل ايضاً اذا كنت سأجد اليوم فرصة مناسبة . لانني أخشى ان اورطك فيما لو بذلت من الحماسة اكثر من البراعة . ولن اسامح نفسي ابدأ على ارتكاب حماقة دون حذر قد تكون بالنسبة لك ضربة قاضية ، كما تسبب يأس صديقي يجعلك ابدأ تعيسة . ومع ذلك فأنا اعرف نفاذ صبر العشاق . وأشعر كم يجب ان يكون الحال مرهقاً وانت في وضعك ، حين تتحملين عذاب بعض التأخر من أجل نيل العزاء الوحيد الذي يمكن ان تتذوقيه في هذا الوقت . إنني لفرط ما اهتممت بوسائل إبعاد العقبات ، عثرت على وسيلة سيكون تنفيذها سهلاً لو بذلت بعض العناية . أظنني لاحظت ان مفتاح غرفتك التي تفضي الى الرواق ، موضوع دائماً فوق مدفأة والدتك . وبواسطة هذا المفتاح يصبح كل شيء سهلاً ، ولعلك تشعرين جيداً بذلك . ولكن حتى ولو لم تحصلني عليه ، استطيع ان احضر مثيلاً له يمكن ان يحل محله . وحسي للتوصل الى ذلك ان يكون هذا المفتاح بحوزتي لمدة ساعة أو ساعتين . وانك ربما تجدين مناسبة هينة لأخذه . ولكي لا يلاحظ احد فقدانه ، فقد بعثت اليك طيه بمفتاح آخر - هو خاصتي - شبيه به ، لكيلا يلفت النظر وجود فرق بينها ، اللهم الا اذا حاول احدهم تجربته . وهذا ما لن يقوم به أحد كما اظن . اذن ينبغي عليك ان تهتمي بتعليق شريط ازرق بال في هذا المفتاح يكون مماثلاً لذلك المعلق في مفتاحك .

لا بد من السعي للحصول على هذا المفتاح غداً أو بعد غد اثناء فترة الطعام . حيث يكون من السهل عليك اعطائي إياه ثم اعادته الى مكانه في المساء ، وهو الوقت الذي يمكن ان تهتم به والدتك اكثر من قبل . وانا استطيع ان أعيده

اليك في وقت العشاء ، اذا تفاهنا جيداً .

انت تعلمين اننا حين ننتقل من الصالون الى صالة الطعام تكون السيدة دي روزموند هي التي تسير دائماً في المؤخرة وسأتبط ذراعها بيدي . وليس عليك الا أن تتركي شغل التطريز أو أي شيء آخر يسقط بهدوء بطريقة تجعلك تتأخرين عن المسير لالتقاطه . وعندئذ تستطيعين ان تتناولي المفتاح الذي سأهم بإمساكه وراء ظهري . ويجب ألا تغفلي - بعد ان تكوني قد تناولته - السير الى جانب عمتي العجوز ، والتلطف معها بالحديث . واذا حدث ان وقع منك هذا المفتاح بالمصادفة ، فلا ترتبكي ، بل سأبدو كما لو أنه وقع مني ، وسأندبر الأمر بنفسي .

ان الثقة القليلة التي تضعها والدتك فيك ، والأساليب القاسية التي تتبعها نحوك ، تسمح لك بهذه الخدمة البسيطة . وفضلاً عن ذلك فانها الوسيلة الوحيدة لكي تستمري في تلقي رسائل دانسني وتسليم رسائلك اليه ، لأن اية وسيلة اخرى هي في الحقيقة خطيرة ، ويمكن ان تُفقدنا معاً جميع الوسائل . وكذلك فإن صداقتي الحريصة لدانسني تجعلني استنكف عن استخدامها .

ومق اصبحنا نملك هذا المفتاح ، سيبقى علينا اتخاذ بعض الاحتياطات لتلافي صرير القفل والباب . وهي سهلة جداً : تجدين تحت الخزانة حيث وضعت لك الورق ، ريشة وزيتاً . وانت تذهبين الى غرفتك في بعض الاحيان اثناء الفترات التي تكونين خلالها وحيدة . فاغتنمي الفرصة لكي تزيقي القفل والمفصلات ، والانتباه الوحيد الذي يجب ان تبدليه هو تفادي لطخ الزيت من ان تلحق بثيابك . ويجب ايضاً انتظار الليل ، لأن ذلك اذا فعلته بمآءد فيك من ذكاء ، فلن يُلاحظ ابدأ في اليوم التالي .

واذا لوحظ ، فلا تترددي بأن تقولي ان فراش القصر هو الذي قام بهذا العمل . وفي هذه الحالة يجب ان تحددي الوقت وتستهدي بالكلام الذي قاله لك : مثلاً قال أنه يعنى بالاقفال التي لا تستخدم لتلافي الصدأ . لأنك ستشعرين ان ذلك لن يبدو صحيحاً ، ولكن هذه التفاصيل الصغيرة تضيء طابع

الحقيقة على الكذبات الصغيرة ، وتزِيل الرغبة في التحقق منها .  
 بعد ان تكوني قد قرأت هذه الرسالة ، ارجوك ان تعيدي قراءتها مرة  
 ثانية ، وان تهتمي بما فيها : أولاً يجب ان تعلمي أن الغاية من ذلك هي في مصلحتك ،  
 وثانياً لكي تتأكدي من انني لم اغفل شيئاً ، فأنا غير معتاد كثيراً على استخدام  
 الدقة في ما يتعلق بشؤوني الخاصة ، ولذلك كان لا بد في سبيل صداقتي الحارة  
 نحو دانسي ، وفي سبيل الاهتمام الذي توحينه اليه ، من أن اصمم على استخدام  
 هذه الوسائل مهما كانت بريئة . وانني في الحقيقة اكره كل ما يبدو خداعاً  
 ومخاتلة . وهذا هو طبعي . ولكن آلامك اثرت فيّ جداً الى درجة انني  
 سأحاول بذل كل ما في وسعي من اجل تخفيفها .

ستجدين انه متى تم هذا الاتصال بيننا ، سيكون من الأسهل عليّ أن  
 أؤمن لك الاجتماع مع دانسي الذي يرغبه . ومع ذلك لا تحدّثيه بشيء عن كل  
 هذا . اذ انك ستزيدين من نفاذ صبره . ولم يمن بعد وقت أَرْضاء انتظاره ، بل  
 عليك كما اعتقد ان تخففي من نفاذ صبره بدلاً من ان تضاعفي حدته . الوداع أيها  
 الحضيئة الحسناء ، لانك اصبحت حزينتي . أحبي قليلاً الوصي عليك ، وكوني  
 بصورة خاصة مرنة معه ، وستجدين نفسك مرتاحة . انني مهتم بسعادتك ،  
 وكوني متأكدة انني سأجد في ذلك سعادتي .

٨٥

من الموكيزة دي ميرتاي الى الفيكونت دي فالون

باريس في ٢٥ ايلول ١٧?? ، الساعة السابعة مساء .

اخيراً ستكون مرتاحاً ، وستحکم عليّ بإنصاف . إسمع ولا تخلط بيني وبين  
 النساء الأخريات ، فقد قدتُ حتى النهاية مغامرتي مع بريغان . اقول حتى النهاية!  
 هل تفهم جيداً ما يعني ذلك ؟ والآن تستطيع أن تحکم من منا نحن الاثنین  
 يستطيع أن يفخر بنفسه . والرواية لا تعادل الوقائع . وهكذا من الانصاف -

في الوقت الذي كنت لا تفعل فيه سوى تحكيم العقل بصورة حسنة أو سيئة حول هذه القضية - ان يعود السرور اليك بقدر ما يعود إليّ فيما بذلته أنا من وقت وعناء .

وفي الاثناء ، إذا كانت لديك عملية كبرى ، وإذا كان عليك ان تحاول توجيه ضربة الى هذا الخصم الخطير الذي تبدو انك تخشاه فاحضر ، لأنه سيدع لك الآن المجال مفتوحاً ، لبعض الوقت على الاقل ، ولعله لن يكتشف ابدأ الضربة التي وجهتها اليه .

كم انت سعيد لأن اكون صديقتك ! انني بالنسبة اليك جنية محسنة . وانت تعيش الآن بتراح بعيداً عن الجمال الذي يستخدمك . وحسي ان اقول كلمة واحدة لكي تجد نفسك الى جانب هذا الجمال . انت تريد ان تتأثر من امرأة تؤذيك ، سأحدد لك النقطة التي تستطيع ان تضر بها فيها ، وتجعلها تحت رحمتك . واخيراً لكي ابعد عن طريقك مزاحماً خفيفاً ، فقد كنت انا التي توسلت اليها من اجل ذلك . وها انني احقق امنيته . وفي الحقيقة اذا لم تقض حياتك في شكري ، فستكون جاحداً . ولكني اعود الآن الى مغامرتي ، وسأرويها لك من البداية :

لقد فهم بريغان الموعد الذي حددته بصوت عال عند خروجي من دار الأوبرا \* كما كنت آمل . وذهب اليه . وحين قالت له الماريشال بلباقة انها تهيء نفسها لأن تراه مرتين متتاليتين خلال اسبوع واحد في سهراتها ، حرص على اجابتها قائلاً : انه منذ مساء الثلاثاء وهو يتدبر مئات الوسائل لكي يستطيع أن يحضر هذه السهرة ؛ وبطبيعة الحال كان التلميح موجهاً إلي ! وبما أنني مع ذلك أردت ان اعرف بمزيد من التأكيد ، ما إذا كنت انا ام لا اهدف الحقيقي لهذا الاستعجال الذي يبعث على الاطراء - اذ اردت ان أحمل هذا الطامح الجديد بي على الاختيار بيني وبين ذوقه المسيطر عليه - اعلنت اني لن ألعب الورق ابدأ : وبالفعل وجد من جهته آلاف الاعذار لكيلا يلعب وكان هذا هو

\* - راجع الرسالة رقم ٧٤ .

انتصاري الأول عليه في لعبة « اللانسكينييه » .

ثم انتحيت جانباً مع الاسقف دي... وغرقنا في محادثة طويلة. وقد اخترته بسبب علاقته ببطل اليوم، وقد شئت ان اتيح له كل التسهيلات لكي يوجه الي الكلام . وكنت مرتاحة جداً أيضاً لأن يكون هناك شاهد محترم عليّ ، يستطيع عند الحاجة ان يشهد على سلوكي واقوالي . وقد نجح هذا التدبير .

وبعد العبارات المبهمة المعتادة ، عمد بريغان الي السيطرة على دفعة الحديث ، وتناول على التوالي مواضيع مختلفة محاولاً بذلك ايجاد الموضوع الذي يمكن ان يعجبني . فرفضت موضوع العواطف ، على اعتبار انني لا أو من بها ، وواقفت بطابعي الجدي مرحة الذي بدا لي خفيفاً جداً بالنسبة لبداية تعارف . وكان أن وقع على موضوع الصداقة الرقيقة الناعمة ، وبدأنا تحت هذه الراه المبتذلة هجائنا المتبادلة ...

وفي وقت العشاء ، لم ينزل الأسقف ، فناولني بريغان ذراعه لكي اتأبطها ، ووجد نفسه بطبيعة الحال جالساً بالقرب مني عند المائدة .

وهنا يجب ان يكون الانسان منصفاً بحقه . فقد ادار محادثاتنا الخاصة بكثير من البراعة ، مع انه كان لا يبدو إلا كمن يهتم بالمحادثة العامة التي سيطر عليها وحده . وفي نهاية الطعام انتقل الحديث الى موضوع مسرحية جديدة ستمثل على المسرح الفرنسي يوم الاثنين التالي . فأبدت أسفي لكوني لم احصل بعد على مقصوري . فمرض علي مقصورته وقد رفضتها في البداية كما ينبغي ان أفعل . وهنا اجابني بلطف زائد انني لم افهمه ، ومن المؤكد انه لن يضحي بالتخلي عن مقصورته الى شخص لا يعرفه ، وانه كان يبلغني فقط بان السيدة الماريشاله ستتصرف بها ، فتحملت هذه المزاحه ، وكان ان وافقت على ذلك .

وحين صعد الى الصالون طلب ، كما تستطيع ان تتصور ، ان يكون له مقعد في هذه المقصورة . وبما ان الماريشاله تعامله بكثير من الطيبة فقد سمحت له بذلك « اذا ظل عاقلاً » ، ثم اغتتم الفرصة لمطارحتي احد هذه الاحاديث ذات المفهوم المزدوج ، وقد أثبتت لي غالباً على مقدرته فيها . وبالفعل فقد جثا

على ركبتيه كطفل مذنب ، بحجة اني ، كما قال ، استطيع ان اسأله آراءه ، واستمع الى منطقته . وقد قال كثيراً من الاشياء اللطيفة الناعمة التي تثير الخيلاء وتبعث على السرور . ولكنني كنت استطيع التمييز بينها بسهولة . ونظراً لعدم رغبة كثير من القوم في لعب الورق بعد العشاء مباشرة فإن الاحاديث كانت عامة واكل إمتاعاً . ولكن عيوننا تحدثت طويلاً . اقول عيوننا ، وكان يجب بالاحرى ، ان اقول عيناه ، لان عيناها كانت لغتها التعجب والاندهاش . ولعله ظن انني دهشت أو اهتمت كثيراً بالتأثير العجيب الذي تركه في نفسي . واعتقد انني تركته راضياً جداً عن نفسه . ولم اكن اقل سروراً منه لذلك .

وذهبت يوم الاثنين التالي الى المسرح الفرنسي كما اتفقنا . وعلى الرغم من فضولك الادبي ، فلا استطيع ان اخبرك شيئاً عن الرواية . اللهم الا ان بريفان يتمتع بمقدرة عجيبة على المغازلة . وان الرواية كانت سيئة ، وهذا كل ما علمته هناك . وقد كنت اشعر بقلتي لسرعة انتهاء السهرة التي اعجبتني حقيقة كل الاعجاب ، ولذلك عرضت على الماريشال لكي امدد السهرة ان تحضر لتناول طعام العشاء في بيتي وهذا ما اتاح لي حجة توجيه دعوة مماثلة في الوقت نفسه الى المغازل اللطيف ، الذي لم يطلب سوى السماح له بالذهاب لرؤية الكونتيسين دي ب... \* لكي يتخلص من ارتباطاته ، ولكن مجرد ذكر هذا الاسم أثار كل غضبي ، ورأيت بوضوح انه سيبدأ في اشاعة أسراره ؛ وتذكرت نصائحك الحكيمة ، ووعدت نفسي ... بالاستمرار في المغامرة ، وانا واثقة بأنني سأشفيه من هذه العادة الخطيرة !

وبما انه كان غريباً عن شلتي التي لم تكن كثيرة العدد ذلك المساء ، فقد وجد إن الواجب يملي عليه توجيه العناية المعتادة نحوي . وحين ذهبنا لتنعشى عرض علي ذراعه لكي يسك بيدي . وقد واتتني الحباثة بقبولي يده ، على ان اتصنع في يدي ارتجافاً خفيفاً ، وان اجعل ابصاري مثبتة في الارض وتنفسي

---

\* راجع الرسالة ٧٠



عالياً ، وكنت ابدو كما لو كنت اتوقع انهزامي ، واخشى المنتصر علي . وقد لاحظ ذلك بشكل رائع . كما ان الخائن بدل على الفور لهجته وسلوكه . وبعد ان كان مجاملاً اذا به يبدو رقيقاً عاطفياً . ليس لأن كلمات المجاملة والعاطفة تختلف كثيراً عن بعضها البعض ، بل لان المناسبة كانت تفرض ذلك ؛ كما ان نظرتة اصبحت اقل حدة واكثر مغازلة . وغدت طبقة صوته اشد نعومة . ولم تكن ابتسامته ابتسامه الرقة بل ابتسامه الارتياح والسرور . وأخيراً أخذ في احاديثه نار الاحتداد ، وحلت روح النكتة محل الملاحظة . وأنا اسألك ماذا بإمكانك ان تفعل أفضل من ذلك ؟

أما من جهتي فقد بدتُ حاملةً ، إلى درجة حملته على أن يلاحظ ذلك . وحين أخذت على موقعي هذا ، كنت بارعة في ان ادافع عن نفسي بشكل مرتبك ، وان القي على بريفان نظرة سريعة ، ولكنها خجولة سادرة ، وصالحة لأن تجعله يعتقد ان كل خوفاً هو من ان يكتشف سبب اضطرابي .

وبعد العشاء ، اغتتمتُ فرصة قيام الماريشالة الطيبة برواية احدي حكاياتها التي ترويها دائماً ، لكي اجلس على سريري في نوع من الاسترخاء الذي يوحى بتخيلات عاطفية . ولم اتكدر لكون بريفان رأي على هذا الشكل ، بل شرفني بالفعل على العكس باهتمام خاص . وبإمكانك ان تتصور كم كانت نظراتي الخجولة لا تجرؤ على البحث عن عيني منتصري بل كنت اوجهها اليه بطريقة متواضعة لأتأكد عن طريقها بأني أحرزت التأثير الذي اريد احداثه . وكان لا بد من اقناعه ايضاً بأني اشاطره عواطفه : وهكذا حين اعلنت الماريشالة انها ستصرف ، صحت بصوت متراخٍ ناعم : « آه ، يا إلهي كم أنا مرتاحة هنا » ، ونهضتُ مع ذلك ، ولكنني قبل ان أفترق عنها سألتها عن مشاريعها لكي تكون عندي حجة ابلاغها مشاريعي ، وأعلمتها انني سأبقى في بيتي بعد الغد . وافترق الجميع عند هذا الحد .

ورحتُ عندئذ افكر ، ولم اشك بأن بريفان سيغتنم هذا النوع من الموعد الذي حدده له . وسيحضر في ساعة مبكرة لكي يجديني وحدي ، وان الهجوم

سيكون حاداً . ولكني كنت واثقة ايضاً بأنه لن يعاملني ، بالنظر لما يعرفه من سمعتي ، بتلك الحفة التي لا تستخدم إلا مع النساء السهلات المغامرات ، او اللواتي ليس عندهن اي اختبار . ورأيت ان نجاحي سيكون اكيداً اذا لفظ كلمة الحب ، واذا كان لديه بصورة خاصة الادعاء بأن يحصل عليها مني .

كم هو سهل ان يكون الانسان في صراع معكم انتم « جماعة المبادئ » ! إذ يثير فينا عاشق ساذج في بعض الأحيان بسبب خجله كثيراً من الارتباك ، أو يحيرنا بنزواته الهائجة ، وهذه هي حتى في الواقع كالحميات الأخرى لها حرارتها وارتجافاتها ، وفي بعض الاحيان تختلف في عوارضها ! اذن ففي الموعد المضروب : الوصول ، والسلوك ، واللهجة ، والاقوال ، وكنت أعرف كل شيء سلفاً قبل ليلة . ولا اروي لك الآن تفاصيل احاديثنا التي تستطيع ان تتخيلها بسهولة ، بل لاحظ فقط انني في دفاعي الظاهر ، كنت اساعده بكل قوتي : ارتباك لكي اتيح له الوقت لأن يتكلم ، اعذار سيئة لكي تكون مهزومة ، خوف وحذر لكي اثير احتجاجاته . وهذه اللازمة الدائمة من جانبه : « انني لا اطلب منك سوى كلمة واحدة » ، وهذا الصمت من جانبي الذي يبدو انه لا يتركه ينتظر إلا لكي يزداد شوقاً ورغبة . وخلال ذلك يد مأخوذة مائة مرة ، ولكنها تنسحب دائماً ولا تُرفَضُ ابداً ، وكان بالامكان ان نقضي نهارنا كله على هذا المنوال ، وهكذا امضينا ساعة ميمية . وكان يمكن ان نظل كذلك لولا أن عربة دخلت الى ساحة منزلي ، وقد جعلت هذه المعاكسة للظروف إلحاحاته اكثر حدة ، وهنا رأيت ان الفرصة قد حانت حيث كنت بمنجى من كل مفاجأة ، وبعد أن هيات نفسي بزفرة طويلة منحتة الكلمة الثمينة .

وبعد فترة قصيرة جاءني زوار عديدون ، وسألني بريفان أنت أسمح له بالحضور في صباح اليوم التالي ، فوافقته على ذلك . ولكنتي ، وانا الحريصة على الدفاع عن نفسي ، أمرت خادمتي بأن تبقى طوال هذه الزيارة في غرفة نومي ، حيث يمكنها منها ان ترى كل ما يجري في غرفة زينتي ، وكان ان استقبلته هناك . وكنا احراراً في أحاديثنا ، وبما انه كانت لدينا كلا الاثنتين رغبة بمائلة ،

فلم نلبث بعد قليل من الوقت حتى اتفقنا، ولكن يجب التخلص من هذا الشاهد غير المناسب ( أقصد الخادمة ) ولذلك وقعنا في مشكلة : اين انتظره ؟  
وحينئذ وصفت له حياتي الداخلية ، وأقنعتة بسهولة اننا لن نجد اية لحظة فراغ ، ويجب ان يعتبر لحظة اجتماعنا أمس بأنها نوع من المعجزة ، ربما ستنشأ عنها اخطار كبيرة جداً قد تفضخني ، لأنه من الممكن في اية لحظة كانت ان يدخل احدهم إلى الصالون . ولم أنسَ ان اضيف الى ذلك قولي ان جميع هذه العادات قد نشأت لأنها حتى اليوم لم تعاكسني ابداً ، واصررتُ في الوقت نفسه على استحالة تبديلها دون أن أورط نفسي بنظر جماعتي . وحاول ان يبتئس . وان يظهر الاستياء ، وان يقول لي اني اشعر بقليل من الحب نحوه . وتستطيع ان تتصوركم كان تأثير ذلك فيّ ! ولكنني وقد شئت أن اضرب هنا الضربة الحاسمة ، استنجدت بالدموع لاغاثتي ، وقد جعله هذا السلطان الذي ظنّ أن له عليّ او هذا الأمل الذي دبره لكي يضيع رشدي لحسابه ، يبدي نحوي كثيراً من الحب الشديد المفرط .

وما ان انتهت هذه المفاجأة المسرحية ، حتى عدنا الى بحث الترتيبات . وبدلاً من النهار رحنا ندرس امكان اجتماعنا في الليل ، ولكن بواي أصبح عقبة لا يمكن التغلب عليها . وانا لا اسمح بمحاولة خداعه . فاقترح علي الدخول من باب حديقتي ، ولكنني حسبت حساباً لذلك ، واخترعتُ وجود كلب هادىء في النهار ، ولكنه شيطان مرعب حقيقي في الليل . وان السهولة في ابداء مثل هذه التفاصيل كانت صالحة لجعله يتجرأ . وهكذا اقترح علي الحل الاكثر سخافة ، وهو ما وافقت عليه .

اولاً ان خادمه موثوق به الى درجة قصوى مثله ، وانه لا يمكن أن يخدعه مطلقاً . وسأقيم حفلة عشاء كبرى في بيتي يحضرها هو . ثم سيجد مناسبة لكي يخرج وحده ، وسيدعو خادمه البارح العربية ويفتح الباب ، وانه (اي بريفان) بدلاً من ان يصعد سيختفي بحذافة . ولن يستطيع سائق عربته أن يلاحظ ذلك منها كلفه الامر . وهكذا يكون قد خرج بنظر الجميع ، ومع ذلك

يكون قد ظل عندي .. بقي ان يعرف إذا كان يستطيع ان يصل الى غرفتي .  
وأعترف أن حيرتي كانت تدور اولاً حول إيجاد مبررات رديئة ضد هذا المشروع لكي  
يتسنى له ان يبدو وكأنه حطما . وكان ان رد عليها بضرب الامثلة ، حيث اخذ  
يقول : ليس هناك اكثر سهولة من هذه الطريقة ، وانه هو نفسه قد استخدمها عدة  
مرات ، وانه هو ايضاً الذي يستخدمها اكثر من اي كان ، على اعتبارها الاقل  
خطورة من غيرها .

وهكذا بعد ان خضعت لهذه الحجج المقنعة ، اعترفت بسذاجة انه يوجد  
في ببقى سلم خفي يفضي إلى صالوني الخاص . واني استطيع ان ادع مفتاحي  
معلقاً فيه . ومن السهل عليه ان يختبئ فيه وينتظر دون مجازفة ، حتى  
تكون مدعواتي قد انصرفن . ثم لكي أعطي مزيداً من التأكيد لموافقتي ، قررت  
بعد لحظة قصيرة انني لا اريد ذلك مطلقاً . ولم اعد إلى القبول الا بعد الاشتراط  
عليه بالخضوع التام والتعقل !... آه ياله من تعقل ! واخيراً قلت له انني اود ان  
ابرهن جيداً عن حبي ولكن ليس أرضاء حبه .

ان الخروج الذي نسيت ان اخبرك عنه ، يجب ان يجري بواسطة باب الحديقة ،  
ويجب انتظار طلوع الفجر . وان الحارس الشرس لن يتفوه بكلمة . كما انه لا  
يمر في تلك الساعة المبكرة احد في الشارع ، والناس غارقون في رقاهم . واذا  
كنت تدهش لهذه المجموعة من المتناقضات ، فلا شك انك تنسى وضعنا  
المتبادل . اذ لم نكن بحاجة لأن نفعل احسن من ذلك . وهو لا يتمنى افضل من  
هذه الطريقة لكي تُعرف ، وانا كنت واثقة بانها لن تعرف ابداً . ثم حددنا الموعد  
بعد يومين .

لاحظ ان القضية اصبحت منتهية ، وبما انه لم ير احد بريغان يتردد  
علي من قبل فقد اتفقنا على ان اكون قد قابلته على العشاء عند امرأة من  
صديقاتي ، وانه عرض عليها مقصورته في المسرح لحضور رواية جديدة . واني  
قبلت بالمناسبة مقعداً في المقصورة . وخلال الرواية دعوت هذه المرأة الى  
تناول العشاء عندي امام بريغان ، ولم استطع تقريباً بحكم اللياقة الا أن

واجه اليه مثل هذه الدعوة ، فوافق ، ثم قام بعد يومين بزيارتي كما تقضي العادة . وقد حضر في الحقيقة ليراني في صباح اليوم التالي . ولكن فضلاً عن ان زيارات الصباح لا تأثير لها ، فقد وجدتها خفيفة . وهكذا وضعته في صف الاشخاص الذين لا تقوم ببني وبينهم رابطة قوية ، فوجهت اليه دعوة خطية رسمية لتناول العشاء عندي .

وجاء اليوم الحاسم . هذا اليوم الذي كان يجب ان افقد فيه فضيلتي وسمعتي . وقد أصدرت تعليماتي الى خادمتي الامينة فيكتوار ، وقد نفذتها كما سترى .

ففي ذلك المساء حضر عدد كبير من القوم الى بيتي ، ثم اعلن بريفسان عن وصوله ، فاستقبلته بتهذيب ملحوظ ، يفهم منه عدم وجود سوى علاقة طفيفة ببني وبينه ، وعزوت هذه العلاقة الى الماريشالة ، باعتبار انني تعرفت عليه بواسطتها . ولم يحدث شيء في السهرة سوى ورقة صغيرة استطاع العاشق اللبق أن يجد وسيلة لدسها بين يدي ، ولكنني احرقتها على الفور حسب عادتي ، وقد اعلن لي فيها انني أستطيع ان اعتمد عليه . وقد احاط هذه الكلمة الرئيسية بجميع الكلمات الفضولية كالحب والسعادة الخ ...

وعند منتصف الليل حين انتهت ألعاب الورق اقترحت القيام بلعبة مشتركة ، وكنت اهدف من وراء ذلك إلى تسهيل هروب بريفسان ، واجعل هذا الهروب ملحوظاً في آن واحد . وهذا ما حدث بالفعل نظراً لسمعته كقمار . وكنت مغتربة ايضاً لأن القوم تسنى لهم ان يتذكروا انني لست مسرعة في البقاء وحدي . واستمرت اللعبة وقتاً اطول مما كنت اظن . وقد اغواني الشيطان ، واستسلمت لرغبة الذهاب لمواساة السجين النافذ الصبر ، وتوجهت بالفعل نحو هلاكي لولا انني فكرت انني اذا ذهبت اليه سأفقد سلطان ابقائه في الوضع الضروري لخططي . وكان ان واتتني القوة على مقاومة هذه الرغبة ، وعدت على اعقابي مستعيدة مكاني في تلك اللعبة الطويلة المملة . ولكنها انتهت اخييراً . وانصرف الجميع كل من ناحيته ، اما انا فقد استدعيت خادماتي وخلصت

ثيابي بسرعة وصرفتن بالسرعة نفسها .

وكم كنت اتمنى ايها الفيكونت ان تراني ، وانا في ثيابي الخفيفة امشي بخطى خجولة مترددة وافتح بيد غير مطمئنة باب منتصري . فشاهدني ، وخيل اليّ بلع البصر انني انهمزت ، انهمزت كليا قبل ان استطيع التفوه بكلمة أوقفه فيها او اذافع عن نفسي . ثم اراد ان يتخذ وضعا اكثر ملاءمة مع الظروف . فلعن ثياب السهرة البراقة التي كان يرتديها والتي كما قال تبعده عني . واراد ان يحاربني بأسلحة متساوية . ولكن حيائي المفرط اعترض على هذا المشروع ، ولم تدع له ملاطفاي الوقت لكي يتخلص من ثيابه ، فاهتم بشيء آخر .

بيد أن حقوقه تضاعفت ، وعاد إلى مطالبه . وهنا قلت له : « إسمع ستكون عندك قصة ممتعة لكي ترويها الى الكونتيسة دي ب ... عني . ولكنني متشوقة لأن أعرف كيف ستروي نهاية هذه المغامرة » وما ان فرغت من ذلك حتى قرعت الجرس بكل قواي وصرخت صرخات حادة مفرعة وكانت كلماتي وحركاتي اقوى من كلماته . ولم يكن إلا في حالة من الدهشة الشديدة حين سمعت فيكتور تهرع نحوني ومعها بعض الخدم الذين احتفظت بهم في غرفتها . وهنا استعدت لهجتي كملكة ورفعت صوتي قائلة : « أخرج يا سيدي ، ولا تظهر أبدا أمامي » . وهنا دخل بقية الخدم .

وقد اضاع بريفان المسكين صوابه ، واعتقد انه وقع في كمين ، فاستل سيفه وأراد أن ينتضيه ، ولكن خادمي حال بينه وبين ذلك ، لأن هذا الخادم النشط القوي أمسك به وطرحه أرضاً . وقد اصابني فزع شديد . فصحت بالخادم كي يدعه وشأنه . وأمرت بأن يتركوه ينصرف بسلام دون أن يؤذيه احد ، مع التأكد فقط انه خرج من بيتي . وقد رافق الجميع الفارس التعيس الحظ بهرج ومرج وفضيحة كما كنت أتمنى . وبقيت فيكتور وحدها ، واهتمنا خلال هذا الوقت في إصلاح وترتيب المكان الذي كان ينتظر فيه .

وعاد الجماعة فصعدوا الى غرفتي وهم في لغط قوي دائما . وسألتهم اي حظ

حسن جعلهم يبقون هنا؟ وهنا روت لي فيكتور انما دعت صديقتين من صديقاتها لتناول العشاء معها ، وانها بقيتا حتى الآن ، واخيراً حدثتني عن كل ما كنا متفقين عليه الخ... فشكرتهم جميعهم على غيرتهم ، وجلعتهم ينصرفون ، بينما كلفت احدهم بأن يذهب في الحال لاستدعاء طبيبي ، اذ بدا لي انه من حقي ان أخشى تأثير صدمة نفسية قوية . وكانت هذه أيضاً طريقة اخرى اتيح بها لهذا الخبر ان يذاع على نطاق واسع .

وقد حضر الطبيب بالفعل واخذ يعظم من هول الصدمة وتأثيرها على جسمي وامرني بالتزام الراحة التامة في الفراش . وامرت انا بالاضافة الى ذلك خادمتي فيكتور بأن تذهب فتثرثر عن الحادثة مع الجيران .

وكان ان نجح كل شيء كما يجب . وحضرت جارتني الورعة تواسيني قرب سريري لكي تعرف حقيقة هذه المغامرة القذرة . وكنت مضطرة الى التحدث معها اكثر من ساعة حول فساد ابناء هذا العصر . وبعد لحظة قصيرة تلقيت من الماريشالة الرسالة التي ارفقها اليك طيه . واخيراً قبل الساعة الخامسة فاجأني القومندان... بحضوره وهو قائد الفرقة التي يعمل بريغان فيها تحت إمرته . وقال لي انه حضر ليقدم اعتذاراته لكون احد ضباط فرقته استطاع ان يكون قليل الادب معي الى هذا الحد ، وانه لم يعلم بالأمر إلا عند الظهر حين كان يتناول طعام الغداء مع الماريشالة... وانه بعث فوراً بأمر الى بريغان لكي يذهب الى السجن . وطلبت اليه ان يعفو عنه ولكنه رفض ، وعندئذ فكرت بوصفي متأمة عليه ان اتمكف من ناحيتي ، واقفل بابي على نفسي بحجة انني لست على ما يرام .

وهكذا يعود الفضل في ارسال هذه الرسالة الطويلة اليك إلى عزاتي ، وسأكتب رسالة اخرى إلى السيدة دي فولانج التي يجب ان تطلع الجميع عليها ، وسترى كيف ينبغي لهذه الحادثة ان تروى .

نسيت ان اقول لك ان عشيقتي بيلروش قد ثارت ثائرتة ، وهو يريد مها كلف الأمر ان يبارزه . يا له من مسكين الحسن الحظ سيكون عندي وقت لكي اخفف من

سورته . وبالاتظار اريد ان اريح رأسي الذي تعب من الكتابة . الوداع يا فيكونت .

## ٨٦

### من المارشالة دي ... الى الموكيزة دي ميرتاي

(رسالة واردة ضمن ما قبلها)

باريس في ٢٥ ايلول ١٧?? .

يا إلهي ! ماذا حدث اذن يا سيدتي العزيزة ؟ هل من الممكن ان يكون هذا الصغير بريفان قد فعل هذه القذارات ؟ تجاهك أنت ايضاً ! والى ماذا عرضنا ! اذن لم يعد المرء في امان في بيته ! في الحقيقة ان ما يعزّي في هذه الاحداث هو كونها قد مرت بسلام . ولكن ما لن اتعزى عنه ابداً انني كنت نوعاً ما السبب في انك استقبلت في بيتك مثل هذا الشيطان الخفيف . وأعدك ، اذا كان كل ما قيل لي عنه صحيح ، بأنني لن ادعه يحط قدمه في بيتي بعد الآن . وهذا هو القرار الذي يجب على جميع الناس الشرفاء ان يتخذوه تجاهه ، اذا كان عليهم ان يفعلوا ما يجب .

لقد قيل لي انك أصبت بوعكة صحية ، وانا قلقة على صحتك . فأرجوك ان تطلعي على انبائك العزيزة ، او اجعليني اطّلع عليها بواسطة احد خاصتك اذا لم تتمكني من ذلك بنفسك . وانني لا اطلب منك سوى كلمة واحدة لكي اطمئن عليك . لقد كنت أود ان اسارع للحضور بنفسي لكي اراك هذا الصباح لولا الحمامات التي امرني طبيبي باتباعها ، ولا يجوز لي ايقافها . كما يجب عليّ ان اقصد فرساي بعد الظهر ، من اجل قضية ابن اخي دائماً .

الوداع يا سيدتي العزيزة إعتدي طول الحياة على صداقتي المخلصة .



## من المراكزة دي ميرتاي الى السيدة دي فولانج

باريس في ٢٦ ايلول ١٧??

اكتب اليك الآن من سريري ، يا صديقتي العزيزة الطيبة ، ذلك ان الحادث الاكثر اطلاقاً ، والاكثر إستحالة في توقعه ، قد جعلني مريضة نتيجة ما سببه لي من صدمة نفسية وحزن مرير ، وهذا ليس عائداً أكيداً الى ان ثمة ما ألام عليه ، بل لأن من المؤلم دوماً لامرأة شريفة تحافظ على التواضع اللائق يجنسها ، ان تصبح عرضة للاهتمام العام ، وقد كنت اتنى ان أبذل كل ما في وسعي لتلافي هذه المغامرة التعيسة ، ولا أعلم حتى الآن ما اذا كنت سأقرر الذهاب الى الريف ام لا ، بانتظار ان ينساها الناس . واليك ما حدث :

لقد قابلت عند الماريشال دي ... رجلاً يدعى السيد بريغان الذي تعرفينه أكيداً بالإسم ، ولا اعرفه انا ايضاً اكثر من ذلك . ولكنني حين وجدته في ذلك البيت ، سمحت لنفسي - كما بدا لي - بأن اعتبره من الاشخاص الصالحين . فلقد كان على جانب كبير من التهذيب ، وبدأ لي انه من الشبان الذين لا يعوزهم الذكاء . وقد شاءت المصادفة والضجر من اللعب ، ان اكون المرأة الوحيدة في جلسة بينه وبين الاسقف دي ... بينما كان الجميع منهمكين في لعبة «اللانسكيني» وتحدثنا نحن الثلاثة حتى حان وقت العشاء . وعلى المائدة دار الحديث عن رواية جديدة ، مما اتاح له الفرصة بأن يعرض مقصورتـه على الماريشال فقبلت ، وتم الاتفاق على ان يكون لي مقعد فيها . وكانت الحفلة يوم الاثنين الماضي في المسرح الفرنسي . وبما انني دعوت الماريشال بعد خروجنا من الرواية الى تناول العشاء في بيتي ، فقد عرضت على هذا الرجل ان يرافقها . وكان ان حضر بعد يومين الى بيتي في زيارة عادية تبادلنا خلالها المحاملات كما تقضي العادة دون ان ألحظ اثناءها ما يشين ، ولكنه عاد في اليوم التالي ايضاً ليراني في الصباح مما بدا لي ذلك غير لائق ، ولكن خيل إلي بدلاً من ان أشعره بذلك بطريقة استقبالي له ،

ان من الافضل ان اعلمه بأدب اننا لسنا على علاقة وثيقة حميمة كما يعتقد ، ومن جل ذلك بعثت اليه في اليوم نفسه بدعوة جافة احتفالية ، لتناول العشاء الذي احتفلت به اول امس . وبطبيعة الحال لم أوجه اليه الكلام اربع مرات خلال السهرة كلها . وكان ان انصرف هو من جهته بعد ان انهى اللعب . وانت تجدين انه حتى الآن لم يكن هناك ما يدل على انه يسعى للقيام بأية مغامرة . وكان ان لعبنا لعبة مشتركة بعد انصرافه ، وطالت السهرة حتى حوالي الثانية بعد منتصف الليل ، ثم ذهبت اخيراً لأنام في سريري .

وكانت قد مضت نصف ساعة طويلة على انصراف خادماي . حين سمعت حركة في شقتي ، ففتحت ستارتي بكثير من الخوف ، ورأيت رجلاً يدخل من الباب المفضي الى صالوني الخاص . فندت عني صرخة حادة ، وعرفت في الرجل على ضوء مصباح النوم انه السيد بريغان هذا ، وقد قال لي بوقاحة غير معقولة بأن عليّ ألا اخاف ، وانه سيوضح لي سر تصرفه ، وانه يرجوني ألا أحدث اية ضجة . وكنت مصدومة جداً الى درجة انني لم استطع التكلم . ولعل ما زادني رعباً كما اعتقد مظهره الهادئ المطمئن . ولكنه لم يقل سوى كلمتين حتى اكتشفت هذا السر المزعوم . وكان جوابي الوحيد - كما تستطيعين ان تتصورني - ان قرعت جرسني ، ولحسن الحظ كان جميع خدمي ما يزالون يسهرون عند إحداهم ، ولم يكونوا قد ناموا بعد . وكان ان استدعت خادمتي الخاصة - وقد سمعني اتحدث في الظلام بلمهجة خائفة - جميع زملائها الباقين ، بعد ان شعرت بالخوف عليّ ، وبإمكانك ان تتصورني الفضيحة ! وكان خدمي جميعاً نائمين ، ورأيت في احدى اللحظات ان خادمي سيقتل بريغان ، واعترف انني ما زلت حتى هذه اللحظة أرعب وارتجف من الخوف . وحين أفكر بما حدث ذلك اليوم ، أودُّ لو ان خادمتي الخاصة كانت قد حضرت وحدها ، لكنني تفاديت هذه الحالة التي تهدد قواي . وعوضاً عن ذلك فقد ايقظت الجلبة الجيران الذين هرعوا للاستفسار عني . وقد تحدث الناس عن ذلك ، لا حديث لباريس كلها ومنذ أمس سوى هذا النبأ . اما الآن فقد وضع السيد بريغان في السجن بأمر من قائد فرقته الذي

تفضل فزارني لكي يقدم اعتذاراته . ولا ريب بأن هذا السجن سيزيد أيضاً من الضجة التي اثارها هذا الحادث . وقد وجهت اليّ المدينة والبلاط رسالات استفسار تركت على بابي الذي اقفلته على نفسي انتجاعاً للراحة . وقد أبلغني الاشخاص القليلون الذين رأيتهم بأنهم انصفوني ، وان الاستنكار العام قد بلغ وجه ضد السيد بريغان . ومن المؤكد انه يستحقه ، ولكن ذلك لا ينزع الاثر السيء الذي تركته هذه المغامرة في نفسي .

وفضلاً عن ذلك فمن المؤكد أن لهذا الرجل اصدقاء ، وان اصدقاءه لا بدّ ان يكونوا شرسين . ومن يدري ماذا سيختلفون من اقاويل لايدائي والايقاع بي ؟ يا إلهي كم انا تعيسة ، مع انني لم افعل شيئاً سوى انني أردت ان ابعد عن نفسي أقاويل الناس . ورغم ذلك فهل أسلم من النميمة ؟

أرجو أن تذبثيني بما كنت قد فعلته ، وما ستفعلينه لو كنت مكاني ، واخيراً بكل ما تفكرين به . إذ منك وحدك أتلقى أطفّ الغزاء وأحكم الآراء . ومنك وحدك أحب ان اتلقاها .

الوداع يا صديقتي العزيزة الطيبة ، انت تعرفين المشاعر التي تربطني بك إلى الابد . قبلاتي لابنتك اللطيفة .



## من سيسيل فولانج الى الفيكونت دي فالمون

في ٢٦ ايلول ?? ١٧

على الرغم من كل السرور الذي اشعر به يا سيدي في تلقي رسائل الفارس دانسني ، وعلى الرغم من انني لست اقلل رغبة منه في ان نتقابل ايضاً دون ان يمنعنا احد من ذلك ، فإنني لم أجروء على القيام بما اقترحته علي . اولاً لأن هذا العمل خطير جداً ، فهذا المفتاح الذي اردت ان أضعه مكان الآخر يشبه كثيراً في الحقيقة ، ولكنه مع ذلك يختلف عنه قليلاً بحيث لا بد ان يُلاحظ ، ووالدتي

تراقب وتلاحظ كل شيء. وفضلاً عن ذلك فعلى الرغم من ان هذا المفتاح لم يُستخدم منذ وجودنا هنا إلى الآن، فقد يحدث ان تطرأ فكرة استخدامه في هذا الحين بالذات، واذ ما لوحظ الأمر فستقع الطامة الكبرى على رأسى إلى الابد. ثم يبدو لي أن صنع مفتاح مزدوج لغرفتي هو عمل سيء للغاية، لا بل وجريء جداً! صحيح انك انت الذي ستفضل بالاهتمام به، ولكن رغم ذلك اذا اطلع احد على القضية فسأتحمل وحدي الوزر واللوم واكون مسؤولة عن هذه الخطيئة الكبرى، لأن ذلك سيكون قد تم من أجلي. واخيراً لقد حاولت مرتين أن آخذه، ومن المؤكد ان الامر حين لو كان يتعلق بمقصد آخر، ولكنني لست ادري لماذا اخذت ارتجف، ولم تواتني الشجاعة الكافية على اخذه، ولذلك اعتقد ان من الافضل ان نبقى كما نحن الآن.

اذا كانت لديك دائماً الرغبة في ان تكون لطيفاً كما كنت حتى الآن، فإنك تستطيع دائماً ان تجد وسيلة اخرى لتسلمي بعض الرسائل. وحتى في المرة الاخيرة، لو لم يحدث لسوء الحظ انك التفت سريعاً ورائك في احدى اللحظات لكان الأمر قد تمّ بسلام. انا اشعر جيداً انك لا تستطيع، مثلي، إلا ان تفكر بذلك، ولكنني افضّل ان يكون لديّ المزيد من الصبر بدلاً من المجازفة. وانا واثقة ان دانسني يفكر مثلي، لأنه في كل مرة اراد مني شيئاً، ورأى ان ذلك سيؤلني، أقلع عنه فوراً.

انني اسلمك في آن واحد مع رسالتك هذه، رسالة دانسني ومفتاحك، وانا شاكرة جداً كل ما تفعله من اجلي، وارجوك ان تستمر في ذلك. صحيح انني تعيسة جداً، ولولاك كنت اشد تعاسة، ولكن هناك امي على كل حال، ولا بد من التجمل بالصبر. وارجو ان يظل السيد دانسني يحبني ايضاً، وان لا تتخلى انت عني، وقد يأتي وقت نكون فيه اكثر سعادة.

وبالانتظار، لي الشرف يا سيدي، ان اكون مع اعترافي بفضلك بخادمك المطيعة.

## من الفيكونت دي فالمون الى الفارس دانسي

قصر ... في ٢٦ ايلول ١٧??

اذا كانت امورك لا تسير بالسرعة التي تريدها ، يا صديقي ، فلست انا الملام على ذلك تماماً. اذ اجد امامي هنا اكثر من عقبة واحدة لا بد لي من ان اتغلب عليها. لأن يقظة وصرامة السيدة دي فولانج ليستا كل شيء ، بل ان صديقتك الصغيرة تعترض على بعض محاولاتي . وهي لا تفعل دائماً كل ما انصحها به ، اما عن برودة ، واما عن خجل . واعتقد مع ذلك انني اعرف اكثر منها ما يجب عمله .

كنت قد اكتشفت وسيلة سهلة ملائمة اكيدة ، استطيع بواسطتها ان اسلمها رسائلك ، لا بل اسهل عن طريقها في ما بعد المقابلات التي ترغبان فيها ، ولكنني لم استطع ان اجعلها تقرر استخدامها . وانا متألم الى درجة لا أرى معها اية وسيلة اخرى لكي اقربك منها . وحتى مراسلتك فانني اخشى باستمرار أن تورطنا نحن الثلاثة . بينما انت تعرف انني لا اريد ان اقوم بهذه المجازفة ولا اريد ان افضحكما أنت وهي .

سأكون متألماً حقيقة لأن تكون الثقة القليلة التي تمنحني اياها صديقتك الصغيرة ، قد حالت بيني وبين ان اكون مفيداً لك . لعلك تحسن صنعاً لو كتبت اليها عن ذلك . وعليك ان تفكر بما تريد أن تفعله . وعليك وحدك ان تقرر . اذ لا يكفي للمرء ان يخدم اصدقاءه ، بل عليه ان يخدمهم حسب ذوقهم . وستكون هذه ايضاً طريقة اخرى لكي تتأكد من عواطفها نحوك ، لأن المرأة التي تحتفظ بارادتها لنفسها لا تحب بقدر ما تقول .

لا اقول ذلك لأنني أرتاب في عدم ثبات معشوقتك على العهد ، بل لأنها ما تزال صغيرة السن . وهي تخاف والدتها كثيراً ، هذه الوالدة التي - كما تعلم - لا تحاول الا إلحاق الاذى بك . ولعله سيكون من الخطر ان تبقى مدة طويلة دون ان تشغلها فيك . ومع ذلك عليك ألا تفتق كثيراً مما اقوله لك هنا . وليس لدي

في الاساس اي سبب لفقدان ثقتك ، بل للحاح في الصداقة .  
لا اريد ان اطيل عليك في هذه الرسالة ، لان لدي بعض المشاغل الخاصة  
لحسابي ، وانا لم اتقدم بعد خطوة واحدة اكثر منك . ولكنني احب مثلك ،  
وهذا ما يعزيني . واذا لم أنجح من اجل نفسي ، واكون مع ذلك قد توصلت الى  
خدمتك كما يجب ، سأجد انني لم اضع وقتي سدى .  
الوداع يا صديقي .

٩٠

### من الرئيسة تورفيل الى الفيكونت دي فالون

في ٢٧ ايلول ١٧??

كم أتمنى كثيراً ، يا سيدي ، ألا تسبب لك هذه الرسالة اي تكدير .  
واذا ما سببت لك شيئاً من هذا ، ارجو أن يخفف من وقعها عليك ما  
أشعره من الم وانا اكتبها اليك . لا بدّ انك بتّ تعرفني الآن بصورة كافية لكي  
تكون واثقاً من رغبتني في عدم تكديرك . ولكنك لا تريد ، بدون شك ،  
أن تفرقني في يأس دائم . وأنا اناشدك إذن ، باسم المشاعر نفسها التي قد تكون  
اكثر حدة - ولكنها اكيذاً ليست اكثر اخلاصاً - والتي تكنها لي ، بأن نطلع  
عن رؤية احدها الآخر بعد الآن . فاذهب ، ولنكفّ من الآن فصاعداً عن هذه  
المحادثات الخاصة الخطيرة جداً التي اقضي وقتي في الاستماع الى ما ينبغي الا  
اصغي إليه دون ان يتسنى لي ان اقول لك ما أريده ، بسبب قوة خفية غير  
مفهومة .

بالأمس ايضاً ، حين جئت لتلقي بي في الحديقة ، لم يكن لي من هدف سوى  
ان اقول لك ما اكتبه اليك اليوم . ومع ذلك ماذا فعلت سوى انني شغلت  
بجربك ؟ ... بجربك الذي يجب الا أردّه عليه ابداً ! آه ! انني اطلب اليك الصفح ،  
إبتعد عني .

لا تخشَ ابداً ان يؤثر بعادك في عواطفني نحوك : وكيف يتسنى لي ان اتغلب عليها حين لا تكون عندي الشجاعة على مقاومتها ؟ ارأيت ؟ ها انذا أفصح لك عن كل شيء . وان خوفاً من ان اعترف لك بتخاذلي هو أقل من ان اقنع ضحية هذا التخاذل ، ولكن هذا السلطان الذي فقدته على عواطفني ، سأظل محتفظه به على تصرفاتي . أجل سأحتفظ به وانا مصممة على ذلك . حتى ولو كان على حساب حياتي .

من المؤسف ان الوقت لم يكن بعيداً حين كنت اظن نفسي واثقة من عدم معاناة مثل هذه الصراعات ! وكنت اغبط نفسي على ذلك ، لا بل وكنت فخورة ، ولكن الرحمة الالهية شاءت ان تنذرني قبل سقوطي ، وسأكون مذنبه بصورة مضاعفة ، اذا تابعت عدم الحذر ، بعد ان أنذرت بخوار قوتي . لقد قلت لي مئة مرة انك لا تريد سعادة مشتراة بدموعي . آه ، دعنا من السعادة ، بل دعني استعيد بعض الهدوء :

والآن بقبولك طلبي هذا ، اية حقوق جديدة لا تريد نيلها من قلبي ؟ واذا كانت هذه الحقوق قائمة على اساس العفة ، فلن امنع نفسي من الرضوخ اليها . وكم سأكون معجبة بنفسي لامتناني ! انني سأكون مدينة لك بجلالة تذوق عاطفة لذينة دون تبكيت ضمير . اما الآن فعلى العكس اشعر بأنني خائفة من عواطفني ، ومن افكاري ، بل اخشى ايضاً ان أنشغل بك وبنفسي . لأن فكرتك نفسها تفرزعني ، اذ حين لا استطيع الافلات منها احاربها دون ان ابعدها ، بل أدفعها فقط .

ليس من الأفضل لنا نحن الاثنين ان نوقف هذه الحالة من الاضطراب والقلق ؟ أنت يا من ظلت روحك الحساسة دائماً - حتى وسط أخطائها - صديقة للفضيلة ، ستقدر موقفني المؤلم ، ولن ترفض رجائي ! إذ ان ثمة مصلحة اكثر رقة ولطفاً ، ستحل محل هذه الانفعالات العنيفة ، وعندئذ سأستنشق الحياة بفضل إحسانك ، واستمرىء وجودي وسأقول في بهجة قلبي : ان هذا الهدوء الذي استشعره مدينة به الى صديقي .

إنني بإخضاعك لبعض الحرمان الخفيف ، الذي لا افرضه عليك أبداً ، بل اطلبه فقط ، هل تمتاز انك تبتاع غالباً نهاية عذابي ؟ آه ، إذا كان لا بد لكي اجعلك سعيداً من ان اكون تعيسة ، فسدقني انني لن اتردد لحظة واحدة ... ولكن ان اغدو مذنبه خاطئة ! ... لا ، كلا يا صديقي ، فانا افضل الموت ألف مرة على ذلك .

أما وقد افعمت الآن بالحجل عشية تمكيت الضمير ، فأنني اخاف الآخرين ونفسي ، واحمر خجلاً في المجتمع ، وارتحف رعباً في العزلة . ولم يعد لدي سوى حياة من الآلام . وانني لن احصل على الدعوة والهدوء الا بموافقتك . وان مقرراتي الاشد تقريظاً لا تكفي لتنظيمي ، وقد اتخذت هذا القرار أمس ، ومع ذلك فقد قضيت هذه الليلة وأنا غارقة في الدموع .

انظر الى صديقتك التي تحبها ، مضضعة ومتوسلة ، طالبة اليك فقط ان تمنحها الراحة والبراءة . آه يا آلهي هل كانت وصلت لولاك الى هذا الطلب المهين ؟ انني لا الومك على شيء ، بل أشعر كثيراً كم ان من الصعب مقاومة شعور متسلط . وإن شكوى واحدة ليست اعتراضاً ، فافعل عن كرم ما افعله انا عن واجب ، إنني أضم الى جميع العواطف التي اوحيت إلي بها عاطفة الامتنان الدائمة ، الوداع الوداع يا سيدي .

٩١

## من الفيكونت دي فالون إلى الرئيسة تورفيل

في ٢٧ ايلول مساءً .

أما وقد صُغقت برسالتك فإنني ما زلت اجهل كيف استطيع ان اجيبك عليها . بدون شك اذا كان لا بد من الاختيار بين شقائك وشقائي ، فأنني اضحي بنفسي ، ولن اتردد . ولكن يبدو لي ان مثل هذه القضايا الكبرى تستحق المناقشة والتوضيح قبل كل شيء ، وكيف نتوصل إلى ذلك اذا كان علينا ان



تقطع عن تبادل الحديث ورؤية احدنا الآخر ؟

ماذا ! بينما توحدنا العواطف الأشد رقة ، ينبثق خوف لا قيمة له ليفرق بيننا ، ربما دون عودة ؟ وعندئذ ستطالب الصداقة الرقيقة والحب المدفع عبثاً بحقوقهما ، ولن يسمع احد صوتهما ، لماذا ؟ وما هو هذا الخطر العاجل الذي يتهددك ؟

آه صدقيني ان مثل هذه المخاوف المبنية على الاوهام ، هي وحدها اسباب قوية للامان .

إسمحي لي ان اقول لك اني اجد هنا آثار الانطباعات السيئة التي اخذتها عني . ولا يمكن لاحد ان يرتجف ابدأ امام رجل يقدره ويحترمه . ولا يمكن لأحد ان يُبعدَ بصورة خاصة ذلك الذي حكم عليه بأنه جدير ببعض الصداقة ، وان الرجل الخطير فقط هو الذي يُخشى منه .

ومع ذلك ، من كان اكثر احتراماً وخضوعاً مني ؟ لقد تحققت من ذلك في السابق ، كما انني اراقب نفسي في حديثي ، ولا اسمح لنفسي بهذه الكلمات الرقيقة العزيزة على قلبي الذي لا يكف عن بثك اياها بالسر . انا العاشق الأمين التعيس الذي يتلقى المؤاساة والنصائح من صديقة حنونة حساسة ، بل منهم امام قاضيه ، والعمد امام سيده ، وان هذه الالقب الجديدة تفرض عليّ بدون شك واجبات جديدة ، وعليّ أن اتعهد بتنفيذها كلها . اصغي الي ، فاذا أدنتني سأمتثل الي مشيتك واذهب ، لا بل أعدك اكثر من ذلك ، أم هل تفضلين هذا الاستبداد الذي يحكم دون الاصغاء الي المتهم ؟ هل تشعرين بالشجاعة على ان تكوني جائرة ؟ فأمرني وانا أطيع ايضاً .

ولكن دعيني اسمع هذا الحكم وهذا الأمر من فمك . ستقولين لي بدورك : لماذا ؟ آه ، لانك اذا وجهت هذا السؤال ، فذلك يدل على انك لا تعرفين الحب ولا قلبي ! هل تعتبرين ان رؤيتي لك مدة قليلة هي أمر لا اهمية له ؟ ولكن حين يحمل فمك اليأس الي روحي ، فلعل نظرة مغرية تمنعها من ان تتداعى . واخيراً اذا كان ينبغي علي ان أقلع عن الحب والصداقة التي اعيش من اجلها وحدهما ، فعلى

الاقبل سترين ما صنعته يدك ، وستبقى لي شفقتك : ان هذا الامتياز الخفيف ،  
الذي لا استحقه مع ذلك ، هل فرض عليّ ان ادفع ثمنه غالباً لكي اناله ؟  
ماذا ! انت تبعديني عنك ! وتوافقين على ان نصبح بعينين الواحد عن  
الآخر ؟ ماذا اقول ؟ انت تودين ذلك ، بينما تؤكدين لي ان ابعادي لن يؤثر ابدأ  
في عواطفك ، اذن انت تعجلين سفري لكي تعملي بسهولة على تحطيمها .  
ها انك بدأت تحديثيني عن انك ستحلين الامتنان محل عواطفك . والامتنان  
هو ما سيحصل عليه منك اي مجهول مقابل خدمة بسيطة : عدوك مثلاً حين  
يكف عن ايدائك . وهذا كل ما تعرضين عليّ ! وتريدين اذن ان يكتفي قلبي  
بذلك ! اسألني قلبك : اذا ما جاء عاشقك وصديقك يحدثانك يوماً عن امتنانهما  
ألن تقولي لهما باستنكار : انصرفا انكما جاحدان .

انني اتوقف هنا عن الكتابة ، وأطالب بجملك وسعة صدرك . واعذريني  
على صيغة الالم التي تبعثينها فيّ ، وهو لن يؤدي ابدأ خضوعي التام . ولكنني  
استحلفك بدوري ، باسم هذه العواطف الرقيقة التي انت نفسك تطالبين بها ،  
الآء ترفضى الاصغاء إليّ ، ولا تطيلي الانتظار ، من قبيل الشفقة على هذا  
الاضطراب المميت الذي اغرقتني فيه . الوداع يا سيدتي .

٩٢

من الفارس دانسني إلى الفيكونت دي فالون

باريس في ٢٧ ايلول ?? ١٧

آه ، يا صديقي ، لقد جمّدتني رسالتك من الفزع . سيسيل... يا إلهي ! هل  
من الممكن ! سيسيل لم تعد تحبني . اجل انني ارى هذه الحقيقة البشعة عبر  
الستار الذي تحيطها به صداقتك . لقد أردت إعدادي لكي اتلقى هذه الضربة  
القاضية . فأشكرك جداً على عنايتك ، ولكن هل يمكن فرض شيء على الحب ؟  
أنه يفر أمام كل ما يهيمه ، ولا يتلقى نبأ مصيره ، بل يكتشفه . وانا لا اشك

بصير حي . حدثني بصراحة ، وازت قادر على ذلك ، ارجوك ، اخبرني عن كل شيء ، وعن كل ما يثير شهواتك ، وعمّا يؤكدها . ان اقل التفاصيل هي ثمينة . حاول بصورة خاصة ان تتذكر اقوالها . وان كلمة مكان اخرى يمكن ان تبدل معنى جملة بكاملها ، كما ان للكلمة الواحدة معنيين . . . قد تكون اتخذت ؛ مع الاسف احاول ان ازهو ايضاً . ماذا قالت لك ؟ هل توجه الي بعض الملامة ؟ ام انها لا تدافع عن اخطائها ؟ لقد كان عليّ ان اتوقع هذا التبدل ، بسبب الصعوبات التي تلقاها ، منذ وقت قصير ، في كل شيء . مع ان الحب لا يعرف هذا القدر من العقبات .

ماذا عليّ ان أقرر ؟ بماذا تنصحي ؟ فلو حاولت مثلاً ان اراها ؟ هل ان ذلك مستحيل اذن ؟ أن البعاد قاس جداً ومشؤوم !.. ثم انها رفضت وسيلة لكي تراني !.. ولكنك لا تقول لي ما هي هذه الوسيلة ، واذا كان فيها حقيقة شيء من الخطر ، فهي تعلم جيداً اني لا اريدها ان تجازف كثيراً . ولكنني أعرف حذرِك ايضاً ، ولا استطيع لشدة تعاسي إلاّ ان أوْمَن به .

ماذا يجب عليّ ان افعل الآن ؟ كيف اكتب اليها ؟ فاذا تركتها تشعر بارتياحي فقد يشجئها ذلك ، واذا كانت شكوكي في غير محلها فهل تغفر لي كوني كدّررتها . واذا اخفيت عنها ذلك اكون قد خدعتها ، ولا استطيع ان اخفي عنها شيئاً . آه ، لو كانت تعلم كم اتعذب ! إن عذابي يؤثر فيها . وأنا اعرفها حساسة ذات قلب من ذهب ، ولديّ الف دليل على حبها . فهي كثيرة الحياء مع بعض الارتباك ، وهي صغيرة السن ! وامها تعاملها بقساوة بالغة ! سأكتب اليها ، وسأتمالك زمام نفسي . سأطلب اليها فقط بأن تثق فيك كل الثقة وتترك نفسها تحت تصرفك ، واذا رفضت ذلك ثانية فإنها لا تستطيع على الاقل ان تغضب من رجائي . ولعلها قد توافق .

وانت يا صديقي اقدم اليك الف اعتذار ، واؤكد لك انها تقدّر عنايتك وخدماتك وتعترف بفضلها . وان ما بدر منها ليس عن قلة ثقة بل عن خجل وحياء . فكن واسع الصدر ، وهذا من اجمل طباع الصداقة . إن صداقتك ثمينة

جداً لديّ ، ولا ادري كيف اعترف بفضل كل ما تقوم به من اجلي . الوداع ، سأكتب اليها فوراً .

ها انذا أشعر بجميع مخاوفي تعود . من كان يعتقد ان الكتابة اليها ستكون لي هذا القدر من الصعوبة ! يا للأسف ! بالامس فقط كان ذلك أعذب سرور عندي . الوداع يا صديقي ، تابع عنايتك من اجلي ، وارثي لحالي كثيراً .

٩٣

### من الفارس دانسي الى سيسيل فولانج

( مرفقة بالرسالة السابقة )

باريس في ٢٧ ايلول ?? ١٧

لا أستطيع أن أخفي عليك كم أشجاني ان اعلم من فالون انك تمحضينه ثقة ضئيلة . انت لا تجهلين انه صديقي ، وانه الشخص الوحيد الذي يستطيع ان يقرّ بنا الواحد من الآخر . لقد اعتقدت أن هذه الصفات ستكون كافية لديك . وأرى بصعوبة انني قد اخطأت . فهل أستطيع ان آمل على الاقل ان تعلميني ما هي مبرراتك ؟ أم هل تجدين ايضاً بعض الصعوبات التي تمنعك من ذلك ؟ انني على كل حال لا أستطيع ان احزر ، دون مساعدتك ، سر هذا التصرف . ولا اجروء على الشك في حبك ، ولا ريب ايضاً بانك سوف لا تجرأين على خيانة حيي . آه ! يا سيسيل ! ...

هل صحيح إذن انك رفضت قبول وسيلة لكي تريني ؟ \* « وسيلة بسيطة ملائمة واكيدة » . أهكذا تحبينني ؟ هل ان غياباً قصيراً كهذا بدل عواطفك ؟ ولكن لماذا تحذرينني ؟ ولماذا تقولين لي انك تحبينني دائماً وانك تحبينني أكثر ؟ هل قضت والدتك على براءتك بالقضاء على حبك ؟ واذا كانت على الأقل قد تركت لي بعض الشفقة ، فانك ستعلمين اية عذابات قاسية

\* دانسي لا يعرف ما هي هذه الوسيلة ، بل يكرر فقط عبارة فالون .

قد سببتها لي . آه ! انني سأتعذب أقل من الآن عند الموت .  
قولي لي اذن ، هل اوصدت قلبك بوجهي دون عودة ؟ هل نسيته تماماً ؟  
انني لا ادري بسبب رفضك متى تصفين الى شكاواي ، ولا متى تردّين عليها .  
لقد ضمنّت صداقة فالون مرسلتنا ؟ ولكنك انت لا ترغبن فيها ؟ اذ تجدينها  
مؤلمة ، ففضلت ان تكون اكثر ندرة . كلا . لا أومن بعد بالحلب بنية حسنة !  
بماذا يمكن ان أومن اذن ، اذا كانت سيسيل قد خدعتني ؟

ردي عليّ إذن ؟ هل صحيح انك لم تعودي تحبينني ؟ كلا ، هذا غير ممكن .  
انت تخدعين نفسك . وتتقولين على قلبك . مجرد خوف عابر ، لحظة ياس ،  
ولكن الحب سيزيلها عاجلاً : أليس كذلك يا سيسيلتي ؟ آه ، لا شك بأنني على  
خطأ في اتهامك : كم سأكون سعيداً لو كنتِ على خطأ ! كم أحب ان اقدم  
اليك اعتذاراتي الرقيقة ، وأصلح هذه اللحظة من الظلم بحب ابدى .

سيسيل ، يا سيسيل ، اشفقي عليّ ! ووافقي على رؤيتي . واسلكي جميع  
السبل ! وانظري ماذا نتج عن هذا البعاد ! مخاوف ، وساوس ، وربما فتور !  
نظرة واحدة ، وكلمة واحدة ، وسنصبح سعداء . ولكن ماذا ؟

هل أستطيع أن اتحدث ايضاً عن السعادة ؟ لعلمها افلتت من يدي وضاعت  
الى الابد . أما وقد أقضّ الخوف مضجعي ، وانحصرتُ بوحشية بين الريبة  
الجائرة والحقيقة القاسية ، فلم اعد أقف عند اية فكرة ، ولم اعد احافظ على  
وجودي الا لكي اتعذب واحبك . آه ! يا سيسيل ! انت وحدك صاحبة الحق في  
تجميل وجودي وجعله عزيزاً عليّ . وانتظر من الكلمة الأولى التي تلفظينها  
عودة السعادة او تأكيد ياسي الى الأبد .

## من سيسيل دي فولانج الى الفارس دانسي

قصر ... في ٢٨ ايلول .

لم افهم شيئاً من رسالتك، اللهم الا العذاب الذي سببته لي . ماذا اخبرك اذن السيد دي فالون ؟ وما الذي جعلك تعتقد انني لم اعد احوالك ؟ لعل ذلك سيكون اكثر سعادة لي ، لأنني اعيداً سأكون اقل عذاباً وغماً . وانه لمن المؤلم جداً حين اكون احوالك كما افعل ، وارك تعتقد دائماً اني على خطأ ، وانك بدلاً من ان تؤاسيني ، اجد ان جميع الآلام التي تشجيني تصدر عنك . انت تظن انني أخدعك ، واقول لك ما لا اشعر به ؟ يا لها من فكرة عاتية طرأت عليك ! ولكن حين اكون كاذبة كما تتهمني فما هي مصلحتي في ذلك ؟ من المؤكد لو انني لا احبك ، لكنت قلت لك ذلك ، واحررت ثناء الجميع . ولكن حبك مع الاسف اقوى مني . ولا بد ان يكون كذلك من اجل شخص لست ملزمة نحوه بشيء !

ماذا فعلت اذن لسكي اكدرك الى هذا الحد ؟ انني لم اجرؤ على اخذ مفتاح خشيت ان تلاحظ امي فقدانه ، وان يسبب ذلك وجع رأس لي ولك ايضا بسببي . ثم أيضاً لأن الأمر بدا لي غير شريف ، ولكن لم يحدثني عنه إلا السيد دي فالون ، ولم اكن اعلم انك تريده ، لانك لا تدري شيئاً . اما الآن وانا اعلم انك ترغب فيه ، فاني لن ارفض اخذه . وسأخذه ابتداء من الغد ، ثم سنرى ماذا يمكن ان تقوله ايضاً .

يستطيع السيد دي فالون ان يكون صديقك المخلص ، ولكنني اعتقد انني احبك بقدر ما يجبك على الأقل ، ومع ذلك فهو وحده على صواب ، وانا على خطأ . اؤكد لك انني متكدره جداً وهذا لا يهمك . لانك تعرف انني سأهدأ في ما بعد . اما وقد قررت ان آخذ الآن هذا المفتاح ، فسأستطيع ان اراك متى أشاء . واؤكد لك انني لا أريد ذلك حين تتصرف بهذه الطريقة . بل

افضل ان يكون عندي الشجن الذي يصدر عني ، بدلاً مما يصدر عنك ، وعليك ان ترى ماذا تريد ان تفعل .

فاذا شئت ، سيحب احدنا الآخر حباً جماً ! وعلى الأقل سنتحمل العذاب الذي يسببه لنا الآخرون ! أوكد لك انني لو كنت سيدة مصري لما كان عندك ما تشكوه مني ، ولكن اذا كنت لا تصدقني ، فسنكون دائماً تعيسين ، وليس الذنب ذنبي . أمل أن تتمكن قريباً من ان تتقابل ، وعندئذ لن تكون عندنا فرصة لكي نحزن كما هو الحال الآن .

آه ، لو كنت توقعت ذلك ، لكنت اخذت هذا المفتاح حالاً ، ولكنني في الحقيقة احسنت صنعا بعدم اخذه . فلا تحمد عليّ اذن ، ارجوك ، ولا تكن كئيباً ، وأحبني دائماً بقدر ما احبك . وعندئذ سأكون مسرورة جداً . الوداع يا صديقي العزيز .

٩٥

من سيسيل دي فولانج الى الفيكوفت دي فالمون

في ٢٨ ايلول ١٧??

ارجوك ، يا سيدي ، ان تتفضل بأن تعيد اليّ هذا المفتاح الذي كنت قد اعطيتني اياه لكي اضعه مكان الآخر . وما دام كلاكما يريد ، فلا بد من ان اوافق ..

لست أدري لماذا عمدت الى اخبار دانسني بأنني لم اعد احبه ، أذ لا اظن انني تركتك تظن ذلك . وقد سبب هذا الظن كثيراً من الشجن له ولي ايضاً . انا اعلم جيداً انك صديقه ، ولكن هذا ليس سبباً لكي تسبب الغم له ولي ايضاً . وسأكون مسرورة جداً منك لو اعلمته العكس عند اول فرصة تكتب اليه فيها ، وانت متأكد من ذلك ، لأنه يثق فيك اكثر مني ، وانا حين اقول شيئاً ، ولا يصدقه مني لا أدري ماذا افعل .

في ما يتعلق بالفتح ، تستطيع ان تكون مطمئناً ، لقد وعيت كل ما أوصيتني به في رسالتك . ومع ذلك اذا كنت ما زلت تحتفظ بها ايضاً ، وشئت ان تعطيني اياها في الوقت نفسه ، أعدك اني سأهتم بها كل الاهتمام . ما رأيك لو تم ذلك غداً عند توجهنا الى العشاء . وانا سأعطيك المفتاح الآخر عند الغداء ، ثم تعيده لي بالطريقة ذاتها ، اتنى أن لا يستغرق ذلك وقتاً طويلاً ، لانه ستكون هناك فترة اقل لكي تلاحظ أمني الأمر .

ثم حين سيكون هذا المفتاح بيدك تفضل باستخدامه ايضاً لأخذ رسائلي ، وهكذا سيحصل السيد دانسني على المزيد من اخباري . صحيح أن الحال سيكون اكثر سهولة مما هو عليه الآن ، ولكن ذلك يثير في نفسي كثيراً من الخوف . ارجوك أذن ان تعذرني . وآمل ان تستمر كلسابق في ان تكون لطيفاً . وسأكون دوماً شاكرة فضلك .

لي الشرف سيدي بأن اكون خادمك المطيعة جداً .  
ملاحظة -- حين تحصل على هذا المفتاح ، ارجوك ان تحافظ عليه جيداً بحيث لا يراه أحد ، لأن ذلك سيكون خطيراً للغاية .

٩٦

### من الفيكونت دي فالمون الى المربكة دي ميرتاي

قصر ... في أول تشرين أول?? ١٧

اراهن على انك ، منذ مغامرتك الأخيرة ، تنتظرين كل يوم تهاني وثنائي . ولا شك بأنك قد تكدرت قليلاً من صمتي الطويل ، ولكن ماذا تريدن ؟ لقد فكرت دائماً انه حين لا تكون هناك سوى الشنات لتقدمها الى امرأة ، فبالامكان الاعتماد عليها والاهتمام بشيء آخر . ومع ذلك اشكرك على ما فعلته من اجلي ، واهنئك على ما فعلته من اجلك . وأود ايضاً لكي اجعلك تماماً سعيدة ، ان اعترف بأنك في هذه المرة قد تجاوزت ما انتظره منك . وبعد لئري اذا كنت



من جهتي قد حققتُ على الأقل جزءاً من رغباتك .

لا اريد ان أحدثك عن السيدة دي تورفيل اليوم لأن سيرها البطيء لا يعجبك ، وانت لا تحبين سوى القضايا الجاهزة ، لأن المشاهد المتسلسلة تضجرك ، اما انا فعلى العكس لم اذق في حياتي مثل هذه المتعة التي اشعر بها في هذا التباطؤ المزعوم .

اجل ، احب ان أرى واتأمل هذه المرأة الحذرة منساقة - دون أن تلاحظ - في طريق لا تسمح لها بالترجع . إن انحدارها السريع الخطر يقودها رغماً عنها ، ويحملها على اللحاق بي . أما وقد افزعها هذا الخطر الذي تسير فيه فهي تريد ان تتوقف ، ولا تستطيع ان تتألك زمام امرها . وان احتراسها وبراعتها يجعلان خطواتها أشد بطئاً ، ولكن يجب ان تتلاحق . وهي لا تريد في بعض الأحيان ان تحدق في الخطر ، بل تغمض عينيها عنه ، وتترك نفسها تنساق وراءه ، تاركة نفسها تحت رحمتي . وفي أغلب الأحيان تجد ان خوفاً جديداً يقودها نحوه . وهي في فزعها المميت ما زالت تحاول ان تتراجع على اعقابها . فتنهك قواها لتتصد مسافة قصيرة ، ولكن قوة سحرية ما تلبث ان تدفعها نحو هذا الخطر نفسه الذي كانت قد هربت منه بجهود شاقة . وهكذا لم يبق لديها سواي كدليل واعتماد ، فهي تتوسل إلي ان أؤخر سقوطها دون ان تفكر بأن تلومني كثيراً على هذا السقوط المحتم . ان التوسلات الحارة ، والالاحاحات العميقة ، وكل ما يشعر به الناس في حالات خوفهم ، فيقدمونه للقدررة الإلهية ... هذا ما ألتقاه منها . ثم تريدني مني ان اعمل على استعجال هذه القوة التي تتوسل اليها لكي اعينها ، بعد ان صممتُ اذني عن سماع امنياتها ، وحطمتُ بنفسي العبادة التي تكرسها إليّ ؛ آه ، دعي لي على الأقل الوقت الكافي لكي اراقب هذه المعارك المؤثرة بين الحب والفضيلة !

ثم ماذا ! هذا المشهد نفسه الذي يجعلك تركضين الى المسرح لكي تصفقي له باعجاب ، هل تظنين انه أقل امتاعاً في دنيا الحقيقة ؟ وهذه المشاعر الصادرة عن روح صافية بريئة تخشى السعادة التي ترغبتها ، ولا تكفُّ عن منع نفسها

منها ، حتى بعد ان كفت عن مقاومتها ، أراك تصغين اليها بحماسة : فهل تكون دون ثمن بالنسبة لذلك الذي يخلقها ؟ وهذه على كل حال هي المتع اللذيذة التي تقدمها إلي تلك المرأة السماوية كل يوم ! ثم تلوميني على تذوق حلاوتها ! آه ، ان الوقت لن يكون إلا قريباً حين تخف قيمتها ، بسبب سقوطها ، فلا تعود تصبح بالنسبة لي الا امرأة عادية .

ولكنني أنسى وانا احدثك عنها ، اني لم اكن اود ذلك . بيد أني لا أعرف أية قوة تجعلني اعلق بها وتقودني باستمرار اليها ، حتى حين أمينها . فلنستبعد إذن فكرتها الخطيرة ، ولأستعيد نفسي لكي اعالج موضوعاً آخر اكثر مرحاً . انه يتعلق بحضينتك التي اصبحت في الوقت الحاضر حضينتي . وآمل هنا ان تجديني كما تعرفيني .

لقد لاحظت منذ بضعة ايام ان الصغيرة فولانج - بعد ان اخذت امها تحسن معاملتها ولا تشدد مراقبتها عليها - على جانب كبير من الجمال ، وانه اذا كانت هناك حماقة في ان يحبها دانسي بهذا الشكل ، فلربما ليست هناك حماقة اقل من جانبي اذا لم ابحث في قربها عن تسلية جعلتها عزليتي ضرورية . وقد بدا لي من الانصاف ان اكا فيء نفسي على جهود العناية التي ابذلها من اجلها : لقد تذكرت أيضاً انك كنت قد عرضتها عليّ قبل ان يصبح دانسي عشيقها . ورأيت ان ثمة اساساً لكي اطالب ببعض الحقوق على ملكية لم يملكها دانسي إلا بفضل رفضي وتخلي له عنها . ان شكل هذه الفتاة الصغيرة وسذاجتها الجميلة ، وفها المنعش ، ومظهرها الطفولي نفسه ، قد عزز هذه الافكار الحكيمة في نفسي ، فقررت ان أعمل على نيلها ، وقد كللت مساعي بالنجاح .

ها أنت تفكرين بأية طريقة استطعت ان أحل سريعاً محل العاشق العزيز ، واي أعواء يتفق مع هذا العمر ، ومع هذه الفتاة العديمة الاختبارات . وفري على نفسك كثيراً من العناء ، فلم استخدم أية وسيلة . اذ بينما كنت تديرين ببراعة أسلحة جنسك ، وتنتصرين عن طريق النعومة واللباقة . كنت انا أعيد للرجل حقوقه غير القابلة للفسخ ، فأخضع عن طريق السيطرة والسلطة . وكنت واثقاً

من التقاط فريستي اذا أستطعت أن اجتمع بها ، فلم اكن بحاجة الى الحيلة إلا لكي اقرب اليها . لا بل وحق الحيلة التي استخدمتها من اجل ذلك لا تستحق هذا الاسم .

لقد اغتذمت فرصة اول رسالة وصلتني من دانسي الى حسنائه ، وبعد أن أنذرتها بالاشارة المنفق عليها بيننا استخدمت براعتي ليس لتسليمها اياها كالمعتاد ، بل لعدم ايجاد اي وسيلة تمكنني من ذلك ؛ وكان ان بعثتُ في نفسها نوعاً من نفاذ الصبر كدت اشاطرها اياها ، وهكذا بعد أن سببتُ الألم وصفت الدواء . ان الفتاة الصغيرة تنام في غرفة ذات باب يفضي الى الرواق ، وبما ان الوالدة قد اخذت المفتاح لاسباب لا تجهلونها فلم يكن امامي سوى ان استولي عليه . وليس هناك اسهل من ذلك عند التنفيذ . فلم اطلب منها سوى الحصول عليه لمدة ساعتين فقط ، وعندئذ سيكون لدي مثيل له . وهكذا بعد مراسلات ومقابلات ومواعيد ليلية اصبح كل شيء ملائماً واكيداً : ومع ذلك هل تصدقين ؟ لقد خافت الفتاة الحرجول ورفضت اعطائي هذا المفتاح . ولكن لو كان هناك احد غيري مكاني لكانت ثبتت همته . أما أنا فلم أر في ذلك إلا مناسبة لشحذ همي وللحصول على متعة اقوى . فكتبت إلى دانسي اشكو اليه هذا الرفض ، وقد كتبت اليه ببراعة حتى حملت هذا الطائش على أن يطلب من صديقه الوجلة ان تسلمه اياي ، وأن تمثل لكل ما اطلبه منها وتعتمد على تكتمي .

انا اعترف بانني كنت مسروراً جداً لأن أبادل دوري ، وقد فعل الشاب من اجلي ما كنت انوي ان افعله من أجله ، وقد ضاعفت هذه الفكرة بنظري ثمن المغامرة : وهكذا ما ان حصلت على المفتاح الثمين حتى سارعت الى استخدامه . وقد حدث ذلك في الليلة الماضية .

بعد أن تأكدت أن كل شيء هاديء في القصر ، تسلحت بمصباحي الصامت ، ولباسي الخفيف الذي يتفق مع الوقت ويقتضيه الظرف ، وقمت بزيارتي الاولى الى حضينتك ، وكنت قد اعددت للامر عدته ( وذلك بواسطتها ) لكي أستطيع الدخول دون ضجة . وكانت غارقة في نومها الاول ، وفي نوم من هم

في سنها ، بطريقة انني وصلت حتى سريرها دون ان تستيقظ . وقد حاولت أولاً ان أذهب بعيداً ، واجعلها تعتقد ان القضية قضية حلم . ولكنني ، وقد خشيت تأثير المفاجأة والضجة التي تنتج عنها ، فضلت أن اوقظ النائمة الحسنة بحذر ، وقد توصلت بالفعل إلى تفادي صيحة كنت أخشاها . ثم هدأت من مخاوفها الأولى ، وبما أنني لم أحضر إلى غرفتها لكي اتحدث فقط ، فقد سمحت لنفسني ببعض الحريات ، وبدون شك لم تتعلم في مدرستها كم ان البراءة الخجولة تعرض صاحبتهما الى الخطر ، ولم تعلمها كل ما يجب ان تفعله حتى لا تفاجأ ، لأنني وجهت كل انتباهها وكل قواها لكي تدافع عن نفسها ضد قبلة واحدة لم تكن سوى هجوم زائف ، بينما تركت كل الباقي دون دفاع . وهي وسيلة لكي لا أستغل ذلك ! وكان أن بدلت اذن خطتي ، وتمرکزت على الفور . وهنا فكرنا اننا قد انفضحنا كلا الاثنين : فقد أرادت الفتاة ، بعد أن نفرتها ، ان تصيح بكل نية حسنة . ولحسن الحظ خنقت صوتها في البكاء . ثم ارتمت على حبل الجرس ، ولكن براعتي حالت دون وصول ذراعها اليه في الوقت اللازم .

وقلت لها عندئذ « ماذا تريدان ان تفعلين ؟ هل تريدان أن تضيعي نفسك الى الأبد ؟ فليحضروا وأنا لا يهمني شيء . اذ من تستطيعين ان تقنعي انني لم احضر الى هنا بموافقتك ؟ ومن غيرك زودني بوسيلة دخولي الى غرفتك ؟ وهذا المفتاح الذي احتفظ به منك ، ولم احصل عليه إلا بواسطةك ، هل تتكفلين بايضاح الغاية من استخدامه ؟ » ولكن هذا الخطاب القصير لم يخفف من عذابها . ولا من غضبها ، بل أدى الى اذعانها للأمر الواقع . ولا أدري اذا كنت قد أضفت على لهجتي شيئاً من البلاغة . في الحقيقة على الأقل لم تكن بلاغتي قوية إلا بالحركات ، اذ انني خصصت يداً للقوة والأخرى للحب ، واي خطيب يستطيع ان يزعم مثل هذه البلاغة في مثل هذا الموقف ؟ واذا وصفتها لك جيداً ، فانك تقرين معي انها كانت بالاحرى مشجعة على الهجوم . ولكنني لا أجازف بشيء مقابل لا شيء . وكما تقولين فان المرأة الاكثر بساطة ، حتى التلميذة الداخلية ، تجرني كالطفل .

وقد شعرتُ هذه وهي تتحسر انه لا بد من اتخاذ قرار ، وراحتُ تفكر ،  
ولكن توسلاتها جعلتني متصلباً عديم الشفقة ، وهكذا كان لا بد لها من أن  
تنتقل الى العروض . فهل تظنين اني بعث موقفي الهام هذا غالباً ؟ كلا : بل  
وعدت بكل شيء مقابل قبة واحدة . صحيح اني بعد ان أخذتُ القبة لم  
أفـ بوعدي ، ولكن كانت عندي اسباب وجيهة لذلك . إذ هل اتفقنا على ان  
تؤخذ أو تعطى ؟ ولفرط ما ساومنا ، اتفقنا على قبة ثانية . وهذه المرة كانت  
هي التي ستعطيها وانا الذي سألتقاها كما اتفقنا . وعندئذٍ قدتُ ذراعيها  
الخجولين حول جسدي ، وضغطتها بأحد ذراعيَّ بهيام شديد . وكان ان  
تلقيت القبة الناعمة بالفعل ، ولكن بصورة جيدة ، لا بل تلقيتها بصورة تامة  
إلى درجة ان الحب ما كان ليفعل افضل منها .

ان هذا القدر من النية الحسنة يستحق المكافأة . وهكذا ما ان لبّت الطلب  
على الفور حتى سحبتُ يدي ، ولا أدري بأية مصادفة وجدتُ نفسي مكانها .  
وهنا تفترضيني متعجلاً جداً ، ونشيطاً جداً . أليس ذلك صحيحاً ؟ كلا ابدأ .  
بل اخذتُ أتذوق التباطؤ . إذ ما دمت قد أيقنتُ اني سأصل . فلماذا أتعجل  
الرحلة ؟

لقد كنت في الحقيقة مسروراً جداً بأن أراقب مرة أخرى قوة المناسبة ،  
ووجدتها هنا محرومة من اية مساعدة خارجية . ومع ذلك كان عليها ان تكافح  
الحب . الحب المرتكز على العفة والخجل ، والحب الذي قوّاه ما اظهرته من  
حنق وقد أخذ بشكل بالغ . والمناسبة كانت وحدها . ولكن كانت هنا دائماً  
معروضة ، دائماً حاضرة ، والحب كان غائباً .

ولكي أضمن ملاحظاتي ، تحايثت بحيث لا استخدم القوة إلا ضد ما  
يقاوم . إنما لو كانت عدوتي الفاتنة شاءت ان تستغل سهولتي فستعد  
للأفلات مني لكنك جعلتها توافق بالتخويف نفسه الذي سبق أن شعرت  
بتأثيراته السعيدة . وهكذا تناست العاشقة الرقيقة ، دون أية جهود من جانبي ،  
أقسامها وأيمانها المغلظة ، فأذعنت اولاً ، ثم انتهت بأن وافقت ، ليس لأن

الملاحظات والدموع لم تأت بعد هذه الفترة الاولى في آن واحد ، وانا اجهل اذا كانت صحيحة او زائفة ، بل كما يحدث دائماً ، توقفت عنها حين أهتممت بالقيام بمعركة جديدة . واخيراً ، من تحاذل الى ملامة ، ومن ملامة الى تحاذل لم تنفصل إلا ونحن راضين تمام الرضى أحدهنا عن الآخر ، وبعد ان اتفقنا ايضاً على موعد آخر هذا المساء .

ولم انصرف إلا عند مطلع الفجر ، بعد ان اخذ التعب والنعاس مني كل مأخذ ، وفي هذه الاثناء ضحيت بهذا وذاك في سبيل الرغبة بأن اكون هذا الصباح على الغداء . وانا احب حتى العبادة سخنات النساء غداة المعركة . وليست لديك فكرة عن سحنة صاحبتنا هذه . فقد كانت مرتبكة في تصرفاتها تجرد صعوبة في المشي ، وعيناها دائماً منخفضةتان واسعتان ذابلتان ! و كان وجهها المدور قد استطال ! وليس فيه ما يسر . ولاول مرة خافت أمها من هذا التبدل المفطر الذي طرأ عليها ، فأظهرت نحوها عناية بالغة الحنان ! وكانت الرئيسة ايضاً تحوطها بعنايتها ورعايتها ! آه في ما يتعلق بهذه العناية فهي دائماً جاهزة . وسيأتي يوم أستطيع ان ابادلها اياها ، ولن يكون هذا اليوم بعيداً . الوداع يا صديقتي الحسنة .

## ٩٧

### من سيسيل فولانج الى المراكيزة دي ميرتاي

قصر ... في اول تشرين الاول ?? ١٧

آه ! يا إلهي ! كم أنا مفجوعة يا سيدتي ! كم انا تعيسة ! من يستطيع ان يواسيني في عذابي ؟ ومن ينصحنني في هذا الارتباك الذي ألمّ بي ؟ انه السيد دي فالونيه !... ودانسني ! كلا ان فكرة دانسني تودي بي الى اليأس . . . كيف اروي لك ما حدث ؟ كيف اجرؤ على ان اخبرك ؟ ... لست أدري كيف أفعل . ومع ذلك فان قلبي ممتلئ . . . ويجب ان اتكلم الى احد . واذت الوحيدة التي أستطيع ان أفعل ذلك معها ، والتي اجسر على ان افضي اليها بأسراري .

أنتك تشعرين بكثير من العطف نحوني ! ولكنك لا تشعرين الآن . فلم أعد جديرة بهذا العطف ، ماذا سأقول لك؟ انني لا أرغب البتة في ذلك . لقد أولاني الجميع هنا اليوم عناية خاصة لا أستحقها ! بل انثيني ، وقرّ عيني كثيراً . لانني مذنبه ، ولكن انقذيني في ما بعد ، واذا لم تتكرم عليّ بالنصيحة ، فسأموت من الغم .

إعلمي اذن ... ان يدي ترتجف كما ترين ، اذ لا استطيع ان اكتب تقريباً ، وأشعر بوجهي ملتهباً . آه ! انها حمرة العار ! وسأكابدها ، وستكون اول عقوبة لي على غلطي . اجل سأقول لك كل شيء .

ستعلمين اذن أن السيد دي فالمون الذي كان يسلمني حتى الآن رسائل دانسني ، قد وجد فجأة ان هذه الطريقة صعبة جداً . وشاء ان يحصل على مفتاح لغرفتي ، واستطيع ان أوكد لك أنني لم أرغب في ذلك مطلقاً ، ولكنه كتب الى دانسني ، وكان ان طلبه هذا مني ايضاً . وأنا اشعر بكثير من الألم حين ارفض له طلباً . لاسيا منذ ان جعله غيابي تمييزاً للغاية . وهكذا كان ان وافقت . ولم اكن اتوقع الكارثة التي وقعت لي .

فقد استخدم السيد دي فالمون أمس هذا المفتاح لكي يحضر الى غرفتي وانا نائمة . ولم اكن انتظر حضوره مطلقاً في مثل تلك الساعة . مما اثار لدي كثيراً من الوجع وهو يوقظني . ولكن بما انه تكلم معي حالاً ، فقد عرفته ، وظننته يحمل الى رسالة جديدة من دانسني ، ولذلك لم اتاد احداً . وبعد مضي لحظة على ذلك اراد ان يقبلني ، واخذت أدافع عن نفسي كما هو طبيعي . ولكنه تصرف بشكل جعلني لا اريد ابداً ان يبقى على هذه الحال . ولكنه كان يريد قبلة واحدة . وكان لا بد من ذلك ، وكيف العمل ؟ وقد حاولت ان اتادي احداً ، ولكنني بالاضافة الى عدم تمكني من ذلك ، فقد عرف جيداً ان يقول انه اذا حضر احدهم ، فسيعرف هو كيف يضع المسؤولية كلها على عاتقي ، وبالفعل لقد كان ذلك امراً سهلاً بسبب هذا المفتاح . ثم لم يكتف بذلك ، بل طلب قبلة ثانية . ولم اعرف كيف حدثت هذه القبلة ، ولكنها ضعفتني وهزت كياني كله ، وبعد ذلك

حدث ما هو اسوأ من السابق . أوه ! انها لحطيئة ! واخيراً بعد ان ... ارجو ان تعفيني من ان اروي لك التتمة ، ولكنني تعيسة إلى أقصى حد .  
ان ما ألوم نفسي عليه أشد اللوم - ومع ذلك يجب ان احدثك به - هو انني أخشى الا اكون قد دافعت عن نفسي بقدر ما استطيع . ولا اعرف كيف يتم الدفاع . انا لا احب اكيذاً السيد دي فالون ، بل على العكس . وقد مرت بي لحظات كما لو كنت احبه . وتستطيعين ان تتصوري ان ذلك لم ينعني من ان اقول له دائماً : كلا . ولكنني شعرت جيداً انني لا افعل كما اقول . وقد حدث ذلك كما لو كان رغباً عني . ثم انني كنت ايضاً متعضمة . واذا كان الدفاع عن النفس صعباً الى هذا الحد ، فلا بد من ان يكون المرء معتاداً عليه . صحيح ان لدى السيد دي فالون هذا اساليب في الكلام لا اعرف ماذا افعل لكي اجيب عليها . واخيراً صدقيني انه حين انصرف بدوت وكأني غاضبة ، ومع ذلك أصبت بوهن ووافقت على ان يعود هذا المساء ثانية . وهذا ما يؤسفني اكثر من كل شيء .

آه ، على الرغم من ذلك ، اعدك بأنني سأمنعه من الحضور . اذ ما كاد يخرج حتى شعرت بأنني كنت على خطأ في وعدي اياه . وهكذا بكيت بقية الوقت . كما ان دانسني بصورة خاصة هو الذي يثير لواعجي ! اذ انني كل مرة افكر به ، تتضاعف دموعي حتى اصاب بالذهول . وقد فكرت به دائماً ... وفي الوقت الحاضر ايضاً ، ترين تأثير ذلك على هذا الورق الذي بللته بدموعي . كلا لا شيء هناك يعزيني ابداً ، اذ لم يحدث ذلك إلا بسببه .. واخيراً لم اعد احتمل ، ولم أتم دقيقة واحدة . وحين نهضت هذا الصباح ورأيت نفسي في المرآة ، وجدت نفسي نحيفة لفرط ما تغيرت .

لقد لاحظت أمة تغيري ما أن شاهدتني ، وسألني عما بي ، فأخذتُ أبكي على الأثر . واعتقدتُ انها ستؤنبنني ، لربما كان ذلك قلل من عذابي ، ولكنها على العكس اخذت تتكلم معي بعمدوبة لا أستحقها ابداً .

وطلبت إلي ألا أغتمّ على هذا الشكل ! وهي لا تعرف سبب لوعتي . سأغدو



مريضة ، وكم تمنيت في لحظات أن أصبح ميتة ! لم أعد أتحمل ، فارتميت بين ذراعها وانا اجشش بالبكاء واقول لها : « آه يا ماما ان ابنتك تعيسة جداً » ولم تستطع والدتي ان تمنع نفسها من البكاء قليلاً ، كل ذلك لم يؤد إلا الى مضاعفة اشجائي . لحسن الحظ لم تسألني لماذا أنا تعيسة ، لأنني لما كنت عرفت كيف أجيب . أرجوك ، يا سيدتي ، ان تكتبي إليّ في اقرب فرصة تستطيعين ، اعلميني ماذا يجب أن افعل ، لأنه لا توجد لديّ شجاعة كافية على التفكير بشيء ، ولا أعمل الا على التحسر واللوعة . هل تفضلين بتوجيه رسالتك اليّ بواسطة السيد دى فالمون ، ولكنني ارجوك اذا كتبت اليه في الوقت نفسه ، ألا تخبريه بأنني قلت لك شيئاً .

لي الشرف ، يا سيدتي ، ان اكون خادمتك المتواضعة المطيعة مع كل صداقتي .  
لا اجرؤ على توقيع هذه الرسالة .

## ٩٨

### من السيدة دي فولانج إلى المر كيزة دي فالمون

قصر ... في ٢ تشرين الاول ١٧??

منذ ايام قليلة ، كنت انت ، يا صديقتي الفاتنة ، تطلبين مني المؤاساة والنصيحة ، اما الآن فقد جاء دوري ، وها انا اتقدم اليك بالطلب ذاته الذي تقدمت به اليّ لنفسك . فانا مبهتسة حقيقة . واخشى ألا اكون قد انتهجت الوسائل الفضلى لتجنب الحزن الذي أشعر به .

تلك هي ابنتي التي تسبب قلقي . فننذ سفرها اراها دوماً كثيبة حزينة . ولكنني كنت اتوقع ذلك ، وقد سلّحت قلبي بصرامة وجدتها ضرورية . وكنت أمل أن يحطم الابتعاد والتسلّيات سريعاً حبهما الذي كنت اعتبره مجرد نزق حقيقي . وعلى الرغم من انني لم أفر بشيء منذ وصولي الى هنا ، فقد لاحظت ان هذه الطفلة اخذت تستسلم شيئاً فشيئاً الى كآبة خطيرة . وأخشى بصورة جدية

أن يؤثر ذلك في صحتها . وبصورة خاصة رأيتها تتبدل منذ بضعة أيام بشكل ظاهر . وأمس فقط أدهشتني سحتها ، وقد خاف الجميع هنا عليها . ان ما يثبت لي ذلك رؤيتها محزونة كثيراً ، واراها مستعدة للتغلب على حياتها الذي كانت تقابلني به . وصباح امس حين سألتها عما اذا كانت مريضة ، سارعت الى الارتقاء بين ذراعي وهي تقول لي انها تعيسة جداً ، ثم أجهشت بالبكاء ! ولا يستطيع ان أصف لك الألم الذي أحدثته في نفسي ، اذا غرورقت عيناى بالدموع حالاً ، واضطرت ان ادير وجهي عنها لكي امنعها من رؤيتي . ولحسن الحظ حاذرت ألا اطرح عليها اي سؤال آخر . ولم تجرؤ ان تقول لي شيئاً اكثر . ولكن يبدو من الواضح ان هذا النزق التعيس هو الذي يسبب لها كل هذا الاضطراب .

فما هو القرار الذي يجب اتخاذه اذا استمر الحال على هذا المنوال ؟ وهل أسبب شقاء ابنتي ؟ هل أحولّ ضدها أثن صفات الروح : الحساسية والثبات ؟ وهل من اجل ذلك أقوم بدوري كأم ؟ وحين سأخنت في نفسها هذه العاطفة الطبيعية التي تسبب سعادة ابنتنا ، وحين اعتبر من جانبها ضعفاً ما اعتبره على العكس أقدس واجباتنا ، وحين اجبرها على الاختيار ، أفلن اكون مسؤولة عن النتائج الرهيبة التي يمكن ان تحدث ؟ واية قيمة تبقى لسلطة الام اذا وضعت ابنتها بين الجريمة والشقاء ؟

كلا يا صديقي ، اني لن أقلد أبداً ، ما استنكرته بدوري غالباً لدى الآخرين . لقد كان بإمكانني ، بدون شك ، ان احاول القيام باختيار عريس لفتاتي ولا اكون عملت بذلك الا على مساعدتها باختباراتي . وهذا ليس حقاً ألزم بمهارسته بل اكون قد أدت واجباً فقط . وانني اخون هذا الواجب - على العكس - اذا تصرفت بهارغم ميلها الذي لم استطع منعها منه ، والذي لا يستطيع ، لاهي ولا انا ، ان نعرف مداه ولا مدته . كلا . انني لن اتحمل ابداً ان تتزوج هذا لكي تحب ذاك ، بل افضل ان اورط سلطتي بدلاً من فضيلتها . اعتقد إذن انني سأتحذ القرار الاكثر حكمة ، وهو ان اسحب الوعد الذي

قطعتة للسيد دي جيركور . وقد رأيت بنفسك ما هي الاسباب التي تبدو لي اقوى من وعدي . وأقول اكثر من ذلك ؛ ففي الحالة التي تسير فيها الامور اجد ان الوفاء بتعهدي معناه انني اخلّ به ، لانني اذا كنت مدينة لابنتي بألا أفصح سرها للسيد دي جيركور ، فانني مدينة لهذا بألا أستغل الجهل الذي أتركه فيه ، وان افعل من اجله كل ما اعتقد انه سيفعله لو علم بالامر . فهل أعمد على العكس الى خيائه دون شرف ، حين يستسلم لنيقي الحسنة ؟ وبيننا يشرّفي باختياري أمأ ثانية له ، فهل اخدعه باختياره أم اولاده ؟ ان هذا التفكير المنطقي يجعلني متألّمة اكثر مما يجب ان اقول لك .

حين اكارن ابنتي وهي سعيدة مع زوجها الذي اختاره قلبها ، ولا تعرف سوى متعة واجباتها ، وأجد ان صهري راضياً كل الرضى كل يوم عن اختياره ولا يجد احدهما سعادته الا في سعادة الآخر ، فهل يجب ان يُضحى الامل بمستقبل سعيد في سبيل اعتبارات باطلة ؟ وهي في الحقيقة ليست قائمة الا على المصلحة . وما هي الميزة لابنتي اذا كانت قد ولدت ثرية ثم غدت عبدة لثروتها ؟

أنا اعترف بأن السيد دي جيركور هو افضل ، ولعلي لم أكن آمل ان يكون زوجاً لابنتي . واعترف انني كنت فخورة جداً باختياره اياها ، ولكن دانسني هو ايضاً ابن اسرة محترمة . ولا يقل عنه من حيث الخصال الشخصية ، لا بل يمتاز عن جيركور انه محبوب ومحّب . صحيح انه ليس غنياً بالحقيقة ، ولكن ألا تكفي ثروة ابنتي لسعادة الاثنين ؟ آه لماذا أسلب منها المتعة الكريمة بأن تغني من تحبه ؟

ان هذه الزوجات التي تُدبّر سلفاً بدلاً من جعلها منسجمة ، ويتم الاتفاق عليها حسب التقاليد دون ان تؤخذ الاطباع والأذواق بعين الاعتبار أليست هي أغزر مصدر للفضائح التي اصبحت متواترة كل يوم ؟ انني أفضل تأجيل البحث في هذا الأمر ليكون لديّ متسع من الوقت على الأقل لدراسة ابنتي التي لا اعرفها جيداً . ولا اجد شجاعة على تسبب حزن طارئ لها بدلاً من تركها تختار سعادة اكثر رسوخاً . كما ان قلبي لا يطيعني بتركها ضحية يأس أبدي .

هذه يا صديقتي العزيزة الأفكار التي تقلق خاطري، واطلب نصائحك بشأنها. ان هذه المواضيع الصارمة تتعارض مع مرحك ولا تنسجم ابداً مع عمرك . ولكنك انت فوق هذا العمر ! وستساعد صداقتك مع ذلك عنايةتك ، ولا اخشى مطلقاً ان ترفض هذه وتلك الاحاح الذي تتوسل اليك به أم .  
الوداع يا صديقتي الرائعة ، لا تشكي ابداً بصدق عواطفني .

٩٩

## من النيكونت دي فالمون الى الموكيزة دي ميرتاي

قصر ... في ٢ تشرين الاول ?? ١٧ مساء .

اليك ايضاً بعض الحوادث الصغيرة . يا صديقتي الحسنة ، ولكنها مجرد مشاهد ، وليست اعمال . تجلمي اذن بالصبر ، لا بل تسلحي منه بكمية كبيرة ، لأنه بينما تسير رئيستي بخطواتها الصغيرة ، فإن حزينتك تتراجع ، لا بل أسوأ من ذلك ايضاً .

وهكذا فأن بالي مراتح الآن لكوني اتسلى بهذه المباتس الصغيرة . وقد اخذت في الحقيقة اعتاد كثيراً على اقامتي هنا . واستطيع ان اقول انني لم اشعر قط بأبي ضجر في قصر عمتي الكئيب . وفي الواقع الا توجد لدي المتعة ، والحرمان ، والأمل ، والقلق؟ وماذا يوجد اكثر من ذلك فوق المسرح؟ نظارة؟ دعني ذلك فإنهم لن يُعدموا . واذا كانوا لا يرونني اثناء العمل ، فسأبرز عملي تاماً ، وليس عليهم سوى ان يمجبوا ويصفقوا . اجل سيصفقون . لانني استطيع اخيراً ان اتنبأ بتأكيد بموعد سقوط ورعتي المحتشمة . وقد شهدت هذا المساء رأى الفضيلة وهي في حالة نزاع وسيحل محلها الوهن العذب . إنني لا احدد الموعد بأبعد من مقابلتنا التالية الأولى ، ولكن ها انني اسمعك تصرخين يا للادعاء ! ولكنني اذا اعلنت انتصاري عليها فعنانه انني سأفتخر سلفاً . فهدئي من روعك ، ولكي اثبت لك تواضعي سأبدأ برواية قصة إنزهامي .

في الحقيقة ان حضينتك هي شخص صغير سخيـف ! بل هي طفلة يجب معاملتها كما هي . وان خير ما تستحقه هو وضعها في الاصلاحية ! هل تصدقن انه - بعد كل ما حدث أمس الأول بينها وبينني ، وبعد الطريقة الودية التي افترقنا بها - حين أردت ان اعود في المساء الى غرفتها كما اتفقنا عليه ، وجدت بابها موصداً من الداخل ؟ فماذا تقولين ؟ اننا قد نصادف مثل هذه الولدات احياناً عشية الحادث ، اما غداًته ؟ فان الأمر ليس مقبولاً .

انني لم اضحك في البداية . ولم اشعر ابدأ كما شعرت عندئذ بسلطان طباعي . من المؤكد انني ذهبت الى هذا الموعد دون متعة ، بل فقط من قبيل المبدأ . وقد بدا لي سريري الذي كنت بحاجة ماسة اليه افضل من اي سرير آخر ، ولم ابتعد عنه إلا بندم . ومع ذلك ما ان صادفت هذه العقبة حتى كنت اتحرق شوقاً للتغلب عليها . فقد كنت مهاناً ، لا سيما ان تكون مثل هذه الطفلة قد خدعتني . فانصرفت اذن وانا متكدر جداً . وقررت بالنسبة للمشروع الذي اعمل على تنفيذه الا اهتم ابدأ بهذه الطفلة المحقاء ، ولا بشؤونها . وقد كتبت اليها على الفور كلمة صغيرة نويت ان اسلمها اياها اليوم ، لكي افهمها قيمتها الحقيقية . ولكنني بعد ان فكرت طويلاً في الصباح وجدت من الأنسب ان احتفظ بالكلمة ، نظراً لعدم وجود اية تسليات عندي هنا ، وكان اذن ان مزقت الكلمة ولمت نفسي على فكرة رغبتني في انها هذة المغامرة قبل ان احصل في يدي على ما يثبت تحطيم البطلة . واخيراً اجّلت ثأري اكراماً لك ولثأرك من جيركور .

اما الآن وقد زال عني غضبي فلا ارى في مسلك فتاتك سوى السخافة ، وبالفعل أود ان اعرف ماذا تأمل من وراء ذلك ! إذ في ما يتعلق بي فإنني لن اخسر شيئاً . أما اذا كانت تريد ان تدافع عن نفسها فقد فات الاوان قليلاً . ولا بد من أن تقول لي يوماً ما كلمة عن هذا اللغز ! وقد يكون فقط أنها وجدت نفسها متمبة ؟ صراحة قد يكون ذلك صحيحاً ، لأنها حقيقة تجهل أن سهام الحب كرمح أشيل ، تحمل معها الدواء للجروح التي تحدثها . ولكن كلا

فلو حكمت على وجهها المبتسّم طوال نهار امس لبدا لي أنها في حالة من الندم والتحسر.. على شيء من الفضيلة.. من الفضيلة؟ هذا ما لا يوافقها... فلتدعها الى المرأة التي ولدت حقيقة من اجلها، وهي الوحيدة التي تستطيع ان تزينها، وتجعل الناس يحبونها...

المعذرة يا صديقتي الحسنة، ففي مساء امس وقع المشهد الذي اود أن احدثك عنه بيني وبين السيدة دي تورفيل. وما زلت احتفظ ببعض الانفعال. واشعر انني بحاجة الى العنف لكي اجعل نفسي تسلو الانطباع الذي تركته فيّ. وقد اخذت في الكتابة اليك الآن لكي اساعد نفسي على ذلك. إذ يجب ان تغفري لشيء ما في هذه اللحظة الأولى.

كانت قد مضت بضعة ايام على توصلنا الى اتفاق - السيدة دي تورفيل وانا - حول عواطفنا. ولم نكن نتنازع الا على الكلمات. وقد كانت هي «صداقتها» دائماً التي ترد بها على «حبي». ولكن هذه اللغة الاتفاقية لا تبدل شيئاً من جوهر الموضوع. ثم اتفقنا ايضاً على انه ليس ثمة بحث في ان ابتعد عنها كما كانت تريد في البداية، وعلى تبادل المحادثات اليومية، وكلمة بذلت الجهد لعرض المناسبة عليها، لا تألو جهداً لأغتنامها.

وبما ان مواعيدنا الصغيرة تتم عادة خلال النزاهات، فإن رداءة الطقس اليوم لا تجعلني آمل في لقاءها، لا بل لقد اغاظني هذا الطقس الذي لم اتوقعه فجعلني اضيق وقتي سدى.

وبسبب عدم تمكننا من الخروج، أخذنا نلعب الورق بعد انتهائنا من تناول الطعام، وبما انني لا لعب إلا قليلاً، ولم اكن ضرورياً في اللعب، فقد اغتنمت الفرصة لأصعد إلى غرفتي وانتظر نهاية اللعبة.

ثم عدت بعد فترة من الوقت لأجتمع بالقوم، فوجدت المرأة الفاتنة في غرفتها، وقالت بصوتها العذب، إما عن عدم احتراس او عن ضعف: «إلى اين انت ذاهب اذن؟ ليس هناك احد في الصالون» ولم اكن بحاجة الى اكثر من هذا القول - كما بإمكانك ان تعتقدي - لكي احاول الدخول الى غرفتها. وقد

وجدت لديها مقاومة أقل مما كنت انتظر. صحيح انني بدأتُ المحادثة على الباب بشكل مختلف ، ولكننا ما كدنا نصيح وحدنا حتى بدلت الحديث واخذت أتحدث عن « حبي لصديقتي ». وكان جوابها الأول ، رغم بساطته : « اسمع ، دعنا من التحدث عن ذلك هنا » وكانت ترتجف . يا للمرأة المسكينة كانت ترى نفسها تكاد تموت .

ومع ذلك لم تكن على حق بأن تخاف . اذ انني منذ فترة من الوقت ، بعد ان وثقت من النجاح بين يوم وآخر ، رأيتها تستهلك كل قواها في معارك غير مجدية ، وقد قررت ان احتفظ بقواي ، وانتظر دون جهد ان تستسلم بسبب التعب والكلل .

أنت ترين انه لا بد هنا من انتصار كامل ، وانا لا أريد ان اكون في انتصاري التام مديناً بشيء الى المصادفة وحدها . وهكذا عدتُ حسب هذه الخطة الى كلمة الحب التي رَفَضْتَهَا بإصرار ، لكي اكون متمجلاً ، ولم أتعهد بشيء كثير ، لأنني واثق من انها تعتقدني مفعماً بالنشاط والحيوية ، فكان ان حاولت مخاطبتي بلهجة اكثر نعومة ، ولم يدعني هذا الرفض من جانبها اغضب ، بل احزنني فقط . ثم أليست صديقتي الحسنة مدينةً لي ببعض العزاء ؟

وهكذا ، اخذتُ حسناً تواسيني وتخفف من شجني ، وفي هذه الاثناء احتفظتُ باحدى يديها في يدي . وكان جسمها الجميل مستنداً على ذراعي ، وكنا متقاربين جداً . ولعلك لاحظت اكيراً في هذا الموقف كم ان المطالبة والرفض يصبحان قريبين من بعضهما البعض ، كلما تراخي الدفاع ، وكيف ان الرأس يتحول والابصار تنخفض ، بينما تصبح الأقوال التي تلقي دائماً بصوت ضعيف نادرة ومتقطعة . إن هذه العوارض الثمينة تعلن بطريقة لا تقبل الجدل موافقة الروح ، ولكنها من النادر ان تصل الى موافقة الحواس . واعتقد ايضاً انه من الخطورة دائماً محاولة القيام بأية مغامرة ملحوظة جداً في هذه الحالة ، لان حالة التراخي التي تبديها المرأة لا تخلو من متعة لها ، ولا ينبغي اخراجها منها دون تسبب تكدر قدينقلب اكيراً لمصلحة الدفاع .

ولكن الاحتراس في مثل هذه الظروف بدا لي ضرورياً جداً الى درجة انني خشيت مما قد يسببه تناسيها لنفسها من خوف لها في ما بعد . وهكذا لم أطلب اليها هذا الاعتراف المطلوب حتى حين أعلنته . لان نظرة واحدة كانت كافية نظرة واحدة ، وكنت سعيداً .

ذلك ان صديقي الحسنة رفعت ابصارها نحوي ، ولفظ فيها الساموي هذه العبارة : « حسناً ، اجل انني أ... » ولكن نظرتها انطقت فجأة وخانها صوتها ، ووقعت هذه المرأة المعبودة بين ذراعي . وما كدت اتلقاها ، حتى انفلتت بقوة خارقة ، وشردت نظراتها ، وارتفعت يداها نحو السماء وابتهلت : « يا آلهي ... آلهي ، انقذني » وفي اقل من لمح البصر ركعت على بعد عشر خطوات مني . ثم رأيتها تكاد تصاب بالاغماء والانفعال ، فتقدمت لمساعدتها ، ولكنها تناولت يدي فبللتها بالدموع ، واخذت في بعض الاحيان تقبل ركبتي وتقول : « اجل ... ستكون انت ... انت الذي سينقذني ، انت لا تريد موتي ... دعني ، انقذني ، اتركني وشأني ، استحلفك بالله ان تتركني وشأني » وكانت هذه الاقوال المتقطعة تندُّ عنها خلال بكائها المتضاعف . وفي هذه الاثناء كانت تمسكني بقوة ولا تتيح لي أن ابتعد عنها ، وعندئذ جمعت قواي ، فأنهضتها بين ذراعي . وفي اللحظة نفسها توقف بكائها ، ولم تعد تتكلم ، بل بدت جميع اعضاءها متصلة ، وقد عرثتها على اثر هذه العاصفة ارتجافات عنيفة .

وهنا أعترف بأنني كنت منفعلاً بعنف . واعتقد انني كنت وافقت على طلبها ، حتى ولو لم تكن الظروف قد أجبرتني على ذلك ، وفي الحقيقة بعد ان قدمت لها بعض المساعدات تركتها وشأنها كما رجعتني ، وكنت مغتبطاً لذلك . لانني تلقيت الثمن .

وتوقعت - كما حدث يوم صارحتها بجبي لاول مرة - أن لا تظهر ابداً في السهرة ، ولكنها نزلت حوالي الساعة الثامنة الى الصالون ، واعلنت فقط امام القوم انها كانت متوعكة قليلاً ، وكان وجهها ذابلاً ، وصوتها خافتاً ، وتصرفها جامداً ، ولكن نظراتها كانت رقيقة عذبة ، وكانت غالباً ما تصوبها نحوي . وقد اضطرني



ورفضها لعب الورق الى الحلول مكانها ، وكان ان جلست الى جانبي . واثناء تناول العشاء بقيت وحدها في الصالون . وحين عدنا خيل إلي أنها بكّت ، فقلت لها لكي استوضح الأمر: «يبدو لي انك ما زلت تشعرين بتوعك في صحتك» . فأجابتنني على الفور : «ان هذا المرض لا يزول بالسرعة نفسها التي يأتي بها !» واخيراً صافحتها عند انصرافنا ، ثم ضغطت على يدي عند باب غرفتها حين افترقنا . وقد بدأت لي هذه الحركة في الحقيقة انها صدرت عنها بصورة عفوية ، ولكن هذا أفضل ، لأنه دليل آخر على سلطاني عليها .

أنا أراهن الآن على انها مفعمةٌ جذلاً لكونها وصلت إلى هذا الحد : فقد بذلت جميع الجهود ، ولم يبق عليّ الا التمتع . ولعلها فيما اكتب اليك الآن ، تهتمّ بهذه الفكرة العذبة ! حتى لو اهتمت على العكس بمشروعٍ دفاعي ، فانني اعرف الى ماذا ستؤول مثل هذه المشاريع ! وانا أسألك الآن ، هل تعتقدين ان تحقيق هذه الفكرة سيتم أبعد من مقابلتنا التالية ؟ أتوقع مثلاً ان تكون هناك بعض الاساليب في منحها نفسها . ولكن حسناً ، هل تعرف هؤلاء المحتشبات الصارمات متى اجتزن الخطوة الأولى ان يوقفن انفسهن ؟ إن حبهن هو إنفجار حقيقي ، والمقاومة تمنحنهن مزيداً من القوة ! وحتركض ورعتي النافرة ورأي اذا كفتت عن الركض وراءها .

وأخيراً يا صديقتي الحسنة ، سأصل اليك في القريب العاجل لكي أطالبك بتنفيذ وعدك . هل نسيت ولا ريب انك وعدتني - بعد هذا النجاح - بتنفيذ خيانة معي بالنسبك لفارسك ؟ هل أنت مستعدة ؟ في ما يتعلق بي ، انني في أشد الشوق اليها كما لو كنا لم يعرف احداً الآخر ابداً . وفي الحقيقة ان معرفتك تجعلني ازداد رغبة فيك .

وهكذا ستكون هذه الخيانة هي الأولى التي سأقوم بها نحو معشوقتي الخطيرة ، وأعدك بأنني سأغتم اول مبرر لكي اغيب أربعاً وعشرين ساعة عنها ، وستكون هذه اول عقوبة لها لأنها حجزتني طوال هذه المدة بعيداً عنك . هل تعلمين انه مضى شهران وهذه المغامرة تستأثر بكل اهتمامي ؟ أجل شهران وثلاثة ايام .

صحيح اني أعدتُ غداً ، لأنه سيُستهلك سدى . وهذا ما يذكرني بالسيدة دي  
ب ... التي قاومت ثلاثة أشهر بكاملها . أنا سعيد لأن تكون تلك النزقة  
الصريحة قد قاومت مدة اطول من الورعة الصارمة !  
الوداع يا صديقتي الحسنة ، يجب ان أتركك ، لأن الوقت اصبح متأخراً  
جداً . وقد أردتُ ان اجعلك تشاطريني بهجتي في أقرب وقت .

١٠٠

## من الفيكونت دي فالمون إلى المركيزة دي ميرتاي

قصر ... في ٣ تشرين الأول .

لقد خُذعت يا صديقتي وُغدر بي ، لابل خسرت ... وانا الآن في  
حالة شديدة من اليأس . ذلك ان السيدة دي تورفيل قد رحلت . اجل  
رحلت ، ولم اعلم بالأمر ! ولم اكن حاضراً لكي احول دون سفرها وألومها  
على خيانتها المهينة ! آه ! لا تعتقدي انني كنت قد تركتها تذهب . بل  
ستكون قد بقيت . اجل ستكون قد بقيت . حتى ولو استخدمت العنف .  
ولكن ماذا كنت افعل في اطمئناني الغافل سوى انني انام بهدوء ؟ انام فيما كانت  
الصاعقة تنقضُ عليّ . كلا لست افهم شيئاً من هذا اللغز . يجب ان اقلع عن  
معرفة النساء .

حين اتذكر يوم أمس ! ماذا اقول ؟ السهرة نفسها ! هذه النظرة العذبة ،  
وهذا الصوت الرقيق الناعم ! وهذه اليد الضاغطة ! واثناء هذا الوقت كانت  
تدبر أمر رحيلها . آه يا لكيد النساء ! .. أرثين لأنفسكن اذن حين تُخدعن .  
لأن كل فكوص يُقترف هو بمثابة سرقة ترتكب نحوكن .

آه .. أية لذة ستكون لديّ حين أنتقم ! سأعثر على هذه المرأة . وسأستعيد  
سلطاني عليها . واذا كان الحب كافياً لكي استنبط الوسائل ، فماذا لايفعل الحب اذا  
سانده الانتقام ؟ سأراها جاثية عند ركبتيّ ، مرتجفة ومبللة بالدموع ، تصيح بي

شكراً بصوتها الخائن ، وسأكون دون رحمة .

ماذا تفعل الآن ؟ ماذا تفكر ؟ لعلها تهنيء نفسها على انها خدعتني ، ان هذا الشعور يبدو لها ألدّ ما يمكن ان تشعر به امرأة . وان ما عجزت الفضيلة عن احداثه استطاعت الحيلة ان تفعله دون جهد . وانا المغفل كنت اخشى تعقلها ، بينما كان عليّ بالأحرى أن اخشى نيتها السيئة .

إن ما يؤلمني اشد الألم ان اضطر الى ابتلاع نعمتي ، وألا اجرؤ إلا على اظهار ألمي العذب الناعم ، بينما قلبي طافح بالنقمة ، وان أرى نفسي مجبراً على استعطاف امرأة نائرة استطاعت ان تفلت من سيطرتي . هل يجب ان أهان الى هذا الحد ؟ ومن من ؟ من امرأة خجول لم تتمرن ابدأ على الصراع . ماذا يفيدني كوني تمركزت في قلبها وأحطبتها بجميع نيران الحب ، وأثرت حتى الجنون اضطراب حواسها الهادئة في عزلتها ؟ انها تستطيع اليوم ان تفخر بنفسها لهربها مني اكثر مما افتخر بانتصاراتي . وسأتعذب من اجل ذلك . انك لا تصورين يا صديقتي كم اصبحت مذلولاً مهاناً .

ولكن أي قدر يجعلني اتعلق بهذه المرأة ؟ أليس هناك مئات غيرها يرغبن في ان احيطهن باهتمامي ؟ يُسارعن في تلبيته ؟ ومع ذلك فليس بينهن من تساوي هذه . ولكن لماذا نركض وراء من يهرب منا ونهمل من يعرض نفسه علينا ؟ آه لماذا ؟ انا اجمل ذلك ، ولكنني اشعر به بقوة .

لم تبق لي من سعادة وراحة بال الا بامتلاك هذه المرأة التي اكرهها واحبها بدرجة متساوية من الاشمئزاز . ولن التحمل مصيري إلا حين اسيطر على مصيرها . وعندئذ اصبحت مرتاحاً راضياً ، وسأتركها تعاني الاعاصير التي اشعر بها الآن . لا بل سأثير الف عاصفة اخرى : الخوف ، والحذر والأمان ، وجميع الآلام التي تثيرها الكراهية ، وجميع المحاسن التي يمنحها القلب . أود ان افعم بها قلبها حسب مشيئتي ... وسيحين هذا الوقت ، ولكن اية جهود عليّ ان ابذلها أيضاً ! وفيما كنت قريباً جداً بالأمس اصبحت اليوم بعيداً جداً . كيف استطيع ان الوم نفسي على ذلك ؟ انني لا اجرؤ على القيام بأي مسعى ، إذ أشعر أن عليّ

- من أجل ان اتخذ قراراً ما- ان اكون اكثر هدوءاً ، ولكن دمي يغلي في عروقي .  
إن ما يضاعف اضطرابي ، هذه البرودة التي أقابل بها هنا في الاجابة على  
سؤالاتي بشأن هر بها . اذ لا يعلم احد شيئاً ، ولا يريد أن يعرف شيئاً . وقد  
قالت لي السيدة دي روزموند التي هرغتُ اليها حين علمتُ بالنبا : ان هذا  
شيء طبيعي بسبب انحراف صحتها بالأمس ، وهي قد خشيت أن تمرض ،  
ففضلت ان تكون في بيتها . والأمر بسيط للغاية ، وانها لو كانت مكانها لفعلت  
الشيء نفسه .

أما السيدة دي فولانج التي كنتُ قد ارتبتُ في البداية بأنها شريكها في  
عملية الغدر هذه ، فقد بدت متأثرة لكون السيدة دي تورفيل لم تستشرها  
بشأن هذا السفر . وهكذا أجد نفسي سروراً لأنها لم تضربني . وهذا ما  
يثبت لي أنها لم تكن موضع اسرار هذه المرأة كما كنت اخشى . وبإمكاني ان  
أعتبرها أقلّ عداوة . ولا شك بأنها ستقتبط لو علمتُ انها هربت مني ، وان  
السبب في ذلك يعود إلى نصحها ! آه كم أمقتها ! سأعيد علاقتي مع ابنتها .  
أريد أن أقولها على طريقي وحسب نزواتي . وهكذا سأبقى هنا كما أعتقد  
بعض الوقت من اجل هذه الغاية .

الا تعتقدين ان خائنتي ستخاف من حضوري بعد هذا الهرب الملحوظ ؟ ولو  
ساورتها فكرة بأنني استطيع ان ألحق بها ، فإنها ستقفل بابها بوجهي . وأنا لا  
أريد ان أعودها على هذه الطريقة التي تزيد من إهانتني . بل أفضل ان اعلن لها  
على العكس أنني سأبقى هنا . لا بل سألحُ عليها كي تعود .. وحين ستكون  
مقتنمة بغياي سأحضر الى بيتها . وسنرى كيف تتحمل هذه المقابلة . ولكن  
يجب ان أوجلها لكي ازيد من وقعها عليها . ولا أدري اذا كان لدي صبر كافٍ .  
إذ كدت ان أسرج جياي والحق بها اكثر من عشرين مرة ولكنني كنت اتمالك  
نفسي ... أتعمد بأن اتلقى جوابك هنا ، وأرجوك الاتجمليني انتظر طويلاً .  
إن ما يزيد من غيظي هو عدم معرفتي بما يجري هناك . بيد أن خادمي الذي  
ذهب إلى باريس يستطيع بهذه الطريقة أن يخدمني . وها انا أبعث اليه بتعليمات

مع دراهم . وأرجوك ألا تحملي على محمل سيء كوني بعثت هذه وتلك ضمن رسالتي .  
الحاضرة اليك ، مع الرجاء الاهتمام بارسالها اليه بواسطة أحد خدمك علي ان  
يسلمها يدأ بيد ، لأن هذا الشيطان اعتاد الا يتلقى الرسائل التي اكتبها اليه حين  
تأمره بشيء يضايقه ، ويبدو لي في الوقت الحاضر انه ليس متعلقاً كل التعلق  
بخدمتها كما كنت أمتنى .

الوداع يا صديقتي الحسنة . إذا طرأت لك فكرة سعيدة ، او احدى  
الوسائل للتعجيل في مساعي خابريني بشأنها . إذ شعرتُ أكثر من مرة كم ان  
صداقتك ثمينة لي وما زلت أشعر بذلك أيضاً . لانني احسُّ بنفسي اكثر هدوءاً  
منذ ان كتبت اليك . على الاقل استطيع ان اتحدث الى من يفهمني ، وليس الى  
تائيل اعيش الى جنبها هذا المساء . في الحقيقة كلما عرفت الناس كلما تبين لي أنه لا  
يوجد في العالم غيري وغيرك ممن يساوون شيئاً ما .

١٠١

## من الفيكونت دي فالون الى خادمه ازولان

( مرفقة بالرسالة السابقة )

قصر ... في ٣ تشرين الاول ١٧??

ينبغي ان تكون غيبياً إلى أقصى حد ، وقد سافرت أنت هذا الصباح ، لكي  
لا تعرف ان السيدة دي تورفيل قد سافرت هي ايضاً ، او لأنك اذا كنت قد  
عرفت بالأمر لم تأت فتعلمني بالنبا . فماذا ينفع اذن ان تصرف مالي لكي تشمل مع  
خدم القصر ؟ وبينما يجب ان تستخدم هذا الوقت لكي تحمدي ، اجدك تقضي  
ملذاتك مع خادمتها ولا اعرف شيئاً عما يجري ! هذه هي نتيجة إهمالك .  
ولكنني أنذرك اذا تهاملت مرة أخرى في هذه القضية ، فستكون هذه المرة هي  
الأخيرة التي تبقى فيها في خدمتي .

يجب ان تعلمني بكل شيء عن السيدة دي تورفيل: صحتها ، اذا كانت تنام .-

اذا كانت تعيسة او مرحة ، اذا كانت تخرج غالباً ، والى اين تذهب ، اذا كانت تستقبل اناساً عندها ، ومن هم ، وكيف تمضي وقتها ، اذا كانت تسيء معاملة خادمها ، وبصورة خاصة تلك التي اصطحبتها الى هنا ؟ ماذا تفعل حين تكون وحيدة ؟ وعما اذا كانت تقرأ حين تأوي الى سريرها ؟ وعما اذا كانت تقطع قراءتها لكي تحلم ؟ وكذلك حين تكتب . ففكر ايضاً بأن تجعل نفسك صديق من يحمل رسائلها الى البريد . واعرض خدماتك عليه لكي تؤدي عنه هذه الخدمة ، وحين يوافق لا ترسل بالبريد إلا الرسائل التي تبدو لك غير مهمة ، وارسل لي الباقي ، لا سيما رسائل السيدة دي فولانج اذا عثرت على شيء منها .

إسع لكي تكون عشيق جوليتك الجميلة ، واذا كان لديها عشيق آخر كما اعتقدت ، إقنعها بان تجعل لك حصة ، ولا تغضب ، بل ستكون مثل عدد كبير من الآخرين الذين هم افضل منك . إما اذا كان غريمك لم يعد مناسباً ، وانه يشغل حيزاً كبيراً من وقت جولي في النهار ، وانها تتغيب غالباً عن سيدتها ، فابعده عن طريقك بأحدى الوسائل ، واخلق له مشكلة لكي تتشاجر معه ، ولا تخش النتائج فسأدعمك . إحرص بصورة خاصة على الاتفادار هذا البيت . اذ نستطيع عن طريق المثابرة ان نعرف كل شيء جيداً . واذا شاءت المصادفة ان تطرد هي احد خدمها فقدم نفسك مكانه كما لو كنت لم تعد في خدمتي ، وقل في هذه الحالة انك تبحث عن بيت اكثر هدوءاً وانتظاماً . وحاول اخيراً ان تجعلهم يقبلونك . وستظل في خدمتي خلال هذا الوقت . وسيكون كما حدث عند الدوقة دي ... وستكافئك السيدة دي تورفيل مثلها .

اذا كنت تملك النشاط والدهاء الكافيين فستكفيك هذه التعليمات لكي تقوم بالعملين معاً . وها انا ارسل اليك المال اللازم ؛ وان الكلمة المرفقة طيه تسمح لك بأن تقبض خمساً وعشرين ليرة ذهبية من وكيلي التجاري ، اذ لا اشك بأنك خالي الوفاض . تستطيع ان تستخدم هذا المال في ما هو ضروري لإقناع جولي بأن تراسلني ، اما الباقي فهو يكفي لكي ترشو خدمها الاخرين . ولا تنس انني لا ادفع هذا المال لمتك الخاصة ، بل مقابل خدماتك .

عود جولي على ان تلاحظ كل شيء، وان تنقل كل شيء، حتى ما يبدو لهاضيل الأهمية. ومن الافضل ان تكتب عشر جمل لافائدة منها بدلاً من ان تغفل جملة ذات أهمية. وبما انه ينبغي ان احصل على هذه المعلومات بصورة عاجلة ، ابعث فيليب على الحصان لكي يقيم في قرية « ... » حيث يبقى حتى إشعار آخر . اذ يستطيع بوجوده في منتصف الطريق بيننا وبين باريس أن يساعد على نقل الرسائل اذا اقتضت الحاجة . أما المراسلات العادية فان البريد يكفي . احترس لكي لا تفقد هذه الرسالة ، أعد قراءتها كل يوم لكي تتأكد انك لم تغفل شيئاً ، وافعل اخيراً ما يجب عمله ، وانت تعرف اذا كنت مسروراً منك انك ستكون مسروراً مني .

## ١٠٢

### من الرئيسة تورفيل الى السيدة دي روزوند

في ٣ تشرين الاول الساعة الواحدة صباحاً .

ستكونين مندهشة جداً يا سيدتي ، حين تعلمين انني رحلت من قصرك بهذه السرعة ، لا بل قد يبدو لك هذا التصرف غريباً جداً . ولكن كم ان دهشتك ستضاعف كذلك حين تعرفين الاسباب ! لعلك ستجدين حين أسرت اليك بها انني لم احترم الهدوء الضروري لسنك . وانني ابتعدت عن مشاعر الاحترام التي تستحقينها من جميع النواحي . آه يا سيدتي ، أستميحك عذراً ، ولكن قلبي مضطهد، وهو بحاجة الى ان ينفس عن كربه في قلب صديقة رقيقة وحذرة ايضاً . فمن غيرك يستطيع ان يختار ؟ اعتبريني كأبتك ، واشعري نحوي بعاطفة الأم . انني اتوسل اليك . ربما كان لي بعض الحق في ذلك بالنظر لعواظفي نحوك . أين هو الوقت الذي كنت فيه أكرس نفسي بكليتي لهذه العواطف النبيلة ، حيث كنت لا اعرف أبداً تلك العواطف التي تحمل الى النفس الاضطراب المميت الذي أعانيه ، وتنتزع القوة على مكافحتها بينها هي تفرض الواجب ؟ آه !

تبا لهذه الرحلة القاضية التي أدت الى ضلالي .

ماذا سأقول لك أخيراً ؟ انا احب .. أجل أحب حتى الجنون . يا للأسف !  
ان هذه الكلمة التي أكتبها لأول مرة - والتي طالما طلبت مني بالجاح دون ان  
اقولها - ادفع حياتي كلها لكي استطيع أن اقولها إلى من أوحى إلي بها . ومع  
ذلك ينبغي أن ارفضها باستمرار ! انه يشك أيضاً في عواطفني . وسيظن أنه  
يستحق الرثاء . إنني تعيسة جداً ! أليس من السهل عليه ان يقرأ في قلبي بأنه  
يسيطر عليه ؟ أجل ان عذابي سيهون إذا عرف كم أتعذب ، ولكبك انت نفسك  
التي أطلعك على ذلك ، لا تستطيعين أن تكوئي إلا فكرة ضئيلة عما بي .

خلال قليل من الوقت سأهرب منه وأفجعه . وبينما سيعتقد انه مازال قريباً  
مني سأكون بعيدة عنه . وفي الساعة التي اعتدت أن اراه فيها كل يوم سأكون  
في مكان لم يحضر اليه ابداً ، حيث ينبغي الا اسمح له بأن يحضر . لقد  
أعددت كل ترتيباتي واصبح كل شيء جاهزاً باستثنائي انا . وكلما رأيت قلبي يأبى  
ذلك كلما أثبت لي هذا القلب ضرورة الازعان . وسأدعن لذلك دون ريب .  
من الافضل أن اموت بدلاً من أعيش مذنبه . وقد اصبحت أشعر بذلك ،  
وأنا لم انقذ سوى تعقلي ، بينما تلاشت فضيلتي .

هل ينبغي ان أعترف لك : أنني مدينة في ما بقي لي منها إلى كرمه . لقد  
اسكرتني لذة رؤيته وسماعه ، وعذوبة الشعور به بالقرب مني ، وسعادة التمكن  
من خلق سمادته ، ولذا اصبحت خائرة القوى والعزيمة . ولم تبق لي قوة لكي  
اكفح ، فكيف يتسنى لي أن اقاوم . لقد كنت ارتعب من خطري دون ان  
اتمكن من الهرب منه . حسناً ! لقد رأى عذابي واحس بشفقة علي . كيف لا  
اعزؤه وانا مدينة له بأكثر من الحياة ؟ .

آه ! لو اتيسح لي ان أبقى إلى قربه دون أن ارتجف خوفاً على حياتي ، لما  
كنت قد وافقت على إبعاد نفسي . وما قيمة حياتي بدونه ! ان اصبح بعيدة  
جداً بان افقدها ؟ أما وقد حكم عليّ بأن اسبب تعاسته وتعاسي ، دون ان  
اجرؤ على الشكوى أو على مؤاساته ، وان ادافع عن نفسي كل يوم ضده وضد



نفسي، وأن ابذل اهتامي بتسييب عذابه بيناً أود أن اكرس كل شيء في سبيل سعادته .  
اجل أليس الموت أفضل الف مرة من العيش على هذه الصورة ؟ هذا ما سيكون  
عليه مصيري ، وسيأتمله الآن ، وستكون لديّ الشجاعة على ذلك آه انت  
التي اخترتك كأمي ، اقبلي قسمي .

واقبلي ايضاً القسم الذي أحلفه بالا اخفي عنك اي عمل من اعمالى . إقبليه ،  
استحلفك بالله ، واطلبه منك بمثابة إغاثة اشعر اني بحاجة اليها . وهكذا بعد  
ان تعهدتُ بان اقول لك كل شيء ، سأعتاد على الاعتقاد بأنني درماً في حضورك  
وستحل فضيلتك مكان فضيلتي . ولن ارض ابدأ بعد الآن ان أحمرّ خجلًا بنظرك .  
الوداع يا سيدتي المحترمة ، أحبيني كما لو كنتُ ابنتك ، وتبنييني كما انا . وكوفي  
واثقة انني رغم ضعفي سأفضل الموت على ألا اكون جديرة باختيارك .

١٠٣

من السيدة دي روزموند إلى الرئيسة توفيل

قصر ... في ٣ تشرين الأول ١٧??

لقد كنتُ يا سيدتي العزيزة مبتثسة لسفرك أشد من تعجبي للسبب الذي من  
اجله سافرت . وقد كانت خبرتي الطويلة والاهتمام الذي توحينه إليّ كافيين  
لأن استنير بصدد حالة قلبك . واذا كان لا بد من ان أقول لك كل شيء ، فانك  
لم تخبريني تقريباً شيئاً جديداً في رسالتك . ولو انك لم تعلميني بالأمر في رسالتك ،  
لكنت ما زلت اجهل من هو الذي تحينه . لانك بتحدثك إليّ « عنه » دائماً ،  
لم تكتبي اسمه مرة واحدة . ولكنني لاحظته ، لانني تذكرتُ ان هذا هو دائماً  
اسلوب الحب ، وهو أسلوب لم يتبدل عما كان عليه في زماني الماضي .

وقد كنتُ اعتقد أنني لن اكون ابداً في حالة استميد معها ذكرياتي  
البعيدة جداً عني ، والغريبة جداً عن عمري . ومع ذلك فقد عكفت عليها  
منذ أمس ، وذلك رغبة مني في أن اجد فيها شيئاً يمكن ان يكون مفيداً لك .

ولكنني ماذا أستطيع ان افعل سوى ان اعجب بك أو أرثي لك ؟ إنني اثني على القرار الحكيم الذي اتخذته ، ولكنه يخيفني ، لأنني استنتج انك رأيتَه ضرورياً . وحين تكون المرأة في مثل هذا الموقف ، فمن الصعب جداً ان تبقى دائماً بعيدة عن يقرُّبه قلبها اليه باستمرار .

وعلى كل حال فلا تفقدي الشجاعة . ولا شيء يجب ان يكون مستحيلاً على روحك الجميلة . ولكن اذا ما حدث يوماً ان اضطررت الى الوقوع (لا سمح الله) صدقيني يا سيدتي الجميلة ، بأن عليك ان تحتفظي على الأقل بالعزاء الوحيد انك كافحت بكل قواك . ثم ان ما لا يقدر عليه العقل الانساني ، يقوم الغفران الالهي به حين يشاء . ولعلك الآن عشيبة الاستغاثة به ، وربما ستخرج فضيلتك المعذبة من هذه المعارك القاسية ، اكثر نقاوة ولعناً . وان القوة التي لا تملكينها اليوم ، ربما تتلقينها غداً ، ولا تفكري بأن تعتمد عليها ، بل لكي تتشجعي في استخدام كل قواك .

إنني - بتركي للعناية الالهية مهمة مساعدتك في مواجهة خطر لا أستطيع ان افعل شيئاً ضده - احتفظ لنفسي بمساعدتك وتعزيزتك على قدر استطاعتي . انني قد لا اخفف آلامك ، ولكنني أشاطرك إياها . وانني بهذه الصفة اتقبل بطيبة خاطر كل ما تودين ان تسرِّي به اليّ . وأشعر بأن قلبك بحاجة الى التنفيس عن كربه، ولذلك افتح لك قلبي ، وان تقدم العمر بي لم يبرّد هذا القلب الى درجة تجعله غير متأثر بالصدافة . وستجدينه دوماً مستعداً لأن يستقبلك . تعالي بثقة لترتاحي اليه من اضطراباتك الفظيعة . وسيكون في ذلك عزاء ضئيل لآلامك . وعلى الأقل سوف لا تبكين وحدك . وحين تصبح سيطرة هذا الحب التعيس قوية عليك ، ستحملك على الافضاء بشجونك ، فمن الأفضل أن يكون ذلك معي بدلاً من ان يكون «معهُ» . هانذا تحدث الآن مثلك . اعتقد اننا نحن لن نتوصل الى تسميته وبالاختصار فان احدانا تفهم الأخرى .

لا ادري ان كنت أحسن صنماً اذا قلت لك أنه بدا لي متأثراً جداً بسفرك .

وسيكون ربما اكثر حكمة اذا لم يحدثك بذلك . ولكنني لا احب هذه الحكمة التي تحزن اصداقاه . وانا مع ذلك مضطرة الا اتحدث عن ذلك اكثر مما تحدثت . لأن نظري الضعيف ويدي المهترئة لا تسمحان لي بكتابة الرسائل الطويلة حين يجب ان اكتبها بنفسني .

الوداع يا حسناي العزيزة ، الوداع يا ابنتي اللطيفة ، اجل انني اتبناك عن طيبة خاطر كأبنتي ، ولديك كل ما يجب ليكون لك فخر أم وسرورها .

## ١٠٤

### من المر كيزة دي ميرتاي الى السيدة دي فولانج

باريس في ٤ تشرين الأول ١٧??

في الحقيقة يا صديقتي العزيزة الطيبة، وجدت صعوبة في منع نفسي من الشعور بالفخر وأنا اقرأ رسالتك. ماذا ! أنت تشرفيني بثقتك التامة ! لا بل وتطلبين مني حق النصائح ! آه... كم انا سعيدة جداً ، اذا كنت استحق هذا الرأي المشجع من جانبك ، حتى ولو لم اكن مدينة به الى الميل الشخصي للصدافة . الخلاصة مها يكن السبب ، فانه لا يقل معزة على قلبي . وان كوني حصلت عليه يجعلني اسمى لان اكون جديرة به . أودئ اذن ( دون الادعاء باعطائك رأياً ما ) ان اطلعك بحرية على طريقة تفكيري . وانا أحترس منها ، لانها تختلف عن طريقة تفكيرك . ولكن حين سأعرض عليك حججتي ستحكين عليها ، واذا ما استنكرتها فانني اثق بحكمك سلفاً . وستكون عندي حكمة عدم الاعتقاد بأبني اكثر تعقلاً منك .

أما اذا كان رأيي مع ذلك مفضلاً ، فيجب ان تبخني عن السبب في اوهام الحب الامومي . لأن هذا الشعور جدير بالثناء ، ولا بد أن يكون موجوداً في قلبك . وهو الذي املى عليك بالفعل القرار الذي تحاولين إتخاذة ! كما انه اذا حدث ان اخطأت مرة ، فليس ذلك إلا في اختيار الفضائل .

إن الاحتراس هو كما يبدو لي ، ما ينبغي تفضيله حين نملك تقرير مصير الآخرين ، لا سيما حين يكون علينا ان نحدد مصيرهم برباط مقدس غير ممكن الحل كقضية الزواج ، وعندئذ يجب على ام حكيمة وحنونة كما تقولين « ان تساعد ابنتها بخبرتها » . ولكنني اسألك ماذا عليها ان تفعل للوصول إلى ذلك اللهم سوى التمييز بالنسبة لها بين من يُعجب ومن يُلائم .

ثم الا يعتبر انتقاصاً من سلطة الامومة ، لابل وخرقاً لها ، مراعاة ميل نزق - وليد نزوة طائشة ، وجنون عابر - لا يشعر بقوته الوهمية الا اولئك الذين يخشونه ، وما يلبث ان يزول على الاثر حين يُحتقر ؟ في ما يتعلق بي ، أعترف بأنني لم أؤمن أبداً بهذه الأهواء الجذابة التي لا تقاوم والتي اتفق الجميع على ان يجعلوا منها أعذاراً عامة لآخراتنا . كما انني لا ادرك ابداً كيف ان ميلاً خاصاً - يولد في لحظة من اللحظات ليحل محل ميل آخر يزول - يستطيع ان تكون له سلطة أقوى من مبادئ العفة والشرف والتواضع التي لا تتزعزع .

وانا لا افهم كيف تبرر امرأة تخون هذه المبادئ ، بحجة هواها المزعوم ونزوتها الطارئة ، كما يبرر السارق نفسه بحجة ميله للمال ، او القاتل بحجة الانتقام . ثم من يستطيع ان يقول انه لم يقدر على مكافحة الاهواء والنزوات التي مرت في حياته ؟ بيد اني حاولت دوماً ان أقنع نفسي انه حسبنا لكي نقاوم ان نرغب في ذلك . وحتى الآن على الأقل برهنت لي خبرتي على صواب هذا الرأي . وما قيمة الفضيلة اذن لولا الواجبات التي تفرضها ؟ وان التمسك بها هو في التضحيات التي نبذلها ، ومكافأتها هي في قلوبنا . ان هذه الحقائق لا يمكن ان تُنكر الا من قبل اولئك الذين لهم مصلحة في تجاهلها ، والذين بعد ان حرموا منها يأملون ان يعيشوا في الاوهام محاولين تبرير مسلكهم السيء بمبررات سيئة .

ولكن هل يمكن ان نخشى ذلك من طفلة بسيطة وخجولة ، من طفلة ولدت منك ، ولم تستطع تربيتها المتواضعة الطاهرة إلا ان تقوي روح الفضائل السعيدة الطبيعية فيها ؟ ومع ذلك اجرؤ على القول انك في سبيل هذا الخوف المهين ، على ابنتك ، تريد ان تضحي بالزواج المفضل الذي شئت عنايتك ان تدبره

لها ! أنا احب كثيراً دانسني منذ وقت طويل كما تعلمين ، ولا أرى السيد دي جيركور إلا قليلاً ، ولكن صداقتي لهذا ولا مبالاتي تجاه الآخر ، لا يمنعني ابداً من رؤية الفرق الهائل بين هذين الفريقين .

ان عائلتيها متساويتين ، وانا اتفق معك في ذلك ، ولكن احدهما بدون ثروة ، بينما ثروة الآخر - حتى ولو كان بدون عائلة - تستطيع ان توفر له كل شيء . أعترف بأن المال لا يخلق السعادة ، ولكن يجب الاعتراف ايضاً بأنه يسهلها كثيراً ، ان الأنسة دي فولانج هي موسرة جداً كما تقولين بحيث تكفي عن اثنين . ولكن ستين الف ليرة من الدخل التي ستمتع بها ليست كثيرة حين تحمل إسم دانسني ، وحين يجب ان تؤسس بيتاً وترعاه بشكل محترم . اننا لم نعد كما كنا في زمان مدام دي سيفينييه \* . ذلك ان الكاماليات أصبحت الآن تستهلك كل شيء . اننا نستنكرها ولكننا نقلدها .

أما من حيث المزايا الشخصية التي لها بنظرك اهمية كبرى فان السيد دي جيركور ليس عليه ابي مأخذ من هذه الناحية ، وقد أثبت ذلك ، اما السيد دانسني فأودئ الاعتقاد انه لا يقل عنه مزايا ولكن هل نحن متأكدون من ذلك؟ صحيح انه بدا حتى الآن خالياً من مساويء ابناء جيله ، وانه رغم لهجة اليوم يدلل على ميله نحو المعاشرات الفاضلة التي تزيد من قيمته ، ولكن من يعلم إذا كان مديناً في هذا التعقل الظاهر إلى ضالة ثروته فقط؟ وانه متى صار يملك ثروة لن ينطلق مع شهواته ونزواته؟ لان من يريد ان يكون مقامراً او اباحياً يجب ان يملك المال الكافي لذلك ، وانه اذا كان يميل إلى حسن المعشر فذلك لأنه لا يستطيع ان يفعل أفضل منه .

لست اقول ( لا سمح الله ) أنني اعتقد كل ذلك فيه ؛ ولكن قد تكون في اختياره مجازفة غير محمودة العواقب ، وعندئذ اي لوم لا يقع عليك ، حين لا يكون هذا الحدث سعيداً؟ وماذا ستجيبين ابنتك حين ستقول لك : « لقد كنت يا أمي صغيرة السن دون خبرة ، لا بل كنت منساقاة وراء غلطة غير مستغربة

\* كاتبة فرنسية شهيرة .

على من كان في مثل قبلي ، ولكن السماء التي عرفت ضعفي زودتني بأمر عاقلة لكي تنير سبيلي وتكفل لي هنائي. ولماذا إذن تناسيت احترامك ، فوافقت على تعاسي ؟ فهل كان من حقي ان اختار زوجاً دون ان اعرف شيئاً عن الزواج؟ وحين أردت ذلك ، ألم يكن عليك ان تمنعني؟ ولكن لم تكن عندي ابداً هذه الإرادة المجنونة ، لأنني قررت ان اطيعك فرضيت باختيارك باستسلام محترم . وانني لم استنكف ابداً عن الخضوع الذي يتوجب علي نحو اوامرك وآرائك. ومع ذلك أتحمّل اليوم الشقاء الذي ليس جديراً إلا بالابناء العصاة . آه إن ضعفت أضعاني . ولربما خنق احترامها لك هذه الشكاوى ، ولكن الحب الامومي سيكتشفها . ان دموع ابنتك مهما اخفتها ستسيل مدراراً على علي قلبك . اين ستكون عندئذ مؤسساتك ؟ هل ستجدينها في هذا الحب الارعن الذي كان يجب ان تتسلحي ضده ، بينما تركت نفسك على العكس تنساق في مجراه .

أنني أجهل يا صديقتي الطيبة اذا كانت توجد عندي ضد هذا الميل مناعة قوية ، ولكنني اجده مخيفاً حتى في الزواج . وليس معنى ذلك انني لا اقرّ نشوء عاطفة شريفة تزيّن العلاقة الزوجية وتخفف نوعاً ما الواجبات التي تفرضها . ولكن هذه العاطفة وحدها لا تكفي لقيام تلك العلاقة . ولا يعود امر تقرير اختيار رفيق الحياة بطولها الى اوهام لحظة عابرة . وبالفعل فلا بد من المقارنة عند الاختيار ، وحين نفعل ذلك في الوقت الذي تكون هناك فكرة واحدة مستولية على اذهاننا ، إنما نكون لا نعم شيئاً عن صاحب هذه الفكرة ، وقد غرقنا فيها حتى النشوة والتعامي .

لقد رأيتُ - كما تعتقدين - كثيرات من النساء المصابات بهذا الشقاء الخطير ، وحصلتُ على اعترافات بعضهن . وحين تسمعينهن تجدين أن العاشق لم يكن كائناً مثالياً . بل إن هذه الاوهام لم تكن قائمة إلا في خيالهن . ولم يكن عقلمن المتحمس يحلم إلا بالسعادة والهناء . واذا بهن يضيفن على من يحببته من الميزات ما لم تكن موجودة فيه .

إما ان ابنتك لا تحب دانسني ، وإما انها تعاني هذا الوم نفسه . وهو وهم مشترك بين الاثنين اذا كان حبها متبادلاً . وهكذا فان منطقتك بتوحيدها الى الابد ينحصر بأنهما يعرفان ويستطيعان ان يعرفا بعضها البعض . ولكنك ستقولين لي : هل ان السيد جيركور وابنتي يعرفان بعضها البعض اكثر ؟ كلا بدون شك ولكنهما على الاقل لا يستغلان ذلك بل هما يجعلان بعضها البعض فقط ، وماذا يحدث في هذه الحالة بين زوجين أفترضُ أنهما شريفان ؟ ان كلا منهما سيدرس الآخر ، ويراقب نفسه تجاه الآخر. ثم يسعى ويبحث عما يجب ان يتخلى عنه من ميوله وارادته في سبيل الهناء المشترك . ان هذه التضحيات الضئيلة تتم عادة دون عناء ، لانها متبادلة ، ولأنها متوقعة ، وما يلبثان بعد فترة وجيزة حتى يولدان احتراماً متبادلاً . ثم ان العادة تقوي كل الميول ، وتؤدي شيئاً فشيئاً الى هذه الصداقة العذبة المضافة الى الاحترام حيث تشكلان معاً ، كما يبدو لي ، السعادة الحقيقية الراسخة .

ان اوهام الحب قد تكون اكثر عذوبة . ولكن من يدري ايضاً انها ليست اقل ثباتاً ؟ واية اخطار لا تنجم عنها حين يأتي وقت تتحطم فيه هذه الأوهام ؟ وعندئذ تبدو اقل الهفوات مقيدة ومعدمة بالنظر للفرق الكبير بين فكرة الكمال التي سيطرت اثناء الحب وبين الواقع . وسيعتقد كل من الزوجين ان الآخر وحده قد تبدل وتغير بعد الزواج ، وانه كان افضل دائماً حين جعلته لحظة خطأ ما تقدره وتجده مثالياً . ان الفتنة التي لم يعد يشعر بها تجعله يندهش من انه لم يعد يولدها. فيحس انه مهان لذلك : لأن الكبرياء المجروحة تعكر صفوا الازهان وتزيد من الاخطار ، وتثير الاستياء ، وتولد الكراهية ، وإن المتع النزقة لا تؤدي إلا الى تعاسات طويلة .

هذه هي يا صديقتي طريقة تفكيري بصدد الموضوع الذي يشغل اهتمامنا . ولست ادافع عنها ، بل أعرضها فقط . وعليك وحدك ان تقرري ، ولكن إذا تمسكتِ برأيك ، ارجوك ان تطلعيني على الاسباب التي هزمت اسبابي . وسأكون سعيدة لان استنير برأيك ، لا سيما ، ان اطمئن على مصير ابنتك

اللطيفة التي أتمنى لها السعادة من كل قلبي بسبب صداقتي لها والصداقة التي تربطني بك طول الحياة .

١٠٥

من الموكبة دي ميوناي إلى سيسيل دي فولانج

باريس في ٤ تشرين الاول ١٧??

إذن ! ها أنت يا صغيرتي حانقة وخجلى ! وان هذا السيد دي فالون هو رجل رديء ، أليس كذلك ؟ كيف ؟ انه يجرؤ على معاملتك كأحسن امرأة يجبها ! انه يعلمك ما تتحرقين شوقاً لمعرفته ! ان هذه الطرق في الحقيقة لا يمكن التسامح بها . وأنت من جانبك ، تريدان ان تحتفظي بتعملك لعشيقك ( الذي لا يستغله ) ولا تستمرئين من الحب إلا لواعجه لا لذائذه ! ليس هناك أفضل من ذلك لكي تكوني بظلة روائية : تعلق ، وتعاسة ، وفضيلة فوق كل شيء ، وليس هناك سوى اشياء حسنة ! ووسط هذا الموكب الباهر يتضجر المرء في الحقيقة .

ها هي الفتاة المسكينة كم تستحق الرثاء ! لقد كانت عيناها ذابلتين في اليوم التالي ! ماذا ستقولين لو كانتا عيني عشيقك ؟ هيا يا ملاكي الجميل ، لن تكون عيناك دائماً على هذه الصورة . ان جميع الرجال ليسوا السيددي فالون . ثم انت لا تتجربين بعد ذلك على رفع هاتين العينين ؟ آه ، مثلاً ، أنت على حق ، جميع الناس كانوا عرفوا مغامرتك . صدقيني مع ذلك ، لو كان الامر كذلك لكانت نظرات سيداتنا وحقى اوانسنا اكثر تواضعاً !

على الرغم من المذائح التي اجد نفسي مضطرة الى ازجائها اليك ، يجب الاعتراف انك كنت ستضيعين احسن عمل في حياتك ، اذ كان يجب ان تطلعي والدتك على كل شيء . لقد بدأت جيداً ، ثم ارتقت بين ذراعيها فاجهشت بالبكاء ، ثم بكت هي أيضاً !



ياله من منظر مؤثر ! وكم هو مؤسف انك لم تكلمي ! اذ لكنت والدتك  
قد أفعمت حبوراً ، ولكي تساعد على حفظ فضيلتك كانت قد سجنتك طول  
حياتك ، وهنالك سيكون بإمكانك أن تحيي دانسني بقدر ما تودين دون مزاحمين ،  
ولا أثم ، وستكونين حزينه على هواك ، ولن يأتي فالمون اكيداً فيفسد عذابك  
بمذات معاكسة .

لنتكلم جيد ، هل يمكن لفتاة تجاوزت الخامسة عشرة ان تكون أكثر طفولة  
بما أنت عليه الآن؟ أنت على حق حين تقولين انك لا تستحقين عاطفتي . أريد أن  
أكون مع ذلك صديقتك ، لأنك بحاجة حتماً إلى مثل هذه الصديقة ازاء  
الأم التي لك ، والزوج الذي تريد أن تتمحك اياه ! ولكن اذا لم تكوئي  
نفسك كما يجب ، ماذا تريد ان يفعلوا بك ؟ وماذا يمكن أن يأملوا منك إذا  
كان ما يشهد ذكاء الفتيات ، يبدو أنه ينزعه منك ؟

آه ، لو تتمكني من أن تعودتي إلى نفسك قليلاً وتمعنين التفكير لحظة ما ،  
فستجدين سريعاً انك يجب ان تهني نفسك بدلاً من أن تترفي لحالك . ولكنك  
خجلى ، وهذا ما يضايقك ! حسناً ، إطمئي ، فالخجل الذي يسببه الحب هو  
كعذابه ، لا نشعر به إلا مرة واحدة ، ومن الممكن أن نظهره في ما بعد ،  
ولكننا لا نشعر به ابدأ . وفي الأثناء تبقى لنا المتعة ، وهذا ما له قيمته . أعتقد  
أنني فهمت من خلال ثرثرتك الصغيرة انك تقدرين جداً هذه المتعة . هيا ، قليلاً  
من النية الحسنة ، هل أن مصدر هذا « الاضطراب » الذي منعهك من « ان تفعلي  
كما قلت » ، وجعلك تجدين « من الصعب ان تدافعي عن نفسك » ،  
وحملك ايضاً على ان « تظهرى كغاضبة حين انصرف فالمون » ، هو « الخجل »  
أم اللذة ؟ ثم « أساليبه في الكلام » التي لا تعرفين « كيف تجيبين عليها » أم  
تتأت من أساليبه في العمل ؟ آه ... ايها الفتاة الصغيرة ، انك تكذبين ،  
وتكذبين حتى على صديقتك ! وهذا ليس حسناً ، ولكن لننس ذلك .

ان ما يعتبر بنظر الجميع لذة ، ولا يمكن ان يكوف خلاف ذلك يصبح في  
حالتك سعادة حقيقية .

وبالفعل فمن كانت مثلك موضوعة بين أمِّ يهك ان تكوني حائزة على حبه ،  
وبين عاشق ترغيبين في حبه دائماً ، كيف لا ترين ان الطريقة الوحيدة لكي تحوزي  
على هذه النجاحات المتعارضة هي في ان تشغلي نفسك بشخص ثالث ؟ اذ هكذا  
تستطيعين ان تتسلي بهذه المغامرة الجديدة ، بينما تظهرين تجاه امك انك تضحين ببل  
لا يعجبها بخضوعك لها ، وتحصلين امام عاشقك على شرف دفاع جميل . وانك  
بتأ كيدك حبه له باستمرار ، لا تمنحيه الدلائل الاخيرة .

إن هذا الرفض من جانبك الذي سيكون قاسياً جداً في حالتك ، ستجعلينه  
يعزوه الى فضيلتك . ربما سيشكو من ذلك ، ولكنه سيزداد حباً لك . ولكي  
تحصلي على الميزة المضاعفة بنظر احدهما في تضحيتك حبه ، وبنظر الآخر في  
مقاومتك له . فلن تخسري شيئاً اذا تذوقت في اثناء ذلك لذائذ الحب . آه ! كم من  
النساء اضعن سمعتهم ، وكان بإمكانهن ان يحتفظن بها بعناية ، لو استظعن ان  
يحافظن عليها بمثل هذه الوسائل !

ألا يبدو لك هذا الرأي الذي اقترحه عليك اكثر تعقلاً ، وعذوبة ؟ هل  
تعلمين ماذا رجحت من جراء ما نلته ؟ لقد عززتْ والدتك مضاعفة كآبتك الى  
مضاعفة حبه بحيث اصبحت ثائرة ، وهي لا تنتظر سوى ان تكون متأكدة  
لكي تعاقبك . وقد كتبت اليّ بذلك ، انها ستحاول لكي تحصل على هذا الاعتراف  
من فمك بأن تقترح عليك ، كما قالت لي ، الزواج من دانسي . وذلك لكي تحملك  
على الكلام . واذا خدعتك بهذه الفكرة الزائفة ، وأجبت حسب ما يمله عليك  
قلبك ، فانها ستسجنك مدة طويلة ، ربما إلى الأبد ، وستبكين هناك على  
غباوتك العمياء حسب مشيتك .

إن هذه الحيلة التي تريد استخدامها ، يجب ان تكافحها بأخرى . إبدأي  
اذن بأن نظهري امامها وأنت اقل كآبة ، واجعلها تعتقد انك لا تفكرين كثيراً  
بدانسي . وستقتنع بذلك بسهولة .

ان هذا هو الوضع العادي للبعد . وستكون مسرورة جداً منك بحيث  
تجد متسعاً من الوقت لكي تهنيء نفسها على احتراسها الذي جعلها تنتهج هذه

الطريقة. ولكن اذا ظلت تحتفظ ببعض الشك، واستمرت مع ذلك في امتحانك، وحضرت لتحدثك عن الزواج، فامتثلي تماماً لارادتها كأبنة مهذبة مطيعة. وفي الواقع ماذا ستخسرين؟ ان ما نفعه بالزوج يجعل من هذا يساوي الآخر، وان اكثرهم عدم ملائمة يظل اقل مضايقة من الأم.

ومتي أصبحت والدتك أشد جدلاً منك، فستزوجك أخيراً. وعندئذ تصبحين اكثر حرية في تصرفاتك، اذ تستطيعين حسب مشيئتك ان تتركي فالمون لتسيري مع دانسي، أو تحتفظي بالاثنين معاً. لانه يجب ان تعلمي أن دانسي هو لطيف جداً، ولكنه من هؤلاء الرجال الذين نملكهم حين نريد وبقدر ما نشاء. وبالامكان اذن ان نكون مرتاحات اليه. ولكن الامر ليس كذلك مع فالمون: اذ من الصعب الاحتفاظ به، كما ان من الخطر تركه، ولا بدّ معه من البراعة والحدق حين لا تكون هناك طواعية كثيرة. ولكن اذا توصلت الى جعله يتعلق بك كصديق، ستحوزين عندئذ على السعادة القصوى! اذ سيضعك حالآ في المرتبة الأولى من نساءنا البارزات. وبهذه الطريقة تحصلين على مركز في المجتمع، وليس على التورثد خجلاً والبكاء كما لو أن معلماتك يجعلنك تتناولين عشاءك ركوعاً.

ستحاولين اذن، اذا كنت عاقلة، ان تتصالحى مع فالمون الذي لا بد أن يكون ناقماً جداً عليك، وبما انك يجب ان تتعلمي تدارك حماقاتك، فلا تخشي من أن تتقدمي إليه ببعض العروض.

وهكذا ستعلمين قريباً انه اذا كان الرجال هم الذين يتقدمون الينا بالعروض الأولى فنحن دائماً مضطرات تقريباً الى التقدم اليهم بالعروض الثانية. ولديك حجة على ذلك، اذ يجب الا تحتفظي بهذه الرسالة، ولذا اطلب اليك، لا بل اطلبك بأن تعيدها اليه بعد ان تكوني قد فرغت من قراءتها. ولا تنسي مع ذلك ان تعيدي لصقها كالسابق. أولاً لكي أترك لك ميزة المسمى الذي ستقومين به تجاهه بحيث لا يبدو كما لو انك قد نصحت به. ثم ليس هناك احد غيرك في العالم أرتبط معه بالصدقة القوية وأحدثه كما افعّل الآن.

الوداع ايها الملك الجميل ، إتَّبِعِي نِصَاحِي ، وسْتَخْبِرِينِي إِذَا كُنْتُ سَوْفَ تَجِدِينَ نَفْسَكَ فِي حَالَةٍ حَسَنَةٍ .

بِالْمُنَاسِبَةِ نَسِيتُ ... كَلِمَةً وَاحِدَةً أَيْضًا . حَاوِلِي إِذْنًا أَنْ تَحْسِنِي اسْلُوبَكَ ، إِذْ مَا زِلْتَ تَكْتَبِينَ كَطِفْلَةٍ ، وَأَرَى أَنَّ السَّبَبَ فِي ذَلِكَ ، يَعُودُ إِلَى أَنَّكَ تَقُولِينَ كُلَّ مَا تَفَكِّرِينَ بِهِ وَليْسَ مَا لَا تَفَكِّرِينَ بِهِ . وَهَذَا قَدْ لَا يَضُرُّكَ إِذَا كَانَ الْأَمْرُ بَيْنِي وَبَيْنَكَ . إِذَا لَمْ يَكُنْ يَجِبُ أَنْ يَخْفَى بَيْنَنَا . وَلَكِنْ لَيْسَ مَعَ الْجَمِيعِ ، وَبِصُورَةٍ خَاصَّةٍ مَعَ عَشِيقِكَ . إِذْ أَنَّكَ تَبْدِينَ دَوْمًا كَحَمَقَاءَ صَغِيرَةٍ . فَكِرِّي أَنَّكَ حِينَ تَكْتَبِينَ إِلَى أَحَدِهِمْ فَذَلِكَ مِنْ أَجْلِ لَا مِنْ أَجْلِكَ . إِذْنًا يَجِبُ الْإِتِّحَاوِي أَنْ تَقُولِي لَهُ كُلَّ مَا تَفَكِّرِينَ بِهِ بَلْ كُلَّ مَا يَعْجَبُهُ .

الوداع يا قلبي ، انني اقبلك بدلاً من ان اؤنبك ، على أمل ان تصبحي اكثر تعقلاً .

## ١٠٦

### من المراكيزة دي ميرتاي الى الفيكونت دي فالون

باريس في ٤ تشرين الأول ١٧??

هنيئاً لك ايها الفيكونت ! أحبك حتى الجنون ! لقد كنت في الواقع انتظر رسالتك الثانية بعد رسالتك الاولى ، ولذلك فانها لم تدهشني مطلقاً . وفيما كنت فخوراً بنجاحك المقبل ، وتطلب المكافأة ، وتسالني اذا كنت ' مستعدة ' . كنت ارى انه يجب الا اكون متعجلة . اجل ، فعند قراءتي وصفك الجميل لذلك المشهد العاطفي الذي « أثار انفعالك بعنف » ، ورأيت تحفظك الجدير بأجل عهود فرموسيتنا ، قلت عشرين مرة : « هذه قضية خاسرة ! » .

ولكن ذلك لا يمكن ان يكون خلاف ما حصل . ماذا تريد أن تفعل امرأة مسكينة تستسلم ولكن لا تؤخذ ؟ ففي مثل هذه الحالة ينبغي على الأقل ان تنقذ الشرف . وهذا ما فعلته رئيستك . انا اعلم فيما لو كان

الامر يتعلق بي ، وقد شعرت بأن المسمى الذي قمت به لم يكن له حقيقة أي تأثير ، فإني أقرر استغلاله لحسابي في اول فرصة مها كانت خطيرة . ولكنني أعد بأنه إذا كان ذلك الذي أتكلف من اجله كل هذه المشاق ، لا يغتم الفرصة أحسن منك ، فإنه يستطيع أن يقلع عني إلى الابد .

ها أنت ذا أصبحت الآن خالي الوفاض ، بين امرأتين ، احدهما عشيّة المغامرة ، والأخرى لا تمنى سوى ذلك . حسناً . ستعتقد اني اتباهى بنفسى ، وتقول ان من السهل التنبؤ بعد الحادث . ولكنني أستطيع ان اقسم لك اني كنت اتوقع ذلك . لانك لا تملك عبقرية ظروفيك ، ولا تعرف إلا كل ما تعلمته ، ولا تخترع شيئاً جديداً . وهكذا ما ان تعاكس الظروف مبادئك المألوفة ، وتجذ ان عليك الخروج عن جادتك العادية ، حتى تقف عاجزاً قصير اليد كتلميذ مدرسة . واخيراً هناك رعونة من ناحية ، ورجوع الى الفضيلة من ناحية ثانية لم تألفها كل يوم . واذا بها كافرين لايقاعك في بلبلة وحيرة ، لا تعرف ان تتخلص منها ولا كيف تعالجها . آه ايها الفيكونت .. انت تعلمني كيلا أحكم على الرجال عن طريق نجاحاتهم فقط ، وقريباً سيقال عنك : « لقد كان شهماً ذات يوم » . ولكن عندما ترتكب حماقة فوق حماقة ، اراك تلعجاً إليّ .

ومها يكن من شأن هاتين المغامرتين ، فان احدهما قد جرت دون موافقتي ، ولذلك لن أضع فيها يدي مطلقاً . والأخرى اتبناها نظراً لانك بذلت بعض الجهد من أجلي . والرسالة المرفقة طيه التي تستطيع ان تقرأها أولاً ثم تسلمها الى الصغيرة فولانج هي اكثر من كافية لاعادتها اليك . ولكنني ارجوك أن تبذل اهتمامك بهذه الطفلة ، ولنجعل منها معاً موضع ياس أمها وجير كور . كما انه لا بأس اذا اثقلت العيار ، إذ أرى بوضوح أن الصغيرة لن تكون وجلة . واننا متى حققنا غايتنا منها ، نستطيع أن تصبح هي ما تريد .

إنني انقض يدي تماماً من كل ما يتعلق بها ، وقد كان بودي ان أجعل منها مكايده ثانوية او ادعها تقوم بالادوار الاحتياطية عني ، ولكنني لا اجدها كفؤة لذلك . لأنها ذات تفكير احمق ، لم تستطع أن تفهم الطرق التي استخدمتها انت لايقاعها ،

وهذا بنظري أخطر مرض يمكن ان تصاب به امرأة ، فهي تتصف بضعف بارز في الشخصية لا يمكن الشفاء منه مما يتعارض مع كل شيء ، بحيث اننا بينما نهم بتدوير عقل هذه الفتاة لجعلها امرأة مكابدة ، اذا بنا لا نجعل منها سوى امرأة سهلة . بينما لا اجد احظ من هذه السهولة الناتجة عن الغباوة . وان تلك التي تستسلم لأنها لا تعرف كيف ، ولا لماذا ، بل فقط لأنها تُهاجم ، فلا تعرف ان تقاوم . ان هذه الطبقة من النساء ليست سوى آلات للمتعة فقط .

ستقول لي انه ليس علينا إلا ان نجعلها كذلك ، وهذا كاف لمشاريعنا فليكن ! ولكن يجب الانسى أن الجميع يتوصلون بسرعة الى معرفة رفاصات ومحركات هذه الآلات . وهكذا لا بد - لكي نستخدم هذه الآلات دون خطر - من العمل بسرعة ، والتوقف في وقت مبكر ، ثم تحطيمها على الأثر ، ولان تعوزنا في الحقيقة الوسائل . وسيعمل جيركور على سجنها حين نريد . وفي الواقع عندما لا يشك بسوء مسلكها ، وحين تصبح عامة ومشهورة بذلك ، فماذا همنا اذا انتقم ، شرط الا يتعزى أبداً . إن ما اقوله بصدد الزوج ، لا شك بانك تفكر به بصدد الأم . وهذا ما ينبغي عليك ان تفعله .

لقد حملني هذا القرار الذي أعتقد انه أفضل من غيره ، والذي اتوقف عنده ، على ان أوجه الصغيرة بصورة سريعة كما سترى في رسالتي . ومن المهم جداً الا تدع شيئاً بين يديها مما قد يورطني . وأرجوك ان تهتم بذلك . وانه متى تم هذا الاحتراس سأتكفل بالمعنويات ، اما الباقي فعليك . واذا رأينا مع ذلك أن غباوتها قد اصطلحت على الاثر ، فسنكون مستعدين دوماً لتبديل المشروع ، ومهما يكن فان جهودنا لن تضيع سدى .

هل تعلم ان جهودي اوشكت ان تضيع ، وان حظ جيركور كاد يفوز على احتراسي ؟ ذلك ان السيدة فولانج شعرت في لحظة ما بنوع من التخاذل الامومي ، وفكرت بأن تزوج ابنتها من دانسي . وقد حملها ذلك على اظهار عناية رقيقة نحو ابنتها ، وهو ما لاحظته انت في « اليوم التالي » . قد كنت انت السبب في هذا « العمل العظيم » . لحسن الحظ كتبت الأم الحنون إلي تسألني

رأيي ، وآمل ان يشبط جوابي عزيمتها من هذه الناحية . إذ تحدثت فيه كثيراً عن  
الفضيلة ، بحيث يجب ان تجد اني على صواب .  
انني حانقة لكوفي لم أنقل نسخة عن رسالتي هذه لكي ابعث بها اليك ،  
وأطلعك على صرامة اخلاقي . وستجد كم احتقر النساء اللواتي يستسمن لعاشق !  
من المناسب جداً ان اكون متزمتة في مثل هذه الاحوال ! وهذا لا يؤذي  
سوى الآخرين ، ولا يضايقنا مطلقاً . ثم أنني لا أجهل أنه كانت للسيدة الطيبة  
بعض الميول الصغيرة كأية امرأة اخرى في صباها ، ولذلك لم آسف مطلقاً على  
اهانتها على الأقل في ضميرها . لأن ذلك يعزيني عن المدائح التي كنت اقدمها لها  
ضد ضميري . ذلك أنني في الرسالة نفسها جعلتني فكرة ايذاء جيركور أتحدث  
عنه بالثناء والاطراء .

الوداع ايها الفيكونت ، وافقك على قرارك بالبقاء بعض الوقت حيث أنت  
الآن . وليست عندي وسائل للتعجيل بمسعاك ولكنني ادعوك الى التخلص من  
سامك عن طريق الصغيرة فولانج . أما في ما يتعلق بي ، فعلى الرغم من رأيك  
المهذب ، سترى مثلي انه لا بد من الانتظار . وأنت تعترف بدون شك ان  
الذنب ليس ذنبي .

## ١٠٧

### من ازولان الى الفيكونت دي فالمون

باريس في ٥ تشرين الأول ?? ١٧ الساعة الحادية عشرة مساء .  
حسب اوامرك ، يا سيدي ، قصدت فور استلامي رسالتك السيد بيرتران  
فسلمني الخمس والعشرين ليرة ذهبية كما اوصيته . وقد طلبت منه زيادة عن  
ذلك ليرتين من اجل فيليب الذي أمرته بان يذهب في الحال كما اعلمني سيدي ،  
ولكنه لم يكن يحمل مالا . بيد أن وكيلك التجاري يا سيدي لم يشأ أن يعطيني  
بارة واحدة زيادة ، قائلاً انه لم يتلقَ أمراً بذلك منك . وهكذا اضطررت الى

منحه المبلغ مني ، وسيحاسبني سيدي به اذا تكرم .  
لقد سافر فيليب امس مساء . وأوصيته بألا يفارق الحانة مطلقاً ، لكي  
تكون متأكدين من العثور عليه اذا كنا بحاجة إليه .  
ثم توجهت حالاً الى منزل السيدة الرئيسة لكي اقابل الآنسة جولي ، ولكنها  
كانت قد خرجت ، ولم أتحدث إلا مع لافير فلم اعرف منه شيئاً ، لأنه منذ  
وصوله لم يكن في الخدمة الا اثناء ساعات الطعام . ولكن زميله الثاني هو الذي  
تولى خدمتها ، وسيدي يعلم انني لا أعرف هذا الرجل بعد ، ولكنني بدأت اليوم  
بالتعرف إليه .

ثم عدت هذا الصباح لأرى الآنسة جولي ، وقد بدت مسرورة لرؤيتي ،  
فسألتها عن سبب عودة سيدتها ، فأجابتنى انها لا تعلم شيئاً . واعتقدت انها قالت  
الحقيقة . وقد عنفتها لأنها لم تنذرني بسفرها ، فأكدت لي انها لم تعلم بموعده الا  
في المساء نفسه حين ذهبت لتساعد سيدتها على النوم . وقد بقيت المسكينة طول  
الليل توضّب الامتعة ، بحيث انها لم تتم ساعتين . ولم تخرج ذلك المساء من غرفة  
سيدتها إلا بعد ان تجاوزت الساعة الواحدة ، وقد تركتها سيدتها فقط لكي  
تكتب رسالة ما .

وفي الصباح سلمت السيدة دي تورفيل الرسالة وهي مسافرة الى بواب  
القصر ، ولا تعلم الآنسة جولي لمن كانت موجهة : وهي تقول أنها قد تكون  
موجهة اليك يا سيدي ، ولكنك لا تحدثني عنها بشيء .  
وكانت السيدة اثناء الرحلة كلها تغطي رأسها ووجهها بلفة واسعة بحيث لا  
يمكن رؤيتها . ولكن الآنسة جولي تعتقد انها بكت غالباً ، ولم تنبس ببنت  
شفة خلال الطريق . ولم تشأ ان تتوقف في بلدة « . . . » \* كما فعلت عند مجيئها ،  
مما لم يسر جولي كثيراً إذ لم تكن قد أفطرت .  
وفور وصول السيدة الى باريس نامت ، ولكنها لم تبق في سريرها سوى  
ساعتين . وحين نهضت استدعت بوابها وأمرته بألا يدع احداً يدخل عليها .

---

\* البلدة نفسها الواقعة في منتصف الطريق بين القصر وباريس .



ولم تتزين مطلقاً . ثم جلست إلى مائدة الطعام وقت الغداء ، ولكنها لم تتناول سوى الحساء ، وخرجت على الأثر فتناولت قهوتها في غرفتها الخاصة . ودخلت الآنسة جولي في الوقت نفسه ، فوجدت سيدتها تقوم بتوضيب الاوراق في خزانها الخاصة . ورأت بين هذه الاوراق عدة رسائل ، واراهن على انها كانت رسائل سيدي . ومن بين الرسائل الثلاث التي وصلتها بعد الظهر ، توجد رسالة واحدة احتفظت بها بين يديها في المساء ، واعتقد انها رسالة أخرى من سيدي . ولكنها لماذا سافرت على هذه الصورة ؟ هذا ما يدعشني انا ، ومهما يكن فان سيدي لا بد انه يعرف الآن السبب وهذا ليس من شأني .

وقد قصدت السيدة الرئيسة بعد الظهر المكتبة حيث تناولت كتابين حملتهما معها الى غرفة جلوسها ؛ ولكن الآنسة جولي تؤكد انها لم تقرأ فيها اكثر من ربع ساعة طول النهار ، وانها لم تكن تفعل سوى تلاوة تلك الرسالة ، ثم تحلم ، وتستند على يدها، وبما انني تصورت ان سيدي سيكون سعيداً لو عرف ما هما هذان الكتابان ، وان الآنسة جولي لاتعرفهما ، فقد قصدت المكتبة بحجة التفرج عليها ولم اجد فيها ناقصاً سوى كتابين احدهما الجزء الثاني من كتاب « أفكار دينية » والآخر الجزء الاول من كتاب اسمه « كلاريس » ولعل سيدي يعرف شيئاً عن ذلك .

ولم تتناول السيدة مساء أمس عشاءها ، بل شربت قليلاً من الشاي . وهذا الصباح نهضت باكراً ، وطلبت خيولها حالاً ، ثم قصدت في الساعة التاسعة الى الكنيسة ، ثم عادت على الاثر فتعدت ، وجلست تكتب عدة رسائل حتى ساعة متأخرة ، وقد انتهزت الفرصة لافعل ما طلبه مني سيدي ؛ فحملت بنفسها الرسائل الى البريد، ولم يكن بينها رسالة إلى السيدة دي فولانج، ولكنني أرسل اليه واحدة موجهة الى السيد الرئيس . وقد بدا لي انها اكثر اهمية، وكانت هناك رسالة الى السيدة دي روزموند ، ولكنني اعتقد ان سيدي يستطيع ان يطلع عليها دائماً حين يريد ، وقد تركتها تذهب بالبريد ، الخلاصة ان سيدي سيعلم كل شيء لان السيدة الرئيسة كتبت اليه ايضاً ، وسأحصل في ما بعد على

الرسائل التي أريدها ، لأن الآنسة جولي هي التي تعطيها دائماً للخدم كي يبعثوا بها في البريد ، وقد اكدت لي أنها ستفعل كل ما اريد عن طيبة خاطر ، اكراماً لصداقتها نحو سيدي . كما رفضت المال الذي عرضته عليها ، ولكنني اعتقد ان سيدي يُحسن صنعاً لو قدم لها هدية ما . واذا شاءت رغبته ان يكلفني بذلك فسأعرف جيداً اية هدية تسرها .

أمل ألا يحد سيدي انفي اهملت خدمته ، وبودي لو ابرر نفسي من الملامات التي وجهها الي . واذا كنت لم اعلم بسفر السيدة الرئيسة فذلك بسبب نشاطي في خدمة سيدي ، لانه هو الذي أمرني بأن اسافر في الساعة الثالثة صباحاً ، مما جعلني لا ارى الآنسة جولي عشية سفري كالعادة .

أما ما يأخذه علي سيدي بأني دوماً خالي الوفاض فذلك لأنني أحب ان اكون مرتدياً احسن الملابس كما يلاحظ سيدي ، لأكون لائقاً به ، وانه لا بد من الظهور بمظهر يتفق وشرف هذه الملابس ، واعلم انه يجب ان اقتصد بعض المال ، ولكنني اعتمد دائماً على سخاء سيدي الكريم .

أما في ما يتعلق بالدخول في خدمة السيدة دي تورفيل فاعتقد ان سيدي لن يصر على ذلك ، لان الامر هنا يختلف عن ما حدث مع الدوقة . ويستطيع سيدي ان يعتمد علي في كل ما تبقى وسأظل خادمه الامين .

**ووكس ازولان**

**١٠٨**

**من الرئيسة تورفيل الى السيدة دي ووزموند**

باريس في ٥ تشرين الأول ١٧??

كم أنا مدينة اليك يا والدتي المتساحة الواسعة الصدر بشيء كثير من الفضل ، وقد كنت بحاجة اليه في رسالتك الاخيرة التي تلوتها وأعدت تلاوتها باستمرار ، ولم اكن استطيع الافتراق عنها . انني مدينة لها باللحظات الأقل تعاسة التي

امضيتها غالباً منذ سفري . كم انت طيبة ! إن الحكمة والفضيلة تعرفان جيداً أن ترأفاً بالوهن والتخاذل ، انك تشفقين على آلامي ! آه ، لو كنت تعرفين هذه الآلام ! .. أنها رهيبة . وكنت اظن انني اعاني عذاب الحب ، ومع الأسف فاني لا اعرفه تقريباً الا عن طريقها . ولكن القلق الذي لا يمكن التعبير عنه ، ذلك الذي يجب ان يشعر به المرء لكي يكون فكرة عنه ، هو البعاد عن يجب .. البعاد الى الأبد ! .. اجل ان العذاب الذي يرهقني اليوم سيماءودني غداً ، وبعد غد ، طول حياتي ! يا الهي كم انا ما زلت صغيرة السن ايضاً ، وكما زال امامي من الوقت لكي اتعذب !

ان كون الانسان صانع شقائه بنفسه ، يمزق قلبه بيديه ، وبيننا يعاني هذه الآلام التي لا تحتمل ، يشعر انه يستطيع ان يوقفها بكلمة واحدة ، وان هذه الكلمة تعتبر جريمة ! آه يا صديقي .. هذا فظيع ..

حين اتخذت هذا القرار المؤلم بالابتعاد عنه ، كنت آمل أن يزيد البعاد شجاعتي وقواي : ولكن كم كنت مخدوعة ! إذ يبدو لي على العكس ان هذا البعاد قد اكمل تحطيمها ، إذ كان عندي قوى اكثر على الكفاح ، هذا صحيح ، ولكنني حتى حين كنت اقاوم ، لم أكن اشعر بحرمان . على الأقل كنت أراه في بعض الاحيان ، لا بل غالباً ، دون أن اجرؤ على رفع ابصاري نحوه . بينما كنت اشعر بأنظاره تحطء عليّ . اجل يا صديقي ، كنت اشعر بها . وكانت تبدو لي كأنها تدفء روعي ، وتصل الى شغاف قلبي مباشرة دون أن تمر بأبصاري . أما الآن ، وانا في وحدتي القاسية ، معزولة عن كل ما هو عزيز عليّ ، وجهاً لوجه امام حظي المنكود ، فان جميع لحظات وجودي مغسلة بدموعي . ولا شيء يخفف من مرارتها ، وليست هناك اية تعزية تشترك في توضيحي . إن ما بذلته منها حتى الآن لم تؤدِ إلا إلى جعل التضحيات التي بقي عليّ أن ابذلها اكثر تعاسة وعذاباً .

بالامس ايضاً شعرت به بكل حيوية . إذ كانت هناك رسالة منه بين الرسائل التي تسلمتها . وكانت الرسائل على بعد خطوتين مني حين عرفت رسالته

بين الأخريات ، فنهضت رغماً عني وكنت ارتجف ، ولم استطع ان اخفي انفعالي إلا بعناء . ولكن هذه الحالة لم تخلُ من المتعة . وبقيت وجدي في الفترة التالية فإذا بهذه العذوبة الخادعة تنهار ، ولا تترك لي إلا مرارة تضحية اخرى ، وبالفعل هل افتح هذه الرسالة التي كنت اتحرق شوقاً لقراءتها ؟ ولكن هذه العوارض السيئة التي تلاحقني ولا مهرب منها ، والمؤاساة نفسها التي تبدو معروضة عليّ ، ولا تعمل على العكس إلا على فرض حرمان جديد عليّ . وهذا الحرمان الذي أصبح أشد قساوة أيضاً من جراء فكرة جعل السيد دي فالون يشاطرنى اياه . اليك به أخيراً الإسم الذي يشغلني دون هواده . وقد شعرت بكثير من العناء في كتابته . لأن النوع من اللوم الذي قد توجيهه اليّ قد اربعيني حقيقة . والحـ عليك ان تعتقدي أن أي خجل زائف لن يؤثر مطلقاً على ثقتي بك . ثم لماذا اخاف من ذكر إسمه ؟ انني اخجل من عواطفني ، وليس من الشخص الذي يسببها . آه أي أنسان غيره اكثر جدارة منه بأن يوحيا ! وفي الاثناء لست أدري لماذا لا يتمثل هذا الإسم بصورة طبيعية تحت قلبي . وهذه المرة أيضاً كنت بحاجة الى التفكير لكي أضعه ، فأعود اليه .

لقد اخبرتني أنه بدا لك متأثراً جداً بسفري . فماذا فعل اذن ؟ ماذا قال ؟ هل تحدث عن عودته الى باريس ؟ ارجوك ان تحوليه عن هذه الفكرة بقدر ما تستطيعين ! واذا كان قد حكم على موقعي حكماً حسناً ، فعليه الا يحقد عليّ لهذا السبب ، ولكن يجب ان يشعر ان قراري هذا قد اتخذته دون تراجع . وان هي الوحيد الآن هو ألا اعرف ماذا يفكر . ان رسالته ما زالت امامي ... ولكنك اكيداً من رأيي ، ينبغي الا افتحها .

انني استطيع بواسطتك ، يا سيدتي المتسامحة ، الا اكون بعيدة عنه تماماً . ولا اريد أن استغل لطفك ، إذ أشعر ان رسائلك لا يمكن ان تكون طويلة : ولكنك لن ترفضي كتابة كلمتين الى ابنتك ، كلمة تدعمني بها شجاعتها ، واخرى لمؤاساتها . الوداع يا صديقتي المحترمة .

## من سيسيل فولانج الى المراكيزة دي ميرتاي

قصر ... في ١٠ تشرين الأول ?? ١٧

لم اسلم ، يا سيدي ، السيد دي فالون ، إلا اليوم فقط رسالتك التي شرفني بكتابتها إليّ . وقد احتفظت بها اربعة ايام ، رغم الفزع الذي شعرت به غالباً من ان يُعثر عليها معي . ولكنني كنت اخفيها بعناية فائقة ... وحين كان الحزن يستولي عليّ ، كنت اقف على نفسي لأعيد قراءتها .

ارى جيداً ان ما كنت اعتقده نكبة كبرى ليس فيه تقريباً شيء من ذلك . ويجب الاعتراف انه لا يخلو من لذة ، بحيث أنني لم أعد أفجع به تقريباً البتة . وليست هناك سوى فكرة دانسي التي تشغل عليّ تفكيري في بعض الاحيان . ولكن ثمة لحظات كاملة لا افكر به على الاطلاق ! كما ان السيد دي فالون هو لطيف للغاية !

لقد تصالحت معه منذ يومين . وكان ذلك سهلاً جداً عليّ . لأنني ما ان قلت له كلمتين فقط حتى قال لي : اذا كان لديك ما تقولينه سأحضر هذا المساء إلى غرفتك . فقلت له : أنني ارغب في ذلك ، وما ان حضر حتى بدا أنه لم يكن غاضباً كما لو كنت لم افعل معه شيئاً . ولم يؤنّبني الا في ما بعد ، ولكن بنعومة ظاهرة ، وبطريقة .. كما لو كنت انت بالذات ، وهذا ما يبرهن لي على انه يكن لي هو الآخر صداقة طيبة .

لا اعرف ان اخبرك كم روى لي من الملح الغربية المضحكة التي لم اكن ابدأ أتصورها ، وبصورة خاصة عن امي . وسأكون مسرورة جداً لو أخبرتني اذا كان كل ذلك صحيحاً . ولكن ما هو مؤكد انني لم استطع ان اتمالك نفسي من الضحك الى درجة انني في إحدى المرات ضحكت بقوة ، مما جعلنا نرتعب : خشية ان تكون والدتي قد سمعتنا . ولو كانت قد حضرت لترى ، ماذا كنت غدوت ؟ لعلها كانت لهذا السبب حبستني في الدير !

وبما أنه يجب الاحتراس ، وكما قال لي السيد دي فالمون أنه لا يريد مها  
كلف الامر أن يضعني في مأزق ، فقد اتفقنا من الآن فصاعداً على ان يحضر فقط  
يفتح الباب ، ثم نذهب الى غرفته . وليس هناك ما نخاف منه . وقد كنت  
عنده أمس . انني انتظر ، وانا اكتب اليك الآن ، ان يأتي . وآمل في الوقت  
الحاضر ، يا سيدتي ألا تؤنبيني بعد الآن .

هناك مع ذلك شيء ادهشني في رسالتك ، وهو ما أخبرتني اياه بصدد دانسني  
والسيد دي فالمون حين سأزوج . ولكن يبدو انك قلت لي يوماً في دار  
الاوربا على العكس انني متى تزوجت لا أستطيع ان احب الا زوجي ، وانه  
يجب عليّ ايضاً ان أنسى دانسني . مها يكن فقد اكون سمعت خطأ . وأنا  
افضل ان يكون الأمر خلاف ذلك . لأنني في الوقت الحاضر لم اعد اخشى  
كالسابق لحظة زواجي ، بل اتناها كثيراً لانني سأتمتع بمزيد من الحرية . وآمل  
عندئذ ان اتدبر الامر بطريقة لا افكر معها إلا بدانسني إذ اشعر جيداً انني لن  
اكون حقيقة سعيدة إلا معه . لان فكرته في الوقت الحاضر تقلقني كثيراً . ولا  
اشعر بالسعادة إلا حين لا افكر به ، مما هو صعب جداً ، وما ان افكر به حتى  
اصبح كئيبة حالاً .

ان ما يعزيني قليلاً هو تأكيدك لي بأن دانسني سيحبني اكثر ، ولكن هل  
انت واثقة من ذلك ؟ آه .. اجل انك لا تريد ان تخدعيني . انه مع ذلك بما  
يدعو الى البهجة ان يكون دانسني هو الذي احبه ، وان يكون دي فالمون ...  
ولكن كما تقولين لعل ذلك هو سعادة ، واخيراً ... سنرى .

لم افهم جيداً ما كتبته بصدد طريقي في الكتابة . ويبدو لي ان دانسني  
يجد رسائلي ممتازة كما هي ، وأحسّ مع ذلك جيداً أنه يجب عليّ الا اقول له  
شيئاً عما يجري مع السيد دي فالمون . وهكذا لا تخشي شيئاً .  
لم تحدثني والدتي حتى الآن بشيء عن زواجي ، ولكن دعيتها تفعل ، وحين  
ستحدثني بالامر لسكي توقعني ، فسأعرف كيف اكذب .

الوداع يا صديقتي الطيبة ، اشكرك جيداً . واعدك بأنني لن انسى ابداً

جميع افضالك عليّ. يجب ان اختم هذه الرسالة لان الساعة الآن هي قرابة الواحدة.  
ولذلك فلن يتأخر السيد دي فالون عن الحضور .

١١٠

## من الفيكونت دي فالون الى الماركةيزة دي ميرتاي

قصر ... في ١١ تشرين الاول ١٧??

« يا قوى السماء ، لقد كان عندي روح لتحمل العذاب ، فامنحيني روحاً  
لتحمل الغبطة ! . » \* أعتقد أن القديس بربيه الحنون هو الذي قال هذا  
التعبير . ولكنني اكثر حيرة منه ، لانني أملك في آن واحد الروحين معاً .  
اجل يا صديقتي ، فأنا سعيد جداً ، وتعيش جداً في الوقت نفسه . وبما انك  
تتمتعين بثقتي التامة ، سأروي لك القصة المزدوجة عن آلامي ومتعي .  
فاعلمي اذن أن ورعتي الجاحدة ما زالت تعاملني دائماً بصرامة . وها انا  
الآن عند رسالتي الرابعة المرفوضة . ولعلي على خطأ ان اقول الرابعة ، لانني  
بعد ان حذرت منذ الرفض الاول إنه سيتبعه عدة رفض أخرى ، ولم أشأ لذلك  
أن أضيع وقتي ، فقد قررت ان أكتب لواعجي بصورة عامة ، وألا أؤرخ أبداً  
رسائلي ، ومنذ البريد الثاني ، ما زالت الرسالة نفسها تروح وتجيء دائماً ،  
وستحفظ بالرسالة ، وسيحين الوقت لكي اعلم بذلك . وهكذا تجدين انني بهذا  
النوع من المراسلة لا استطيع ابداً ان اكون اكثر تقدماً ، ولا اكثر اطلاعاً من  
اليوم الاول .

لقد اكتشفت مع ذلك ان المرأة الخفيفة قد استبدلت امينة سرها . اذ  
تأكد لي على الأقل منذ سفرها من القصر ، انها لم تبعث بأية رسالة الى السيدة دي  
فولانج ، بينما وصلت منها اثنتان الى العجوز روزموند . وبما ان هذه لم تقل لنا  
شيئاً عنهما ولم تنبس ببنت شفة عن حسنائها العزيزة التي كانت تتحدث عنها في السابق

\* من رواية « هيلويز الجديدة » لجان جاك روسو .

باستمرار ، فقد استنتجتُ انها هي التي أصبحت موضع اسرارها . وأفترض ان حاجة الرئيسة للتحديث عني من جهة ، والحياء من ان تتراجع تجاه السيدة دي فولانج عن عواطفها التي استنكرتها مدة طويلة من جهة اخرى ، قد احداثا لديها هذا الانقلاب الكبير . واخشى ان أكون قد خسرت بالمقابل ، لانه كما تقدمت النساء في السن كلما اصبحن ليّنات متسامحات . فالاولى كانت قد قالت لها كثيراً من الاشياء السيئة عني ، بينما ستقول لها الاخرى كثيراً من الحب ، وهكذا سيكون لدى الورعة الحساسة الخوف من العاطفة اكثر من الشخص .

والطريقة الوحيدة لكي انتقل الى حيز العمل هي كما ترين ان اقطع الطريق على هذه التجارة السرية . وقد سبق ان بعثت بأوامر جديدة الى خادمي ، وما زلت انتظر التنفيذ من يوم الى آخر . وحتى الآن لا استطيع ان افعل سوى ما تمليه المصادفة . وهكذا مضت عليّ ثمانية ايام وانا اراجع عبثاً الوسائل المعروفة ، جميع وسائل الروايات وذكرياتي السرية ، ولا اجد بينها واحدة تتفق مع ظروف هذه المغامرة ، ولا مع طباع هذه البطلة . والصعب في الامر ليس ان ادخل عليها، حتى في الليل، او ان اعمل على تنويمها، واجعل منها « كالاريسا » جديدة : ولكنني بعد مضي شهرين من الجهود والالتعاب أجد انه من غير اللائق ان اجأ الى هذه الوسائل الغريبة عليّ ! وان احذو بدناءة وتذلل حذو الآخرين وانتصر دون مجد ! كلا لن تحصل على « متع الرذيلة وعلى شرف الفضيلة » \* . اذ ليس كافياً ان امتلكها ، بل اريدها ان تستسلم . بينما ينبغي من اجل ذلك - ليس الدخول الى بيتها - بل التوصل إلى هذه الغاية بموافقتها .

وان اجدها وحيدة وفي نيتها ان تصغي إليّ . وبصورة خاصة أنت . اغمض عينيها عن الخطر ، لانها اذا رآته ، فستعرف كيف تتغلب عليه أو تموت . ولكنني كلما عرفت ماذا يجب ان أعمل كلما شعرت بالصعوبة ، ولا بد انك ستسخرين مني ايضاً ، ولكنني اعترف لك ان حيرتي تتضاعف كلما زدت اهتماماً بالأمر .

\* - « هيلويز الجديدة »



اعتقد ان رأسي كان سيدور لولا هذه التسليبات الممتعة التي تتيحها لي  
«حضينتنا المشتركة» وانا مدين اليها لكوني افعال شيئاً غير الحشرات .  
هل تصدقين ان هذه الفتاة الصغيرة كانت نافرة مرتعبة جداً الى درجة انها  
ظلت تفكر ثلاثة ايام قبل ان تحدث رسالتك كل تأثيرها ؟  
واخيراً لم تأتِ إليَّ إلا نهار السبت لتحوم حولي ، ثم غفمت امامي ببضع  
كلمات ، لفظتها بصوت منخفض اخدها الحياء ، وكان من المستحيل عليّ ان  
أسمعها ، ولكن التورّد الذي اعترأها بسبب هذه الكلمات جعلني أفهم قصدها  
حالا . وقد كنت حتى الآن ما زلت احتفظ بمظهر العجرفة . ولكنني ارتخيت  
ازاء فكرة الندم ، فوعدها بأن اذهب في المساء لرؤية المذنبه الحسنة ، وقد  
قوبل هذا العفو من جانبي ، بكثير من الامتنان من جانبها . وهذا عائد الى  
احسانها الكبير .

وبما انني لا افقد ابداً بُعد النظر بصدد مشاريعك ومشاريعي ، فقد نويت ان  
انتهاز الفرصة لكي أعرف تماماً قيمة هذه الطفلة واسرع في تربيتها . وكنت بحاجة الى  
استبدال مكان لقائنا لكي اتابع هذا العمل بحرية اكثر . ذلك ان قرب غرفة حضينتك من  
غرفة امها لا يمكن ان يوحى اليها بالاطمئنان الكافي لكي تنطلق على سجيتها . وكان  
ان صممتُ على ان اثير بصورة بريئة بعض الضجة التي يمكن ان تسبب لها كثيراً  
من الخوف ، لملمها على ان تتخذ في المستقبل ملجأ أكثر اماناً ، وقد وفرت علي  
ايضاً هذا المجهود .

ذلك ان هذه الطفلة هي ضحوك للغاية ، ولكي اشجع مرحها رأيتُ من  
المناسب خلال فترات استراحتنا أن أروي لها جميع المغامرات الفاضحة التي  
مرّت برأسي ، ولكي أجعل لهذه المغامرات طعماً أشد مذاقاً ، كنت انسبها  
جميعها إلى والدتها التي كنتُ أتفتنُ بالصاق جميع الرذائل بها .

ولم اكن افعال كل ذلك دون غاية . فهذه الطريقة تثير افضل من اية وسيلة أخرى  
شجاعة التلميذة الحجول ، وتوحى اليها في الوقت نفسه باعتمق الاحتمساق نحو  
أمها . وقد لاحظتُ منذ مدة طويلة انه اذا لم تكن هذه الوسيلة ضرورية لاغواء

فتاة ، فإنها لازمة لذلك ، وهي غالباً ما تكون اكثر فعالية حين يُراد إفسادها . لأن تلك التي لا تحترم أمها لن تحترم نفسها : وهذه حقيقة أخلاقية أعتقد انها مفيدة جداً .

وفي الاثناء كانت حضيفتك التي لا تفكر بالاخلاق ، تخنق من الضحك عند كل لحظة . واخيراً انفجرت في احدى المرات ضاحكة بقوة . ولم احتج الى كبير عناء لكي أجعلها تعتقد انها قامت بضجة رهيبة . وأظهرت خوفاً كبيراً ما لبثت ان شاطرتني اياه بسهولة . ولكي تذكر هذه الحادثة جيداً ، لم أسمح لها باستئناف المتعة بل تركتها ثلاث ساعات تنتظر اكثر من المعتاد . ولذلك اتفقنا قبل ان نفرق على ان تكون اجتماعاتنا ابتداء من اليوم التالي في غرفتي . وقد استقبلتها هناك حتى الآن مرتين ، واصبحت في هذه الفترة القصيرة مدربة كالمعلم . اجل لقد علمتها كل شيء في الحقيقة حتى فن الملاطفات ، ولم استثن سوى الاحتياطات ..

وهكذا لا أستطيع ، بسبب انشغالي طوال الليل ، ان استعيد نشاطي إلا في النوم مدة طويلة من النهار . وبما ان المجتمع الحالي للقصر ليس فيه ما يجذبني ، فإنني لا أكاد أظهر سوى ساعة واحدة في الصالون خلال النهار . لا بل قررت هذا النهار أن آكل في غرفتي ، ولا أنوي مغادرتها إلا لنزهات قصيرة . وجميع هذه المغامرات الغربية تجري على حساب صحي ، ولذلك أعلنتُ أنني اشعر برشح قوي وحرارة خفيفة . ولن يكلفني اذا تكلمت بصوت بطيء منطقي اي مجهود . أما في ما يتعلق بتبديل سحنتي ، فبإمكانك ان تثقي بحضيفتك لأن ليالي الحب العامرة تضيئ .

أما اوقات فراخي فأشغلها وانا احلم بالوسائل التي أستطيع بواسطتها ان اسجل على جاحدي التقدم الذي فقدته ، وعلى تأليف نوع من مجموعة المبادئ عن الفجور مخصصة لتلميذتي ، كما أتسلى بتسمية الأشياء أمامها بأسمائها الفنية . أنني اضحك سلفاً من الحديث الممتع الذي سيدور بينها وبين جير كور في الليلة الأولى من زواجها . وليس هناك تسلية امتع من الطريقة التي تستخدم بها القليل

الذي تعرفه من هذه اللغة ! وهي لا تتصور ان من الممكن التحدث خلاف ذلك ! أن هذه الطفلة هي حقيقة جذابة . وان هذا التناقض بين سداجتها البريئة وبين اللغة الجريئة التي بدأت تستخدمها لا يخلو من أثر ظاهر ، ولست أدري لماذا تظل الاشياء الغريبة هي وحدها التي تبهجني .

لعلي اعكف اكثر من اللازم على تدريب هذه الفتاة ، لأنني أورط بذلك صحي ووقتي ؛ ولكنني آمل ان يكون مرضي الزائف ذا فائدة تجاه الورعة المتزمتة ، التي تتحالف فضيلتها المستمرة مع حساسيتها الرقيقة ، فضلاً عن انها تنقذني من تحمل ضجر الصالون ! ولا اشك بأنها قد تبليت حتى الآن شيئاً عن هذا الحدث الكبير ، وكم انا بشوق لأعرف ماذا تفكر به ؛ وكذلك أراهن بأن ذلك يفعمها شوقاً وغبطة . وهكذا سأكيّف حالتي الصحية بعد الآن حسب الانطباع الذي ستأخذه عني .

ها أنت يا صديقتي الحسنة مطلعة على شؤوني مثلي . وأود لو تكون عندي اخبار اكثر امتاعاً لاطلاعتك عليها. وأرجوك ان تصدقني، انني -للحصول على المتعة التي اعد نفسي بها - اعتمد كثيراً على المكافأة التي انتظرها منك .

١١١

## من الكونت دي جيركور إلى السيدة دي فولانج

باستيا (\*) في ١٠ تشرين الأول ?? ١٧

كل شيء هنا يا سيدتي ، يبعث على الاطمئنان كما يبدو ، ونحن ننتظر من يوم الى آخر ان نحصل على اذن بالعودة الى فرنسا ، وآمل ألا يتبادر اليك شك في أنني ما زلت على العهد والتعجيل في أن اعود ، لكي اوثق الروابط التي يجب ان توحدني بك وبالآنسة دي فولانج، وفي الاثناء فإن ابن عمي الدوق دي... الذي تعرفين كم انا مدين اليه بالاحترام ، قد استدعاني لزيارته في

---

\* عاصمة جزيرة كورسيكا .

نابولي ، وهو يعلمني انه ينوي ان يمر بروما ، ويشاهد في طريقه الجزء الذي لا يعرفه بعد من ايطاليا . وهو يدعوني لمرافقته في هذه الرحلة التي ستستغرق حوالي ستة اسابيع او شهرين . ولا اخفي عليك أنه لما يسرني جداً ان انتهر هذه الفرصة ، لعلمي انني متى تزوجت لا أستطيع أن ابتعد اكثر مما تقضيه وظيفتي إلا بصعوبة . ولعله ايضاً سيكون من الأنسب ان ننتظر الشتاء للاحتفال بهذا الزواج . لأن اقربائي لا يستطيعون ان يكونوا جميعاً في باريس الا في هذه الفترة ، وبصورة خاصة المركز دي . . الذي آمل ان اعرفك عليه . وبالرغم من هذه الاعتبارات القوية ، فان مشاريعي من هذه الناحية تتوقف على مشاريعك . ومتى وضعت ترتيباتك فإنني مستعد للتخلي عن مشاريعي ، ارجوك فقط ان تطلعيني في اقرب فرصة ممكنة على نواياك بهذا الصدد . وسأنتظر جوابك هنا ، وعليه فقط يتوقف مسلكي .

انني ، يا سيدتي ، مع الاحترام ، ومع العواطف التي تليق بك انقدم اليك الخ... الخ...

**الكونت دي جير كور**

١١٢

رسالة مملاة

**من السيدة دي روزموند الى الرئيسة تورفيل**

قصر... في ١٤ تشرين الأول

لم اتلق الا الآن فقط ، يا عزيزتي الحسنة ، رسالتك المؤرخة في ١١ \* وما تضمنته من معاتبات رقيقة . وافقي اذن على انه كان بودك ان تقدمي المزيد منها . وانك لو لم تتذكرني انك «ابنتي» لكنت حقيقة أنثتني . ومع ذلك ستكونين

\* لم يعثر على هذه الرسالة .

ظالمة ! إن ما جعلني أؤجل الكتابة اليك من يوم الى آخر هو رغبتى واملى في ان اتمكن من الاجابة عليك بنفسى . وترين اننى حتى اليوم مضطرة الى الإستعانة بيد خادمى . ذلك ان داء المفاصل اللعين قد عاودنى ، والمحصر هذه المرة في ذراعى الايمن ، وانا الآن مشلولة اليد تقريباً . هذه هي نتيجة اتخاذك صديقة عجوزاً انت الصبية النشيطة المنتعشة ! إذ أنك تتألمين بسبب عوارضها الصحية . اعدك حالما تتخلى عنى آلامى بأن اكتب اليك مطولاً . وبالانتظار ، اعلمى جيداً اننى تلقيت رسالتك اللتين ضاعفتا من صداقتى المخلصة نحوك . ولن اكف عن الاهتمام بحبوية بكل ما يهكم .

ان ابن اخى هو ايضاً متوعك الصحة ، ولكن دون أى خطر ودون ان يبعث مرضه على القلق . بل هو عارض خفيف ربما نتج عما حدث من تأثير في مزاجه لا في صحته . ونحن لا نراه تقريباً ابداً .

إن رحيلك واعتكافه قد أزالا جو المرح الذي كان مسيطراً على اجتماعاتنا . والصغيرة فولانج بصورة خاصة تشتاق اليك ، وهي لا تكف عن التثاؤب طول النهار حتى لتكاد تبلع قبضتها ، ثم انها تشرنق بالنوم بعد الظهر كل يوم . الوداع يا حسناى العزيزة ، اننى دوماً صديقتك المخلصة وامك وشقيقتك ، اذا سمح لي عمري الكبير بهذه الصفة ، واخيراً سأظل متعلقة بك بأرق المشاعر .

**التوقيع : ادلايد عن السيدة دي روزموند**

١١٣

**من الموكيزة دي ميرتاي الى الفيكونت دي فالمون**

باريس في ١٥ تشرين الأول ?? ١٧

اعتقد ان من الواجب ان اندرك ، ايها الفيكونت بأن الناس بدأوا يهتمون بك في باريس ، وانهم اخذوا يلاحظون غيابك ، ويجزرون السبب . وقد كنت امس مدعوة الى عشاء حضره عدد كبير من المدعوبين ، وقد قيل خلاله بصورة

إيجابية أنك احتُجرت في القرية بسبب حب عاطفي عاثر الحظ : وقد ظهر الابتهاج على الأثر على وجوه جميع الذين يحسدون نجاحاتك ، وجميع النساء النساء اللواتي أهملتهن . وإذا صدقتني لما تركت هذه الاشاعات الخطيرة تتجسم ، وحضرت حالاً لكي تحطمها بحضورك .

فكتر بأنك لو تركت الناس يفقدون فكرة انه لا احد يستطيع ان يقاومك ، فستشعر قريباً ان الكثيرات سيقاومنك فعلاً بكل سهولة ، وان خصومك سيفقدون احترامهم لك ، ويجرأون على محاربتك : لان أي واحد منهم لا يعتقد انه أقوى من الفضيلة ؟ فكتر بصورة خاصة انه من بين جميع النساء اللواتي اعلنت انتصارك عليهن ، ستحاول أولئك اللواتي لم تمتلكن أن يخدعن الرأي العام بصددك ، بينما ستحاول الأخريات أن يستغلنه . واخيراً يجب ان تنتظر ان يقدرك الناس ربما أقل من قيمتك ، بدلا مما كنت اكثر حتى الان .

عد اذن ايها الفيكونت ، ولا تضحي بسمعتك في سبيل نزق عارض لا يهدف إلى شيء . فلقد فعلت كل ما نريده من الصغيرة فولانج ، والنسبة لرئيستك ، فلن تستطيع ظاهراً ، ببقائك بعيداً عنها عشرة فراسخ ، ان تجعلها تطلع عن نزوتها . هل تظن انها ستذهب فتبحث عنك هناك؟ لعلها لا تفكر ابدأ بك ، أو انها لا تفكر بك إلا لكي تهنيء نفسها على إذلالها لك . على الاقل ستستطيع هنا ان تجد بعض المناسبة لكي تظهر امام الناس بضجة ، واعتقد انك بحاجة الى ذلك . اما اذا كنت تتمسك بمغامرتك السخيفة فاني لا أرى في عودتك ما يمكن ان يضرّ بها ، بل على العكس .

وإذا كانت رئيستك «تعبدك» بالفعل كما اكدته لي مراراً ، ولم تشعر به الا قليلاً ، فان تعزيتها وسرورها الوحيدين ، هما التحدث إليها ، وان تعلم ماذا تفعل ، وماذا تقول ، وماذا تفكر ، وحتى اقل الاشياء التي تهلك . ان هذه المبادئ الصغيرة ذات قيمة كبرى ، بالنظر للحرمان الذي تشعر به . إنها فتات الحبز الذي يسقط من مائدة الغني . فهذا يهمله ، ولكن الفقير يجمعه بعناية ويتغذى به . ولكن رئيستك الفقيرة تتلقى الآن هذا الفتات ، وكلما

زاد لديها كلما قبل تعجلها للاستسلام الى شهية الباقي .

وفضلاً عن ذلك بما انك تعرف موضع اسرارها ، افلاتشك بأن كل رسالة من عمته تتضمن على الأقل عظة صغيرة، وكل ما هو ضروري لدعم تعقلها وتعزيز فضيلتها ؟ فلماذا أذن تدع مصادر لتلك بأن تدافع عن نفسها، ولهذا بأن تؤذيك ؟ ذلك ان النساء متى ما تقدمن كثيراً في السن يختلفن عن اولئك اللواتي ما زلن يتأرجحن بين الفتوة والكهولة . وقد عرفت دوماً ان اختار صديقاتي بين العجوزات بدلاً من الكهلات لأن هؤلاء يستطعن ان يقدرن مصاعب الصبيات اكثر من سواهن ، كما ان لشهادتهن قيمة في تكوين السمعة العطرة لكل امرأة تحرص على ذلك ؛ ولأعد الآن الى الصغيرة .

اذ على الرغم من الجدل الزائد الذي تبدو انك تشعر به نحو التلميذة الصغيرة ، لا استطيع ان اصدق انها يمكن ان تدخل ضمن مشاريعك . لقد وجدتها تحت يدك فتناوتها : فليكن ! ولكنها لا يمكن ان تشكل بالنسبة اليك ميلاً خاصاً . كما انها في الحقيقة ليست متعة كاملة : لانك لا تملك ابداً سوى جسدها ! ولا اريد ان اتحدث عن قلبها الذي لا اشك بأنك لم تهتم به ابداً : ولكنك ايضاً لا 'تشغل تفكيرها وعقلها . ولا ادري اذا كنت قد لاحظت ذلك . ولكنني وقعت على الدليل في رسالتها الأخيرة التي كتبتها إلي \* وها أنا أعيدها اليك لكي تحكم بنفسك . لاحظ إذن انها حين تتحدث فيها عنك تقول السيد دي فالمون ، بينما تذهب جميع افكارها - حتى التي تولدها انت في نفسها - الى دانسني الذي لا تدعوه السيد ، بل يرد اسمه دائماً دانسني فقط ، ومن هذه الناحية فإنها تميزه عن جميع الآخرين ، وحتى باستسلامها اليك فانها لا ترفع الكلفة الا معه . واذا بدت لك مثل هذه الغزوة جذابة ، وجعلتك المتع التي تمنحك اياها تتعلق بها ، فإنك حقيقة متواضع جداً ولست صعباً ! اما ان تحتفظ بها فانا موافقة ، وهذا يدخل ضمن خططي ، ولكن يبدو لي ان ذلك لا يستحق ان يستغرق من وقتك ربع ساعة ، وانه يجب ان تفرض سلطانك عليها ، ولا تسمح لها مثلاً بان تقترب

\* راجع الرسالة رقم ١٠٩

من دانسي الا بعد أن تجعلها تنساه قليلاً .

وقبل ان اتوقف عن الاهتمام بك ، لكي اتحدث عن نفسي ، أودُّ ان اقول ان حجة المرض التي اعلنت عنها ليست جديدة ، بل هي معروفة جيداً ، وقد استعملها الكثيرون قبلك . في الحقيقة يا فيكونت لم تخترع شيئاً جديداً ! اما انا فانتني اكرر نفسي في بعض الاحيان ، كما ستري ولكنني أحاول انقاذ نفسي بالتفاصيل ، لا سيما ان النجاح يبررني . وهكذا سأحاول القيام ايضاً بنجاح آخر ، وأجازف بمغامرة جديدة وأعترف انها لن تتميز بالصعوبة ، بل على الأقل ستكون تسلية جديدة لي ، لانني اتضجر حتى الهلاك .

لست ادري لماذا أصبح بيلروش منذ مغامرة بريغان لا يطاق . فلقد ضاعف اهتمامه وحنانه وتقديره نحوني الى درجة لم أعد احتملها . وقد بدا لي غضبه في البداية متمماً ، ومع ذلك كان لا بد من تهدئته والا كان قد ورطني لو تركته يفعل . ولم يكن هناك من سبيل لإفهامه بالحسنى . فقررت إذن ان أظهر له المزيد من الحب ، لكي أصل إلى الهدف بسهولة . ولكنه أخذ الأمر بصورة جدية ، ومنذ ذلك الحين ما فتىء يرهقني بجذله المفرط الدائم . وانني ألاحظ بصورة خاصة الثقة المهينة التي يأخذها عني ، والاطمئنان الذي ينظر به إليّ كما لو كنت ملكه الى الأبد . وانا في الحقيقة مذلولة ، ولا اشعر نحوه باستلطاف قوي اذا كان يعتقد انه يستطيع أن يجعلني اثبت على حبه ! الم اقل لك اخيراً انني لن احب احداً مثله ؟ آه . من اجل ذلك ، كنت بحاجة الى كل حيطتي لكي لا اخدعه على الفور ، بقولي له ماذا يساوي . انه اكيداً رجل ممتع لكي يكون له حق امتياز خاص ! واعترف أنه حسن التكوين وذو وجه جميل : ولكن اذا حكمت عليه كلياً ، فهو ليس سوى مناورة حب . واخيراً لقد حان الوقت لكي نفترق .

وهكذا بدأتُ أحاول ذلك منذ خمسة عشر يوماً ، وقد استخدمتُ على التوالي : البرودة ، والذوق ، والغضب ، والمشاجرات ، ولكن حضرة الرجل العنيد لا يريد ان ينفك عن استلطافي . لا بد إذن من اتخاذ قرار أشد عنفاً .



والنتيجة سأصطحبه معي الى ريفي الجميل. وسنذهب بعد غد. ولن يكون معنا سوى بضعة أشخاص غير مهمين قصيري النظر ، وستكون لدينا هناك حرية اكثر مما لو كنا وحدنا . وهناك سأشحنه بالحب والمداعبات الى درجة تنوء بها طاقته وسنعيش وحدنا من اجل ذلك ، بحيث اراهن أنه سيرغب اكثر مني في إنهاء هذه الرحلة التي يبدو الآن متحمساً لها أشد الحماس . واذا لم يعد منها أشد سأمًا ورضى مني فسأعترف عندئذ انني لا اعرف اكثر منك .

ان سبب هذا النوع من الاعتكاف هو رغبتني في الاهتمام بصورة جدية في قضيتي الكبرى المعروضة على المحاكم ، والتي سيصدر الحكم فيها في بداية هذا الشتاء . إنني مسرورة جداً لذلك ، لأنه من المزعج ان تكون كل ثروتي في الهواء . وليس لانني قلقه من هذا الحدث : بل لأنني أولاً على حق ، ويؤكد لي ذلك جميع محامي . واذا لم افز بهذه الدعوى فعناه أنني في الحقيقة عديمة الدهاء بتاتاً. لأن خصومي ليسوا سوى اطفال قصر مع وصيهم العجوز ! وبما انه يجب عدم اهمال شيء في دعوى يمثل هذه الأهمية ، فسيكون معي فعلاً اثنان من محامي . افلا تبدو لك هذه الرحلة مرحلة ؟ وهكذا اذا جعلتني هذه الرحلة افوز في دعواي ، وأخسر بيلروش فانني لا اكون قد اضعت وقتي سدى .

إحزر ايها الفيكونت في الوقت الحاضر من سيكون الخلف ، انني اراهن معك عليه بثمة مقابل واحد ... ولكن حسناً ، لعلمي بأنك لن تحزور ابداً شيئاً فاني اعلنه لك: انه دانسنى ! انت مندهش اليس كذلك؟ لأنني أخيراً لم اصل الى درجة تربية الاولاد ، ولكن هذا يستحق بأن يستثنى . فهو لا يملك سوى فضائل الفتوة لا طيشها . وان تحفظه الكبير في المجتمعات يلائني جداً لإبعاد جميع الشبهات ، اذ يجده الجميع لطيفاً عندما ينساق في حديث خاص على انفراد مع شخص آخر. ولا يعني ذلك أنني حصلت منه على شيء ، اذ لست الآن سوى محط أسراره .

ولكن تحت ستار هذه الصداقة أعتقد انني أرى لديه ميلاً قوياً نحوي ، وأعتقد انني أشعر ببيل كبير نحوه أيضاً . وسيكون من المؤسف جداً ان يضحى

بكل مواهبه وذكائه من اجل هذه الغيبة فولانج ! وآمل ان ينخدع بأعتقاده انه يجبها . وهي أبعد ما تكون جدارة به؟ ليس لأنني غيورة منها ، بل سيكون الأمر انتحاراً ، وارىد ان انقذ دانسني من ذلك . أرجوك اذن أيها الفيكونت ان تبذل جهودك اثناء رحلتي لكيلا يقترب من « سيسيلته » كما يجب ان يدعوها غالباً . ذلك أن للهوى الأول دائماً سلطاناً اقوى مما يُظن ، ولن اكون واثقة الآن من شيء اذا عاد فرأها الآن ، لاسيا اثناء غيابي . وسأتولى لدى عودتي الأمر بنفسي واكون مسؤولة عن كل شيء .

وقد فكرت بأن اصطحب هذا الفتى معي : ولكنني وجدت انني سأضحى من اجله باحتراسي العادي . ثم سأخشى ان يلاحظ ايضاً وجود علاقة ما بيني وبين بيلروش . وسأكون في يأس اذا ما ساورته اقل فكرة عما يجري . وانني اود أن اقدم إليه نفسي طاهرة دون لطخة كما يتصورني في خياله . لأكون حقيقة جديرة به .

## ١١٤

### من الوئيسة نوفييل إلى السيدة دي ووزموند

باريس في ١٦ تشرين الأول ١٧??

صديقتي العزيزة ، انني استسلم لقلقي الحاد ، دون ان اعلم اذا كنت في حالة تسمح لك بالرد عليّ . اذ لم اتمكن من منع نفسي من سؤالك . ذلك ان صحة السيد دي فالمون التي تقولين لي عنها انها « ليست خطيرة » لاتجعلني في اطمئنان مماثل لما تبدينه عليه ، وليس من النادر ان تكون الكتابة والقرف من الناس ، هما من العوارض المسبقة لبعض الامراض الخطيرة ، لأن آلام الجسم كآلام الروح تحمل المرء على الرغبة في العزلة ، وغالباً ما يُبلام أحدهم على مزاجه بدلاً من أن يُرثى له على آلامه .

يبدو لي ان عليه ان يستشير على الأقل احد الاطباء . ثم كيف لا يوجد الى

جانبك طبيب وانت نفسك مريضة ؟

ومن رأي طبيبي الذي رأيتَه هذا الصباح واستشرته بصورة غير مباشرة كما لا اخفي عليك ، ان هذا العارض المفاجيء بالنسبة للشخاص الذين هم عادة نشيطون لا يجوز إهماله ، وكما قال لي ايضاً ان مثل هذه الأمراض لا تتجح فيها العلاجات ، اذا لم تؤخذ في الوقت المناسب . ولماذا تجعلين شخصاً يعز عليك يترك نفسه لهذه المجازفة ؟

ان ما يضاعف قلقي هو انني منذ اربعة ايام لم اتلق منه أية اخبار . يا إلهي ! افلا تكوني قد خدعتني بصدحالته ؟ لماذا توقف عن الكتابة إلي فجأة ؟ واذا كان السبب في ذلك فقط ناتجاً عن إصراري على اعادة رسائله ، فاعتقد انه كان بإمكانه أن يتخذ هذا القرار قبل هذا الحين ، واخيراً دون ان أوثر بالتشاؤم فاني أشعر منذ بضعة ايام بكتابة تخيفني . آه ربما اكون على عتبة أعظم مصائبي ! انك لن تستطيعي ان تتصورني - وإني لاجلئ بأن اقول لك ذلك - كم انني متألدة لعدم وصول رسائله التي كنت مع ذلك ارفض قراءتها ، اذ كنت متأكدة على الاقل انه مهم بي ! وكنت ارى شيئاً ما يأتي منه . انني لم اكن افتح هذه الرسائل ، بل كنت ابكي وانا انظر اليها . وكانت دموعي ارق واسهل ، وهذه وحدها كانت تزيل عني العذاب الذي اعانيه منذ سفري . انني استحلفك يا صديقتي العزيزة بأن تكتبي الي بنفسك حالما تستطيعين . وبالانتظار تكرمي باطلاعي كل يوم على اخبارك واخباره .

ألاحظ انني لم أقل سوى كلمة واحدة لك ؛ ولكنك تعرفين عواطفني نحوك وتعلمي بك دون تحفظ ، واعترافي بجميل صداقتك الحساسة ، ولا شك بأنك تسامحينني على هذا الغم الخفيف الذي جعلني اخشى على آلام لعلني انا مصدرها . يا إلهي ان هذه الفكرة اليائسة تلاحقني وتحز في قلبي ، اذ كانت هذه المصيبة تنقصني بعد . وأشعر انني ولدت لكي اعانيها كلها .

الوداع يا صديقتي العزيزة ، أحببيني ، وارثي لي ، هل احصل على رسالة منك اليوم ؟

## من الفيكوت دي فالون الى المر كيزة دي ميرتاي

قصر ... في ١٩ تشرين الاول ١٧??

حقاً ان الامر غير مفهوم ، يا صديقي الحسنة ، وان نكون كلما طال بمادنا  
كلما بدا من الصعب علينا ان نتفاهم . لانني حين كنت بقربك ، لم يكن لدينا  
سوى شعور واحد ، وطريقة واحدة في التفكير ، ولكن ما ان مضى علي ثلاثة  
اشهر لم ارك فيها ، حتى اصبحت انت في واد وانا في واد آخر ، ولم نعد نتفق في  
الرأي على شيء . من منا اذن على خطأ ؟ انك لن تترددى اكيداً في الجواب ؛  
ولكنني انا ، الاكثر تعقلاً ، والاكثر تهديباً ، لن اقرّك على ذلك ، بل اريد  
فقط ان اجيب على رسالتك ، واتابع عرض مسلكي .

أشكرك اولاً على الرأي الذي عرضته عليّ في ما يتعلق بالاشاعات التي  
تنتشر حولي ، ولكنني لا اقلق لها ، لانني اظن نفسي واثقاً من ان احصل  
قريباً على ما يوقف هذه الاشاعات عند حدها . كوني مطمئنة ، فلن  
اظهر من جديد في المجتمعات إلا وأنا اكثر شهرة مما كنت عليه حتى الآن  
ودائماً اكثر جدارة بك من قبل .

ارجو ان يحسب الناس مع ذلك حساباً ضئيلاً لمغامرتي مع الصغيرة دي  
فولانج التي تبدين انك تقللين كثيراً من شأنها ، كما لو كانت لا شيء بنظرك .  
فهل يعتبر لا شيء اختطاف فتاة في ليلة واحدة من عشيقها المحبوب ، واستخدامها  
على الاثر كما اشاء ، وبصورة مطلقة كما لو كانت ملكي ، دون حرج ، وان  
احصل منها على ما لا يجروء احد ان يطلبه من جميع الفتيات اللواتي يقمن بهذه  
المهنة ، ودون ان احوّلها ابدأ عن حبها الرقيق ، ودون ان اجعلها غير ثابتة  
على عهدّها ، حتى ولا خائنة ، لأنني بالفعل لا اشغل قط عقلها ! بحيث انني متى  
اقلعت عن نزوتي هذه ، سأعيدها إلى عشيقها ، اذا صح هذا القول ، دون ان  
تلاحظ شيئاً . اجل هل يكون ذلك عملاً عادياً جداً ؟ ثم ، صديقي ، متى

خرجت من بين يديّ ، فان المبادئ التي لقيتها اياها ستتمو لديها كثيراً ، وأتكن بأن التلميذة الخجول ستنتقل في سبيل جدير بأن يشرف معلمها .  
اما اذا كان الناس مع ذلك يفضلون النوع البطولي من المغامرات ، فسأدلمهم على الرئيسة ، هذا النموذج الذي يُستشهدُ به على جميع الفضائل ، ويحترمها حتى أكثر شباننا اباحيةً إلى درجة انهم تخلوا حتى عن فكرة مهاجمتها ! أقول سأدلُّ عليها ، وهي متناسية واجباتها وفضيلتها ، مضحية بسمعتها وبسنتين من التعقل ، لتركض وراء سعادة ارضائي ، وتنتشي بسعادة ان تحبني ، واجدةً نفسها مِعْوَصَةً عن كل تضحياتها بكلمة واحدة ونظرة واحدة مني ، ولن تحصل عليها دائماً ، وسأفعل اكثر من ذلك ، سأتركها ، ولن تعرف هذه المرأة ان يكون لديها خلف لي : بل ستقاوم المؤاساة عند الحاجة ، وعادة المتعة ، والرغبة في المقاومة . واخيراً فلن تعيش إلا لي ، وإن حبها - لو طال أو قصر - سأكون انا الوحيد الذي فتح بابه واقفله . وهكذا متى توصلت الى تحقيق هذا الانتصار سأقول إلى خصومي: إنظروا الى ما صنعته يديّ ، واجثوا في طول القرن وعرضه عن أمثلة ثانية !» .

ستسأليني من أين واتاني هذا الافراط في الثقة ؟ ذلك انني منذ ثمانية ايام اصبحت مطلعاً على اسرار حسناي . وهي لم تطلعني على اسرارها بنفسها ، ولكنني فاجأتها : رسالتان منها إلى السيدة دي روزموند كانتا كافيتين لاطلاعي على كل شيء . ولم أعد أقرأ الرسائل الباقية إلا من قبيل الفضول . ولم أعد بحاجة لكي انجح الا إلى الاقتراب منها . وقد أعددت وسائل وسائلي وأساعها قريباً موضع التنفيذ .

أعتقد أنك فضولية ؟ ولكن لا... سأقاصصك بحرمانك من معرفتها ، على عدم الايمان باختراعاتي ، ومهما يكن فانك ستستحقين ان اسحب ثقتي منك ، على الاقل في ما يتعلق بهذه المغامرة ، وبالفعل لولا الثمن العذب الذي علقته انت على نجاحها ، لما كنت حدثتك عنها مطلقاً . انت ترين انني غاضب . ومع ذلك املاً في ان تتداركي موقفك فإنني اتمسك بهذه العقوبة الخفيفة ، واعود إلى تساهلي ، فأنسى

مشاريعي الكبرى ، لكي افكر بمشاريعك معك .

إذن ها انتِ في الريف مُضجّرة ومضجّرة ! ثم لا تكتفين بتجريح هذا المسكين ماء النسيان بل بمنحه فيضاً يُغرقه ويجعله في حيرة وتساؤل . كيف يجد نفسه ؟ هل يتحمل غثيان الحب ؟ كم أتعنى ان يصبح اكثر تعلقاً بك ، وسأكون فضولياً لأن أعرف اي دراء فعال ستستخدمينه عندئذ للتخلص منه . في الحقيقة انني أرثي لك لاضطرارك الى اللجوء الى هذه الطريقة ، وانا في حياتي كلها لم امارس الحب إلا مرة واحدة بصورة قهرية . وكان لديّ سبب قوي لذلك ، لأنها كانت الكونتيسة دي ... وقد حاولت عشرين مرة وانا بين ذراعيها ان اقول لها « انني اتخلى يا سيدتي عن المكان الذي اطلبه ، واسمحي لي أن اغادر المكان الذي أحتله » . ولذا فإنها الوحيدة - بين جميع النساء اللواتي امتلكتهن - التي يسرنى حقيقة ان أذكرها بالسوء .

اما ما لديك من سبب فإنني اجده حقيقة على شيء كثير من السخف النادر ، ولديك حق بان تعتمدي انني لن احزر الخلف . ماذا ! من اجل دانسني تبذلين كل هذا العناء ؟ آه يا صديقتي العزيزة ، دعيه يعبد سيديلته « الفاضلة العفيفة » ، ولا تورطي نفسك في لعبة الاطفال هذه ، دعي التلاميذ يتمرنون اولاً مع « الخادومات » أو يلعبون مع التلميذات الداخليات « اللعب الصغيرة البريئة » . ماذا يفيدك أن تتكفلي بفتى ساذج لا يعرف كيف ينالك ولا كيف يتركك ، ولا بد لك ان تفعلي معه كل شيء ! اقول لك يجد انني لا اقرك على هذا الاختيار ، ومهما حافظ على كتمان السر ، فانه سيدلتك على الأقل بنظري وفي ضميرك .

تقولين أنك تشعرين بميل قوي نحوه ؛ انت تخدعين نفسك اكيراً ، واعتقد انني اكتشفت سبب خطأك . فقد اعتراك هذا الاشتماز القوي من بيلروش في فترة ملل ، ولم تقدم لك باريس مجالاً للاختيار ، وهكذا وقعت افكارك الحادة دوماً على اول شخص صادفته . ولكن فكّرتي بأنك لدى عودتك تستطيعين أن تختاري بين ألف شاب . واذا كنتِ اخيراً تخشين البقاء دون نشاط فيما

تحاولين التأجيل ، فانتني اعرض نفسي عليك لكي اسلّي اوقات فراغك .  
من الآن حتى تعودين ، اكون قد تحلّصت من مشاغلي بطريقة أو بأخرى ،  
ومن المؤكد عندئذ انها لا الصغيرة فولانج ، ولا الرئيسة ستشغلانني عنك ،  
وتحرامانني من ان اكون لك بقدر ما ترغبين . ولعلي حتى ذلك الحين ، اكون  
قد سلمت الصغيرة الى عشيقها اللبق . وانني لا اتفق معك ، مهما تقولين ، على  
انها ليست متعة جذابة ، ولكن بما انني نويت ان اجعلها تحتفظ عني طوال  
حياتها بفكرة متفوقة على جميع الآخرين ، فقد انسقت معها في نهج مرهق لا  
استطيع ان استمر فيه طويلا دون ان اؤذي صحتي . ومنذ الآن لم اعد ارتبط  
معا إلا بما يفرضه الاهتمام بالشؤون العائلية .

انك لا تفهمينني؟ .. ذلك انني أنتظر فترة اخرى لكي اؤكد أملي ، واطمان  
الى انني نجحت في خططي . أجل يا صديقتي الحسنة لديّ الآن اول دليل على  
ان زوج تلميذتي المقبل لا يستطيع ان يجازف بالموت في سبيل مثل هذا الازدهار .  
وان رئيس اسرة جير كور المقبلة لن يكون سوى رجل ثانوي بالنسبة لاسرة دي  
فالون . ولكن دعيني أختّم حسب نزقي هذه المغامرة التي لم اقم بها إلا بناءً  
على رجائك . وفكّرتي بأنك اذا جعلتِ دانسني متقلبا في هواه ، فانك تنزعين  
بذلك كل متعة هذه القصة . واعتبري اخيراً انني - بعرض نفسي لكي أمثله  
عندك - اعتقد ان لي بعض الحقوق في الافضلية .

أنني اعتمد على ذلك بحيث أخشى ان أعارض آراءك . وذلك بمساهمتي بنفسي  
في زيادة حدة الغرام العنيف للعاشق المتيم نحو الشخص الاول الجدير باختياره .  
وهكذا حين وجدت حضيفتك أمس منمكة في الكتابة اليه صرفتها اولاً عن  
هذا الانهالك العذب بآخر اكثر عذوبة ، ثم طلبت اليها بعد اطلعت على رسالتها  
ووجدتها باردة ومخيفة ، ان تكتب اليه رسالة غيرها من املائي ، وقد اقمعتها  
بأنها يجب ألا تؤاسي عشيقها بهذه الطريقة . وهكذا حاولتُ أن اقلّد على قدر  
الامكان اسلوبها فغذّيتُ غرام الشاب بأمل اكيد . وكانت الصغيرة جذلة جداً  
إلى درجة انها كما قالت لي ، كانت تريد ان تقول له ذلك . ومن الآن فصاعداً

سأتكفل بمراسلتها . وأي شيء لم افعله في سبيل دانسني ؟ لقد كنت في آن واحد صديقه ، وموضع أسراه ، ومزاحمه ، وعشيقته ! وكذلك في الوقت الحاضر أخدمه بإنقاذه من علاقاتك الخطرة . اجل الخطرة ، لان امتلاكك ثم هجرانك معناه شراء فترة من السعادة مقابل حسرات أبدية .

الوداع يا صديقتي الحسنة ، تشجعي على التخلص من بيلروش في اقرب وقت ممكن ، ودعي دانسني . واستعدي لأن نستعيد الذمّ متع علاقتنا الاولى .  
اهنئك سلفاً بالحكم المقبل على دعواك الكبرى ، وسأكون سروراً لأن يأتي هذا الحدث السعيد على عهدي .

١١٦

### من الفارس دانسني الى سيسيل فولانج

باريس في ١٧ تشرين الأول ?? ١٧

لقد سافرت السيدة دي ميرتاي هذا الصباح الى الريف ، وهكذا يا سيسيلتي الفاتنة اجد نفسي محروماً من المتعة الوحيدة التي بقيت لي في غيابك ، وهي متعة التحدث عنك مع صديقتك وصديقتي في آن واحد . إذ سمحت لي منذ وقت قليل بهذه الصفة . وقد اغتنمت الفرصة بكثير من الحماسة ، لأنه بدا لي انني استطيع بواسطتها ان ازداد اقتراباً منك . يا ألهي كم ان هذه المرأة لطيفة ! ويبدو ان هذه العاطفة العذبة تقوى وتتجمل عندها مكان كل ما ترفضه من حب . لو تعلمين كم تحبك ، وكم تطرب لسماعي احدثها عنك !... وهذا بدون شك ما يجعلني اتعلق بها ، يا لها من سعادة ان يتسنى لي العيش من اجلكما ، وان اشعر باستمرار بعذوبة الحب ، ومتع الصداقة ، وان اكرس كل حياتي في سبيل ذلك ، وان اكون نوعاً ما نقطة التقاء لتعلقكما المتبادل ، وان اشعر دائماً انني باهتمامي بسعادة احدا كما اعمل ايضاً على إسعاد الاخرى ! أحيي ، أحيي كثيراً يا صديقتي الفاتنة هذه المرأة المعبودة ، وشاطريني بكل قواك تعلقني بها .



إنني ما ان تذوقت روعة الصداقة حتى تمنيت ان تشعرى بها انت بدورك. إن المباح  
التي لا اتمتع بها معك تبدو لي وكأني اتمتع بنصفها. اجل يا سيسيلتي أود لو أُحيط  
قلبك بجميع المشاعر الاكثر عذوبة ، وان تجعلك كل حركة من حركاتها تشعرين  
باحساس من الصداقة . كما اعتقد انني لا استطيع ابدأ ان اطالعك الا على شطر  
من الغبطة التي اناها بواسطتك .

لماذا يجب الا تكون هذه المشاريع البديعة سوى وهم في خيالي ، ولا يقدم  
لي الواقع على العكس سوى حرمانات مؤلمة وغير محدودة ؟ أرى ان عليّ ان  
اقنع عن الامل الذي بعمته بنفسى في ان اقابلك في ريفك ! ولا تعزية لي سوى  
اقناع نفسى بأنك غير قادرة على ذلك فعلاً . ثم ها أنت تهملين ان تقولى لي وان  
تشاطريني تحمل تعاسي ! وها قد مضت مرتان وانت ترفضين الاجابة على شكاواي  
بهذا الصدد . آه سيسيل ! يا سيسيل ! أعتقد انك تحبينني بكل طاقاتك ،  
ولكن روحك ليست متحرقة كروحي ! هل ينبغي عليّ وحدي أن أزيل  
العقبات ؟ ولماذا لا تكون هي مصالحي التي يجب ان أدارها بدلاً من مصالحك ؟  
سأعرف قريباً كيف أثبت لك انه لا شيء مستحيل على الحب .

انك لا تخبريني ابدأ متى ينبغي أن ينتهي هذا الغياب القاسي . على الاقل  
هنا سأراك في بعض الأحيان ، وستحبي نظراتك الفاتنة وروحي الذالمة ،  
وسيطمنن تعبيرها المؤثر فؤادي الذي هو بحاجة إلى ذلك احياناً. عفواً يا سيسيل  
أن هذا الخوف ليس تشككاً . بل أؤمن بحبك وبثباتك على العهد ، آه !  
سأكون تعيساً جداً لو شككت . ولكن كم هناك من العقبات ، وكم تتجدد  
دائماً ! آه يا صديقتي انني تعيس ؛ تعيس جداً. ويبدو أن سفر السيدة دي ميرتاي  
قد جدّد في نفسى الشعور بجميع أشجاني .

الوداع ، يا سيسيلتي ، الوداع يا حبيبتي ، فكسري بأن حبيبك يتعذب .  
وأنت وحدك تستطيعين ان تعيدي اليه السعادة .

## من سيسيل فولانج إلى الفارس دانسي

( باملاء من فالون )

قصر ... في ١٨ تشرين الأول ?? ١٧

هل تمتد ، يا صديقي اللطيف اني بحاجة الى التأيب لأكون كشيبة تعيسة حين اعلم انك تتعذب ؟ وهل تشك في اني لا اعاني مثلك جميع آلامك ؟ لا بل أقاسمك تلك التي اسببها لك عمداً ، ولدي منها ما يزيد عنك كونك لا تنصفي ، أوه ، هذا ليس حسناً من جانبك . اني أرى جيداً ما يشير استيائك . ذلك انك في المرتين الأخيرتين اللتين طلبت إليّ فيها أن تحضر الى هنا ، لم أجيبك . ولكن هل أن هذا الجواب هو هيّن كما تعتقد ؟ هل تظن اني لا أعلم بأن ما تريده هو إثم ؟ ومع ذلك اذا كان لدي الكثير من العناء في أن ارفضك عن بعد ، فماذا سيكون عليه حالي لو كنت هنا ؟ ثم لو شئت أن أرضيك لحظة ما ، فسأظل مفاجوعة طول حياتي .

إسمع ، ليس لدي ما أخفيه عنك ، واليك أعذارى تستطيع ان تحكم عليها بنفسك . اني قد اكون فعلت ما تريده ، لولا اني اخبرك بأن هذا السيد دي جيركور الذي يسبب لنا كل حزننا لن يحضر قريباً . ولولا ان امي تبدي نحوي منذ مدة قصيرة كثيراً من الود والعطف ، وانا بدوري أدرارها على قدر الامكان . اذ من يعلم ماذا سأنالهُ ربما على يدها؟ واذا استطعنا ان نكون سعيدين دون ان يكون هناك ما ألوم نفسي عليه ، أفلا يكون ذلك من الأفضل لنا ؟ واذا صدقت ما قيل لي غالباً فان الرجال انفسهم لا يحبون جداً نساءهم الا حين يكنّ قد احببنهن جداً فهل ان يكنّ لهم . هذا الخوف غالباً ما يعاودني اكثر من كل شيء . ألت واثقاً يا صديقي من فؤادي . ثم ألن يكون لدينا دائماً وقت للحب ؟

إسمع ، اني اذا لم اتمكن من تجنب مصيبة الزواج من السيد دي جيركور الذي أصبحت اكرهه جداً سلفاً قبل ان اعرفه ، فلا شيء سيمنعني من ان اكون

لك بقدر ما استطيع ، لا بل وقبل كل شيء ، وبما انني لا اقلق من ان اكون  
محبوبة الا من جانبك ، وانك سترى جيداً اذا كنت ارتكب إثماً ، فلن يكون  
الذنب ذنبى ، والباقي لا يهمني ، شرط ان تعديني بانك ستحبنى دوماً كما تفعل  
الآن . ولكن دعني يا صديقي أستمر في ما أفعله ، ولا تطاب مني شيئاً اكثر مما  
أجد ان لدي اسباباً وجيهة لكي لا افعله ، ومع ذلك يحزنني ان أرفضه لك .  
انني أبغي جيداً ألا يكون السيد دي فالمون اكثر تعجلاً من اجلك ، لان  
ذلك سيسجيني ايضاً . آه ، ان لك هنا صديقاً طيباً ، أوكد لك ذلك ، وهو يفعل كل  
شيء كما لو كنت تفعله بنفسك ! ولكن الوداع يا صديقي العزيز ، لقد بدأت  
الكتابة اليك في ساعة متأخرة ، وأريد الآن ان انام لأعوض الوقت المهدور .  
أقبلك ، ولكن اياك ان تؤنّبني .

## ١١٨

### من الفارس دانسي الى الموكيزة دي ميرتاي

باريس في ١٩ تشرين الأول ؟؟ ١٧

إذا صدقت تقويمي ، فانه لم يضر ، يا صديقي المعبودة ، سوى يومين فقط  
على غيابك ، ولكن اذا صدقت قلبي ، فقد مضى على غيابك قرنان . بينما قلت لي  
ان على المرء ان يصدق قلبه . اذن لقد حان الوقت لكي تعودني ، وان تكون  
جميع اعمالك قد انتهت . كيف تريد ان اهتم بدعواك لدى القضاء ان خسرت  
أو رجحت اذا كان علي ان اكابد مشقات السأم في غيابك ؟ وسأقول كما قال ذلك  
« النافر من البشر » \* « إخسري دعواك وكوني امينة على عهدي » .

أليست هذه خيانة حقيقية ، لا بل خيانة سوداء ، ان تتركي صديقك بعيداً  
عنك ، بعد ان عودته على ألا يستطيع العيش بدونك ؟ بإمكانك ان تستشيرني  
بحامييتك ، فلن يجدا اي مبرر لهذا التصرف . ثم ان هؤلاء لا يحكمون عادة .

\* رواية لموليير ، واسكن هذا القول منسوب لموليير ولم يرد في روايته المذكورة .

سوى العقل . والعقل وحده لا يكفي للحكم على المشاعر .

لقد قلت لي مراراً أنك تقومين بهذه الرحلة بدافع العقل ، مما جعلني الان على خصومة معه ، ولا أريد ابدأ أن اصفي اليه حتى ولو أملى عليّ وجوب نسيانك . أن هذا التفكير هو ايضاً منطقي ، وفي الواقع لن يكون من الصعب جداً أن تستطيعي تصديقه . اذ يكفي فقط ان تجعليني اقلع عن عادة التفكير بك دائماً ؟ واؤكد لك ان لا شيء هنا سيدكرك بي .

ان اجمل نساءنا ، اولئك اللواتي يقال عنهن انهن اشدهن لطفاً ، ما زلن بعيدات جداً عن مضاهاتك ، ولا يستطعن أن يعطين عنك سوى فكرة ضئيلة جداً . واعتقد ايضاً - مع النظرات المدربة - انه كلما خيل إليّ انهن يشبهنك ، كلما وجدت انهن مختلفات عنك كل الاختلاف . وبامكانهن أن يبذلن كل جهدهن ليكن جميلات ولكن سيعوزهن دائماً شيء ما لكي يصبحن مثلك ، وهنا تكن الروعة . لسوء الحظ حين تكون النهارات طويلة وحين لا يكون عندي ما يشغلني ، فاني احلم وابني قصوراً على الرمال ، واخلق اوهامي ، وما يلبث الخيال ان يتجسم : اذ نريد ان نزيّن ما صنعته ايدينا ، فنجمع كل ما يمكن ان يعجب ، حتى نتوصل اخيراً الى درجة الاتقان . وما ان اصبح هنا ، حتى تنطبق الصورة على النموذج ، فاذا بي منشده لأن أرى بأنني لم افكر إلا فيك .

في هذا الوقت ايضاً ، ما زلت ضحية خطأ مماثل . لعلك تظنين انني اخذت اكتب اليك لكي اهتم بك ؟ كلا على الاطلاق: بل لكي اصرف النظر عن التفكير فيك . فقد كانت لديّ اشياء كثيرة لأقولها لك لم تكوني انتِ موضوعها ، وهي كما تعلمين ، تهمني بجرارة . تلك هي التي كانت تلهيني . ومنذ متى تلهي فتنة الصداقة إذن عن فتنة الحب ؟ آه ! لو انني نظرت الى الأمر عن كسب لمالي اتعرض للملأمة صغيرة . ولكن صه ! ولننس هذه الغلطة الخفيفة خشية ان اقع بها من جديد ، وان كانت صديقتي نفسها تجهلها .

وهكذا لماذا لست هنا لكي تجيبيني وتعيديني اذا ضللت الى سواء السبيل ، ولتحدثيني عن سبيلاتي ، فتزيدي ، اذا امكن ، السعادة التي أندوقها في حبها ،

عن طريق الفكرة العذبة على قلبي بأن صديقتك هي التي احبها ؟ أجل انا اعترف بأن الحب الذي توحيه هي لي اصبح اكثر جدية ايضاً ، منذ ان شئت ان تتلقي مسارتي . احب كثيراً ان افتح لك قلبي ، واحتل قلبك بعواطفني ، وأضعها فيه دون تحفظ ! ويبدو لي انني أعزتها اكثر كلما تنازلت فالتقطتها ، ثم انني انظر اليك واقول : ان كل سعادتني قد انحصرت فيك .

ليس عندي من جديد أخبرك به بصدد وضعي . والرسالة الاخيرة التي تلقيتها منها تزيد وتؤكد املي ، ولكنها تؤخره أيضاً . ومع ذلك فان حججها حنونة وشريفة جداً بحيث انني لا استطيع ان الومها او آسف من جراء ذلك . لعلك سوف لا تفهمين جيداً ما اقوله لك هنا . ولكنك لماذا لست هنا ؟ وعلى الرغم من ان المرء يقول كل شيء لصديقتة ، إلا انه لا يجروء على ان يكتب اليها كل شيء . ان اسرار الحب بصورة خاصة هي دقيقة جداً بحيث لا يمكن تركها تنطلق على هواها . واذا سمحنا احياناً باخراجها ، فيجب أن لا نبعد لها عن انظارنا . فلا بد اذن من رؤيتها تدخل الى ملجأها الجديد .

آه . عودي ، عودي اذن يا صديقتي المعبودة . أرأيت كم ان عودتك ضرورية . حاولي ان تنسي أخيراً الدوافع الكثيرة التي تبقيك حيث انت ، او اعيدي اليها دافعاً يعلمني ان اعيش حيث لست موجودة .  
لي الشرف الخ ...

١١٩

### من السيدة دي روزموند الى الرئيسة توفيل

قصر ... في ٢٠ تشرين الأول ؟؟ ١٧

على الرغم من أنني ما زلت أتألم جداً ، يا حسناتي العزيزة ، فأنتي احاول مع ذلك ان اكتب اليك بنفسني ، لكي استطيع ان اتحدث اليك عما يهمني . ما زال ابن اخي معتكفاً في غرفته ، وهو يستطلع بانتظام أخباري كل يوم .

ولكنه لم يحضر مرة واحدة للاستطلاع بنفسه ، رغم اني رجوته ذلك : بحيث انني لا أراه الآن اكثر مما لو كان في باريس . غير انني قابلته هذا الصباح ، في مكان لم اكن انتظره ابداً ، وكان ذلك في كنيستي حيث نزلت لأول مرة منذ اصابني بهذا العارض المؤلم . وقد علمت اليوم أنه يذهب منذ اربعة ايام للاستماع إلى القديس ، عساه يستمر في ذلك !

وحين دخلت تقدم نحووي وهنأني بعطف شديد على تحسن -حالي الصحية ، وبما أن القديس كان قد بدأ ، فقد اختصرت حديثي معه على ان اعترم استئنافه في ما بعد . ولكنه اخفى قبل ان اتمكن من الاجتماع به . لا أخفي عليك انني وجدته متغيراً قليلاً ، ولكن لا تجعليني يا حسناي العزيزة أندم على ثقفي بتعملك ازاء منغصات حادة ، وكوني واثقة بصورة خاصة انني افضل أن أفجئك بدلاً من ان اخدعك .

وإذا استمر ابن اخي على موقفه المزوي مني فسألتخذ قراراً في أقرب فرصة أصبح خلالها متحسنة الصحة ، واذهب لرؤيته في غرفته . وسأحاول ان استكشف سبب هذه العادة الغريبة التي اعتقد انك مسؤولة عنها نوعاً ما . وسأخبرك بما اكون قد علمته . اتركك الآن ، لانني لم اعد استطيع تحريك اصابعي . ثم اذا عرفت أدلايد بأنني كتبت اليك فستلومني طوال السهرة ، الوداع يا حسناي العزيزة .

١٢٠

من الفيكونت دي فالمون الى الأب أنسيلم

القيم على دير سانت أونوريه في باريس

قصر ... في ٢٢ تشرين الأول ?? ١٧

لم يحصل لي الشرف يا سيدي بان اكون معروفاً لديك : ولكنني أعرف الثقة التامة التي تحضك اياها السيدة الرئيسة دي تورفيل ، واعرف بالاضافة الى

ذلك كم انت جدير بهذه الثقة . اظن اذن انني استطيع دون تطفل ان اتوجه اليك للحصول على خدمة هامة جداً ، وهي جديرة حقيقة بمهنتك المقدسة ، حيث ان مصلحة السيدة دي تورفيل مرتبطة بمصلحتي .

توجد بين يديّ اوراق مهمة تتعلق بها ، ولا يمكن تسليمها الى احد . كما انني لا اريد ولا ينبغي عليّ ان اسلمها إلا اليها مباشرة . كما انني لا املك اية وسيلة لابلاغها ذلك ، لان اسباباً لملك عرفتها منها - ولا اظن انه يحق لي ان اعلمك بها - جعلتها تقرر رفض اية مراسلة معي : وهو قرار أعترف طوعاً اليوم انني لا ألومها عليه ، لأنها لم تكن تستطيع ان تتنبأ بالاحداث التي كنت أنا نفسي بعيداً عن توقعها ، والتي لم تكن ممكنة على القوة الانسانية ونحن مضطرون للتسليم بها .

ارجوك اذن يا سيدي ان تتفضل بابلاغها مقرراتي الجديدة ، وبان تطلب اليها تعيين موعد لمقابلتي بصورة خاصة ، حيث استطيع على الأقل ان استغفر امامها باعتذاراتي عن جزء من اخطائي ، وكتضحية اخيرة سأتلّف امام عينها الاثار الوحيدة الباقية عن خطأ جعلني مسؤولاً اتجاهها .

انني لا اجرؤ الا بعد هذا التفكير التمهيدي على ان اقدم عند اقدامك اعترافي اللذليل عن فسادي الطويل ، واتوسل الى تأملاتك للقيام باصلاح اكثر اهمية ايضاً ، وهو مع الأسف اشد صعوبة . هل لي ان آمل يا سيدي في الا ترفض لي هذه الجهود الضرورية الثمينة ؟ وفي ان تتنازل لدعم تحاذلي وتوجيه خطاي نحو سبيل جديد ، ارجب باخلاص في انتهاجه ، واعترف بحجل انني لا اعرفه بعد ؟ انني انتظر جوابك بنفاد صبر التائب الراغب في تدارك اخطائه ، وارجوك ان تثق بامتناني وتقديري .  
خادمك المتواضع الخ ...

**ملاحظة** - انني اسمح لك يا سيدي - لو رأيت من المناسب - باطلاع هذه الرسالة بكاملها على السيدة دي تورفيل التي اعد بأنني سأجد من واجبي احترامها طوال الحياة . ولا اكف ابدأ عن تشريف تلك التي شاءت السماء ان تجعلها تقود روحي الى الفضيلة ، برؤية فضيلتها المؤثرة .

## من المركيزة دي ميرتاي الى الفارس دانسي

قصر... في ٢٢ تشرين الاول ١٧??

تلقيت رسالتك يا صديقي الصغير جداً. ولكنني قبل ان اشكرك لا بد لي من ان اؤنبك وأندرك انك اذا لم تصلح نفسك ، فلن تحصل ابدأ على جواب مني . دع إذن - اذا شئت ان تصدقني - هذه اللهجة من الملاحظة والتلمق التي تغدو هراء ، ما ان تخرج عن نطاق الحب . فهل هذا اذن هو أسلوب الصداقة ؟ كلا يا صديقي : ان لكل عاطفة لغتها التي تتناسب معها . وان استخدام لغة محل اخرى معناه اخفاء الفكرة التي نضمها . أنا اعلم جيداً ان نساءنا الصغيرات لا يفهمن شيئاً مما يقال لهن اذا لم يترجم نوعاً ما الى هذا الهراء المألوف ، ولكنني كنت اعتقد - واعترف بذلك - انك تميزني عنهن ، انني حقيقة غاضبة ، ربما اكثر مما ينبغي لكونك اسأت الحكم عليّ .

لن نجد أذن في رسالتي ألا ما تحتاج اليه رسالتك من صراحة وبساطة . سأقول لك مثلاً : سأكون مسرورة جداً برؤيتك ، وانني مستاءة الا يكون الى جانبي سوى أناس يضجرونني بدلاً من اناس يعجبونني . ولكنك تترجم هذه العبارة على هذا الشكل : « علميني ان أعيش حيث لست موجودة » . بطريقة انك حين تكون قرب عشيقتك لن تعرف كيف تعيش الا اذا كنت انامعكها . وهذا ما يثير الشفقة . وهؤلاء النساء اللواتي « يعوزهن دائماً شيء ليصبحن مثلي » لعلك تجد ان هذا الشيء يعوز سيسيلتك ايضاً ؟ ارأيت إلى اين تقود لغة أصبحت اليوم اكثر الافراط في استخدامها احط من هراء التقريظ والثناء . ولم تعد سوى رسميات بسيطة لا تؤمن بها كما لا تؤمن بمباراة خادمك المطيع !

حين تكتب اليّ يا صديقي ، فليكن ذلك لكي تعبر لي عن طريقته في التفكير والشعور ، وليس لكي ترسل الي جلا ساعثر عليها ، دون مساعدتك ، في جميع الروايات اليومية . أرجو ألا تفضب بما ا قوله لك هنا ، حين ترى ان



ذلك بعث في نفسك الاستياء ، لأنني لا انكر ان في نفسي شيئاً من ذلك .  
ولكنك تتجنب حتى مظهر الخطأ الذي آخذه عليك ولا اقول لك ان هذا  
الاستياء ربما ازداد قليلاً بسبب بعادي عنك . ويبدو لي اذا حكمت على الأمر  
بصورة عامة انك تساوي بنظري افضل من دعوى ومحامين ، وربما افضل ايضاً  
من بيلروش الكثير العناية بي .

ارأيت أنه بدلاً من أن احزنك بغيابك ، ينبغي ان تغتبط لذلك . لأنني لم  
أوجه اليك ابداً مثل هذا الاطراء الجميل . وأظن ان العدوى سرت في ايضاً ،  
واني أخذت أبشك بعض المغازلات : ولكن كلا ، افضل ان احتفظ بصراحتي  
وهي وحدها التي تضمن لك صداقتي العاطفية ، والأهمية التي توحىها الي . انه  
لعذب جداً ان يكون لي صديق شاب قلبه مشغول بأخرى . وليست هذه  
طريقة جميع النساء ولكنها طريقتي . ويبدو لي أن المرء ينطلق يجذل مع عاطفة  
لا يمكن ان يخشى منها شيئاً . وهكذا توليت القيام منذ زمن مبكر بدور كاتبة  
اسرارك . ولكنك تختار عشيقاتك صغيرات السن جداً بحيث تجعلني ألاحظ  
أول مرة أنني أخذت اغدو كبيرة السن : انه لحسن جداً بالنسبة اليك أن تعدّ  
نفسك لحياة طويلة من الثبات . وأتمنى لك من كل قلبي ان تكون هذه  
الحياة متبادلة .

انك على صواب حين تكرس نفسك للنوازع الحنونة الناعمة ، التي تؤخر  
كما اخبرتني سعادتك . فالدفاع الطويل هو المزية الوحيدة التي تبقى لأولئك  
اللواتي لا يقاومن دائماً . وان ما لا يستطيع ان اغتفره للجميع ، باستثناء طفلة  
كالصغيرة دي فولانج ، هو عدم معرفة التهرب من خطر أنذرت به بصورة  
كافية عن طريق الاعتراف الذي صرحت به عن حبها . أما أنتم معشر الرجال  
فليست لديكم فكرة عما هي عليه الفضيلة ، وعما تكلف التضحية بها ! ولكن ما  
أن تفكر المرأة قليلاً وتعود الى عقلها ، ينبغي ان تعلم - بغض النظر عن الغلظة  
التي ترتكبها - بأن أي تخاذل من جانبها هو اكبر المصائب بالنسبة اليها . ولا  
أفهم أن تستسلم اية امرأة حين يتسنى لها لحظة التفكير بذلك .

انك لن تعدد الى محاربة هذه الفكرة ، لانها هي التي تعلقني بك بصورة رئيسية . ستنقذني من اخطار الحب ، ومع أنني عرفت بدونك أن ادافع عن نفسي من اخطاره حتى الآن فأنا اوافق على الاقرار بفضلها ، وسأحبك أحسن وأشد على هذه الصورة .

وعليه يا فارسي العزيز ، ارجو الله ان يحفظك .

١٢٢

من السيدة دي روزموند الى الرئيسة دي تورفيل

قصر ... في ٢٥ تشرين الأول ١٧??

كنت أمل يا ابنتي اللطيفة ان اتكن من تهدئة وساوسك ، ولكنني أرى باكتئاب أنني سأعد على العكس إلى زيادتها أيضاً . ومع ذلك هدئي من روعك فان ابن اخي ليس في خطر . ولا يمكن ان يقال انه حقيقة مريض . إنما يحدث لديه شيء ما فوق العادة . ولا افهم من ذلك شيئاً . بيد انني خرجت من غرفته بشعور من الكآبة ، ربما من الفزع الذي الوم نفسي على جعلك تشاطريني أياه ، ومع ذلك لا استطيع أن أمنع نفسي من التحدث اليك عنه .

واليك رواية ما حدث ، وبأماكنك ان تكوني واثقة من وفائه . لأنني سأعيش ثمانين عاماً أخرى ولن انسى الانطباع الذي تركه في نفسي هذا المشهد . لقد كنت اذن هذا في الصباح في غرفة ابن أخي ، فوجدته يكتب وهو غارق بأكوام لا تحصى من الورق الذي يبدو انها من صنع يديه . وكان منهمكاً بها إلى درجة أنه لم يلتفت ليعرف من القادم . وما ان شاهدني ، حتى لاحظت جيداً انه حين نهض كان يحاول أن يبدل سحنته ، وربما ليس هذا ما لفت المزيد من انتباهي . لقد كان في الحقيقة دون زينة ودون عناية ، ولكنني وجدته شاحباً منحللاً ذا هيئة مشوشة . وكانت نظراته التي عرفناها حادة ومرحة جداً قد غدت كثيبة ذابلة . واخيراً - وهذا بيننا - لا أتمنى بأن تشاهديه على هذه

الصورة . لأنه كان يبدو مؤثراً جداً ، وجديراً بأن يبعت ، كما أعتقد ، على هذه الشفقة الحنونة التي هي من أخطر كائن الحب .

وعلى الرغم من انصعاقى لهذه الملاحظات فقد بدأت معه الحديث كما لو انني لم الاحظ شيئاً . فحدثته اولاً عن صحته ، فلم يتلفظ ابدأ امامي بكلمة تعني أنها سيئة رغم انه لم يقل لي انها جيدة . عندئذ شكوت من اعتكافه الذي يبدو كأنه عادة غريبة مستهجنة . وحاولت ان أمزج شيئاً من المرح مع توينخي الحفيف . ولكنه اجابني فقط بلهجة مؤثرة : « أن هذا خطأ آخر أعترف به ، ولكنه سيصطلح مع البقية » .

وقد اغاض مظهره بشاشي اكثر من كلامه ، وسارعت الى مخاطبته قائلة بأنه عليه الا يعلق أهمية زائدة على مأخذ بسيط من الصداقة .

ثم اخذنا اذن نتحدث بهدوء ، وقال لي بعد فترة وجيزة ان قضية هامة ربما تستدعيه قريباً للذهاب الى باريس ، « وهي اعظم قضية في حياته ، ونظراً لخوفي من ان احزر هذه القضية ، وان تقودنا هذه البداية يا حسنائي العزيزة الى الادلاء بمسارة لم اكن اريدها ، فلم اطرح عليه اي سؤال واكتفيت بأجابته بأنني أرجو ان يكون المزيد من التسلية مفيداً لصحته . وأضفت الى ذلك قولي انني في هذه المرة ان اوجه اليه أي إلحاح ، وذلك حباً باصدقائي من أجلهم فقط . وعند هذه العبارة البسيطة ضغطت على يدي ، وحدثني باحتداد لا أستطيع ان اصفه لك فقال :

« اجل يا عمتي ، احبي ، احبي ابن اخيك الذي يحترمك ويعزك . وكما قلت أحببه من اجله . ولا تحزني لسعادته ، ولا تعكري بأي ندم الهدوء الأبدي الذي يأمل ان يتمتع به قريباً . كرري معي بأنك تحبينني ، وانك تسامحينني ، اجل تسامحينني ، وانا اعرف مدى طبيبتك ، ولكنني كيف آمل بثل هذا التسامح من اولئك الذين اهنتمهم ؟ » وعندئذ انحنى علي لكي يخفي عني آثار الألم التي كشفتها لي لهجة صوته رغمًا عنه .

ونفضت بسرعة ، بعد ان تأثرت اكثر مما اقول لك ، وقد لاحظت بدون

شك انفعالي فحاول حالاً ان يبدل ملاحظه واستطرد قائلاً : « عفواً ، عفواً  
يا سيدي ، اشعر بأنني اشرد رغباً عني . ارجوك ان تنسي كلامي ، وان  
تتذكرني فقط احترامي العميق . ولن اتخلّف عن ان اجدده لك قبل سفري ،  
وبدت لي هذه الجملة الاخيرة بأنها كانت ايداناً بإنهاء زيارتي . وكان ان  
انصرفتُ بالفعل .

ولكنني كلما فكرت بذلك كلما عجزت عن ان احزر ما عناه . فما هي  
اذن هذه القضية التي هي اهم قضية في حياته ؟ وحول اي موضوع يطلب عفوي ؟  
ومن اين جاءه هذا الحنان العفوي اثناء محادثتي ؟ لقد كررت الفمرة هذه الاسئلة  
دون أن اتمكن من ايجاد جواب عليها ، ولا أرى شيئاً هنا له علاقة بك . ومع  
ذلك نظراً لأن عيون الحب هي اكثر تبصراً من عيون الصداقة لم ادعك تجهلين  
ماذا جرى بين ابن اخي وبينني .

لقد توقفت اربع مرات عند كتابة هذه الرسالة الطويلة التي كنت أود ان  
اجعلها اطول ايضاً ، لولا العناء الذي اعانيه . الوداع يا حسناي العزيزة .

١٢٣

## من الاب أنسيلم الى الفيكونت دي فالمون

باريس في ٢٥ تشرين الاول ١٧??

تلقيت يا سيدي الفيكونت الرسالة التي شرفنتني بها ، وتوجهت امس وفق  
رغباتك الى منزل الرئيسة المشار اليها فشرحت لها الغاية والدوافع التي حدث  
بك الى المسعى الذي كلفنتني بان اقوم بها لديها . وعلى الرغم من انني وجدتها  
متمسكة بالقرار الحكيم الذي اتخذته في البداية ، فقد أظهرت لها انها تجازف  
- بسبب رفضها - بوضع عقبة بوجه ارتدادك السعيد ، وتعارض بذلك نوعاً ما  
النظرات الرحيمة للعناية الالهية . وكان ان وافقت على زيارتك شرط ان تكون  
هذه المرة هي الاخيرة ، وكلفنتني بأن اعلمك انها ستكون في انتظارك يوم الخميس

المقبل في ٢٨ الجاري . واذا كان هذا اليوم لا يوافقك ، هل لك ان تفضل بان تبلغها ذلك وتعين لها يوماً آخر . وستلقى رسالتك هذه المرة .  
مع ذلك ، يا سيدي الفيكونت ، اسمح لي ان ادعوك إلى عدم تأجيل هذا الموعد إلا لأسباب قاهرة . لكي يتسنى لي توجيهك في أقرب وقت وبصورة تامة نحو الاستعدادات الحميدة التي اعربت لي عنها . ففكر بان من يتأخر عن الافادة من فترة النعمة يتعرض الى سحبها منه . واذا كانت الرحمة الالهية غير محدودة فان استخدامها منظم كالعدالة . وانه قد يأتي وقت يبذل الله الغفور فيه رحمته الى عقاب .

اذا تابعت تشريفي بثقتك ، فأرجوك ان تعتقد ان جميع جهودي هي تحت تصرفك كلما رغبت فيها . ومهما كانت مشاغلي كبيرة ، فان قضيتي الأهم ستكون دائماً القيام بواجبات المهمة المقدسة التي كرست لها نفسي بصورة خاصة . وان اجمل فترة في حياتي هي تلك التي أرى فيها جهودي تكمل بالنجاح وببركة الله العلي القدير . اننا لا نستطيع نحن الضعفاء الخاطئون ان نفعل شيئاً لانفسنا ، ولكن الله الذي يدعوك يستطيع كل شيء . ونحن مدينون ايضاً لكرمه ورحمته بالرغبة الدائمة في ضمك اليه بالوسائل التي اقودك الي بركته . انني بمعوتته تعالى آمل ان اقعك قريباً بأن الدين المقدس يمكن ان يمنح وحده ، حتى إلى هذا العالم ، السعادة المتينة الثابتة التي يسعى اليها الناس عبثاً في عمى الاهواء الانسانية .  
لي الشرف ، سيدي ، مع اعتباري المحترم ان اكون ... الخ ..

١٢٤

من الرئيسة توفيل الى السيدة دي روزموند

باريس في ٣٥ تشرين الأول ?? ١٧

بلغني أمس نبأ أثار لدي كثيراً من الدهشة والذهول ، ولذلك لم انس ، وسط هذا الذهول ، واجب اطلعك عليه ، نظراً لما يبعثه في نفسك من الرضى

والارتياح . وها انا اسارع الى زفه اليك . فالسيد دي فالمون ليس مشغولاً بي ولا يجبه . بل يرغب في التكفير عن خطاياها أو بالاحرى يريد ان يعوض عن آثام شبابها بحياة اكثر فعالية . وقد تبيلغت النبأ بواسطة الأب . أنسيلم الذي اختاره لكي يقود خطاه نحو المستقبل ، ولكي يهيء له أيضاً مقابلة معي اعتقد ان هدفها الرئيسي هو إعادة رسائلي التي احتفظ بها حتى الآن رغم مطالبتي بردها .

لا أستطيع بدون شك إلا ان اغتبط لهذا التبدل السعيد ، واهنيء نفسي به ، اذ أنني كما قال ، تمكنت من المساهمة به بعض الشيء . ولكن لماذا كان ينبغي أن اكون أنا الاداة ، وأن افقد هناء حياتي ؟ وهل كان لا يمكن لسعادة السيد دي فالمون ان تأتي إلا على حساب شقائي ؟ آه ، اغفري لي يا صديقتي المتسامحة هذه الشكوى ، أنا أعلم أنه لا يحق لي أن اعترض على مشيئة الله ، ولكن بينا اتوسل اليه باستمرار ، ودائماً دون جدوى ، ان يمنحني القوة للتغلب على حبي التعميس ، اذا به يمنح القوة إلى من لم يكن يطلبها ، ويتركني دون مساعدة ، مستسلمة بكليتي لتخاذلي .

ولكن لتخفق هذا الاعتراض المذنب . افلا اعلم ان الابن الضال سينال لدى عودته من والده نعماً وصفحاً اكثر مما يناله الابن كما لو لم يكن قد تغيب ؟ واي عتاب يمكن ان توجهه الى من ليس مديناً نحونا بشيء ؟ وعندما يصبح ممكناً ان تكون لنا بعض الحقوق عليه ماذا يمكن ان تكون حقوقي ؟ هل أفنخر بتعقل انني أصبحت مدينة بها الى فالمون ؟ لقد انقذني ، واذا بي اجرؤ على الشكوى لكوني اتعذب من أجله ! كلا ان عذابي سيكون عزيزاً عليّ ، اذا كانت سعادته هي الثمن . ولا شك في انه ينبغي ان يعود بدوره الى إلـهنا المشترك . وان الآله الذي كونه يجب ان يعترف بصنعمته يدها . وهو لم يخلق هذا الكائن لكي يجعل منه موضع استنكار المجتمع ، وان عليّ وحدي ان اكابده . عناء عدم احتراسي الجريء . الم يكن عليّ ان اشعر بأنه لا ينبغي ان اراه ما دام قد حضر عليّ ان احبه ؟

ان خطأي و تعاسي هما في انني رفضت طويلاً هذه الحقيقة . وانت شاهدة

عليّ يا صديقتي العزيزة المحترمة ، بأنني خضعت لهذه التضحية ما إن عرفت ضرورتها . ولكن هذه التضحية كانت بحاجة - لتصبح كاملة - الى عدم مشاطرة السيد دي فالون لي اياها مطلقاً . هل اعترف لك بأن هذه الفكرة هي في الوقت الحاضر كل ما يشغل بالي ؟ انها لكبرياء لا تطاق تلك التي تخفف ما نعانيه من آلام . بواسطة الآلام التي نجعل الغير يتعذب بها ! آه ! سأنتصر على هذا القلب الثائر ، وسأعوده على الذل .

لقد وافقتُ على أن اتلقى ، يوم الخميس المقبل ، زيارة السيد دي فالون القاسية لكي اتوصل الى اذلال قلبي أخيراً . وعندئذ سأسمعه يقول لي بنفسه : أنني بت لا أشكل بالنسبة اليه اية أهمية ، وان الانطباع الضئيل العابر الذي أثرتُ به عليه قد احمى وزال بكليته ! وسأرى نظراته تحط عليّ دون انفعال بينما سيحملني الخوف من ان افصح نظراتي على خفض بصري إلى الارض . وهذه الرسائل التي رفض ان يعيدها إليّ رغم طلباتي المتكررة سيلقي بها إليّ بلا مبالاة ، كما لو كانت اشياء لا قيمة لها ، ولا أهمية لها بنظره . وستشعر يداي المرتجفتان وهي تتلقى هذه الرزمة المحجلة ، بانها تُسَلَّم اليها من يد ثابتة هادئة ! واخيراً سأراه يبتعد ، يبتعد الى الأبد . وأن نظراتي التي ستبتهن لن ترى نظراته تلتفت نحوي . وبذلك اكون قد تحملت الخزي وحدي ! آه ! فلأجعل هذا الخزي مفيداً لي على الأقل . أجل سأحتفظ بهذه الرسائل التي لم يعد يحرق على الاحتفاظ بها . وسأفرض على نفسي خجل قراءتها كل يوم الى أن تحو دموعي آثارها الاخيرة ، وسأحرق رسائلها كما لو كانت ملوثة بسم خطير أفسد روعي . آه ! اي شيء أذن غير الحب يجعلنا نندم حتى على الاخطار التي يعرضنا لها . واذا كنا نظل نحشي ان نعاود الشعور به حتى ولو لم نعد نوحيه ابداً ! لنهرب من هذا الميل الارعن الذي لا يترك مجالاً للاختيار الا بين العار والشقاء ، والذي غالباً ما يجمعها معاً ، وليحل الاحتراس على الأقل مكان الفضيلة .

كم ان هذا الخميس ما زال بعيداً ! وكم انني لا استطيع ان اهضم الآن هذه التضحية المؤلمة ، وانسى في آن واحد سببها وغايتها ! ان هذه الزيارة لا تلاثني ،

وانا نادمة لكوني وعدت بها . آه ، ما هي حاجته لكي يعود فيرايني ايضاً ؟ وهل ما زال احدنا الآن للآخر ؟ واذا كان قد اهانني فانني اسامحه . لا بل وأهنئته لرغبته في تدارك اخطائه واثني عليه . وسافعل اكثر منه ، ساحذو حذوه ، لأنني وقد أغريتُ بالأخطاء نفسها فان امثولته تعيدني الى جادة الصواب .  
ولكن اذا كانت غايته التهرب مني ، فلماذا يبدأ في البحث عني ؟ أليس القصد العاجل لكل منا ان ينسى الآخر ؟ آه هذا مؤكد ، وسيكون من الآن فصاعداً موضع اهتمامي الوحيد .

اذا سمحت يا سيدتي المحترمة ، سأقصد جوارك واكون بالقرب منك لسكي انكبت على الاهتمام بهذا العمل الصعب ، وإذا كنت بحاجة الى المساعدة وربما ايضاً الى العزاء ، فلا أريد ان اتقبل ذلك الا منك . انت وحدك تعرفين ان تفهمي قلبي وتحدثي اليه . وان صداقتك الثمينة ستفعم كياني . لا شيء سيبدو لي صعباً لكي ادعم الجهود التي ستفضلين ببذلها من اجلي ، وسأكون مدينة لك بهنائي وسعادتي وفضيلتي ، وان ثمرة لطفك وكرمك ستكون بالنسبة لي انك جعلتني محترمة مرفوعة الرأس .

اعتقد انني شردت مراراً في هذه الرسالة ، وانني اعزو ذلك على الاقل الى الاضطراب الذي لم اكف عن معاناته حين اكتب اليك . واذا كان قد تضمن بعض الشعور المخجل ، فاستريه بسعة صدر صداقتك التي ارضح لحكمها كل الرضوخ . اذ لا يحق لي ان اخفي عنك اي شعور يصدر عن قلبي .  
الوداع يا صديقتي المحترمة . آمل ان أنبئك قريباً بموعد وصولي .

١٢٥

من النيكونت دي فالون الى المراكيزه دي ميرتاي

باريس في ٢٩ تشرين الأول ١٧??

ها هي ذي اذن مهزومة ، هذه المرأة الرائعة التي تجرأت على الاعتقاد بأنها تستطيع مقاومتني ! أجل يا صديقتي ، إنها لي ، وقد اصبحت لي بكليتها . ومنذ



أمس لم يبق لديها اي شيء ، لتمنحني إياه .

ما زالت حتى الآن مفعماً جداً بنشوتي ، بحيث لا أستطيع بعد ان اقدرها . ولكنني مشدوه بهذا السحر المجهول الذي شعرت به . أفيمكن صحيحاً ان فضيلة المرأة تزيد من قيمتها ، حتى في الساعات التي تفقدها فيها ؟ ولكن لا : لتنبذ هذه الفكرة الصيبانية مع حكايات النساء الفاضلات . افلا نلقى في كل مكان تقريباً مقاومة ظاهرة حسب الظروف ازاء اول انتصار ؟

ولكن هل وجدت في اي مكان السحر الذي احدثك عنه ؟ انه ليس مع ذلك سحر الحب . لأنني اذا كنت قد شعرت في بعض الاحيان ازاء هذه المرأة المدهشة ببعض لحظات التخاذل التي تشبه ذلك الهوى الجبان ، فقد عرفت دوماً أن أقضي عليها وأعود الى مبادئني .

ومع ذلك فقد كادت حادثة الامس ، كما اعتقد ، ان تقودني الى ابعد مما كنت أتويه ، وذلك حين شاطرتها في احدي اللحظات ما أوحيته اليها من اضطراب ونشوة ، وهو وهم ما لبث أن تبخر الآن ، ولكن السحر نفسه ما زال باقياً . ولو لا بعض القلق الذي سببته لي المتعة العذبة التي تذوقتها لكنت استسلمت إلى هذه المتعة بكل سرور . فهل أكون ، وانا في مثل سني ، واقعاً تحت تأثير شعور تلقائي مجهول كتلميذ مدرسة ؟ كلا ، إذ ينبغي قبل كل شيء محاربته واستئصاله .

لعلني تقصيت السبب من قبل ! ان هذه الفكرة تعجبني ، واتمنى لو تكون صحيحة .

انني لم ألقَ حتى الآن بين حشد النساء اللواتي قمت ازاءهن حتى اليوم بدور ومهام العاشق ، اية واحدة كانت تملك رغبة عظيمة في الاستسلام بمائلة لما كان لدي من رغبة في حملها على ذلك . لا بل اعتدت ان أدعو اولئك اللواتي لا يقطن سوى نصف الطريق بالفاضلات التقيبات ، وذلك اذا قورنّ باولئك اللواتي لا تستر العروض الأولى التي قدمنها دفاعهن الاستفزازي ابداً .

أما هنا فقد وجدت على العكس وقاية غير مشجعة ، قائمة على أساس نصائح

وعلاقات امرأة نفور ، ولكنها بعيدة النظر . ووجدت خفراً طبيعياً مفرطاً يعزّز تعقفاً مستثيراً ، وتعلقاً بالفضيلة يُوجهه الدين ، ويعتمد على سنتين من الانتصار ، واخيراً تصرفات رائعة مستوحاة من هذه الدوافع المختلفة ، وهدفها كلها قطع الطربق على ملاحقاتي .

لم يكن الأمر اذن كما حدث في جميع مغامراتي السابقة ، مجرد استسلام مشجع او غير مشجع ، من السهل استغلاله بدلاً من الزهوبه . بل كان نصراً كاملاً كلفني حملة مجهدة ، وفرضته مناورات بارعة . فليس من المدهش اذن أن يكون هذا النجاح الذي يعود فضله إليّ وحدي ، اكثر قيمة من اي نجاح آخر . وان الفيض من المتعة الذي شعرت به في انتصاري - وما زلت أشعر به ايضاً - ليس سوى الانطباع العذب الذي يخلقه الانتصار والمجد . انني أستمرى، هذه الطريقة في النظر الى الامور ، وهي تنقذني من عار التفكير بأنني لجأت الى طريقة جعل نفسي عبداً ذليلاً لهذه المرأة ، لا بل استعبدت نفسي من اجلها ، ولم يكن لديّ وحدي الافراط في السعادة .

ان هذه الملاحظات القيمة ستنظم مسلكي في هذه المناسبة الهامة ، وبأمكانك ان تكوني واثقة من انني لن أدع نفسي مقيداً بالسلاسل ، الى درجة لا أستطيع معها فكاً كما من هذه القيود الجديدة وفق إرادتي . ولكن ها أنذا أحدثك عن انفصالي، بينما ما زلت تجهلين الوسائل التي حصلت بواسطتها على حق هذا الانفصال . اقرأي اذن ، وانظري الى ما يتعرض له التعقل ، عند محاولته دعم الجنون . فلقد كنت ادرس بعناية كل كلمة من كلماتي والأجوبة التي ألقاها وهو ما آمل ان اطلعك عليه الواحد بعد الآخر بدقة تسرّك .

وسترين - باطلاعك على نسختي الرسالتين اللتين أبعث اليك بهما طيه \* - اي وسيط استخدمتُ لكي يقربني من حسناتي ، وما بذله هذا الكاهن المقدس من حماسة لكي يجمع بيننا . وان ما ينبغي ان تعرفيه ايضاً - وقد علمته أنا بواسطة رسالة قطعتُ عليها الطريق حسب العادة - ان الخوف والحذلان لدى العاشقة

\* راجع الرسالتين ١٢٠ و ١٢٣

المتيمة من ان اتخلى عنها ، قد حوِّلا كثيراً عفتها ، وملاً قلبها ورأسها بأفكار  
رغم انها لم تكن ذات معنى مشترك ، ولكنها كانت كثيرة الاهمية بالنسبة لي .  
وهكذا ، وبعد هذه الترتيبات الضرورية وصلت أمس الخميس في ٢٨ ، وهو  
اليوم الذي حددته الجاحدة كموعده للقاءنا . وقد اعلنت عن وصولي بوصفي  
عبداً خجولاً تائباً ، ولكنني خرجت منتصراً متوجاً .

كانت الساعة قد بلغت السادسة مساء حين دخلت على الحساء المزوية ، لانا  
منذ عودتها جعلت بابها مقفلاً بوجه جميع الزيارات . وحاولت ان تنهض ، حين  
أبلغت بنبأ وصولي ولكن ركبتيها المرتجفتين لم تسمحا لها ان تبقى في هذا الوضع :  
فجلست فوراً . وبما ان الخادم الذي ادخلني كان عليه ان يقوم ببعض الخدمة في  
غرفتها ، فقد بدت نافذة الصبر ، وقد شغلنا هذه الفترة بالمجاملات المألوفة .  
ولكنني حتى لا أضيع شيئاً من وقتي كانت كل لحظاته ثمينة ، اخذت اتفحص  
المكان بدقة ، وما لبثت عينايا ان وقعتا على مسرح انتصاري ، وقد كان  
بإمكانني ان اختار مسرحاً آخر أكثر ملاءمة ، لانه كان هناك في الغرفة نفسها  
ديوان عثمانى عريض : ولكنني لاحظت ان صورة الزوج معلقة فوقه ، وخشيت  
مع هذه المرأة الغريبة من نوعها ، ان تشاء المصادفة توجيه نظرتها الى هذه الناحية ،  
فتحطم في لحظة واحدة المجهود الذي كلفني اياماً وليالي طويلة . واخيراً اصبحنا  
وحدنا ، ودخلت في الموضوع رأساً .

وبعد ان اوضحت لها ، بكلمات قليلة ، أن الأب انسى لا بد ان يكون قد  
أطلعها على اسباب زيارتي ، اخذت اشكو من المعاملة القاسية التي عانيتها ،  
وشدّدت بصورة خاصة على «الازدراء» الذي قوبلت به . وبطبيعة الحال كان  
ان دافعت عن نفسها كما كنت اتوقع وكما تتوقعين ايضاً . وقد برهنت على ذلك  
بدليل الحذر والخوف اللذين اوحيتهما لها ، والفرار الفاضح الذي تلا ذلك ،  
ورفض الاجابة على رسائلي ، لا بل وحتى رفض تسلمها الخ . الخ .. وبما انها  
بدأت تبرر نفسها بطريقة كان يمكن ان تكون هينة ، فقد وجدت من المناسب ان  
أقاطعها ، وأخذت أفعهما على الأثر بالملاطفات لكي اجعلها تغتفر لي طريقتي

الفجعة في المقاطعة واستطردت قائلاً :

« اذا كان مثل هذا السحر العميم قد ترك في قلبي اثراً عميقاً ، ومثل هذه الفضائل البارزة تركت آثاراً أقوى في نفسي . وقد انجذبت بدون ريب برغبة التقرب منها ، فقد جرؤت على الاعتقاد انني جدير بها . انني لا ألومك ابدأ لكونك حكمت على الأمور خلاف ذلك ، ولكنني اقااص نفسي على خطأي » .  
وبما انها التزمت الصمت بسبب الارتباك فقد استأنفت قائلاً : « لقد رغبت يا سيدي إما ان أبرر نفسي بنظرك وإما ان اتال منك عفواً على الاخطاء التي تفترضينها في » ، وذلك بقصد التمكن من إتمام أيام لم أعد اعلق عليها أية قيمة منذ ان رفضت أن تزينها » .

وهنا حاولت مع ذلك ان تجيب قائلة : ان واجبي لم يكن يسمح لي ... ولكن صعوبة اكمال اكدوبة يتطلبها الواجب لم تتح لها اتمام الجملة . وكان ان استطردت عندئذ بلمحة أشد رقوة : « صحيح اذن انني كنت السبب في فرارك ؟ »

— لقد كان هذا السفر ضرورياً .

— وانك تبعديني عنك ؟

— لا بد من ذلك .

— إلى الأبد ؟

— يجب علي ان افعله .

لست بحاجة الى ان اقول لك ان صوت الورعة الرقيقة خلال هذه المحادثة القصيرة كان مضطرباً ، ولم تكن عيناها ترتفعان نحوي .

ورأيت من المناسب ان ابعث قليلاً من الحيوية في هذا المشهد المتراخي ، فكان إن نهضت وانا بادي الإكراه ، وقلت : « ان صرامتك تعيد إلي صرامتي كلها ، وبناء عليه ، اجل يا سيدي ، سنفترق ، سنفترق اكثر مما تظنين ، وستهنئين نفسك كما تشاين بما صنعته يداك » . وهنا ذهلت قليلاً لهذه اللهجة من التقرير ، فأرادت ان ترد قائلة : ان القرار الذي اتخذته ...

فقاطعتها : ليس إلا نتيجة ياسي . لقد شئت ان اكون تيمساً ، وسأبرهن لك انك نجحت الى ابعد مما كنت تمنين .

واجابت : « ولكنني ارغب في سعادتك ! » وهنا اخذت لهجة صورتها تميل نحو الانفعال القوي . وهكذا سارعت فارتمت عند اقدامها وقلت لها بلهجة تشيلية دراماتيكية تعرفينها :

« آه يالك من قاسية القلب ... هل يمكن ان توجد لي سعادة دون مشاطرتك اياها ؟ ان يمكن لي ان اجدها اذن بعيداً عنك ؟ . آه ... ! أبدأ ! » . واعترف حين وصلت الى هذه النقطة انني كنت اعتمد كثيراً على مساعدة دموعي : ولكنني إما عن وضع سيء ، واما عن تأثير الاهتمام العنيف المستمر الذي ركزته في كل شيء ، وجدت ان من المستحيل علي ان ابكي .

لحسن الحظ تذكرت ان جميع الوسائل هي صالحة من اجل الاستيلاء على امرأة . وأنه يكفي لمفاجأتها ان اقوم بحركة كبرى ، لكي تحدث في نفسها تأثيراً عميقاً مشجعاً . فاستبدلت الحساسية التي لم نواتني بالتخويف . ولذلك بدلت فقط طبقة صوتي ، واحتفظت بوضعي نفسه وتابعت قائلاً : اجل انني اقسم عند قدميك اما ان انا لك أو أموت » . وعند تلفظي بهذه الكلمات الأخيرة ، التقت نظراتنا . ولا أدري ماذا شاهدت المرأة الخجول أو اعتقدت انها شاهدت فيها : ولكنها نهضت بمظهر مفرع ، وافلتت من بين ذراعي اللتين كنت قد أحطتها بها . ولم افعل في الحقيقة شيئاً لكي احتفظ بها : لأنني لاحظت عدة مرات ان مشاهد اليأس اذا اقتيدت بحماسة زائدة ، قد تفقد فعاليتها لو طالت ولم تتضمن سوى وسائل محزنة . وفي الاثناء بينما كانت تتملص مني ، أضفت بلهجة خافتة ولكن بطريقة جعلتها تسمعي : « إذن ! الموت ! » . ونهضت على الأثر ، وبقيت لحظة صامتاً ، ورحت أوجه نحوها - كما لو كان الامر من قبيل المصادفة - نظرات وحشية مخيفة ، الا انها كانت دقيقة الملاحظة رغم انها بدت تأتة زائغة النظرات . وكانت وقفها غير ثابتة ، وتنفسها قوياً ، وجميع عضلاتها متوترة ، وذراعاها مرتجفتين نصف مرتفعتين . كل ذلك برهن

لي جيداً ، على ان التأثير كان قوياً عليها كما أردت إحدائه : ولكن بما انه لا يتم شيء في الحب الا عن قرب ، وقد كنا بعيدين الواحد عن الآخر ، فقد كان لابد قبل كل شيء من ان نقرب . فانتقلت - للوصول الى ذلك - الى هدوء ظاهر خليق بان هدىء تأثيرات هذه الحالة العنيفة ، دون ان يخفف من اثرها .

وكان انتقالي على الشكل التالي ، اذ قلت : « انني تعيس جداً ، فلقد أردت أن اعيش من اجل سعادتك ، ولكنني عكرتها عليك ، ولذا فانني اكرس نفسي من اجل هنائك وهدونك ، ومع ذلك فما أنا اعكره أيضاً » . ثم بدلت سخني ، واتخذت مظهر الوجل وتابعت : « عفواً يا سيدتي ، انني غير معتاد الا قليلاً على عواطف الحب ، ولذلك لم اعرف ان أكبت حركاتها . واذا كنت قد اخطأت في استسلامي اليها ، ففكري بأن هذه المرة هي الاخيرة ، آه ارجوك ان تهدي من روعك ، هدي نفسك ... اتوسل اليك » . وكنت اثناء هذه الجملة الطويلة أقرب بدون شعور نحوها ، وقالت لي حسناي النافرة : « اذا كنت تريد ان اكون اكثر هدوءاً ... فكن انت نفسك اذن اكثر هدوءاً » وقلت :

- حسناً ، أجل أعدك بذلك . ثم أضفت بصوت اكثر تخاذلاً : اذا كان الجهد كبيراً ، فعلى الأقل يجب ألا يكون طويلاً .

ولكنني استأنفت فوراً بلهجة شاردة : « لقد حضرت لكي أعيد اليك رسائلك وليس ذلك صحيحاً ؟ فتنازلي اذن لاخذها . وهذه ايضاً تضحية اخرى اقوم بها من اجلك ، فلا تدعي لي ما يضعف شجاعتي » ثم سحبت من جيبي المجموعة الثمينة وقلت : « إليك به هذا المستودع الزائف لتأكيدات صداقتك ! فقد يجعلني أتعلق بالحياة ... خذيه ، واعط نفسك ايذاناً يجب ان يفصلني عنك الى الابد »

وهنا استسلمت العاشقة الوجلة تماماً الى قلقها الرقيق وقالت :

- ولكن يا سيد فالون ماذا فعلت ؟ وماذا عنيت بذلك ؟ ألم يكن المسعى الذي تقوم به اليوم طوعاً ؟ ألم يكن ثمرة تفكيرك ؟ أليس هذا التفكير هو الذي جعلك توافق على القرار الضروري الذي املاه عليّ الواجب ؟  
- حسناً ان قرارك هذا هو الذي امل عليّ قراري .

— وما هو ؟

— الوحيد الذي يستطيع ، بافتراقك عنك ، ان يضع حداً لآلامي .  
— ولكن أجبني ما هو ؟

وهنا عصرتها بذراعي دون ان تدافع عن نفسها ابداً ، واستنتجت عن طريق هذا التناسي المقتعل للواقع كم ان الانفعال كان قوياً جباراً ، فقلت لها وانا أجازف بالحماسة : « ايها المرأة المعبودة ، ليست لديك فكرة عن الحب الذي توحينه . وان تعرفي ابداً الى اية درجة كنت معبودة ، وكم كان هذا الشعور عزيزاً على كياني ! فلتكن جميع ايامك محظوظة وهانئة ! ولتكن مزينة بكل السعادة التي حرمتني منها ! وادفعي على الأقل هذه الأمنية الصادقة بحسرة ودمعة ، وصدقي أن آخر تضحياتي لن تكون اقساها على قلبي . الوداع » .

وبينا كنت أتكلم على هذه الصورة ، شعرت بقلبي يخفق بعنف ، ولاحظت اكنئاب وجهها ، ورأيت بصورة خاصة دموعاً تخنقها ، ولا تسيل في الاثناء الا نادراً وبصعوبة . وعندئذ قررت ان اظهر نفسي بأنني ابتعد ، ولكنها امسكت بي بقوة ، وقالت لي بحدة :

— كلا... اصغ اليّ ...

— دعيني .

— ستصغي اليّ ، أريد ذلك .

— يجب ان اهرب منك . لا بد من ذلك .

وصاحت : كلا ...

وعند هذه الكلمة الأخيرة سارعت ، أو بالاحرى سقطت مغمية عليها وهي بين ذراعي .. وبما أنني كنت ما ازال اشك في هذا النجاح السعيد ، فقد اظهرت فزعاً كبيراً . ولكنني قدتها وانا خائف وحملتها نحو المكان الذي اشرت اليه كسرح لمركة انتصاري وبالفعل فأنا لم تستعد وعيها الا وهي خاضعة مستسلمة للمنتصر السعيد عليها .

حق هنا تجدين يا صديقتي الحسنة ، كما أعتقد طريقة رائعة خاصة بي تهنيئني

عليها . وترين انني لم أحد بشي عن المبادئ الصحيحة لهذه الحرب التي لاحظنا مراراً انها لا تختلف عن الأخرى بشيء واحكمي عليّ أذن كتورين وفريدريك : وقد تجرأتُ على محاربة عدو لا يريد الا تهدة الموقف ، واخترت بنفسي بناورات بارعة ميدان المعركة واستحكاماتها ، وعرفت كيف أوحى الامان للعدو لكي البقي به بسهولة عند تراجعه . وعرفت ان اجمل التخويف يتلاحق ، قبل ان اصل الى المعركة ، ولم ادع شيئاً للمصادفة ، الا من حيث استغلالها لصالحني في حالة الانهزام . وأخيراً لم ابدأ بالعمل الا بعد ان أمّنت تراجعي ، من حيث استطيع ان اعطي واحتفظ بكل ما غزوته سابقاً . وهذا كما اعتقد كل ما يمكن القيام به ، ولكنني اخشى الآن بأن اكون قد تراخيت كهنيبعل امام لذائذ كابر . واليك ما حدث بعد ذلك :

لقد كنت اتوقع ان حادثاً من هذا النوع لا بدءاً ان يخلّف آثاراً من الدموع والياس المؤلف . ولاحظت اولاً وجودها في حالة من التضعع والذهول ثم في نوع من التأمّلات . ولكنني عَزَوْتُ هذا وذاك الى حالة الورع . وهكذا لم ألقِ بالأى هذه الاختلافات الضئيلة التي اعتبرتها محلية بحثة ، واتبع فقط طريق المؤاساة الواسع ، وانا مقتنع ، كما يحدث عادة في مثل هذه الظروف ، بأن الملامسات ستساعد العاطفة ، وان عملاً واحداً سيؤثر اشد من جميع الخطب والاقوال التي لم اغفلها مع ذلك ، ولكنني قبولت حقيقة بمقاومة مخيفة ، من حيث الشكل لا من حيث المبالغة فيها .

تصوري امرأة جالسة وهي جامدة كالتمثال ، ذات وجه لا يتبدل ، لاتبدو بأنها تفكر ولا بأنها تصغي او تسمع ، بل تحدد فقط بعينين ثابتتين والدموع تسيل منها مدراراً وبصورة مستمرة ، لا بل تسيل دون جهد . تلك هي حالة السيدة دي تورفيل فيما كنت احاول ملاطفتها بكلماتي ، ولكنني جرّبتُ أن اعيد انتباهها نحوني بواسطة مداعبة ، او حركة بريئة . وكان ان اعترتها على اثر هذا الجمود الظاهر حالات من الرعب والاختناق والتشنج والشهيق ، وبعض الصيحات المتقطعة ، ولكن دون ان تلتفظ بكلمة احدة .



وعاودتها هذه الأزمات عدة مرات وكانت دائماً بشكل اقوى ، وكانت الأزمة الاخيرة من العنف بحيث انها ثببت همي ، وخشيت في وقت من الاوقات ان اكون قد احرزت انتصاراً لا قيمة له . وكان أن انتقلت في حديثي الى المواضيع العادية المشتركة ، وصادف ان وقعت على هذه الجملة فقلت : « وانت في يأس لانك وفرت لي سعادتي » . وعند هذه العبارة التفتت المرأة المعبودة نحوي ، واستعاد وجهها تعبيره السماوي رغم انه ظل شاردأ قليلاً . وقالت : « سعادتك ؟ » . وانت تحزين هنا ماذا كان جوابي . وقالت : « انت اذن سعيد ؟ » فضاغت احتجاجاتي . ولكنها قالت : وأنت سعيد بواسطتي ! ، فأضفت مقدماً لها الاطراء والكلمات اللطيفة الناعمة . وبينما كنت اتكلم اخذت جميع اعضاءها تلين ، وانهارت بارتحاء فاستندت فوق مقعدها . وتخلت لي عن احدي يديها التي تجرأت على أخذها ، وقالت :

« انني أشعر بأن هذه الفكرة تعزيني وتريجيني » .

وبامكانك ان تتصورني انني ، وقد وقعت هنا على هذا الموضوع ، لم أنخل عنه ابدأ . وكان حقيقة الموضوع الصحيح وربما الوحيد الذي استطيع عن طريقه أن اخفف من غلوائها . وهكذا حين اردت أن احاول نجاحاً ثانياً ، شعرت اولاً ببعض المقاومة . ولكن ما حدث من قبل جعلني أشد احتراساً ، بيد انني استعنت بهذه الفكرة لمساعدتي على اقناعها بسعادتي . وكان ان شعرت بتأثيرات مشجعة ، وقالت لي برقة وحنو : « أنت على حق ، لم أعد استطيع أن التحمل كياني ، وما دام الامر كذلك فليستخدم لجعلك سعيداً ، وأني اكرس لك نفسي بكليتها . ومنذ الآن سأمنحك نفسي ، ولن تعاني من جانبي رفضاً ولا تأسفاً » وكان ان سلمتني جسدها ومفاتها بهذه السذاجة البريئة او الرائعة وزادت من سعادتي بمشاطرتها اياي هذه السعادة ، وكانت النشوة كاملة متبادلة . ولاول مرة تجاوزت نشوتي حدود اللذة . ولم اقل من ذراعيها الا لأجثوعند ركبتها ، وأقسم لها على حب دائم نحوها . وينبغي ان اعترف بكل شيء فقد كنت اقول كل ما افكر به . واخيراً لم تفارقني فكرتها ابدأ ، حتى بعد افتراقنا ، وقد

احتجت الى اشغال نفسي عنها بكل جهد لكي أسلوها .  
آه ! لماذا لست هنا لكي تعُدلي كفتة متعة العمل بكفة متعة المكافأة ؟  
ولكنني لن أضيع وقتي في الانتظار . أليس ذلك صحيحاً ؟ وأرجو أن يتسنى  
لي اعتبار الترتيبات السعيدة التي اقترحتها عليك في رسالتي الأخيرة كما لو  
أصبحت في حكم المتفق عليها . وها أنت ترين أنني نفذتُ المطلوب مني ، وكما  
وعدتك فان أعمالي قد تقدمت سريعاً ، بحيث أستطيع الآن ان أخصص لك  
جزءاً من وقتي .

سارعي أذن الى التخلص من ثقلك بيلروش ، ودعي هنا دانسني التافه  
الحلاوة . لكيلا تهتمي إلا بي . ولكن ماذا تفعلين طوال هذه المدة في الريف  
بحيث انك لا تردين عليّ ؟ هل تعلمين انني سأؤنبك بكل طيبة خاطر ؟ ولكن  
السعادة تبعث على التسامح ، ثم لا أنسي انك باستعادتي بدلاً من اولئك الطامعين  
بك ، يجب أن اخضع لنزواتك الصغيرة . وتذكري في الاثناء ان العاشق الجديد  
لا يريد ان يفقد شيئاً من حقوق الصديق القديمة .

الوداع كالماضي ... اجل الوداع يا ملاكي ! ابعث اليك بجميع قبلات الحب .  
ملاحظة - هل تعلمين ان بريغان قد اضطر في نهاية الشهر الذي أمضاه في السجن  
الى الاستقالة من فرقته العسكرية ؟ وهذا النبأ هو اليوم ما يشغل باريس كلها .  
وهكذا يكون في الحقيقة قد عوقب معاقبة جديدة على خطأ لم يرتكبه ، وقد  
أصبح انتصارك عليه كاملاً .

١٢٦

من السيدة دي روزموند الى الرئيسة توريفل

قصر ... في ٣٠ تشرين الأول ١٧??

لقد كان بودي ان أجيب على رسالتك يا ابنتي اللطيفة ، قبل هذه المدة ،  
ولكن العناء الذي سببته لي رسالتي الأخيرة اليك جعلت آلامي تعاودني من

جديد ، وحرمتني مرة أخرى من استخدام ذراعي طوال هذه الأيام . وكنت  
تواقة لأن اشكرك على الانباء السارة التي اطلعتني عليها بصدد ابن اخي ، فتقبلي  
اذن تهاني المخلصة . ونحن مجبرون على الاعتراف هنا حقيقة بأن هذا الاتجاه هو  
نعمة من نعم العناية الالهية التي أصابت شخصاً وانقذت آخر . أجل يا حسنائي  
العزيزة ، ان الخالق الذي شاء الا يعذبك ، قد اغاثك في الوقت المناسب بعد  
أن خارت قواك . ورغم اعتراضك الصغير ، فان لديك بعض الاعمال الخيرة التي  
يجب ان تقومي بها تقديراً لهذه النعم .

ولا يعني ذلك أنني لا أشعر بتقدير للقرار الحكيم الذي اتخذته اولاً ، وان  
قرار السيد دي فالون لم يأت إلا على الأثر ، بل يبدو لي من الناحية الانسانية  
ان حقوق جنسنا نحن النساء يجب ان تظل محفوظة جيداً ولا نريد  
ان ن فقد منها شيئاً ! ولكن ما قيمة هذه الاعتبارات الخفيفة تجاه المقاصد  
الهامة التي حُققَت ؟ وهل يمكن ان يُرى ذلك الذي يُنقذ من الفرق يشكو  
لانه لم يختر وسائل انقاذه ؟

ستشعرين قريباً ، يا ابنتي العزيزة ، ان الآلام التي تخشينها ستزول من تلقاء  
نفسها شيئاً فشيئاً . واذا كان لا بد لها من ان تبقى دائماً وبكاملها ، فستشعرين  
اكثر ان تحملها سيكون اهن من تحمل تبكيت الضمير بسبب الخطيئة واحتقار  
الذات . لقد كان من غير المجدي لو حدثتلك قبل اليوم بمثل هذه الصراحة  
الظاهرة ؛ لان الحب هو شعور مستقل ، يستطيع الاحتراس وحده ان يتجنبه ،  
ولكنه لا يستطيع ان يتغلب عليه ، وان الحب متى وُلد لا يمكن ان يموت الا  
بنفسه او من جراء يأس تام ، وان الحالة الاخيرة التي أنت فيها الآن تمنحني  
الشجاعة والحق على ان اطلعك على رأيي بحرية . وانه لمن الظلم إخافة مريض  
يأس ، لا يتقبل العزاء والمؤاساة . ولكنه من التعقل تنوير مريض في طور  
النقاهاة حول الاخطار التي مر بها ، لكي نوحى اليه بالاحتراس الذي هو بحاجة  
اليه ، واخضاعه للنصائح التي يمكن ان تكون ضرورية اليه .

وبما انك تختارينني كطبيبك فاني اتحدث اليك بلغته ، وان الوعكات الصغيرة

التي تشعرين بها في الوقت الحاضر والتي تحتاج ربما الى بعض العلاجات ، ليست شيئاً اذا قيست بالمرض الكبير المفزع الذي تأكد شفاؤك منه الآن .  
واخيراً فاني بوصفي صديقتك ، صديقة امرأة متعقلة وفاضلة اسمح لنفسي بأن أضيف قائلة ان هذا الميل التعميس الذي سيطر عليك ، قد اصبح اشد تعاسة بسبب الشخص الذي أثاره . واذا صدقت ما يقال فان ابن اخي الذي اعترف بحبي الشديد له ، والذي يجمع بالفعل كثيراً من الخصال الحميدة ، وكثيراً من الظرف والكياسة ، لا يخلو من خطر على النساء ، كما لا يخلو من اخطاء تجاههن ، وهو يبذل جهداً مساوياً لاغرائهن وتضليلهن . واعتقد جيداً انك عملت على هدايته . ولا ريب بأنه ليس هناك شخص اكثر منه جدارة بذلك . ولكن كثيرين غيره تباهاوا مثله وخاب الامل فيهم ، وارجو الا يصل بك الامر الى هذا الحد .

فكري يا حسناتي العزيزة ، انه عوضاً عن الاخطار التي كنت ستلقينها ، ستنعمن براحة ضميرك وهنائك ، وكذلك بالارتياح لكونك كنت السبب الرئيسي في الهداية السعيدة للسيد دي فالون . ومن جهتي فاني لا اشك بان هذا العمل هو ، في جزء كبير منه ، نتيجة مقاومتك الشجاعة ، وان لحظة تخاذل من جانبك كانت قد تركت ابن اخي في ضلال دائم . احب ان افكر بهذه الطريقة وارغب في ان اراك تفكرين مثلي ، وهكذا ستجدين تعزياتك الاولى ، وسأزداد حباً لك .

انني انتظر يا ابنتي اللطيفة وصولك الى هنا في غضون ايام قليلة ، كما اعلمتني . وستجدين الهدوء والسعادة في الاماكن نفسها التي غادرتها ، تعالي لكي تتمتع بعطف والدتك الحنون ، بعد ان حافظت على عهدك الذي وعدتها به ، وهو ألا تفعلي شيئاً لا يكون جديراً بها وبك !

## من المر كيزة دي ميرتاي إلى الفيكونت دي فالون

قصر ... في ٣١ تشرين الأول ?? ١٧

اذالم أكن قد أجبّت ، ايها الفيكونت ، على رسالتك المؤرخة في ١٩ ، فليس لأنه لم يكن لديّ وقت لذلك ، بل فقط لأنها أثارت حنقي ، ولم أجد فيها معنى مألوفاً . لقد اعتقدتُ إذن أنه ليس هناك أفضل من تناسيها . ولكن بما انك قد عدتَ اليها ، وبدوتَ متمسكاً بالافكار التي تضمنتها ، واعتبرتَ ضمني كموافقة ، يجب ان اقول لك رأيي بصراحة .

لقد تسنى لي في بعض الاحيان الادعاء بأنني استطيع ان أحلّ وحدي محل جيش كامل من النساء ، ولكن لم يتفق لي أن كنت جزءاً آمنهن . وكنت اظنك تعرف ذلك عني . وبإمكانك ان تلاحظ ، بعد أن اصبحت لا تجهل ذلك الآن على الأقل ، كم بدا لي اقتراحك سخيفاً . من ؟ أنا ؟ اضحي بيميل جديد ، بيميل لم اندرقه بعد ، في سبيل الاهتمام بك ؟ ولكي اهتم بك بأية طريقة ؟ انتظر دوري كجارية محكوم على امرها لكي اتلقى الملاحظات الرفيعة من سموك العالي . ومتى ؟ مثلاً حين تريد ان تسلو لحظة ما هذا « السحر المجهول » الذي جعلتك « المعبودة السماوية » السيدة دي تورفيل وحدها تشعر به ، وحين تخشى ان تتورط لدى « المغربية سيسيل » بالفكرة الرائعة التي يسرك أن تحفظها عنك : وعندئذ تتنازل اليّ ، وتأتي للبحث عندي عن متع أقل حدة في الحقيقة ولكنها دون نتائج : وان بقية مكارمك الثمينة رغم ندرتها ستكوني لسعادتي ؟ إنك غني اكيداً في الافكار الحسنة عن نفسك : ولكنني ظاهرياً لست غنية بالتواضع ، لانني مهما نظرت الى نفسي لا استطيع ان اجد أنني قد وصلت إلى هذه الدرجة من الانحطاط . ولعل هذا خطأ من جانبي . ولكنني أذكرك أن نديّ اخطاء كثيرة غيره .

ومن بين هذه الاخطاء اني اعتقد ان التلميذ التافه الحلاوة دانسني المشغول

بي الآن فقط ، والذي يكرس لي هوام الأول دون أن يجعل من ذلك ميزة له ،  
والذي يجبني أخيراً كما يجب كل من كان في مثل عمره ، يستطيع أن يعمل ، رغم  
سن العشرين بفعالية أشد منك ، من أجل سعادي وملذاتي . واسمح لنفسي أيضاً  
بأن اضيف انه لو طرأت علي نزوة ما لكي استعين معه بمساعد فلن يكون هذا  
المساعد انت في الوقت الحاضر .

فما هي الاسباب التي تحذوك لأن تطلب ذلك مني ؟ ولكن من الممكن جداً  
إن لا يكون لديك اي سبب ، لأن النزوة الطائشة التي تجعلك مفضلاً ، يمكن  
أيضاً ان تجعلك مستبعداً . واود مع ذلك ، من قبيل اللياقة ان ابرر لك رأيي .  
أذ يبدو لي بأن عليك ان تبذل توضيحات كثيرة من اجلي ، وانا بدلاً من ان  
يكون لدي الامتنان الذي ستنتظره مني ، سأكون معقدة بأنك مدين لي أيضاً  
بمثل هذا الامتنان ! أرأيت كيف اننا- نظراً لاختلاف كل منا في طريقة تفكيره-  
لا نستطيع ان نتقارب بأية طريقة من الطرق ، واخشى ان احتاج الى وقت  
طويل لكي ابدل هذا الشعور . وحين ساصطحح ، اعدك بأن ابلغك الامر  
وبالانتظار - صدقتي - ثم بترتيبات اخرى ، واحتفظ بقبلك لانك بحاجة الى  
ان تحسن طبعها بشكل أفضل !

الوداع ، كعهدنا السابق ، كما تقول ؟ ولكنك في الماضي كنت تهتم بي اكثر  
من الآن ، ولم تكن قد خصصتني بعد للدوار الثالثة . وبصورة خاصة كان  
عليك ان تنتظر ان اقول كلمة نعم قبل ان تحصل على موافقتي . الاتجد من  
الافضل ان اقول لك بدلاً من الوداع كعهدنا السابق ، الوداع كما نحن الآن .  
خادمك ايها الفيكونت !

١٢٨

من الوليسة تورفيل الى السيدة دي روزموند

باريس في اول تشرين الثاني ?? ١٧

لم ألتق سوى أمس فقط ، يا سيدي ، جوابك المتأخر . ولو كان كيانني ما

زال ملكي لكان جوابك قتلي على الفور، ولكن هناك شخصاً آخر أصبح يمتلكه . وهذا الشخص هو السيد دي فالمون . رأيت ، انني لا أخفي عليك شيئاً . واذا كان عليك إلا تجديني جديرة بصدقتك فانني أخشى من اضاعتها اقل من ادهاشها ، كل ما أستطيع ان ا قوله لك ان السيد دي فالمون جعلني اختار بين موته وسعادته ، فقررت ان اختار سعادته . وانني لا افتخر بذلك ، ولا ألوم نفسي ، بل أروي فقط ماذا حدث .

وانك لتشعرين بسهولة كم كان تأثير جوابك ، والحقائق الصارمة التي تضمنها ، في نفسي . لا تعتقدي مع ذلك انه كان يمكن ان يبعث فيّ ندماً ما ، أو يستطيع ان يبدل شيئاً من العاطفة او المسلك . ليس لانه لا توجد لدي لحظات قاسية ، بل حين يكون قلبي هو الاكثر تمزيقاً ، وحين أخشى الا أستطيع تحمل الوسواس والهموم ، اقول لنفسي : « فالمون هو سعيد » . وكل شيء يزول امام هذه الفكرة ، أو بالاحرى يتبدل كل شيء إلى سرور .

وهكذا اكون قد كرسيت نفسي لابن شقيقك . وبسببه قد ضللت . وقد اصبح المركز الوحيد لافكاري ومشاعري واعمالني . وما دامت حياتي ضرورية لسعادته ، فستكون ثمنه لديّ ، وسأجدها سعيدة الحظ ، اما اذا بدّل رأيه يوماً ما ... فلن يسمع من جهتي اية شكوى ولا ملامة ، وقد سبق لي ان فكرت بهذه اللحظة ، واتخذت قرارني .

أرأيت في الوقت الحاضر كم ان مخاوفك يمكن الا تؤثر بي كثيراً ، إلا اذا شاء السيد دي فالمون ان يفقدني ، انه قبل ان يرغب في ذلك سيكون قد كف عن محبتي . وماذا يمكن ان تفعل لي مأخذ غير مجدية سوى انني لن اصغي اليها؟ وسيكون وحده الحكم . وبما انني لن اعيش الا من اجله ، فان ذاكرتي ستعتمد عليه ، وهو يجبر علي ان يعترف بأنني احببته ، وعندئذ سأكون معذورة بصورة كافية .

ها انك يا سيدتي قد قرأت ما بقلبي ، وقد فضلت تعاسة فقدان احترامك بصراحتي ، على جعل نفسي غير جديرة به بتصنع الكذب . واعتقد انني مدينة

هذه الثقة التامة إلى مكارمك السابقة نحوي . ولو اضفت كلمة واحدة زيادة عما قلته ، لجعلتك ترتابين بأن لدي الكبرياء في الاعتماد عليها أيضاً . بينا على العكس احكم على نفسي بالتوقف عن الطمع فيها .  
انني يا سيدتي بكل احترام خادمتك المتواضعة المطيعة .

١٢٩

## من الفيكونت دي فالمون الى المر كيزة دي ميرتاي

باريس في ٣ تشرين الثاني ?? ١٧

أخبريني اذن ، يا صديقتي الحسنة ، من اين يمكن ان تأتي هذه اللهجة من الفظاظة والاستهزاء التي تسود رسالتك الاخيرة ؟ وما هي هذه الجريمة التي ارتكبتها ، ظاهرياً دون ان اشك بها ، والتي تثير فيك هذا القدر من الاستياء؟ انت تلوميني على كوني بدوت بأنني اعتمدت على موافقتك قبل ان احصل عليها : ولكنني كنت اعتقد ان ما يمكن ان يبدو من قبيل الافتراض بالنسبة لجميع الناس لا يمكن ان يؤخذ بينك وبينني إلا من قبيل الثقة .

ومنذ متى كانت الثقة تضر بالصدافة أو بالحب ؟ وانني بضمي الأمل إلى الرغبة ، لا افعل سوى أنني رضخت للاغراء الطبيعي الذي يعمل على وضعنا اقرب ما يمكن من السعادة التي نبحث عنها . وقد اعتبرت ما كان قد صدر مني بسبب التمعجل على انه بدافع الخيلاء والمجرفة .

انا اعلم جيداً أن رفع الكلفة بيننا قد اثار هنا شكاً محترماً ، ولكنك تعلمين ايضاً ان هذه الامور ليست سوى شكليات ، بل مجرد رسميات ، وقد بدا لي انه مسموح لي بأن اعتقد ان هذه الاحتياطات الدقيقة لم تعد ضرورية بيننا .

ويبدو لي ايضاً أن هذا المنهج الصريح الحر ، حين يكون قائماً على اساس علاقة قديمة ، هو أفضل من الملاحظة السخيفة التي تجعل الحب فاتر المذاق . ولعل القيمة التي اجدتها في هذه الطريقة لم تأت إلا من القيمة التي أعلقها على السعادة التي



تذكرني بها : ولكن حتى بهذا التعليل نفسه سيكون من الصعب جداً عليّ أيضاً ان اراك تحكين على الأمر خلاف ذلك .

اليك مع ذلك الخطأ الوحيد الذي اعرفه في نفسي : لأنني لا أتصور انك استطعت ان تفكري بصورة جديده انه توجد امرأة وحيدة في العالم تبدو لي مفضلة عليها . أو انني استطعت الا اقدرك جيداً كما بدوت انك تظنين .

لقد قلت لي انك نظرت إلى نفسك ووجدت انك لن تصلي إلى هذا الدرك . وهذا ما اعتقده جيداً ، وهو يدل على ان مرأتك امينة . ولكن لم يتسن لك ان تستنتجي ، بسهولة وعدالة اكثر ، انني اكيداً لم احكم عليك ابدأ بهذه الصورة .

انني ابحت عبثاً عن سبب هذه الفكرة الغريبة ، ويبدو لي انها تعود الى الثناء الذي سمحت لنفسي بتقديمه للنساء الأخريات . وقد استنتجت من تظاهرك بالاستشهاد بنعوت « المعبودة والساوية والمغرية » التي استخدمتها وانا احذثك إما عن السيدة تورفيل واما عن الصغيرة فولانج . ولكن الاتعلمين ان هذه الكلمات - اذا أخذت من قبيل المصادفة ، او من قبيل التفكير - لا تعتبر كثيراً عن المعنى المقصود منها حقيقة بالنسبة للأشخاص الذين تطلق عليهم ، بقدر ما تعبر عن الموقف الذي يكون فيه القائل حين يتحدث عن هؤلاء الأشخاص ؟ وحتى اثناء اللحظات التي كنت متأثراً فيها بحرارة هذه او تلك ، لم اكن اقل رغبة فيك عما قبل . واذا كنت قد اعطيتك افضلية ملحوظة عليها ، فلأنني لا أستطيع ان اجدد علاقتنا الاولى الا على حسابها ، ولا ارى هنا موضعاً للعتب .

لن يكون من الصعب عليّ ان ابرّر نفسي بصدد « السحر المجهول » الذي تبدين لي انك قد صدمت به قليلاً : ولكن الشيء المجهول لا يعني مطلقاً أنه الأقوى . ثم من يستطيع أن يتفوق على المذات العذبة التي تعرفين انت وحدك أن تجعلها دائماً جديدة ، ودائماً اكثر حدة كالسابق ؟

لقد عنيت فقط ان هذا السحر كان من نوع لم اشعر به بعد . ولكن دون أن ازعم تحديد درجة له . وقد اضفت الى ذلك - ما اكرره اليوم - انه مهما كان عليه هذا السحر فانني سأعرف ان احاربه واهزمه . وسأبذل المزيد من

النشاط ايضاً ، اذا تسنى لي ان أرى في هذا الجهد الخفيف مبعث اطراء لك .  
 اما الصغيرة فولانج فاعتقد انه من غير المجدي ان احدثك عنها . وانك لم  
 تنسَ أنني قد تكفمتُ بهذه الطفلة بناء على طلبك ، ولا انتظر الا اجازتك لكي  
 اتخلص منها ، وقد استطعتُ ان الاحظ مهارتها ونضارتها ، وخيّل لي في وقت  
 من الاوقات انها مغرية ، لانه مها كان الحال ، فانها تثير الغبطة في اعمالها .  
 ولكنها اكيداً لا تدرك شيئاً مما يلفت الانتباه .

وهكذا احتكم الآن ، يا حسناًني إلى عدالتك وإلى مكارمك الأولى نحوي ، وإلى  
 الصداقة الطويلة الكاملة ، والثقة التامة التي اوثقت الروابط بيننا منذ ذلك  
 الحين : فهل استحق هذه اللهجة الصارمة التي تستخدمينها معي ؟ ولكن سيكون  
 من السهل عليك أن توضيني عن ذلك مق تشائين ! قولي فقط كلمة واحدة ،  
 وسترين اذا كان كل السحر ، وكل الاغراء سيمسكان بي هنا . كلا ، حتى ولا يوماً  
 واحداً ، ولا دقيقة واحدة . وسأطير حتى قدميك . وسأبرهن لك الف مرة ،  
 وبألف طريقة على انك ، وستكونين دوماً ، سيدة قلبي .  
 الوداع يا صديقتي الحسنة ، إنني انتظر جوابك بصبر نافذ .

١٣٠

### من السيدة دي روزموند إلى الرئيس تورفيل

قصر ... في ٤ تشرين الثاني ١٧??

ولماذا ، يا حسناًني العزيزة ، لا تودّين أن تكوني كأبنتي ؟ ولماذا تظهري  
 وكأنك تعلنين أن المراسلة ستوقف بيننا ؟ هل تفعلين ذلك لكي تعاقبينني  
 على عدمِ حدسي بما كان بعيد الاحتمال ؟ أم انك ترتابين بي لأنني أشجيتك عن غير  
 قصد ؟ أنا أعرف قلبك جيداً ، ولا أعتقد أنه يفكر على هذا النحو . وكذلك  
 فإن الكرب الذي سببتهُ رسالتك لي لم يكن بالنسبة لي أقل مما هو بالنسبة لك .  
 أقول لك بكل عذوبة يا صديقتي الشابة انك جديرة بأن تكوني محبوبة إلى

درجة يجعلك الحب سعيدة إلى الأبد ، ثم ! أية امرأة رقيقة حساسة لم تلقَ في حياتها نكداً في هذه العاطفة نفسها التي كانت تعدّها بكثير من السعادة ؟ وهل يعرف الرجال أن يقدّروا قيمة المرأة التي يمتلكونها ؟

وليس هذا عائداً إلى ان ثمة كثيرين من الرجال غير شرفاء في أساليبهم ، وغير ثابتين على العهد في عواطفهم . بل لأن هناك حتى بين الشرفاء الأوفياء قلة "تعرف ان تتحد مع قلوبنا ! فلا تظني يا ابنتي العزيزة ان حبهم بمائل لحبنا . اذ غالباً ما يضعون فيه هياماً أشد . وهم يشعرون حقاً بالنشوة ذاتها ، ولكنهم لا يعرفون هذا التعجل القلبي ، وهذا الالحاح الرقيق ، اللذين يحدثان فينا تلك الملاحظات الحنونة المستمرة وهدفها الوحيد هو الشخص المحبوب . أن الرجل يتمتع بالسعادة التي يشعر بها ، والمرأة بالسعادة التي تُحدثها . وهذا الفرق - المهم جداً ، والملاحظ قليلاً - يؤثر مع ذلك بطريقة حساسة على مسلكها المتبادل بكليته . كما ان متعة هؤلاء هي في إرضاء شهواتهم ، بينما متعتنا نحن هي في اثارة هذه الشهوات . واذا كان الرجل يسعى للحصول على إعجاب النساء به ، فلكي يستخدم هذا الاعجاب كوسيلة للنجاح ، بينما يعتبر البحث عن اعجاب الآخرين لدى المرأة هو النجاح بعينه . وهكذا فان حب التزيّن الذي غالباً ما تؤاخذ عليه المرأة ، ليس إلا افراطاً في هذه الطريقة من الشعور ، ومن هنا تتضح الحقيقة . وأخيراً فان هذا المذاق الذي يتميز به الحب وحده ليس لدى الرجل سوى أفضلية تُستخدم على الأرجح لاضفاء قيمة على الممتعة قد يضعفها هدف آخر ، ولكنه لا يقضي عليها ، بينما هو لدى المرأة شعور عميق لا يحق اية رغبة غريبة فحسب ، بل هو أقوى من الطبيعة ، يخضعها لسلطانها ، ويجعلها تعاني التعزّز حيث يجب ان تشعر بأوج اللذة .

ثم لا تظني ان هناك استثناءات - قد تكون كثيرة أو قليلة العدد - يمكن الاستشهاد بها على انها تخالف هذه الحقائق العامة بنجاح ! ولكنني وجدت يا حسناتي العزيزة انه قد يكون من المفيد ان اعرض عليك هذه الافكار الرزينة الناضجة مقابل الأوهام التي تتخيلها عن وجود سعادة كاملة ، يكون الحب

مبعثها . انها أمل خادع ، ما زلنا نتمسك به ايضاً ، حتى ولو اضطررنا الى التخلي عنه ، لا بل يثير فقدانه الاشجان الحقيقية التي لا تنفصل عن كل هوى حاد ويضاعفها !

إن هذه الرغبة في تخفيف آلامك أو التقليل من عددها هي الوحيدة التي أبغيها والتي أستطيع ان اقوم بها في الوقت الحاضر . وان النصائح ازاء الامراض المستعصية لا يمكن ان تنحصر إلا في نظام الأكل والحمية . وما اطلبه اليك فقط ، هو أن تتذكري ان الرثاء لحالة مريض ليس معناه لومه وتأنيبه . ثم من نحن لكي نلوم بعضنا البعض ؟ ولندع حق الحكم علينا اذن إلى من يقرأ وحده ما في الصدور . وأجرأ على الاعتقاد ايضاً أن مجموعة الفضائل يمكن أن تنقذ المرأة - بانظاره الابوية - من تحاذل مرت به .

ولكنني اناشدك ، يا صديقتي العزيزة ، ان تبعدي عنك هذه القرارات العنيفة التي تدل على الضعف وتثبیط الهمة ، ولا تنسي انك يجعلك رجلاً آخر يملك كيانك - وانا هنا استعمل عبارتك - لن تستطيعي ان تحرمي اصديقاك من حقوقهم عليك التي يملكونها سلفاً ، والتي لا يكفون ابدأ عن المطالبة بها .  
الوداع يا ابنتي العزيزة ، فكري احياناً بأملك الحنون ، وثقي انك ستكونين درماً ، ومهما حدث ، موضع افكارها العزيزة .

١٣١

من المر كيزة دي ميرتاي إلى الفيكونت دي فالون

قصر ... في ٦ تشرين الثاني ١٧??

حسناً يا فييكونت . انا مسرورة منك هذه المرة اكثر من المرة السالفة . ولكن لتتحدث بصداقة طيبة . وآمل ان أقنعك بأن الاجراء الذي تبدو انك ترغب فيه سيكون - بالنسبة لك كما هو بالنسبة لي - جنوناً حقيقياً .  
ألم تلاحظ إذن حتى الآن ان اللذة التي هي بالفعل الدافع الوحيد لاتحاد

جنسين ، لا تكفي مع ذلك لقيام علاقة بينها ؟ وانها اذا كانت مسبوقه بالشهوة التي تقرّب ، فهي غالباً ما تكون متبوعه بالتقزز الذي ينفّر ؟ هذا هو قانون الطبيعة الذي يستطيع الحب وحده أن يبدله . ولكن هل يكون لدينا من الحب متى نشاء ؟ ومع ذلك فلا بد منه دوماً . وسيكون الأمر محيراً جداً لو لم نلاحظ لحسن الحظ أنه يكفي لذلك ان يكون الحب موجوداً لدى طرف واحد . وعندئذ تصبح الصعوبة في منتصف الطريق . لا بل دون ان يكون هناك مسا يبعث على الخسران . وبالفعل سيتمتع احدهما بسعادة ان يحب ، والآخر بلذّة ان يعجب بشكل اقل حدة في الحقيقة ، ولكنه يضي على ذلك متعة الخداع ، مما سيوازن الكفة . واذا بكل شيء يسير على ما يرام .

ولكن قل لي ، ايها الفيكونت ، من منا سيعتمد بان يخدع الآخر ؟ انت تعرف قصة دينك المخادعين اللذين اكتشفا ان احدهما يخدع الاخر وهما يقامران ؛ فقالا : لن نفعل شيئاً ، بل لنتقاسم الارباح والخسائر مناصفة . وكان ان تخليا عن اللعبة . فلنقتد اذن بامثولتها الرائعة ولا نحاول ان نضيع معاً وقتاً نستخدمه جيداً في مكان آخر .

ولكي أثبت لك هنا ان مصلحتك هي التي تجعلني اتخذ هذا القرار بقدر مصلحتي ، وانني لا أتصرف بدافع النعمة ولا بدافع النزق الطائش ، فاني لا ارفض أن ادفع لك الثمن المتفق عليه بيننا : وأشعر ان سهرة واحدة تستطيع ان تكفينا . ولا أرتاب ابدأ باننا نعرف كيف نجعل منها سهرة رائعة نندم على انتهائها . ولكن يجب ألا ننسى ان هذا الندم هو ضروري للسعادة . وهما كان وهما عذبا يجب ألا نعتقد انه سيكون مستمراً .

أرأيت أنني أنفذ بدوري ما وعدت به دون ان تكون قد نفذت انت ما طلبته منك : لأنني اخيراً يجب ان احصل على رسالة أولى من الورعة الساوية ، ومع ذلك إما انك ما زلت تتمسك بشروط المساومة وإما انك نسيتها ولا يهيك القيام بها كما يجب . وهكذا فاني لم اتلق شيئاً . وفي الاثناء إما ان اكون مخطئة وإما ان الورعة يجب ان تكتب كثيراً ؛ لأنها ماذا تفعل حين تكون

وحدما ؟ وهي لا تملك اكيذاً ذهنياً صافياً يجعلها على التسلية والسلوان . وهكذا كان ينبغي عليّ ان اوجه اليك بعض الملامات الصغيرة ، ولكنني أفضل السكوت عليها ، تعويضاً عن الاستياء الذي أبديته لك في رسالتي الأخيرة .

والآن ايها الفيكونت ، لم يبق لي الا ان اتقدم اليك بطلب بسيط يهيك كما همني : وهو أن تؤجل ما أرغب فيه ، مثلما ترغب انت ، الى حين عودتي الى المدينة . فمن ناحية ان تكون لدينا هنا الحرية اللازمة ، ومن ناحية اخرى اخشى ان اتعرض لبعض المجازفات بسبب حضورك : لأن هذا التعيس بيلروش لا يحتاج إلا الى بعض الغيرة لكي يزداد تعلقاً بي ، بينما لم يعد مرتبطاً بي الآن إلا بخيط واهي . وقد اصبح الآن في تضجر من حبه لي الى درجة اني ابذل احياناً من الحبث بقدر ما أبذل من الاحتراس في المداعبات التي أشحنه بها فوق طاقته . ولكنك ترى في الوقت نفسه اني لا استطيع ان اقوم هنا بأية تضحية من أجلك ! وان خيانة متبادلة تجعل السحر اكثر متعة .

هل تعلم انني اتأسف في بعض الاحيان لكوننا اخذنا نلجأ الى هذه الأنواع من السبل ؟ ففي العهد الذي كنا نحب خلاله احدنا الاخر - واعتقد ان ذلك كان حباً - كنت سعيدة ، وانت يا فيكونت ؟ ولكن لماذا نشغل انفسنا ايضاً بسعادة لا يمكن ان تعود ؟ كلا ان عودتها مستحيلة مهما تقول . لأنني أولاً سأطالب بتضحيات جسيمة لا تستطيع اكيذاً أو لا تريد ان تقوم بها ، ومن الممكن ايضاً ألا استحقها . ثم كيف العمل لجعلك تثبت على العهد ؟ آه ! كلا . كلا ... لا أريد ابداً ان اهتم بهذه الفكرة . ورغم السرور الذي اجده الآن وانا اكتب اليك ففاني افضل ان اتركك فجأة . الوداع ايها الفيكونت .

## من الرئيسة تورفيل الى السيدة دي روزموند

باريس في ٧ تشرين الثاني ?? ١٧

أما وقد غمرتني يا سيدتي بكارمك نحوي ، فأنتي استسلم اليها بكليتي ، لولا ان ما يسكنني عنها هو خشيتي من ان انتهك حرمتها بقبولها . ولماذا ينبغي حين أجدها ثمينة جداً ، الا أشعر بأنني غير جديرة بها ؟ آه ! انني اجراً على الأقل على ان اقدم اليك امتناني لفضلك ، وسأعجب بصورة خاصة بهذا التسامح الصادر عن الفضيلة الذي لا يعرف تخاذلنا إلا لكي يرأف به ، والذي يحتفظ سحره الجبار على قلوبنا بسلطان عذب قوي حتى الى جانب سحر الحب .

ولكن هل استطيع ان استحق ايضاً صداقة لم تعد كافية لسعادتي ؟ واقول الشيء نفسه عن نصحك .

انني أشعر بقيمتها ، ولا استطيع أن أتقيد بها . وكيف لا أو من بسعادة كاملة حين أشعر بها الآن ؟ اجل ، اذا كان الرجال هم كما تقولين ، فلا بد من ان نهرب منهم ، انهم مكروهون . ولكن كم ان فالمون بعيد عن ان يشبههم ! واذا كان لديه مثلهم هذا العنف في الهوى الذي نسميه هياماً ، فانه يعرف كيف يتجاوزه بالافراط في رفته ! آه يا صديقتي . تقولين لي انك تشاطرينني اشجاني ، فتمتعي أذن بسعادتي . وانا مدينة بها الى الحب . ومم يزيد من أحبه من قيمتها ! انت تحبين ابن اخيك كما تقولين بتخاذل ، ولكن ماذا تقولين لو عرفته كما أعرفه انا ؟ انني أحبه بشغف وولع ، لا بل أقل ايضاً مما يستحقه . لقد انقاد بدون شك وراء بعض الاخطاء . وهو يُقر بذلك . ولكن من الذي عرف مثله الحب الحقيقي ؟ ماذا استطيع ان اقول لك علاوة على ذلك ؟ انه يشعر به كما يوحيه . ستمتقين ان هذه الفكرة هي « إحدى الأفكار الوهمية التي يبعثها الحب فينا مستغلاً خيالنا » . ولكنه في هذه الحالة لماذا أصبح اكثر رقة واكثر تعجلاً . منذ ان حصل على كل شيء ؟ أعترف انني كنت اجد فيه قبلاً مظهرأ من التفكير

والتحفظ لم يكن يتخلى عنه الا نادراً ، مما كان يقودني غالباً رغماً عني إلى تلك الانطباعات الزائفة القاسية التي نقلوها إليّ عنه . ولكنّه ما ان استسلم دون وجل الى نوازع قلبه حتى بدا أنه أخذ يحزر كل رغبات قلبي . من يعلم اذا لم نكن قد خلقنا لنكون احداً للآخر ، واذا لم تكن هذه السعادة التي اشعر بها هي ضرورية لسعادته ؟ آه ، لو كانت هذه أوهاماً فلأمت اذن قبل أن تنتهي . ولكن لا . اريد ان احيا لكي أعزّه وأعبده . لماذا سيكف عن حيي ؟ واية امرأة اخرى تجعله اكثر سعادة مني ؟ أشعر بنفسي ان هذه السعادة التي اخلقها هي اقوى رابطة ، لا بل الوحيدة التي تربط حقيقة بين كائنين ، اجل ان هذا الشعور العذب هو الذي يحمّل الحب ويطهره نوعاً ما ، ويجعله حقيقة جديراً بروح رقيقة ناعمة وكريمة كروح فالمون .

الوداع يا صديقتي العزيزة المحترمة المتسامحة ، ارد عبثاً ان اكتب اليك رسالة اطول ، ولكن ها ان الساعة التي وعد بالحضور فيها قد حانت . ولذلك تتخلى عني كل فكرة اخرى . عفواً !.. بيد انك تريدني سعادتي ، وانها لعظيمة جداً الآن .

١٣٣

### من الفيكونت دي فالمون الى الماركيزة دي ميرناي

باريس في ٨ تشرين الثاني ١٧??

ما هي اذن ، يا صديقتي الحسنة ، تلك التضحيات التي ترين انني لن أقدم عليها ، والتي سيكون ثمنها مع ذلك نيل اعجابك ؟ آه دعيني أعرفها فقط ، وسترين ما اذا كنت اتردد في تقديمها اليك ام لا للحصول على عطفك . كيف تحكين عليّ منذ حين قصير ، اذا كنت حتى في تسامحك تترابين ايضاً في مدى عواطفك وطاقتي ؟ هناك تضحيات لا يستطيع ولا أريد أن ابذلها ؟ هكذا اذن تظنين انني عاشت مقهور على أمره ؟ وكل القيمة التي علقتها على النجاح



تشتبهين بأنني اوقفها على المعشوقة ؟ انني لم أصل ، بفضل السماء الى هذا الحد بعد . وها أنا أعرض نفسي لكي اثبت لك ما أعنيه . اجل سأثبت لك ما يجب ان يكون تجاه السيدة دي تورفيل . ومن المؤكد بعد ذلك انه ينبغي ان تزول كل ريبة لديك .

لقد تسنى لي كما أعتقد ان أمنح بعض الوقت - دون أن اتورط - إلى امرأة تتميز على الأقل بأنها من النوع الذي لا نلقاه الا نادراً . ولعل ايضاً الموسم الكاسد الذي وقعت لي فيه هذه المغامرة ، جعلني أنساق فيها الى حد بعيد . وحق في الوقت الحاضر - ليس من المدهش ان تشغلني هذه المغامرة بكليتي تقريباً . ولكن تذكري اذن انه لم تمضِ عليّ سوى ثمانية ايام فقط وانا أتمتع بشمرة ثلاثة أشهر من الجهود . وفي بعض الاحيان كنت احتاج الى وقت اطول مع من هنّ اقل قيمة منها . ومع ذلك فلم تستنكري ابدأ موقفي .

ثم هل تريدان أن تعلمي السبب الحقيقي لهذا النوع من التعلق الذي ابديه ؟ اليك به : أن هذه المرأة هي خجولة بطبيعته الحال ... وقد كانت تشك طيلة الأيام الأولى من علاقتنا في سعادتها ، وكان هذا الشك كافياً لأن يقض مضجعها : وقد أخذتُ الاحظ إلى أين تمضي قوتي في هذا الميدان . وهذا أمر كنت مع ذلك توافقاً لمعرفته . ولكن الفرصة لم تكن مؤاتية بسهولة .

اولاً ان اللذة لدى جميع النساء هي لذة بحت ، وليست خلاف ذلك . ولسنا نحن معشر الرجال بنظر هؤلاء - مهها كانت الصفة التي ينعتونها بها - سوى عوامل لبعث اللذة . أو بالاحرى مجرد وسطاء . وان من ينشط اكثر من غيره بين هؤلاء الوسطاء هو دائماً المفضل .

وعند طبقة أخرى من النساء - لعلمها هي الاكثر عدداً اليوم - لا تهتم المرأة ، إلا بشهرة العاشق ، ومتعة انتزاعه من احدى المزااحات ، والخوف من أن يُنتزع بدوره ، وهكذا ندخل نوعاً ما ضمن النمط من السعادة التي يتمتع بها . بيد ان ذلك يتوقف على الظروف اكثر مما يتوقف على الشخص . وهذه السعادة تأتيهن بواسطتنا وليس من قبلنا !

وكان لا بدّ من أن أعرّض إذن - من أجل ملاحظاتي - على امرأة رقيقة حساسة ، تجعل من الحبّ مهماً الأوحى ، وحتى في الحب لا ترى سوى حبيبها ، ويكون انفعالها صادراً - بعكس الطريقة المعتادة - عن القلب دائماً ، لكي يصل الى الحواس ، وكأريتها مثلاً ( ولا أتحدث هنا عن اليوم الاول ) تخرج من اللذة متكدر ، ثم تعود فتجد بعد فترة وجيزة أوج المتعة في كلمة واحدة تستجيب لروحها . وأخيراً كان لا بد من أن تجمع الى ذلك ، هذه السذاجة الطبيعية التي أصبحت بحكم العادة لا يمكن التغلب عليها ، ولا تسمح لها بأن تخفي أي إحساس من إحاسيس قلبها . أما والحالة كما ذكرت فانك تقرّين معي أن مثل هؤلاء النساء هن نادرات . وأعتقد انني لولا هذه لما كنت حظيت بواحدة منهم .

فلن يكون من المدهش إذن ان تكون قد جعلتني اثبت عليها مدة اطول من غيرها . واذا كان العمل الذي سأؤديه معها يقتضي بأن أجعلها سعيدة ، سعيدة تماماً ، فلماذا أقلع عنه ما دام يخدمني بدلاً من ان يعاكسني ؟ ولكن هل ان ما يشغل التفكير يحتمّ ان يجعل القلب عبداً ؟ كلا بدون شك . ولذلك فان الجهد الذي لا احرم نفسي من بذله في سبيل هذه المغامرة لا يحول بيني وبين الانسياق وراء مغامرات اخرى ، أو أضحى بها في سبيل مغامرات امّتع .

وهكذا فأنا حرّ طليق الى درجة أنني لم اهتمل الصغيرة فولانج التي لا أتمسك بها كثيراً . وستعيدها امها الى المدينة في غضون أيام ثلاثة . وقد استطعت منذ أمس ان أوّمن اتصالاتي المقبلة معها : بعض الدراهم الى البواب ، وبعض الزهور الى زوجته ، وكل شيء سيكون على ما يرام . هل تدري كين لماذا لم يعرف دانسني ان يماثر على هذه الوسيلة البسيطة جداً ؟ ثم من قال ان الحب يجعل المرء عبقرياً ؟ انه يحطم على العكس اولئك الذين يسيطر عليهم ! وكيف لا اعرف ان امّنع نفسي منه ؟ آه ! كوني مطمئنة . سأعمد في ايام قليلة الى تخفيف هذا الانطباع الحاد جداً الذي شعرت به ، وذلك باتخاذ عشيقه اخرى واذا لم تكفّ واحدة فسألتخذ اكثر من واحدة .

كما انني لن اكون اقلّ استعداداً لاعادة التلميذة الداخلية الى عشيقها اللبّق ،

متى وجدت الامر مناسباً . ويبدو لي انه لم تبق لديك اسباب لمنعه من ذلك ،  
وانا اوافق بكل طيبة خاطر على تأدية هذه الخدمة المعينة الى المسكين  
دانسي . وهذه في الحقيقة اقل خدمة ينبغي ان اردھا اليه مقابل جميع الخدمات  
التي اداھا لي . وهو الآن في قلق شديد لمعرفة ما اذا كان سيُستقبل لدى السيدة  
دي فولانج ام لا . انني أعمل على تهديته بقدر ما استطيع ، مؤكداً له استعدادي  
لمساعدته في اول يوم . وبالانتظار ساتابع تعهد المراسلة التي يريد استئنافھا مع  
« سيسيلته » لدى وصولھا . وقد سلمتني حتى الآن ست رسائل منه ، وقد  
يسلمني رسالة او اثنتين اخريين قبل اليوم السعيد . لا بد ان يكون هذا الفتي  
في بطالة متناهية !

ولكن لنعد حديث هذين الغلامين ولنعد الى شؤوننا ، لكي استطيع ان  
اهتم فقط بالأمل العذب الذي بعثته في رسالتك . اجل ستجعليني بدون شك  
وفياً ثابتاً لك . ولن اغفر لك ارتيابك في . هل كفت مرة عن ان اكون  
دائماً ثابتاً على عهدك ؟ لقد انحلت روابطنا ولكنها لم تنقطع ، كما  
ان انفصالنا المزعوم لم يكن سوى غلطة من بنات خيالنا ؛ ألم  
تستمر عواطفنا ومصالحنا موحدة متضامنة . وانا أشبه ما اكون بذلك  
المسافر الذي عاد مخدوعاً . وسأعترف مثله بأنني تركت السعادة لكي  
اركض وراء الأوهام ، وسأقول كما قال داركور :  
« كلما رأيت قوماً غرباء كلما أحببت وطني » .

لا تحاربي اذن مطلقاً هذه الفكرة ، او بالاحرى هذه العاطفة التي تعيدك  
الي . وبعد ان جربنا جميع المتع في طريقتنا المختلفتين ، فلنتمتع بسعادة أنه لا  
يوجد بين هذه المتع ما هو مماثل لما شعرنا به ولما سنجدھ اكثر عذوبة ايضاً !  
الوداع يا صديقتي الفاتنة ، اوافق على انتظار عودتك ؛ ولكن عجلي بها ،  
ولا تنسي كم أودها .

## من المركبة دي ميرتاي الى الفيكونت دي فالمون

قصر ... في ١١ تشرين الثاني ١٧??

في الحقيقة ايها الفيكونت ، انك كالأطفال الذين يجب الا يقال لهم شيء ، والذين ينبغي عدم اظهار اي شيء امامهم ، حتى لا يرغبوا في الاستيلاء عليه في اسرع وقت ! وهكذا عرضت لي فكرة بسيطة ، وقد اندرتك بأنني لا اريد ان اتوقف عندها ، ولكن ما ان تحدثت بها اليك ، حتى سارعت الى استغلالها الى اقصى حد لكي تعيد انتباهي اليها ، وحاولت ان تقيدني بها فيما انا اسعى لكي اسلوها ، وتجمعلني نوعاً ما اشاطرك رغماً عني رغباتك الرعناء !  
فهل يعتبر كرمًا منك ان تتركني التحمل وحدي كل هذا العبء من الاحتراس؟  
أعيد عليك القول ، وكررته لنفسه غالباً ، ان هذا الاجراء الذي تقترحه عليّ هو حقيقة مستحيل . وحين تبذل كل هذا السخاء الذي تظهره لي في الوقت الحاضر ، هل تظن انني لا املك انا ايضاً عزة نفسي حتى ارضى بقبول تضحيات تؤذي سعادتك ؟

بينما انت في الحقيقة ايها الفيكونت واهم بصدد العاطفة التي تملكك بالسيدة دي تورفيل . انها الحب نفسه ، والافانه لم يوجد مطلقاً . تستطيع ان تنكره ، بمئة طريقة وطريقة ، ولكنك تبرهن عنه بألف اخرى ، فما هو مثلاً هذا التبرير الذي تستخدمه تجاه نفسك ، لأنني أظنك صادقاً معي . ومن يملك على الرغبة في ملاحظة شهوة لا تستطيع ان تخفيها ولا تقاومها من اجل الاحتفاظ بهذه المرأة ؟ ألن يُقال انك لم تجمل ابداً امرأة ما سعيدة ، سعيدة تماماً ؟ آه ، لو كنت تشك في ذلك ، فانك حقاً تملك ذاكرة ضعيفة ! ولكن ليس هذا ما يعنيني . كل ما هنالك أن قلبك يستغل ذهنك ، ويجعله يخلق دوافع سيئة . ولكني انا التي من مصلحتي الا انخدع ، ليس من السهل عليك أن ترضيني .  
وهكذا بعد ان فرض عليك تهديبك ان تحذف بعناية جميع الكلمات التي

تخيلت انها لم تعجبني ، احتفظت دون ان تنتبه بالافكار نفسها . وبالفعل لم تعد المعبودة السهاوية السيدة دي تورفيل ، بل اصبحت المرأة المدهشة المرأة الرقيقة الحساسة ، ثم المرأة النادرة التي لا يمكن ان نلقى لها مثيلاً . وقلت الشيء نفسه عن هذا السحر الغامض الذي ليس هو الأقوى . فليكن ، ولكن بما انك لم تجد له مثيلاً حتى اليوم ، فمن المحتمل ألا تجد في المستقبل ايضاً . والخسارة التي تقترفها بالتخلي عنه لا يمكن ان تعوّض . فاما أن هذه الدلائل هي امها فيكونت عوارض الحب التي لا تخطيء ، واما يجب الاقلاع عن العثور على أي حب .

كن متأكداً اني هذه المرة اتحدث اليك دون غضب . وقد وعدت نفسي بالأشهر بذلك مطلقاً . وتبين لي ان من الممكن ان يصبح هذا الشعور كينياً خطراً . ولكن صدقي ، فلنكن صديقين فقط ولنبتق كذلك . وكن مديناً لي بالفضل فقط لشجاعتني في الدفاع عن نفسي : اجل شجاعتني ، لانه لا بد من ذلك في بعض الاحيان ، في سبيل عدم اتخاذ قرار نعلم انه سيء .

وهكذا سألي اذن طلبك الذي سألتني اياه بصدد التضحيات التي اطلبها ولا تستطيع ان تقوم بها ، ليس الا من اجل حملك على الموافقة على رأبي باقتناع . وانني استخدم عن قصد هذه الكلمة « اطلبها » لأنني متأكدة جيداً أنك في احدى اللحظات ستجديني بالفعل كثيرة المتطلبات : ولكن هذا أفضل ! وانني ابعد ما اكون عن الاستياء بل سأشكرك . اليك بها لانني لا اريد ان اخفي عنك شيئاً ، وانا بحاجة ربما الى ذلك .

انني اطلب إذن - لاحظ المساواة ! - ان تكون هذه المدهشة هذه النادرة السيدة دي تورفيل بالنسبة لك امرأة عادية ، امرأة كما هي فقط : لانه ينبغي عدم الانخداع بذلك . وان هذا السحر الذي تظن انك وجدته لدى الاخريات ، موجود عندنا ، وان الحب وحده هو الذي يزيّن الشخص المحبوب . وان ما اطلبه منك هنا ، مها كان مستحيلاً ، يجب ان تبذل ربما جهداً لكي تعديني به ، وتقسم لي عليه ايضاً . ولكنني - واعترف بذلك - لن اؤمن بالاقوال المعسولة ولن يتسنى لي ان اقتنع إلا بمجموع تصرفاتك .

وهذا ليس كل شيء ايضاً ، فأنا ذات اهراء فجائية دون داع . وان هذه التضحية بالصغيرة سيسيل التي تقدمها لي بكل طيبة خاطر ، لا اهتم بها ابداً . بل سأطلب منك على العكس ان تتابع هذه الخدمة الشاقة حتى إشعار آخر من قبلي .

وهذا عائد اما إلى ميلي الى استغلال سلطاني عليك بهذه الطريقة ، واما الى تسامح أو انصاف مما يكفيني أن اتصرف بعواطفك دون ان ارغب في معاكسة ملذاتك .. ومهما يكن فاني اود ان اكون مطاعة . وستكون اوامري شديدة . وعندئذ سأعتقد في الحقيقة انني مضطرة الى شكرك . ومن يدري ؟ ربما ايضاً الى تعويضك . ومن المؤكد مثلاً انني سأختصر غياباً سيصبح لي غير محتمل . وسأراك اخيراً ، ايها الفيكونت ، وسأراك ... كيف ؟ ولكنك تذكر ان هذا ليس إلا محادثة بسيطة ، مجرد عرض لمشروع مستحيل . ولا اريد ان انسى ذلك وحدي .

هل تعلم أن دعواي تقلقني قليلاً؟ وقد أردت ان اعرف أخيراً ما هي وسائلتي على وجه التحديد. ان محاميي يستشهدان لي ببعض القوانين ، وبكثير من السلطة بصورة خاصة كما يزعمان : ولكنني لا ارى فيها كثيراً من المنطق والعدالة. وقد اصبحت تقريباً نادمة لرفض الاتفاق على تسوية. وفي الاثناء اطمنئ نفسي حين افكر بأن النائب العام بارع ، والمحامي بليغ ، والمدعية جميلة. واذا لم تكن لهذه العوامل الثلاثة اية قيمة ، فيجب تبديل مجرى جميع القضايا ، وماذا يصبح عليه احترام التقاليد القديمة ؟

ان هذه الدعوى هي حالياً الشيء الوحيد الذي يحتجزني هنا . لان قضية بيلروش قد انتهت : براءة مع إلزام بالمصاريف . وهو الآن نادم على عدم تمكنه من حضور حفلة هذا المساء وهو ندم العاجز الذي لا عمل له ! سأعيد اليه حرّيته بكاملها عند عودتي الى المدينة . وسأقدم له هذه التضحية المؤلمة ، وأتعزى بالسخاء الذي يجده فيها .

الوداع ايها الفيكونت ، اكتب اليّ غالباً : ان تفاصيل ملذاتك تعوضني على الأقل عن جزء من السأم الذي أشعر به هنا .

## من الرئيسة توفيل الى السيدة دي روزموند

باريس في ١٥ تشرين الثاني ?? ١٧

أحاول ان اكتب اليك دون ان اعلم اذا كنت سأتمكن من ذلك، آه يا آلهي!  
عندما افكر ان الافراط في سعادتي هو الذي حرمني من متابعة رسالتي الاخيرة!  
فاذا بالافراط في اليأس هو الذي يرهقني في الوقت الحاضر ، ولا يدع لي قوة على  
الشعور بآلامي ، وينزع مني حق قوة التعبير عنها .

فالمون ... فالمون لم يعد يحبني ابداً ، وهو لم يكن يحبني البتة . ان الحب لا  
يزول على هذه الصورة . فهو يخذلني ، ويحقرني . ولا أشعر الا بالكل  
ما يمكن جمعه من أنكاد ومنغصات وإهانات ، وقد جاءتني كلها منه .

لا تظني أنها مجرد شبهة بسيطة . فأنا ابعد ما اكون عن الاعتقاد بالشبهات!  
ولا توجد لدي سعادة الشك والاشتباه . بل رأيتة بنفسني : ماذا يستطيع ان  
يقول لي تبريراً لموقفه ؟ ولكن ماذا يهمه من ذلك ؟ فلن يحاول التبرير ... يا لي  
من تعيسة ! وماذا تنفع فيه ملاماتي ودموعي ؟ اجل انه مشغول بي جداً !

صحيح انه ضحى بي ، وتخلّى عني ... في سبيل من ... مخلوقة ساقطة  
حقيرة ... ولكن ماذا اقول ؟ آه لقد فقدت حق حق ازدرائها . وهي لم  
تخن مثلي واجباتها ، بل هي اقل ذنباً مني . آه كم ان العذاب مؤلم حين يستند على  
تبكيت الضمير ! احس بوساوسي تتضاعف . الوداع يا صديقتي العزيزة ، مها  
جعلت نفسي غير جديرة بأية شفقة ، فستكون لديك شفقة عليّ : اذا استطعت  
ان تكوّنني ففكرة عما اعانيه .

لقد أعدتُ قراءة رسالتي فلاحظت أنها لا تستطيع ان تنبئك بشيء .  
سأحاول اذن ان اتسلح بالشجاعة لأروي لك هذا الحادث الفظيع . كان ذلك  
أمس ، وكان علي لأول مرة منذ عودتي ان اذهب لتناول العشاء خارج منزلي .  
وقد حضر فالمون لزيارتي في الساعة الخامسة ، ولم يظهر لي ابداً بمثل تلك الرقة

وذلك العطف ، واعلمني ان فكرة خروجي تضايقه . وبامكانك ان تتصوري انني قررت البقاء في بيتي . ومع ذلك بعد ساعتين ، اذا بمظهره ولهجته يتبدلان فجأة بشكل ملحوظ ، ولا ادري اذا كانت قد أفلتت مني بعض الكلمات التي يمكن ألا تكون قد اعجبته . ومهما يكن فقد ادعى بعد فترة وجيزة انه تذكر ان ثمة قضية هامة تجبره على تركي ، ثم أنصرف . ومع ذلك لم ينس أن يظهر لي أسفه الحاد على ما بدر منه مما بدا لي أنه رقيق وصادق في ذلك .

وبعد ان وجدت نفسي وحدي رأيت من المناسب الا اتخلف عن مواعيدي الأولى لأنني كنت حرة في القيام بها . فأنهيت زيني وصعدت الى العربة . ولسوء الحظ مرّ بي الحوذي امام دار الاوبرا ، ووجدت نفسي في زحمة خروج النظارة . ولاحظت على بعد أربع خطوات مني وفي الصف الجاني وجود عربة فالمون ، فخفقت قلبي حالاً ، ولكن لم يكن من الخوف ، وكانت الفكرة الوحيدة التي شغلتنني هي الرغبة في ان تتقدم عربتي . وبدلاً من ذلك كانت عربته هي التي تحلت على التراجع . واذابها تقف الى جانب عربتي . وتقدمت على الفور : وم كانت دهشتي كبيرة حين وجدت الى جانبه فتاة معروفة بتبذلها . فانسحبت كما يمكن ان تفكرني . وقد كان ذلك كافياً لتمزيق فؤادي . ولكن ما تكادين ألا تصدقينه هو ان هذه الفتاة نفسها ، التي بدت ظاهرياً انها مطلعة على سري لم تترك باب العربة ولم تكف عن التحديق بي وهي تضحك ضحكات قوية صاخبة . وبهذا الاضحلال الذي كنته ، تركت نفسي أقف الى المنزل الذي كنت مدعوة للعشاء فيه ، ولكنني لم استطع البقاء هناك ، اذ شعرت مراراً انني سأصاب بالأغماء . وبصورة خاصة لم استطع ان أكبت دموعي .

ولدى عودتي كتبت الى السيد دي فالمون ، وبعثت برسالتني اليه حالاً . ولكنه لم يكن في منزله . وقد أمرت خادمي بانتظاره لأنني أردت أن اخرج من حالة الموت هذه او اتأكد منها مهما كلف الأمر . ولكن خادمي عاد عند منتصف الليل وقد علم من حوذي عربته الذي عاد في تلك الساعة ان سيده ابلغه انه لن يبيت تلك الليلة في المنزل . وقد ظننت هذا الصباح انه لم يبق لي



إلا ان اطلب رسائلي منه مرة اخرى ، وارجوه الا يأتي مطلقاً الى بيتي . وقد  
اصدرت بالفعل اوامري بهذا الصدد ، ولكن كانت بدون شك غير مجدية .  
لأن الوقت قد تجاوز الآن الظهر ولم يحضر ، ولم تصلني منه اية كلمة ايضاً .  
والآن يا صديقتي العزيزة ليس عندي ما اضيفه الى ذلك ، وها انت مطلعة  
على الأمر وتعرفين قلبي . واملي الوحيد هو ألا اطيل أيضاً إنزال الشجن بصدافتك  
الحساسة .

١٣٦

### من الرئيسة تورفيل الى الفيكونت دي فالمون

باريس في ١٥ تشرين الثاني ١٧??

لا تنتظر بدون شك ، يا سيدي ، بعد الذي حدث امس ان تُستقبَل في  
بيتني ، ولا ترغب بدون شك ايضاً في ذلك بعد الآن ! ان هذه الكلمة لا تهدف  
لكي ارجوك عدم الحضور الى بيتي وحسب ، بل الى الطلب منك مرةً أخرى  
إعادة رسائلي التي كان يجب ألا تُكتب أبداً . واذا كانت هذه الرسائل قد شغلت  
اهتمامك في وقت من الاوقات كدليل على التهور الذي جعلته يولد ، فانها لم تعد  
تشكل اية اهمية تذكر بالنسبة اليك في الوقت الحاضر ، بعد ان زال هذا التهور ،  
ولم تعد تُعبّر عن عاطفة حطمتها أنت بنفسك .

أنا اعترف وأقر بأنني كنت على خطأ في ان اضع فيك ثقة كانت كثيرات قبلي  
قد وقعن ضحيتها . ومع ذلك لا أضع اللوم الا على نفسي ، ولكنني اعتقد انني  
لم اكن استحق أن تدفع بي الى الازدراء والإهانة . وكنت اعتقد انني ، حين  
ضحيت من اجلك بكل شيء ، وفقدت من اجلك وحدك حقوقي في نيل احترام  
الآخرين ونفسي ، استطيع ان انتظر في الاثناء ألا يُحك عليّ من قبلك بقساوة  
أشد مما يحكم عليّ الجمهور الذي ما زال يفرّق في رأيه بمسافة بعيدة بين المرأة  
الضعيفة والمرأة المفسودة . ان هذه الاخطاء التي يمكن ان يقع فيها الجميع هي

الوحيدة التي أحدثك عنها ، وانني اسكت على اخطاء الحب ، لأن قلبك لن يستمع الى قلبي ، الوداع يا سيدي .

١٣٧

## من الفيكونت دي فالمون الى الرئيسة تورفيل

باريس في ١٥ تشرين الثاني .

لقد تسلمت الآن فقط رسالتك يا سيدي ، وقد ارتجفت رعباً وأنا أقرأها ولم تدع لي سوى قوة ضئيلة للرد عليها . أية فكرة فظيمة لديك عني ! آه ! لا ريب بأن عندي اخطاء . وتلك التي لا اسامح نفسي عليها طول الحياة ، فقد شملتها بسعة صدرك وحلمك . ولكن هذه التي تأخذينها عليّ الآن قد كانت دوماً بعيدة عن روحي ! من أنا ؟ أهينك ، وأحقرك ، بينما أحترمك بقدر ما أعزك . وبينما لم أعرف الزهو إلا حين حكمت عليّ بأنني جدير بك ؟ لقد خيبت أملك المظاهر . وانا اوافق على انها كان يمكن ان تكون ضدي ، ولكن ألم يكن في فؤادك ما ينبغي لمحاربتها ؟ أفلم يثر لفكرة انه يستطيع أن يشكو من فؤادي ؟ ومع ذلك فقد صدقتَه ! وهكذا لم تحكمني علي فقط بأنني قادر على إقتراف هذا الجنون الفظيع بل ظننت انني عرّضتُك له ، بسبب مكارمك نحوي . آه ! اذا كنت تجدين نفسك مذلولة إلى هذا الحد من جراء حبك ، فهل أنا نفسي اذن مفسود منحط بنظرك ؟

أما وقد كدّرني هذا الشعور المؤلم الذي تسببه لي هذه الفكرة ، فإنني أضيع في دفعها الوقت الذي يجب ان استخدمه للقضاء عليها . سأعترف بكل شيء ، ولكن اعتباراً آخر ما زال يحتجزي . هل يجب اذن أن أروي الوقائع التي سأود محققها ، واحصر انتباهك وانتباهي في لحظة خطأ أريد أن افتديها ببقية حياتي ، وما زلت لا افهم سببها ، وان ذكرها يجب ان تعمل على اهانتني ويأسى ؟ آه ، لو كنت باتهام نفسي ينبغي أن أثير غضبك ، لما كان عليك علي

الاقبل ان تبخني بعيداً لتحقيق انتقامك . بل يكفي أن تسلمني الى تبكيت ضميري .

ومع ذلك من يصدق أن السبب الأول لهذا الحادث الفظيع هو السحر القوي الذي أشعر به حيالك ؟ وقد كان هو الذي جعلني أنسى لمدة طويلة قضية هامة لا يمكن تأجيلها . وكان ان تركتك في ساعة متأخرة ، ولم أجد الشخص الذي ذهبت أبحث عنه . وأملت ان القاه في دار الأوبرا ، ولكن مساعي كانت أيضاً خائبا ، وهناك صادفت اميلي التي عرفتها في وقت كنت ما ازال بعيداً عن معرفتك ومعرفة الحب ، ولم تكن معها عربتها فطلبت إليّ ان انقلها الى بيتها البعيد قليلاً من هناك . فلم أرَ في ذلك اي مانع ووافقت ، وكان عندئذ ان صادفتك وشعرت على الفور انك ستحكمين عليّ كتمهم مذب . ان الخوف من ألاّ اقع في نفسك موقع الاستحسان ، ومن ان اشجيك ، هو قوي جداً عليّ الى درجة انه كان لا بد ان يلاحظ في الحال . واعترف انني حاولت ان احمل هذه الفتاة على ان تخفي نفسها ، ولكن هذه الحيلة الرقيقة انقلبت ضد الحب . ذلك بأنها معتادة كجميع الفتيات اللواتي هن من نوعها على ألا تكون واثقة من سلطان مغتصب دائماً ، إلا بالافراط الذي تسمح لنفسها بصدده ، فقد شاءت ألا تدع مثل هذه المناسبة الباهرة تفوتها . وكلما رأته ارتباني يزداد كلما جهدت بأن تتظاهر . وكان مرحها المجنون - الذي اخجل لكونك استطعت في وقت من الاوقات ان تعتقدي انه موجّه اليك - عائداً الى العناء القاتل الذي كنت أعانيه ، والذي نتج هو نفسه عن الاحترام والحب اللذين اكنهما لك .

وحق الآن لا شك في أنني لست سوى تعيس اكثر مني متهم . وان « هذه الاخطاء التي يرتكبها جميع الناس والوحيدة التي تحدثني عنها » ، ليس لها وجود ولا يمكن ان الالم بسببها . ولكنك تسكتين بحثاً عن اخطاء الحب : وانا لن اعتمد حولها بالصمت نفسه لأن هناك أهمية كبيرة جداً تجبرني على قطع صمتي بصددها .

ليس لأنني - في البلبلة التي تحيط بي بسبب هذا الضلال غير المفهوم - استطيع

أن آخذ على عاتقي استعراض ذكراها دون ألم شديد ، بل انني سأرضى بتحمل  
العناء، وقد هزتني اخطائي ، أو أنتظر العفو عني من الزمن ، ومن رقتي الابدية ،  
ومن تسامحك وتكفيري عنها . ولكن كيف يتسنى لي ان اسكت ، بينما ان  
ما يبقى عليّ ان اقوله بهم لطفك ورقة ضميرك ؟

لا تظني انني ابحت عن حيلة لكي أعذر أو أخفف غلظتي . بل اعترف بذنبي .  
والكني لا اعترف ابدأ ولن اعترف مطلقاً ان هذه الغلظة المهينة يمكن ان تعتبر  
كخطأ في الحب . وماذا يمكن ان يكون هناك شيء مشترك بين مفاجأة الحواس  
ولحظة نسيان النفس اللتين يليها الحجل والندم وبين شعور طاهر لا يمكن ان  
يولد الا في نفس حساسة رقيقة، ولا يقوم إلا على أساس الاحترام، واخيراً تكون  
السعادة ثمرته . آه ، لا تدنسي الحب بهذه الطريقة . وحاذري ايضاً من ان تدنسي  
نفسك حين تجمعين ما لا يمكن جمعه ابدأ تحت سقف واحد . ودعي النساء  
الساقطات يخفن من مزاحمة يشعرن بأنفسهن أنهن لا يستطعن بلوغ مرتبتها .  
دعهم يعانون من منغصات غيرة هي ايضاً مهينة قاسية . ولكن أشيحي انتِ  
بأبصارك عن هذه الحثالات التي تلطخ عينيك . وعاقبي الاهانة بوصفك طاهرة  
كالألوهية دون ان تشعرين بها .

ولكن اي عذاب تفرضين عليّ ان اعانيه أشد مما أعانيه الآن ؟ وما الذي  
يمكن ان يماثل الحسرة على فقداني اعجابك ؟ وما الذي يمكن ان يجاري اليأس  
من ان اكون قد أشجيتك ، والفكرة المرهقة بأن اكون قد جعلت نفسي أقل  
جدارة بك ؟ انتِ تهتمين بالعقاب ، وانا اطلب اليك تعزيتي : كلا ... انني لا  
استحقها . بل هي ضرورية اليّ فقط ولا يمكن ان تأتيني الا منك .

اذا شئت فجأة ان تتناسي حبي وحبك ، ولا تضعين أية قيمة لسعادتك ،  
وأردت على العكس ان تتركيني فريسة عذاب ابدى فلكِ الحق بذلك : واضربي  
ضربتك . ولكن إذا تذكرت ايضاً هذه المشاعر الرقيقة التي توحد ما بين قلوبنا ...  
وكنت اكثر تسامحاً واشد حساسية ، وتذكرت متعة الروح الرفيعة التي تتجدد  
على الدوام وتشعرين بها بحجوية ، وتذكرت تلك الايام العذبة السعيدة التي قضيناها

معا والتي كان كل منا مدين بها للآخر، وتذكرت جميع ممتلكات الحب هذه التي يخلقها الحب وحده... فلعلك عندئذ ستفضلين ان تتمكني من جعلها تولد من جديد بدلاً من تحطيمها. ماذا سأقول أخيراً؟ لقد أضعت كل شيء، وقد أضعته بسبب غلطي. ولكنني استطيع ان استعيد كل شيء بفضل إحسانك، وعليك الآن ان تقرري، ولا أضيف كلمة واحدة. وبالأمس فقط أقسمت ان سعادتي اكيدة وهي ما زالت تتوقف عليك! آه يا سيدتي! هل تدعيني اليوم فريسة ياس ابدى؟

١٣٨

### من الفيكونت دي فالون الى المراكيزة دي توفيل

باريس في ١٥ تشرين الثاني ١٧??

ما زلت مصراً على موقفى، يا صديقتى الحسنة: كلا. لم أعد عاشقاً البتة، وليس الذنب ذنبى اذا كانت الظروف تحملني على القيام بدور العاشق. وافقى فقط، وعودى، وسترين بنفسك قريباً كم أنا صادق. وقد قمت ببراهينى أمس، ولا يمكن ان تحطّم بما يجري اليوم.

فقد كنت اذن في زيارة الورعة الحنونة. وكنت أزورها دون أية غاية أخرى سوى الحب، لأن الصغيرة فولانج، رغم حالتها، كان عليها أن تقضى الليل بطوله في حفلة الرقص المبكرة التي اقامتها السيدة ف... وقد جعلتني البطالة أرغب في إطالة هذه السهرة مع السيدة دي توفيل، لا بل طالبت بهذا الصدد بتضحية صغيرة، ولكنها ما كادت تمنحني اياها حتى شعرت بأن المتعة التي وعدت نفسي بها قد اضطربت من جراء فكرة هذا الحب الذي تصرين على اعتقاده فيّ، أو على الأقل تأخذه عنى، بحيث انني لم اعد أشعر بأية رغبة أخرى سوى التمكن في آن واحد من ان أطبئن نفسي، واقنعك بأن هذه الفكرة هي مجرد اتهام باطل من جانبك. يؤذى سمعتي وشرفى.

وكان أن اتخذت اذن قراراً عتيفاً. وتركتُ حسناني فجأة متذرعاً بحجة

واهية ، وقد بدت مندهشة ومتألمة لذلك ، وقصدتُ همدوء الى دار الاوبرا  
لمقابلة أميلي . وتستطيع هذه ان تخبرك اننا بقينا معاً حتى هبذا الصباح وقد  
قضينا اوقاناً ممتعة جداً ولم يعكر ملذاتنا أي ندم او تأسف .

ولكن كان هناك موضوع جميل للقلق ، لولا أن لا مبالاتي التامة قد أنقذتني .  
لأنك ستملين انني كنت ما أزال على بعد قليل من دار الاوبرا ، ومعني اميلي في  
عربتي ، حين مرت عربة الورعة المزممة ووقفت الى جانبنا بسبب عرقلة في  
السير دامت بضع دقائق . وكنا نرى بعضنا البعض كما لو كنا في عز النهار ، ولم  
تكن هناك وسيلة للافلات .

ولكن لم يكن هذا كل شيء ، بل أخبرتُ أميلي أن هذه المرأة هي التي  
كتبتُ اليها الرسالة من غرفتها ( و لعلك تتذكرين هذا الجنون حين كتبت اليها  
مرة وانا بين ذراعي اميلي ) . أما هي فلم تكن قد نسيت ذلك ، وهي الساخرة  
الضحوك ، فلم تكفّ عن التحديق بتحدٍ « بهذه الفضيلة » كما كانت تسميها ،  
وعن اطلاق ضحكات قوية ساخرة تثير الفضيحة والاستياء .

وليس هذا كل شيء ايضاً ، اذ بهتت المرأة الغيورة خادمها إلى منزلي ، وبما  
انني لم اكن موجوداً ، فقد أمرته بعناد أن ينتظرنني حتى أعود . ولكنني ما ان  
قررت أن امضي الليل مع اميلي حتى صرفت حوذي عربي وطلبت اليه ان يعود  
الي في الصباح لاحضاري . وكان ان وجد فور وصوله الى بيتي رسول الحب  
بانتظاري ، فأبلغه انني لن اعود هذه الليلة ، وتستطيعين ان تتصورني مبلغ تأثير  
هذا النبأ عليها . وهكذا حين عدت هذا الصباح وجدت كلمةً منها تحمل اليّ  
نبأ عزلي من مناصبي حسب ما تقتضيه عزة النفس في هذه الظروف .

وهكذا كان بالامكان ان تنتهي هذه المغامرة الطويلة كما تقولين هذا الصباح .  
واذا كانت لم تنتهِ فليس لأنني كما ستمتقدين ، ابدل جهداً لمتابعتها ، بل لأنني لم  
أجد من اللائق أن أترك بهذه الطريقة من جهة ، ومن جهة اخرى أردت ان  
احفظ باحترام النضحية .

وكان أن اجبت على الكلمة القاسية برسالة عاطفية طويلة وابدتُ فيها

مبررات مفصلة ، واعتمدتُ على الحب لكي اجعلها تجد مبرراتي صالحة . وقد نجحت ، وها انا اتلقى منها كلمة أخرى - دائماً قاسية - تؤكد الانفصال الدائم ، ولكن لهجتها تبدلت ، وهي لا تريد بصورة خاصة أن تراني . وقد اعلنت هذا التحزب ضدي وكررته أربع مرات بطريقة لا يمكن الرجوع عنها . وقد استنتجت من ذلك بأن عليّ ألا اضيع لحظة من الوقت لكي أذهب فأراها ، وقد أوفدتُ خادمي لكي يسيطر على بوابها ، وبعد قليل سأذهب بنفسني أوقع قرار العفو عني . لأنه في حالة الذنوب الماثلة ليس هناك أجدى من الحضور بالذات للحصول على الصفح التام .

الوداع يا صديقتي الفاتنة ، سأركض لمحاولة القيام بهذا الحدث العظيم .

١٣٩

### من الرئيسة تورفيل الى السيدة دي روزموند

باريس في ١٦ تشرين ?? ١٧

كم أوأخذ نفسي يا صديقتي الحساسة على أنني تحدثتُ إليك كثيراً لا بل وبصورة سابقة لأوانها عن آلام عابرة ! وانا السبب في تكديرك في الوقت الحاضر . اذ ما زالت تلك الاشجان التي تأتيك مني مستمرة ، بينما أنا سعيدة . أجل لقد نسي كل شيء ، وسومح ، ولنقل بالأحرى أن كل شيء قد أصلح . وقد تلت هذه الحالة من الألم والضيق ، اللذات والهدوء . يا لبهجة قلبي ! كيف اعبر لك عنها ! فالمون بريء ، ولا يمكن ان يكون مذنباً ولديه مثل هذا الحب . ان الاخطاء الخطيرة المهيمنة التي لمتهُ عليها بكثير من المرارة لم يكن مسؤولاً عنها ، واذا كنت قد احتجتُ بصدد قضية واحدة الى شيء من سعة الصدر ، ألم اكن بحاجة إلى تدارك ظنوني السيئة ؟

لن اطلعك على وقائع الاحداث أو الاسباب التي تسبرر موقفه ، لأن العقل لن يقدرها على حقيقتها ، بل يعود للقلب وحده ان يشعر بها . واذا كان

عليك مع ذلك ان تهمني بالتخاذل ، فإنني اترك الأمر لحكمتك كي تدعم حكمتي .  
وقد سبق ان قلت لي أن الخيانة لدى الرجال ليست دليلاً على عدم ثباتهم على  
العهد .

وليس لأن هذا التمييز لا يجرح عنفواني ، بل ان ما يشكو عنفواني منه هو  
ان يكون فالمون يتعذب اكثر مني ؟ لا تعتقدي أن هذا الخطأ الذي تناسيته  
قابل للعفو والعزاء . ومع ذلك كم تدارك فالمون هذه الغلظة البسيطة عن طريق  
الافراط في حبه وبعث سعادتي .

فإما ان تكون غبطتي عظيمة واما انني اشعر بمدى قيمتها منذ أن خشيت  
فقدانه - ولكن ما استطيع ان أخبرك اياه هو انني اذا كنت قد شعرت بالقوة  
على تحمل احزان قاسية كما عانيت اخيراً ، فلا اظن انني قد دفعت غالباً ثمن  
الفيض من السعادة الذي اتذوقه منذ وقت قليل . آه يا صديقتي الحنوننة ،  
تستطيعين ان تؤنبي ابنتك غير الموزونة لكونها أحزنتك بكثير من التسرع .  
أنسبها لكونها حكمت بصورة اعتباطية على ذلك الذي يجب ألا تكف عن عبادته .  
ولكن مع اعتبارك اياها غير محترسة ، انظري الى سعادتها وزيدي من بهجتها  
بشاطرتك إياها .

١٤٠

### من الفيكونت دي فالمون الى المر كيزة دي ميرتاي

باريس في ٢١ تشرين الثاني ١٧٧٠ .

ماذا حدث يا صديقتي الحسنة لكيلا اتلقى منك اي جواب ؟ وقد بدت لي  
رسالتني الاخيرة بأنها تستحق مع ذلك جواباً ، كان يجب ان يصلني منذ ثلاثة  
ايام ، وما زلت أنتظره حتى الآن ! انني حائق على الأقل ، وان احدثك ايضاً  
مطلقاً عن شؤوني الكبرى .

ولن اقول لك كلمة واحدة عن المصالحة التي كان لها تأثيرها البالغ ، وعن



الملاحظات الجديدة التي حلَّت محل الملامات والحذر ، وعن انني انا الذي اتلقى الاعتذارات عن براءتي المشتبه بها . ولولا الحادث غير المنتظر الذي وقع في الليلة الماضية لما كنت كتبت اليك ابدأ . ولكن بما ان هذا الحادث يتعلق بحضينتك ، وأنها اكيداً لن تكون في حالة تسمح لها بالكتابة اليك عنه ، فإنني اتكفل بذلك . منذ ايام قليلة لم أعد أهتم بالسيدة دي تورفيل لأسباب قد تحزيرينها أو لا . وبما أن هذه الاسباب معدومة لدى الصغيرة فولانج فقد أصبحت اشد ولعاً بها من ذي قبل . وبفضل البواب اللطيف لم أصادف أمامي أية عقبة ، وأخذنا - حضينتك وانا - نخوض حياة ملائمة ومنتظمة . ولكن العادة تقود الى الإهمال ، وفي الأيام الأولى لم نتخذ ابدأ احتياطات كافية للمحافظة على امننا وكنا نرتجف خلف الابواب المقفلة . وبالأمس سببت لنا غفلةً لا تُصدَّق ذلك الحادث الذي سأطلعك عليه . واذا كنت في ما يتعلق بي قد شعرت بخوف شديد ، الا أنه لكف الصغيرة غالباً .

وكنا غير نائمين ، ولكننا كنا في فترة الراحة والاسترخاء التي تعقب أوج المتعة ، حين سمعنا الباب يفتح فجأة . فقفزت على الفور إلى سيفي للدفاع عن نفسي وعن حضينتنا المشتركة ، وتقدمت بضع خطوات لأرى ، ولكنني لم أجد أحداً ، ولكن الباب كان بالفعل مفتوحاً . وبما أنه كان لدينا ضوء ، فقد خرجتُ أبحث عن الطارق ، ولم اعثر على أحد . وعندئذ تذكرت اننا نسينا احتياطاتنا المعتادة ، وأن الباب قد اندفع بدون شك وحده ، أو انه كان غير مقفل بصورة محكمة ، فانفتح من تلقاء نفسه .

وحين عدتُ إلى رفيقتي الخجول لكي أطمئنها ، لم أجد لها في سريرها ، فيما أنها سقطت ، أو أنها أفلتت بين السرير والجدار . واخيراً كانت منطرحة ارضاً دون وعي ، ودون اية حركة سوى بعض التشنجات . وبامكانك ان تتصوري مبلغ ارتباكنا ! وقد توصلت مع ذلك إلى إعادتها إلى سريرها ثم إلى وعيها ، ولكنها جرحت نفسها من جراء سقطتها هذه ولم تلبث ان احدثت تشعراً بالآلام . وكانت تحسُّ بالآلام في ظهرها وبمغص عنيف في بطنها وبمعارض أقل تعقداً

جعلتني استنير بصدد حالتها . ولكن كان لا بدّ لكي اطلمها على حالتها هذه ،  
من أن انبثها بالحالة التي كانت فيها سابقاً . لأنها لم تكن تشكُّ بشيء .. آه ان  
هذه الفتاة حقيقة لا تضيع وقتها في التفكير !

ولكنها كانت تضيع وقتاً طويلاً لكي تتعزى . وشعرتُ انه يجب إتخاذ  
قرار ما . وكان ان اتفقتُ معها على أنني سأذهب فوراً الى طبيب العائلة  
وجراحها لكي انبثها بأنها قد يُستدعيان لزيارتها ، وسأروي لها كل شيء على ان  
يحتفظا بالسر . وانها من ناحيتها ستنادي خادمتها حين أخرج من غرفتها ، وتطلب  
اليها إرسال الاسعاف ، ثم تحول بصورة خاصة دون إنهاض السيدة دي فولانج  
من النوم ! وهذا تصرف طبيعي ومهذب من جانبها لكي لا تقلق والدتها .

وقمتُ بزيارتيّ إلى الطبيبين وأدليتُ أليها باعترافي بكل رشاقة وصدق ،  
وعدت إلى بيتي ولم أخرج منه حتى الآن . ولكن الجراح الذي أعرفه جيداً  
حضر لزيارتي عند الظهر وأطلعني على حالة المريضة . ولم اكن مخدوعاً بما خمنت  
ولكنه يأمل اذا لم يقع حادث آخر بالألا يلاحظ أحد نوع المرض ، وقد اطلمتُ  
الخدامة على السرّ ، واعطى الطبيب إسماً إلى المرض ، وستسوى القضية كجميع  
القضايا الأخرى . اللهم الا اذا كان من المفيد لنا ان نتكلم في ما بعد .

ولكن هل هناك بعض المصلحة المشتركة بينك وبينني ؟  
ان صمتك يجعلني أشكُّ في ذلك ، لا بل لن اؤمن بها أبداً ، لولا أن الرغبة  
جعلتني أبحث عن جميع الوسائل للمحافظة على الأمل .  
الوداع يا صديقتي الحسنة ، أقبلك .

١٤١

من الموكيزة دي ميرتاي إلى الفيكونت دي فالمون

قصر ... في ٢٤ تشرين الثاني ?? ١٧

يا إلهي كم تضايقتني ايها الفيكونت بمنادك ! وماذا يهمك صمتي ؟ هل تظن

انني اذا كنت اعتم به فلأن الاسباب تعوزني لكي ادافع عن نفسي ؟  
آه ، انني أحمد الله على ذلك . ولكن كلا ، بل ان ذلك عائد الى ان الكلام  
معك يكلفني جهداً .

قل لي حقيقة : هل تخدع نفسك بنفسك أم انك تحاول ان تخدعني ؟ لان  
الفرق بين أقوالك واعمالك لا تدع مجالاً للاختيار الا بين هذين الاحساسين ؛  
فأيها الصحيح ؟ وماذا تريدني ان اقول لك حين اكون انا نفسي لا اعرف سوى  
التفكير ؟

تبدو انك تكيل لنفسك المديح من جراء مشهدك الاخير مع الرئيسة .  
ولكن ماذا يمكن ان يبرهن هذا المشهد لصالح طريقتك أم ضد طريقي ؟ من  
المؤكد انني لم اقل لك انك تحب هذه المرأة بصورة كافية الى درجة لا تخدعها  
معها ولا تغتم جميع الفرص التي تبدو لك ممتعة وسهلة ؛ ولم اشك في انه لا  
يهمك الا ان ترضي الرغبات التي اثارتها فيك هذه المرأة مع أية امرأة اخرى أو  
مع الاولى التي تقع عليها يدك ، . ولست مندهشة ابدأ نظراً لما عندك من  
أباحية في التفكير لا ينازعك فيه احد ، في ان تفعل مرة واحدة عن سابق تصميم  
وخطة مدروسة ، ما فعلته الف مرة اخرى من قبيل المصادفات والمناسبات .  
من يعلم ان هذا هو التيار البسيط للناس . وان من يتمتع اليوم عن هذا العمل ،  
يُعتبر خيالياً ، وليس هذا ما أؤاخذك عليه كما اعتقد .

ولكن ما قلته وفكرت به وأفكر به ايضاً ، انك ما زلت على حب نحو  
رئيستك . وليس هذا في الحقيقة حباً رقيقاً ناعماً ، ولكنه من نوع الحب الذي  
تستطيع ان تشعر به . من النوع الذي يجعلك مثلاً تجدد في امرأة ظرافة ومزايا  
لا تملكها وتضعها في طبقة خاصة بها ، وتضع الأخباريات الباقيات في درجة ثانية .  
من الذي يجبرك على التعلق بها أيضاً حين تهينها ، كما يشعر سلطان نحو  
سلطنته المحبوبة وهذا ما لا يحول بينه وبين ان يفضل عليها جارية بسيطة . ان  
مقارنتي تبدو لي صحيحة جداً بحيث انك مثله ، لست صديقاً ولا عشيق امرأة .  
بل، دائماً إما جبارها العاتي او عبدها . وهكذا فأنا متأكدة انك ستكون مهاناً

مذلولاً كي تنال صفح الجنس اللطيف ! وستكون سعيداً جداً متى توصلت إلي ،  
ولكنك ما ان تجد الفرصة مؤاتية للحصول على العفو عنك ، حتى تبركني في سبيل  
هذا الحادث العظيم .

وكذلك اذا كنت لم تحدثني في رسالتك الاخيرة عن تلك المرأة وحدها ،  
فلأنك لا تريد ان تقول لي شيئاً عن « شؤنك الكبرى » . وهي تبدو لك مهمة  
جداً ، بحيث ان الصمت الذي تعتم به عنها ، تظنه عقوبة لي . وبعد هذه  
الألوف من الدلائل على تفضيلك امرأة اخرى تأتي فتسألني بكل بساطة اذا كان  
ثمة « بعض المصلحة المشتركة بيني وبينك » ! فكان على حذر ايها الفيكونت  
وانني اذا اجبت مرة فسيكون جوابي غير قابل للتعديل او الرجوع عنه ، وان  
خوفي من اعطاء هذا الجواب الآن ربما يعني شيئاً كثيراً ، وهكذا لا اريد ان  
أتحدث عنه مطلقاً .

كل ما استطيع ان افعله هو ان اروي لك حكاية ، ربما ليس عندك وقت  
لقراءتها او للالتفات اليها التفاتاً كافياً لكي تفهمها جيداً . بيد انك حرّ في  
تصرفاتك ، ولكنها ان تكون حكاية دون فائدة منها كان الحال :

لقد أُولع رجل من معارفي مثلك بامرأة كانت لا تشرّفه كثيراً . وكان  
لديه خلال فترات مختلفة ذهن جيد لكي يفكّر انه عاجلاً ام آجلاً ستهيء هذه  
المغامرة الى سمعته . ولكنه على الرغم من جرأته كانت تخونه الشجاعة على  
اعلان الانفصال . وكان ارتبائه قوياً الى درجة انه اخذ يتباهى امام اصدقائه  
انه طليق غير مقيد ، ولم يكن يجهل ان ما عندنا من سخف يزداد دائماً بنسبة  
ما ندافع عن انفسنا منه . وامضى حياته على هذه الصورة وهو لا يكف عن  
ارتكاب الحماقات ، ولا يكف عن القول بعدها : ان الذنب ليس ذني . وكان  
لهذا الرجل صديقة ودّت لو تفضحه امام الجمهور وهو في هذه الحالة من النشوة  
والذهول ، وجعل سخافته اثرأ لا يحى ، ولكنها ربما كانت كريمة اكثر مما  
هي خبيثة ، او ربما لأسباب اخرى ، فكان ان شاء ان تحاول معه وسيلة  
اخيرة لكي تكون - عند كل حادث - في حالة يصح معها القول كصديقها : ليس

الذنب ذنبي . وكان ان بعثت اليه دون اي رأي بالرسالة التالية كعلاج مفيد يمكن استخدامه لدائه :

« اننا نسأم كل شيء ، يا ملاكي ، وهذا هو قانون الطبيعة : وليس الذنب ذنبي . »

واذا كنتُ أسأم اليوم مغامرة شغلتنني بكليتي منذ اربعة اشهر بميمة فليس الذنب ذنبي .

« واذا كان لديّ مثلاً من الحب بقدر ما كان لديك من الفضيلة ، وهذه اكيداً مبالغة في القول ، فليس من المدهش اذن ان ينتهي الحب في الوقت الذي تنتهي فيه الفضيلة . وليس الذنب ذنبي .

« وقد نتج عن ذلك أنني منذ وقت قصير قد خنتك : ولكن رقّتك التي لا تشفق قد أجبرتني نوعاً ما على ذلك ! وليس الذنب ذنبي » .

« واليوم هناك امرأة أحبها حتى الجنون ، تطالب بأن أضحي بك من اجلها وليس الذنب ذنبي » .

« وأشعر انني بذلك اتيح لك فرصة طيبة لكي تصيحي : يا لنكث اليمين ! ولكن اذا كانت الطبيعة لم تمنح الرجال الاستقرار بينما منحت النساء العناد والاصرار ، فليس الذنب ذنبي . »

« صدقيني ، إختاري لك عشيقاً آخر ، كما اتخذت خليفة جديدة ، وهذه للنصيحة جيدة جداً حتى ولو وجدتها رديئة ، والذنب ليس ذنبي .

الوداع يا ملاكي ، لقد نلتك بلذة ، واطركتك دون أسف ، ربما سأعود اليك . تلك هي سنة الحياة وليس الذنب ذنبي » .

لم يحن الوقت بعد لكي اقول لك ما هو تأثير هذه المحاولة الأخيرة ولا ما سيعقبها : ولكنني أعدك بأن أخبرك ذلك في رسالتي المقبلة ، وستجد فيها « إنذارني » بصدد تجديد المعاهدة التي تقترحها عليّ ، وحتى ذلك الحين وداعاً

بكل بساطة .

بالمناسبة أشكرك على تفاصيلك بصدد الصغيرة فولانج . وهو مقال يصلح الاحتفاظ به الى ما بعد الزواج ، لنشره في جريدة القيل والقال . وبالانتظار اقدم اليك تعازي الحارة على فقدان نسلك . أنعم مساء ايها الفيكونت .

١٤٢

## من الفيكونت دي فالون الى المركيزة دي ميرتاي

باريس في ٢٧ تشرين الثاني ١٧٠٠ .

لست أدري في الحقيقة يا صديقي الحسنة اذا كنت قد أسأت قراءة اوسماء رسالتك والحكاية التي رويتها لي فيها ، ونموذج الرسالة الصغيرة التي ضمنتها بداخلها . ولكن ما استطيع ان أخبرك إياه هو أن هذا النموذج بدا لي فريداً من نوعه وصالحاً لاحداث التأثير المطلوب . وهكذا نسختُهُ بكل بساطة ، وبعثتُ به بكل بساطة ايضاً الى الرئيسة السماوية . ولم أضع اية لحظة من وقتي ، لأن الرسالة الرقيقة أرسلت منذ مساء الامس . وقد فضلتها على هذا الشكل لانني أولاً كنت وعدتها بأن اكتب اليها أمس ، ثم لانني فكرتُ أيضاً بأنها ستستطيع في الليل ان تفكر وتتأمل بهذا « الحدث العظيم » . هل ستأخذين علي مرة ثانية هذه العبارة ؟

كنت آمل ان ابعث اليك هذا الصباح بالجواب ، ولكن الساعة قاربت الظهيرة ولم يصلني بعد . وسأنتظر حتى الساعة الثالثة ، واذا لم اتلقَ عندئذ اخبارها . فسأذهب لاتقصاها بنفسي . لانه في ما يتعلق بهذه العمليات ، تكفي الخطوة الاولى .

انني الآن ، كما تستطيعين ان تعتقدي ، تواقٌ جداً لاعرف نهاية حكاية هذا الرجل من معارفك ، إذ انه اتهم ظلماً وعدونا بأنه لا يعرف عند الحاجة ان يضحى بامرأة . أفلم يتدارك موقفه بعد ؟ افلم تمنحه صديقه الكريمة العفو ؟

إنني في أشد الرغبة لأن اتلقى « انذارك » : كما تقولين بلغة السياسة اوانا تواق  
لأن اعلم اذا كنت ستجدين في هذا المعنى الأخير الحب أيضاً ! ولكن لمن ؟ وفي  
الاثناء لا أطمع في ابراز قيمة اي شيء . وانتظر كل شيء من مكارمك .  
الوداع يا صديقتي الفاتنة ، لن أقفل هذه الرسالة الا عند الساعة الثانية على  
أمل ان اتمكن من الحاق الجواب المرغوب فيها .

في الساعة الثانية بعد الظهر

دائماً لا شيء ، الزمن يضغط عليّ بسرعة ، وليس لدي وقت لكي اضيف  
كلمة واحدة : ولكن هل ترفضين هذه المرة قبلات الحب الاشد رقة ؟

١٤٣

من الرئيسة توفيل الى السيدة دي ووزموند

باريس في ٢٧ تشرين الثاني ١٧??

لقد تمزق يا سيدتي الستار الذي كان قد رُسم فوقه وهم سعادتني .  
وأخذت الحقيقة المشؤومة تنيرني ، ولا تدعني أرى سوى موت مؤكد  
وقريب ، وقد خطت طريقه إليّ بين العار وتبكيك الضمير . وسأنتهجه واستمرىء  
منكدرات عيشي التي تختصر وجودي ، انني ارسل اليك الرسالة التي تلقيتها  
أمس ، ولا أضيف عليها اية ملاحظة ، فهي كافية كما هي ، ولم يعد الزمن صالحاً  
لشكوى ، فلم يبق لي سوى التألم والمذاب ، ولست بحاجة الى الشفقة بل  
الى القوة .

تقبلي يا سيدتي الوداع الوحيد الذي أوجهه ، ونفذي رجائي الأخير ، وهو  
ان تتركيني ومصيري ، وان تتناسيني تماماً ، ولا تعودي تحسبيني فوق هذه الارض .  
وهناك حد للشقاء ، حيث الصداقة نفسها تزيد آلامنا ولا تستطيع ان تشفيها .  
وعندما تكون الجراح ممتة فان أية اغائة تصبح غير انسانية . وان اي شعور

آخر سوى اليأس اصبح لديّ غريباً . لا شيء يمكن ان يلائمني سوى الليل الطويل حيث سأدفن عازري : وسأبكي اخطائي ، آه لو استطيع ان ابكي ايضاً ! لانني منذ امس لم اذرف دمعاً واحدة . وان فؤادي الذاوي قد نصب . الوداع يا سيدتي ، لا تجيبي على كلمتي هذه ابداً . لقد أقسمت على هذه الرسالة القاسية بالآ اتلقى ابداً اية رسالة .

١٤٤

### من الفيكونت دي فالمون إلى المراكزة دي مبرتاي

باريس في ٢٨ تشرين الثاني ١٧??

بعد إن نقد صبري ، يا صديقي الحسنة ، وانا أنتظر ورود اية انباء حتى الساعة الخامسة من مساء امس ، توجهت إلى دار الحسنة المهجورة ، وهناك قيل لي انها خرجت . فلم اجد في هذه العبارة الا رفضاً من قبلها في استقبالي ، وهو رفض كنت أتوقعه ولم يكدرني ، وانصرفت على امل ان يدفع هذا المسعى من جانبي المرأة المهذبة على الأقل بتشريفي بكلمة جواب . وقد جعلني الشوق في تسلّم هذا الجواب منها ، امر على بيتي في الساعة التاسعة ليلاً ، ولكنني لم أجد شيئاً . فدهشت لهذا الصمت الذي لم اكن اتوقعه ، وعندئذ كلّفتُ خادمي بأن يستطلع ما اذا كانت المرأة الحسنة قد ماتت او على وشك الموت . واخيراً حين عدتُ أعلمني ان السيدة دي تورفيل قد خرجت بالفعل في الساعة الحادية عشرة صباحاً مع خادمتها التي قادتها الى دير «...» . ثم صرّفت في الساعة السابعة مساء عربتها وخادمتها ، وابلغت اهل بيتها بالآ ينتظروا عودتها . وفي الحقيقة يبدو ان الدير هو الملجأ الصحيح للارملة ، واذا استمرت على موقفها الحميد ، فسأضيف الى جميع الافعال التي غمرتني بها فضل الشهرة التي ستنتج عن هذه المغامرة .

لقد سبق ان أكدت لك منذ وقت قصير اني - رغم وساوسك - سأعود إلى



الظهور على مسرح المجتمع وانا اكثر شهرة مما كنت . فليبرز اذن الى الميدان هؤلاء المنتقدون الذين يتهمونني بحب خيالي تعس ، وليقوموا بانفصالات أشد سرعة و رهجة مما قمت به ، ولكن ليس افضل مما حققت حتى الآن ، وليتقدموا كمؤاسين فالسبيل امامهم مفتوح . حسناً ! وليتجروا فقط على القيام بهذه المحاولة التي خضتها حتى النهاية . و اذا أحرز احدهم اقل نجاح فسأتحلى له عن المركز الاول . ولكنهم سيقروُن جميعهم - حين أبذل بعض العناية - بأن التأثير الذي اتركه لا يمكن ان يزول . آه : بدون شك ان اثر هذه المغامرة لن يزول ، وستكون جميع انتصاراتي الأخرى لا شيء اذا قورنت بها ، لو كان عليّ ان اجد مزاحماً مفضلاً إزاء هذه المرأة .

ان الموقف الذي اتخذته السيدة دي تورفيل يدغدغ عزة نفسي ، ولكنني مبتئس مع ذلك لكونها وجدت في نفسها قوة كافية على الانفصال بقدر ما لدي . وستقوم بيننا عقبات أخرى غير تلك التي وضعتها بنفسني ! ماذا ؟ لو شئتُ أن أتقرب اليها ، ستمكن من عدم الرغبة في ذلك ؟ ماذا أقول ؟ إنها لن ترغب فيّ أبداً ؟ ولا تجعل مني سعادتها القصوى ؟ فهل الحب على هذه الصورة ؟ وهل تعتقدي يا صديقتي الحسنة ان عليّ ان أتعذب من جراء ذلك ؟ أفلم أستطيع مثلاً ، او ليس من الافضل ، أن اجرب اعادة هذه المرأة الى نقطة أتوقع معها إمكان المصالحة التي قد ترغب فيها ما دام هناك أمل ؟ سأتمكن من محاولة القيام بهذا المسعى دون أن أعلق عليه أية اهمية ، ودون أن يريبك بشيء . بل على العكس ستكون محاولة بسيطة تقوم بها معاً . وحين سأنجح فيها فلن نعدم وسيلة أخرى لكي نجدد ، حسب مشيئتك ، تضحيةً بدت لك انها بمتعة . أما الآن يا صديقتي الحسنة فلم يبق لي إلا تلقي الثمن ، وكل أمنياتي معقودة الآن على عودتك . فاحصري اذن بسرعة لتستعيدي عاشقك وملذاتك واصدقاءك وتبار المغامرات .

أما مغامرة الصغيرة فولانج فقد سارت بصورة رائعة ، وكان ان قادتني غدواتي أمس ، حين كانت وساوسي لا تدعني أستقر في مكان ، إلى دار السيدة

دي فولانج . فوجدت حضيفتك قد خرجت الى الصالون ، ولكنها ما زالت في لباس المرض ، وكانت في نقاهة رائحة ، وبدت على مبلغ كبير من النضارة والإغراء ، بينما تبقي أنتن معشر النساء في مثل هذه الحالة شهراً واحداً في السرير . في الحقيقة : فلتعش الآنسات ! لأن هذه في الواقع قد أثارت في نفسي الشوق لأن اعرف اذا كان الشفاء قد أصبح تاماً ام لا !

وعندي ما اخبرك به وهو ان حادث الفتاة الصغيرة كاد يجعل صديقك دانسي المتكلف العواطف مجنوناً . وفي البداية كان متأثراً ، أما اليوم فهو مبتهج . لقد كانت سيسيلته مريضة ! تستطيعين ان تتصورى كم يدور الرأس في مثل هذه الحالة ! وقد بعث ثلاث مرات في النهار يستفسر عن صحتها ، ولم يدع الفرصة تمر دون أن يحضر بنفسه . وأخيراً 'سمح له عن طريق رسالة جميلة الى الام ، بتهنئة الفتاة العزيزة بمناسبة إبلاها من مرضها . وقد رحبت به السيدة دي فولانج الى درجة اني وجدت الشاب جالساً على سجيته في المنزل كما كان يفعل في الماضي ، لولا بعض التحفظ الذي ما زال لا يسمح لنفسه به . وقد عرفت هذه التفاصيل منه ، لأنني خرجت معه في آن واحد ثم جعلته يتكلم . ولا يمكن أن تكون لديك فكرة عن مدى التأثير الذي احدثته هذه الزيارة في نفسه . يا للبهجة ، والخلاء ، والرغبات التي لا استطيع ان اصفها لك . وانا الذي احب المبالغة في جميع المظاهر والحركات ، عمدت إلى إلهاب رأسه مؤكداً له انني سأتيح له رؤية حسناؤه عن كذب في غضون ايام قليلة .

وبالفعل فقد قررت ان اعيدها اليه حالما اقوم باختباري . وسأكرس لك نفسي بكليتي . ثم هل كانت حضيفتك تستحق هذا العناء لكي اجعل منها تلميذتي لو كان عليها ان تخدع زوجها فقط ؟ والشيء الرائع في هذا العمل ان اجعلها تخدع حبيبها الأول . لأنه في ما يتعلق بي ليس عندي ما اوأخذ به نفسي على اني تلفظت بكلمة حب .

الوداع يا صديقتي الحسنة ، عودي إذن بأسرع ما يمكن لتتمتعي بسلطانك عليّ ، وتتقبلي التعظيم ، وتدفعي لي الثمن .

## من الموكيزة دي ميرتاي الى الفيكونت دي فالون

قصر ... في ٢٩ تشرين الثاني ١٧??

هل تخليت بصورة جدية ، ايها الفيكونت ، عن الرئيسة ؟ وهل بعثت بالرسالة التي وضعتها لك من اجلها ؟ في الحقيقة انك رائع ! وقد تجاوزت ما انتظره منك ! انني اعترف بصراحة أن هذا الانتصار يطربني اكثر من جميع الانتصارات التي احرزتها حتى الآن . لعلك تجد أنني اقدر هذه المرأة بقيمة رفيعة جداً ، بينما كنت في الماضي لا أوليها مثل هذا التقدير . ولكنني لم احقق فوزي عليها بقدر ما حققته عليك . وهذا هو المضحك في الأمر ، وهو حقيقة لذيدة .

اجل ايها الفيكونت لقد أحببت كثيراً السيدة دي تورفيل ، لا بل ما زلت تحبها ايضاً ، تحبها كمجنون : ولكن بما انني كنت اتسلى في جعلك تحجل من حبها ، فلقد ضحيت بها بشجاعة . ولعلك كنت تضحي بألف امرأة اخرى بدلاً من ان تتعذب من جراء مداعبة . أرايت الى اين يقودنا مع ذلك حب التظاهر والصلف ! لقد كان ذلك الحكيم على حق حين قال : « ان الصلف هو عدو السعادة » .

اين ستكون الآن لو لم أشأ ان اقوم بهذه الحباثة ؟ ولكنني عاجزة عن الخداع . انت تعلم ذلك جيداً ، وقد كان ينبغي عليك ان تدفعني بدوري الى اليأس والدير ، فاتحمل هذه المخاطر ، واستسلم لمتصري .

ومع ذلك إذا كنت أستسلم ، فذلك بالحقيقة من قبيل التخاذل البحت ، لأنني لو كنت ارغب في الماحكات لكان عليّ ان استمر . ولعلك تستحقها ؟ انني معجبة مثلاً بالبراعة أو عدم الخداقة التي عرضت فيها عليّ بكل نعومة ان ادعك تستأنف علاقتك مع الرئيسة . فهل سيلائمك كثيراً - أليس كذلك ؟ - أن تعيد لنفسك ميزة هذا الانفصال دون ان تفقد فيه ملذات المتعة ؟ وستظن

الورعة السماوية نفسها ، عن طريق هذا الاجراء السعيد انها الوحيدة التي اختارها  
هوذاك ، بينما سأفتخر بأن اكون مزاحمتها المفضلة . وسنكون نخدموعتين كلنا  
الاثنتين ، ولكنك ستكون مسروراً ، وماذا يهمك الباقي !  
من المؤسف ، يا صديقي ، أن تتمتع بمثل هذه المهوبة في وضع الخطط ، ولا  
تكون لك المهوبة نفسها في تنفيذها . وإنك في مسمى ليس فيه شيء من  
التبصر ، وقد وضعت بنفسك عقبة لا يمكن التغلب عليها للوصول الى ما  
ترغب فيه .

ماذا ! انت تنوي ان تعيد علاقتك معها ، وقد كتبت اليها رسالتي ؟ هل  
ظننتني هوجاء جداً بدوري ؟ إسمع يا فيكونت ، حين توجه امرأة ضربتها الى  
قلب امرأة اخرى ، فمن النادر ألا تصيب المكان الحساس ، ويصبح الجرح غير  
قابل للشفاء . وفيما كنت أضرب هذه الضربة ، أو بالأحرى كنت أوجهه ضرباتك لم أنس  
ان هذه المرأة كانت مزاحمتي ، وقد وجدتها مفضلة عليّ ، وانك اخيراً قد  
وضعتني في مستوى أقل منها . اما اذا كنت قد اخطأت في انتقامي ، فاني اوافق  
على تحمل نتائج خطأي . وهكذا ايها الفيكونت أجد من المستحسن ان تجرّب  
جميع الوسائل ، لا بل أدعوك إلى ذلك ايضاً . وأعدك بأنني لن اكون حسانقة  
لنجاحاتك ، هذا اذا توصلت الى إحرازها... وانا مطمئنة جداً من هذه الناحية  
بجيت لا أريد ان أشغل نفسي بها ، لنتحدث عن شيء آخر .

عن صحة الصغيرة فولانج مثلاً . وستطلعي على اخبار ايجابية لدى عودتي ،  
أليس صحيحاً ! وسأكون مسرورة للحصول عليها . وبعد ذلك سيكون عليك  
ان تفكر اذا كان سيلانك أن تعيد الفتاة الى عشيقها ، أو تجرب ان تصبح مرة  
ثانية مؤسس فرع أسرة فالون تحت إسم جير كور . وقد بدت لي هذه الفكرة  
رائعة جداً ، وأدع لك الخيار ، إنما اطلب اليك في الاثناء ألا تتخذ الموقف  
النهائي دون أن نكون قد بحثنا الأمر معاً ، ولا يعني هذا أنني أوّجلك إلى  
موعد بعيد ، بل سأكون في باريس قريباً جداً . ولكن لا تشك بأنك ستكون  
متى عدت الأول الذي يعرف بنبأ وصولي .

الوداع ايها الفيكونت . وعلى الرغم من مشاحناتي ، وخبائثاتي ، وملاماتي احبك دائماً جداً ، واهيئ نفسي لكي أثبت لك حيي . إلى اللقاء يا صديقي .

١٤٦

## من المر كيزة دي ميرتاي الى الفارس دانسي

قصر ... في ٢٩ تشرين الثاني ١٧??

أخيراً سأرحل يا صديقي الشاب، وسأكون في باريس مساء الغد. انني لا أنوي ان استقبل احداً اثناء زحمة مضايقات الانتقال. ومع ذلك اذا كانت لديك مسارة عاجلة لكي تطلعي عليها ، فأني أود جيداً ان استثنيك من القاعدة العامة . ولكنني لن استثني سواك : وهكذا اطلب اليك المحافظة على سر موعد وصولي . لأن فالمون نفسه لن يطلع عليه .

من كان يظن ، منذ زمن قصير ، انك ستصبح قريباً موضع ثقتي الخاصة ؟ بيد ان ثقتك جذبت ثقتي. ويخيل اليّ انك وضعتَ فيها كثيراً من البراعة ، لا بل من الاغواء ايضاً . وهذا ليس امراً حسناً على الأقل . ومهما يكن فلن تكون خطرة في الوقت الحاضر ، لان لديك شخصاً آخر لتهمته به ! إذ حين تكون البطلة على المسرح فلا يهتم الناس بمن تكون موضع الأسرار .

أهكذا لم تجد متسعاً من الوقت لكي تطلعي على نجاحك الجديد ؟ وحين كانت سيسيلتك غائبة ، لم تكن الايام تبدو لك طويلة لكي أسمع شكاواك الرقيقة ، ولكنك تحدثت بها مع الاصداء لولم اكن هناك لأصفي إليها . وحين كانت مريضة قبل حين ، فقد شرفنتني بالتحدث عن لواعجك وهمومك ، وكنت بحاجة في ذلك الحين إلى اطلاع أحد عليها . ولكن ما أن اصبحت الآن في باريس ، في صحة جيدة ، وبصورة خاصة أخذت تراها في بعض الاحيان ، حتى غدت كافية عن الجميع ، ولم تعد لاصدقائك اية قيمة .

انا لا ألومك البتة ، بل هذه هفوة من هم في سنك العشرين . أفلا تعلم منذ

أقصى العهود حتى يومنا هذا ان الفتيان لا يعرفون ابدأ الصداقة إلا في أشجانهم؟  
وأن السعادة تجعلهم احياناً متكتمين ولكن ليس مناجين ابدأ . وسأقول  
كسقراط : « أحب ان يأتي اصدقائي إليّ حين يكونون بائسين » . ولكنه  
بوصفه فيلسوفاً فقد كان يستغني عنهم حين لا يأتون . وفي ذلك لست تماماً  
فيلسوفة مثله . وقد تأثرتُ لصمتك بكل تحاذل نسائي .

ومع ذلك أرجو ألا تخالني متطلبية في هذا الميدان فقط . وان الشعور نفسه  
الذي يجعلني الاحظ هذا الحرمان ، يجعلني ايضاً أتحمله بشجاعة ، حين تكون  
سبباً او برهاناً على سعادة اصدقائي . انني لا أعتد اذن على حضورك غداً مساء  
الا اذا تركك الحب حراً غير مشغول . وانني احظر عليك أن تبذل من اجلي  
اقل تضحية .

الوداع ، أيها الفارس . سأكون مبتهجة جداً بان اراك . هل تحضر ؟

١٤٧

من السيدة دي فولانج الى المراكيزة دي روزموند

باريس في ٢٩ تشرين الثاني ١٧??

ستكونين مبتئسة اكيداً كما انا الآن ، يا صديقتي المحترمة ، لدى اطلعك على  
ما وصلت اليه حالة السيدة دي تورفيل . انها مريضة منذ أمس ، وقد تفاقم  
مرضها بشدة ، وهو يتجلى بعوارض خطيرة جداً حتى انني اصبحت قلقة  
حقيقة عليها .

حمى شديدة ، وغيبوبة عنيفة مستمرة دائماً تقريباً ، وظماً لا يمكن اطفأؤه .  
تلك هي العوارض التي تلاحظ عليها . ويقول الاطباء انهم لا يستطيعون ان  
يشخصوا شيئاً حتى الآن . كما ان العلاج سيكون اشد صعوبة ايضاً ، ما دامت  
تفرض بعناد تناول اي نوع من انواع الأدوية ، الى درجة انه كان لا بد من  
امساكها بالقوة لاجراء الفصاد لها . وكان لا بد منذ ذلك الحين من استخدام

الطريقة نفسها مرتين آخرين لإعادة وضع الضماد لها ، بحيث انها تريد حتى في حالة غيبوبتها إنتزاعه دائماً .

أنت يا من رأيتها مثلي رقيقة القوى ، شديدة الحياء ، بالغة العذوبة ، هل تستطيعين أن تدري كي اذن أن اربعة اشخاص لا يكادون أن يمسكوا بها ، وما ان يُقدّم إليها أي علاج حتى تغدو في حالة من الهياج الفظيع الذي لا يُفسّر ؟ وانا أخشى الا تكون مصابة فقط بهذيان ، بل هناك ما هو أدهى... اي اختلال عقلي حقيقي .

إن ما يزيد مخاوفي بهذا الصدم ما حدث امس الأول ..  
ففي ذلك اليوم وصلت حوالي الساعة الحادية عشرة صباحاً إلى دير « ... » مع خادمتها . ونظراً لكونها تلقت تعليمها في ذلك الدير ، وكان من عاداتها ان تحضر في بعض الاحيان اليه . فقد استقبلت كالعادة ، وبدت للجميع بانها هادئة وفي صحة جيدة .

وبعد مضي ساعتين سألت عما اذا كانت الغرفة التي شغلتها في الماضي وهي طالبة داخلية شاغرة الآن . وحين أُجيبنا بالايجاب ، طلبت أن تراها . فراقفتها احدى الراهبات . وعندئذ اعلنت انها ستعود للإقامة في هذا البيت الذي كان عليها الا تقادره مطلقاً ، وازافت بأنها لن تخرج منه « إلا حين تموت » وكانت هذه هي عبارتها بالذات .

ولم يعرف المسؤولون في البداية ماذا يقولون ، ولكنهم قالوا لها بعد ان زالت دهشتهم الاولى ان صفتها كامرأة متزوجة لا تسمح لها بالدخول دون إذن خاص . بيد ان هذا السبب وغيره من الوف الاسباب لم تجدر نفعاً كما لم تثنها عن عزمها ، بل أصرت ليس فقط على عدم الخروج من الدير ، بل على احتلال غرفتها بالذات . واخيراً بعد اخذ ورد طويلين وُوق في الساعة السابعة مساء على ان تقضي تلك الليلة هناك . ثم صرفت عربتها وخدمها وأجل إلى اليوم التالي اتخذ قرار بشأنها .

ويؤكدون انها كانت طوال السهرة واجمة مفكرة ، وأنها وقعت أربع أو

خمس مرات في حالة من السهوم العميق وقد سبحت في بحران تخيلاتنا وهو اجسها بحيث لم يتمكنوا من اخراجها من هذه الحالة عن طريق التحدث اليها . وفي كل مرة كانت تخرج من هذه الحالة كانت تضع يديها على جبينها وتبدو بأنها تضغط عليه بقوة . وقد سألتها احدى الراهبات في الاثناء عما اذا كانت تشعر بألم في رأسها ، ولكنها حدقت فيها طويلاً قبل ان تجيب : « كلا ليس الألم هنا » ! وبعد فترة وجيزة طلبت أن تُترك وحدها والا يُطرح عليها في المستقبل أي سؤال .

فأُنسحب الجميع من الغرفة ما عدا خادمتها التي كان عليها ان تنام لحسن الحظ معها في الغرفة نفسها لعدم وجود مكان آخر .

واستناداً إلى ما روتته هذه الفتاة فان معلمتها كانت هادئة جداً حتى الحادية عشرة ليلاً ، وعندئذ قالت انها تريد أن تنام ، ولكنها قبل ان تخلع ملابسها اخذت تذرع الغرفة جيئةً وذهاباً وهي تقوم بحركات غريبة متواترة . ولم تجرأ جولي التي شهدت كل ما حدث في النهار على أن تقول لها شيئاً .

وانتظرت بصمت حوالي ساعة واحدة واخيراً استدعتها مرتين على التوالي ، وما ان تهرخ الى سيدتها حتى تسقط بين ذراعيها وهي تقول: « لم اعد استطيع » . ثم تركت نفسها تُقَاد الى السرير ، ولم تشأ أن تتناول شيئاً ولا أن يُؤتى لها بأي اسعاف . بل وضعت فقط قليلاً من الماء الى جانبها ، وأمرت جولي بأن تنام .

وتؤكد هذه انها لم تستطع الى النوم سبيلاً حتى الساعة الثانية صباحاً . وانها لم تسمع خلال نومها اية حركة او تذمر . ولكنها تقول إنها أفاقَت في الساعة الخامسة صباحاً على هذيان معلمتها التي كانت تتحدث بصوت قوي مرتفع . وعندئذ سألتها عما اذا كانت بحاجة الى شيء ، ولكنها لم تتلق جواباً ، فحملت السراج وقصدت سرير السيدة دي تورفيل التي لم تتعرف عليها البتة ، وانها فقط قطعت هذيانها لتقول لها : فليدعوني وشأني ، فليدعوني في هذه الغياهب المظلمة التي تناسبني . وقد لاحظتُ امس بنفسي انها كانت تكرر هذه العبارة غالباً .



وأخيراً انتهزت جولي هذا النوع من الهدوء لكي تخرج وتستدعي بعض الناس والاسعاف . ولكن السيدة دي تورفيل رفضت هؤلاء وذاك بفورات شديدة من الغضب والتشنجات التي أخذت تصاب بها غالباً منذ ذلك الحين .

وقد أدت البلبلة التي اوقعتها حالة السيدة دي تورفيل في الدير ، الى اضطراب القيمة لاستدعائي في الساعة السابعة صباحاً . ولم يكن النهار قد مَتَّعَ بعد ، حين هرعت على الفور ، وحين أبلغت السيدة دي تورفيل بحضوري بدت بأنها استعادت وعيها وقالت : « أجل فلتدخل » ، ولكنني حين جلست قرب سريرها ، حدثت فيّ طويلاً ، وتناولت يدي فضفطتها وقالت بصوت قوي متجهّم : « اموت لكي لا أصدقك » . وعادت على الاثر بعد ان خبأت عينها الى هذيانها المعتاد « فليدعوني وشأني الخ . الخ .. » ثم فقدت كل وعيها .

ان ما قالته لي وما افلتت منها من اقوال اثناء بجرانها ، تجعلني أخشى بأن يكون هذا المرض الخطير ناتجاً عن سبب خطير ايضاً . ولكن لنحترم اسرار صديقتنا ، ولنكتفِ برثاء حالتها .

وكذلك كان نهار أمس بطوله عاصفاً ، وقد أصيبت أثناءه بحالات من الانفعالات العنيفة والتشنجات الجنونية ، ولم استطع ان أفارق سريرها الا في الساعة التاسعة ليلاً . وسأعود هذا الصباح لأقضي النهار معها . ومن المؤكد انني لن اترك صديقتك التعيسة ، ولكن ما هو مؤسف هو عنادها في رفض جميع العلاجات والعنايات .

انني ارسل اليك النشرة الطبية عن هذه الليلة وقد تلقيتها الآن وهي كما ترين لا تبعث على الاطمئنان . وسأهتم بارسال جميع النشرات اليك .

الوداع يا صديقتي المحترمة ، سأذهب للسهر على المريضة . وإن ابنتي التي شفيت تماماً لحسن الحظ تقدم اليك احترامها البالغ .

## من الفارس دانسي الى السيدة دي ميرتاي

باريس في اول ايلول ?? ١٧ .

أنتِ يا من أحبك ! أنتِ يا من أعبدك ! انتِ يا من بدأتِ سعادتي ! أنتِ يا من غمرتها ! ايتها الصديقة الحساسة ، والحبيبة العذبة لماذا تأتي ذكرى عذوبتك فتعكر السحر الذي أشعر به ؟ آه يا سيدتي هديني من روعك ، فهي الصداقة التي تطلب اليك ذلك . آه يا صديقتي ، كوني سعيدة ! وهذا رجاء الحب .

حسناً ! أية مأخذ إذن ستوجهينها إلى نفسك ؟ صدقيني بأن عنفوانك يستغل طبيبتك . فالحسرات التي يسببها لك ، والاطعاه التي تلوميني عليها هي أيضاً موهومة . وأشعر ضمن قلبي أنه لم يقم بيننا نحن الاثنين اي غاؤ آخر سوى الحب . فلا تخشي اذن ابدأ الاستسلام إلى المشاعر التي اوحيتها انتِ لي ، ولا تدعي جميع النيران التي تشعلونها تتسرب إلى نفسك . ماذا ! هل ان قلبينا سيكونان اقل برامة اذا استنيرا في ما بعد ؟ كلا ولا ريب ، بل على العكس فان الغواية التي لا تؤثر إلا عن سابق تصميم ، تستطيع ان تمزج مجراها مع وسائلها وتوقع الاحداث البعيدة . ولكن الحب الحقيقي لا يسمح بالتأمل والتفكير . بل يلهم افكارنا بواسطة مشاعرنا . وان سلطانه ليس ابدأ أقوى إلا حين يكون مجهولاً ، وهو يحيطنا عبر الظلال والسكون بارتباطات من المستحيل ملاحظتها أو قطعها .

وهكذا نُخيلُ إليَّ بالأمس أيضاً رغم الانفعال الحاد الذي سببته لي فكرة عودتك : ورغم المتعة القصوى التي شعرت بها عند رؤيتك ، انني لم أستدع ولم أقاد الا من قبل الصداقة الهادئة : او بالأحرى بعد ان أنسقت بكليتي وراء مشاعر فؤادي ، لم أهتم الا قليلاً بالبحث عن أسبابها ومسبباتها .

وهكذا كنتِ مثلي ، يا صديقتي الرقيقة ، تشعرين دون ان تدري ، بهذا السحر المتسلط الذي قاد روحينا إلى تأثيرات المحبة العذبة . وكلانا لم يكتشف الحب الا بعد خروجهما من النشوة التي أغرقنا هذا السلطان الجبار فيها .

ولكن ذلك يجب ان يبررنا بدلاً من أن يثبط همتنا . كلا ، إنك لم تخونني الصداقة ، وانا لم أسيء الى ثقتك . كلانا - وهذا صحيح - كنا نجهد عواطفنا . ولكننا شعرنا بهذا الوم فقط دون ان نبحت عن توليده . آه ! ينبغي علينا بدلاً من ان نتذمر منه ، ان نفكر فقط بالسعادة التي زودنا بها . وبدلاً من ان نعكزه بمآخذ تمسفية ، فلنهتم بمضاعفته ايضاً بسحر الثقة والأمان . آه يا صديقتي ، كم ان هذا الشعور عزيز على فؤادي ! اجل! من الآن فصاعداً ستحررين من مخاوفك ، واركس انا كل نفسي للحب ، وستشاطريني رغباتي وهيامي ، وجنون حواسي ، ونشوة قلبي ، وكل لحظة من لحظات ايماننا السعيدة ستكون مفعمة بلذة جديدة . الوداع ، يامن اعبدها ! سأراك هذا المساء ، ولكن هل سأجذك وحدك . لا أجزأ على أمل . انت لا ترغبين فيه بقدر ما أرغب .

١٤٩

### من السيدة دي فولانج الى السيدة دي روزموند

باريس في ٢ كانون الأول ?? ١٧

لقد أملت 'أمس طول النهار تقريباً يا صديقتي المحترمة ، ان اتمكن من اطلاعك هذا الصباح على اخبار مشجعة عن صحة مريضتنا العزيزة ؛ ولكن هذا الامل ما لبث ان تحطم منذ مساء امس ، ولم يبق لي سوى الاسف لكوني فقدته . غير ان ثمة حادثاً - لا اهمية له في الظاهر ، ولكنه قاس جداً في عواقبه - قد وقع وجعل حالة المريضة على الاقل مقلقة كالسابق ان لم يكن قد ازدادت سوءاً .

ولو لم اتلق امس مسارة صديقتنا التعيسة برمتها ، لما كنت فهمت شيئاً من هذا الانقلاب المفاجيء . ونظراً لأنها لم تدعني اجهد انك مطلعة انت ايضاً على جميع اسرارها المنكودة الحظ ، فأنا استطيع ان احدثك دون تحفظ عن وضعها البائس .

حين وصلت صباح امس الى الدير ، قيل لي ان المريضة ما زالت نائمة منذ اكثر من ثلاث ساعات ، وان نومها كان عميقاً هادئاً ، بحيث أنني خشيت في احدي اللحظات ان تكون غارقة في سبات مرضي . وبعد فترة وجيزة أفاقت وفتحت بنفسها أستار سريرها . ونظرت الينا جميعاً بظهور مفاجيء . وحين نهضت لكي أتوجه اليها ، عرفتي ودعتني باسمي ورجتني ان اقترب منها . ولم تدع لي الوقت لأطرح عليها اي سؤال ، بل سألتني اين هي ؟ وماذا نفعل نحن هنا ؟ واذا كانت مريضة ؟ ولماذا ليست في منزلها ؟ و«خيّل إليّ في البداية ان هذه نوبة جنون جديدة ، ولكنها أهدأ من سابقتها . ولكنني لاحظت انها كانت تفهم جيداً أجوبي . وبالفعل كانت قد استعادت عقلها ولكن ليس ذاكرتها .

وسألتني بكثير من التفاصيل عن كل ما جرى لها منذ أن وُجدت في الدير حيث لا تتذكر انها جاءت اليه . فأجبتها بكل دقة عن كل شيء ، وانا احذف فقط ما كان يمكن ان يفزعها : وحين سألتها بدوري : كيف تجدد نفسها ؟ أجابتي ؟ انها لا تتألم الآن ، وانها كانت مضطربة جداً في نومها ، وانها تشعر بنفسها متعبة جداً . فشجعته على ان تطمئن نفسها وعلى ان تتحدث قليلاً ، فأقفلت أستبارها قليلاً وتركتها نصف مفتوحة ، وجلست معها فوق السرير ، وفي الوقت نفسه عرّضَ عليها تناول حساء فشربته ووجدته حسناً .

وبقيت على هذه الحال نصف ساعة تقريباً ، لم تكفّ خلالها عن شكري على عنايتي بها ، ووضعت في شكرها كثيراً من الظرف واللفظ اللذين تعهدتنيها فيها . ثم اعتصمت فترة قصيرة بالصمت ، ولم تقطعه الا ليقول : « آه ، اجل انا اتذكر الآن انني حضرت إلى هنا ، وبعد لحظة صاحت بكل تألم «يا صديقي ، إرثي لطّالي ، انني اكتشف جميع تعاساتي » ، فتقدمت نحوها عندئذ فالتقطت يدي ، وأسندت رأسها عليها واستطردت : « يا إلهي ، ألا استطيع ان أموت ؟ » ، وقد أثّرت في تعبيرات وجهها اكثر من كلامها حتى سألت دموعي . ولاحظت ذلك عليّ فقالت : « انت تثرين لي ! آه لو تعلمين ... » ثم

قاطعت نفسها قائلة : « اعلمي على ان نكون وحدنا ، وسأروي لك كل شيء » .  
وهكذا كما كنت قد قلته لك سابقاً ، كانت لدي شبهات حول ما ينبغي  
ان يكون عليه موضوع هذه المسارة . ولخشيتي من ان تكون هذه المحادثة طويلة  
وبائسة مما قد تؤذي حالة صديقتنا التعيسة ، فقد رفضت في البداية الاستماع اليها  
بجدة انها بحاجة الى الراحة ، ولكنني ازاء إلحاحها اضطررت الى الموافقة . وما  
ان بتنا وحيدتين حتى روت لي كل التفاصيل التي تعرفينها . وانني لهذا السبب لا  
اكررها لك .

واضافت اخيراً وهي تحدثني عن الطريقة المفجعة التي ضحيت بها : « لقد  
خيل اليّ اكيراً انني سأموت بسببها ، وكانت لدي شجاعة على ذلك ، ولكن  
المستحيل عليّ هو ان اعيش وانا متحملة شقائي وعاري » . وقد حرصت على  
محاربة هذا التشاؤم أو بالاحرى هذا اليأس القاتل ، بأسلحة الدين التي كانت  
حتى ذلك الحين قوية . ولكنني ما لبثت ان شعرت انه لم تكن عندي قوى  
كافية على متابعة هذه المهام الجبارة ، واقترحت عليها استدعاء الاب أنسيلم الذي  
اعلم انه يتمتع بكل ثقتها . فرضيت بذلك وبدت انها ترغب كثيراً في رؤيته .  
وكان ان استدعني فحضر على الفور . ومكث مدة طويلة عند المريضة ، وقال  
لدى خروجه : اذا كان الاطباء يعتقدون مثله ، فهو يظن ان من الممكن تأجيل  
حفلة القربان الاخير الى الغد ، وانه سيعود غداً .

وكانت الساعة قد بلغت الثالثة بعد الظهر ، وظلت صديقتنا هادئة حتى  
الساعة الخامسة بحيث اننا جميعاً استعدنا الأمل بإمكان شفاؤها . ولسوء الحظ  
تحملت اليها رسالة في الاثناء ولكنها رفضت تسلمها . ثم سألت بعد لحظة من اين  
جاءت هذه الرسالة ؟ ولكنها لم تكن تحمل ختماً بريدياً . ومن جاء بها ؟ ومن  
قبل من بعثت ؟ كل ذلك لم يعرفه أحد . وهنا صمتت بعض الوقت ولكنها عادت  
الى الكلام ، وكانت اقوالها متقطعة لا رابطة بينها . مما جعلنا نوقن ان جنونها  
قد عاودها .

وفي الاثناء مرت فترة هدوء اخرى طلبت على اثرها تسليمها الرسالة . وما

ان ألفت انظارها عليها حتى صاحت : « انها منه ، يا إلهي ! » ثم اضافت بصوت قوي متهدج : « خذوها ، خذوها عني » ثم أقفلت حالاً أستار سريرها ، وحظرت على الجميع الاقتراب منها : ولكننا ما لبثنا ان اضطررنا الى العودة الى قريها . ذلك ان نوبة الهذيان قد عاودتها هذه المرة أقوى من سابقتها ، وقد اصيبت معها بتشنجات مخيفة . ولم تكف هذه العوارض عن ملاحظتها طوال السهرة ، وقد أعلمتني نشرة هذا الصباح انها قضت ليلة عاصفة . واخيراً فهي في حالة أعجب معها كيف انها لم تلفظ انفاسها بعد . ولا أخفي عليك انني قطعت كل أمل تقريباً .

أفترض ان هذه الرسالة التعيسة هي من السيد دي فالون ولكن ماذا يمكن أن يحسر أيضاً على ان يقول لها ؟ عفواً يا صديقتي العزيزة ، انني أمتنع عن ابداء اية ملاحظة : ولكن من المؤلم جداً رؤية امرأة كانت حتى الآن سعيدة وجديرة بالسعادة تهلك بهذه الصورة التعيسة .

١٥٠

### من الفارس دانسي الى المر كيزة دي ميرتاي

باريس في ٣ كانون الاول ?? ١٧

إنني انساق الآن يا صديقتي الرقيقة ، بانتظار سعادة رؤيتك ، في متعة الكتابة اليك ، وانني عن طريق الاهتمام بك ، أنخلص من التحسر على كوني بعيداً عنك . إن بشي إياك عواطفي ، وتذكير نفسي بعواطفك ، هما بالنسبة لقلبي متعة حقيقية ، ومن جراء هذه المتعة يتيح وقت الحرمان لحي آلاف الملذات الثمينة . ومع ذلك اذا كان لا بد من ان أصدقك ، فلن أحصل على أي جواب منك . وهذه الرسالة ستكون الاخيرة ، وسنحرم نفسيينا من « تجارة » — هي حسب رأيك — خطيرة ، ولسنا بحاجة اليها . وأنا سأصدقك اكيداً اذا الححت : إذ ماذا يمكن أن تريدي ، ولا أريده أنا لهذا السبب ؟ ولكن قبل أن تقرري نهائياً ،

أفلاتسمحي لي بأن نتحدث معاً ؟

في ما يتعلق بالاخطار ، ينبغي عليك ان تحكي عليها وحدك : ولا استطيع ان احسب مداها . ويهمني أن ارجوك السهر على سمعتك ، لأنني لا استطيع أن اكون مطمئناً حين تكوني قلقة . وفي هذه القضية لسنا كلانا واحداً ، بل عليك ان تقرري عنا نحن الاثنين .

ولكن الأمر مختلف في ما يتعلق بالحاجة الى ذلك . وهنا لا يمكن ان تكون لدينا الا الفكرة نفسها . واذا كنا نختلف في الرأي ، فذلك عائد ربما الى أننا بحاجة الى التفاهم . واليك اذن ما اظن انني أشعر به .

لا شك بأن المراسلة تبدو غير ضرورية حين نستطيع أن نتقابل بجرية . وماذا يمكن لرسالة أن تقوله ولا تعبر عنه بصورة افضل ، كلمة واحدة او نظرة واحدة او حتى صمت ؟ وهذا ما يبدو لي صحيحاً ، حتى انك حين طلبت اليّ الانتراسل فقد دخلت هذه الفكرة بسهولة الى نفسي . ولعلها ضايقتها ، ولكنها لم تؤثر فيها أبداً كما لو أنني حين أريد أن اطبع قبلة على قلبك ، فأصادف شريطاً ، أو قطعة من الشاش ، فأنجحها فقط ، ولا أشعر بأي حاجز .

ولكننا منذ ذلك الحين إنفصلنا ، وما دمت لم تعودني هناك ، فقد عادت فكرة المراسلة تشغل بالي . وقلت لنفسي لماذا التحمل حرماناً آخر ؟ ثم الا نستطيع ان نقول شيئاً حين نبعد واخيراً مها كان الوقت الذي نقضيه في المتعة ، فاننا نصل الى الافتراق ، واذا بي أشعر بوحديتي ! وعندئذ تصبح الرسالة ثمينة ! واذا لم تُقرأ ، فعلى الاقل يمكن النظر اليها ... آه ! بدون شك من الممكن النظر الى رسالة دون قراءتها ، كما أشعر في الليل ببعض السرور حين أمسُ صورتك ...

لقد قلت صورتك ؟ ولكن الرسالة هي صورة الروح ... وهي لا تتضمن كالصورة ذلك المظهر البعيد كل البعد عن الحب . بل هي تمثل جميع حركاتنا . وهي في آن واحد ، تحيا ، وتتمتع ، وترتاح ... وان مشاعرك هي ثمينة جداً بالنسبة لي ! فهل تحرميني من وسيلة التقاطها ؟

هل انت متأكدة بأن حاجة الكتابة إليّ لن تشغل بالك ابداً ؟ واذا كان قلبك في العزلة يتمدد او ينقبض ، واذا كانت لحظة حبور تتغلغل حتى روحك ، واذا جاءت تعاسة تلقائية تعكر روحك لحظة ماء، أفلن تعمدي إلى بث سعادتك ولواعجك في روح صديقك ؟ هل سيكون لديك شعور لا يشاطره اياك ؟ أه يا صديقتي ... يا صديقتي الخنونة ... ولكن الأمر يعود اليك لكي تقرري . لقد أردت فقط ان اتباحث معك ، لا أن اغريك . ولم اقل لك إلا اسباباً منطقية ، واعتقد انها كانت اقوى من الرجاءات . وسأحاول اذن - اذا ألححت - بالأ أشجيك . وسأبذل جهودي لكي اقول لنفسي مايمكن ان تكوني قد كتبتة لي . ولكنك ستقولينه بشكل افضل مني . وسأحصل على سرور اعظم في سماعه منك .

الوداع يا صديقتي الفاتنة . لقد اقتربت الساعة التي استطيع فيها ان اراك . اتركك سريعاً لكي اذهب فألقاك مبكراً .

## ١٥١

### من النيكونت دي فالمون الى المريكيزة دي ميرتاي

باريس في ٣ كانون الأول ?? ١٧

لا ريب ، ايها المريكيزة ، بأنك لا تخاليني قليل اللياقة حتى افكر بأنني استطيع أن أشتهي في إجتماعك المنفرد حيث وجدتك هذا المساء ، وفي «المصادفة المدهشة» التي قادت دانسي إلى بيتك ! وليس لأن سحنتك المتمرنة لم تعرف أن تتخذ بصورة رائعة تعبير الهدوء والصفاء ، ولا لأنك قد فضحت نفسك بأية عبارة من هذه العبارات التي تفلت أحياناً فتكشف عن الاضطراب والندم . وأعترف ايضاً أن نظراتك المرنة قد خدمتك تماماً ، وقد عرفت أن تبعث على التصديق كما تبعث على التفاهم . ودون ان أبدي أو أحتفظ بأية ريبية ، لم أشك لحظة في ما سببه لك هذا الشخص الثالث غير الملائم من غمّ بالغ . وكان لا بد



أن نشرت عبثاً كل هذه المواهب لتحقيق نجاح وعدت به نفسك ، واحداث الوهم الذي تبحثين عن خلقه ، كان لا بد لك من أن تدرّبي عاشقك الساذج بكثير من العناية .

ونظراً لأنك بدأت في القيام بالتربية . درّبي تلاميذك على ألا يتوردوا خجلاً ، والا يرتبكوا عند أول مزاحه ، وألا ينكروا بحماس ازاء امرأة واحدة ، الأشياء نفسها التي يمنعون انفسهم من ذكرها بكثير من اللين تجاه الباقيات جميعهن . علمهم ايضاً أن يُحسنوا الاستماع إلى إطرء معلمتهم دون أن يعتقدوا أن عليهم ان يقدموا اليها كل تشرّيف وتقدير . واذا سمحت لهم بأن ينظروا اليك في المجتمع ، فليعرفوا على الأقل سلفاً ان يخفوا نظرة التملك التي ليس من الصعب اكتشافها ، وألاًّ يمزجوها بعدم حذق بنظرة الحب . وعندئذ تجعلينهم يظهرون في تمريناتك العامة ، دون أن يشين مسلكهم سمعة معلمتهم الحكيمة . وانا نفسي سأكون سعيداً جداً بالمساهمة في شهرتك ، وأعدك بأن أنشر برامج هذه المدرسة الجديدة .

ولكنني حتى الآن أعجبُ - وانا اعترف بذلك - لكونك عمدتِ الى معاملتي كتلميذ مدرسة . آه ، بينما كان بإمكانني مع أية امرأة اخرى ان انتقم على الفور ، وبكل سرور ! وان يكون سروري قد تجاوز بكل سهولة السرور الذي اعتقدت انك ستفقديني اياه ! أجل انني استطيع معك وحدك ان افضل تدارك الخطأ على الانتقام . ولا تعتقدي ان ما يمنعني عن ذلك وجود اي شك عندي او اقل عدم تأكيد ... بل اعلم كل شيء .

لقد وصلت الى باريس منذ اربعة ايام ، وفي كل يوم كنتِ ترين دانسني ، ولم تقابلي احداً غيره . واليوم ايضاً كان بابك مقفلاً . ولم يكن يعوز بوابك - لكي يمنعني من الوصول اليك - إلا تأكيد مائل لتأكيدك . ومع ذلك كان يجب عليّ ألا اشك - كما اخبرتني في رسالتك - بأنني سأكون الأول الذي أعلم بنبأ وصولك . هذا الوصول الذي لم تكووني تعرفين ايضاً ان تحددي لي مواعده . بينما كتبتِ لي في الواقع عشية سفرك . هل تتكرين هذه الوقائع ؟ أو تحاولين

أن تجدي الاعذار لنفسك . ان هذا وذاك مستحيل . ومع ذلك فاني اردع نفسي ايضاً . واعلمي هنا مدى سلطانك . ولكن صدقيني ، بعد ان سررت بمعرفة ذلك ، ارجوك الاتطيلي استغلاله . فنحن نعرف بعضنا البعض جيداً كلا الاثنين ايها المركيزة . وهذه الكلمة يجب ان تكفيك .

لقد قلت لي ، انك ستخرجين غداً طيلة النهار ؟ حسناً فليكن . واذا كنت ستخرجين بالفعل ، فسيتمين لك انني سأعرف بالأمر . ولكنك ستعودين اخيراً في المساء ، ومن اجل مصالحتنا الصعبة لن يكون عندنا وقت لليوم التالي ، عرفيني اذن اذا كانت المصالحة ستم في بيتك او «هناك» لكي نقوم بتوضيحاتنا العديدة المتبادلة . وبصورة خاصة ، لكي ابحت بعد الآن عن دانسي ، فلقد أفعم رأسك الرديء بفكرته ، واستطيع ألا اكون غيوراً من جنون خيالك . ولكن فكثري منذ هذه اللحظة ان ما كان صادراً عن نزق سيصبح تفضيلاً ملحوظاً . ولا اظن نفسي انني مخلوق لهذه الالهانة . ولم اكن انتظر ان اتلقاها منك .

وآمل كذلك ألا تبدو هذه التضحية من جانبك على انها تضحية . ولكن حين ستكفك جهداً ما يبدو لي انني ضربت المثل الحسن امامك ! لأن هناك امرأة صبية حسنة وحساسة ايضاً ، لم تكن تعيش الا من اجلي ، وهي في الوقت الحاضر ربما تموت بسبب الحب والحسرة ، وقد ضحيت بها من اجلك وأظن انها تعادل جيداً فتى تلميذاً ، لا يعوزه - اذا شئت - الجمال والفتنة ، ولكن تنقصه التجربة والمثابرة .

الوداع ايها المركيزة ، لن احدثك بشيء عن عواطفي التي اكنها لك ، وكل ما استطيع القيام به الآن ، هو ألا أجس قلبي وانا انتظر جوابك . فكثري عند كتابته ، فكثري جيداً أنه كلما كان من السهل ان تجعليني أنسى الالهانة التي وجهتها اليّ ، كلما أدى اي رفض من جانبك أو مجرد تأجيل بسيط الى زيادة خطورة هذه الالهانة في قلبي بحيث لا يمكن أن تزول آثارها .

## من المربية دي ميرتاي الى الفيكونت دي فالون

باريس في ٤ كانون الاول ?? ١٧

كن على حذر أذن ايها الفيكونت ، وارفق بجيائي البالغ ! كيف تريد ان تحمل الفكرة المرهقة باثارة استنكارك ، وبصورة خاصة ألا أقع فريسة الخوف من انتقامك ؟ وفضلاً عن ذلك - كما تعلم - اذا قت نحوي بأية اساءة فسيكون من المستحيل عليّ أن أردّها لك . ومهما تكلمت فان وجودك لن يكون أقل لمعاناً ولا أقل هدوءاً. وفي الواقع ماذا بإمكانك أن تهرب ؟ ان تضطر إلى الرحيل اذا ترك لك متسع من الوقت . ولكن أفلا يعيش المرء في الخارج كما يعيش هنا ؟ وفي أسوأ الافتراضات - شرط ان يدعك بلاط فرنسا لتحدد اقامتك في المكان الذي تختاره - سيكون الأمر بالنسبة اليك استبدال مسرح انتصاراتك . وبعد هذه المحاولة في تهدئة اعصابك بهذه الاعتبارات الاخلاقية ، نعد الى شؤوننا . هل تعلم ايها الفيكونت لماذا لم أتزوج مرة ثانية مطلقاً ؟ من المؤكد ان السبب لا يعود الى عدم وجود صفقات رابحة . بل فقط لكي لا يكون لأحد الحق بأن يجد ما يعترض به على أعمالي وتصرفاتي . وليس ابدأ لأنني خشيت الا اتمكن من تنفيذ رغباتي كما اشتهي ، وقد كان بإمكانني ان اتوصل إلى ذلك في جميع الأحوال ، بل ان ما كان سيضايقي ان يغدو لشخص واحد فقط الحق بأن يتذمر من مسلكي . واخيراً لأنني لم أشأ أن أخدع أحداً إلا بدافع لذتي الشخصية ، وليس بدافع الحاجة . ولكن ها أنت تكتب إلي الرسالة الاكثر شهياً برسائل الازواج . ولا تتحدث إليّ إلا عن اخطاء ارتكبتها من جانبي ، وعن الفضل والمنة من جانبك ! ولكن كيف يمكن أن يخلّ الانسان بعهد من لا يدين له بشيء ؟ في الحقيقة يصعب عليّ أدراك ذلك !

لنرى الآن ما هي المشكلة ! لقد وجدت دانسني في بيتي وهذا لم يعجبك ؟ ولكن ماذا استطعت ان تستنتج ؟ إما أن وجوده مجرد مصادفة كما قلت لك ،

وإما أنه حضر بناء على ارادتي كما لم اقل لك . ففي الحالة الأولى تكون رسالتك على حق . وفي الحالة الثانية تكون سخيقة ، وما كان ينبغي ان تكتب ! ولكنك غيور . والغيرة لا منطق لها . حسناً سأفكر منطقياً عنك .

إما ان يكون لك مزاحم ام لا يكون . فاذا كان لك مثل هذا المزاحم ، فيجب أن تثير الإعجاب لكي تجعل نفسك مفضلاً عليه ، واذا لم يكن لك مزاحم ، يجب ان تبث على الاعجاب ايضاً لكي تتفادى ان يكون لك من يزاحمك . وفي جميع الاحوال يجب ان تنتهج المسلك نفسه . وهكذا لماذا تريد إشغال بالك ؟ ولماذا تشغل بالي انا بصورة خاصة ؟ ألا تعرف ان تكون الاكثر لطفاً من سواك ؟ ألسنت متأكداً من نجاحك ؟ اذن فأنت مخطيء يا فيكونت . ولكن الأمر ليس كذلك ، لأنني في نظرك لا أساوي أن تبذل من اجلي كل هذا العناء . فأنت لا ترغب كثيراً في امتناني ، بحيث لا تريد ان تستغل سلطانك . انك لاجحود . وأليك ما أعتقد عاطفة ، ولو تابعت هذه الرسالة على هذا النحو فستصبح رقيقة جداً ، ولكنك لا تستحقها .

كما أنك لا تستحق أن ابرر نفسي اكثر مما بررت . ولكي أعاقبك على شبهاتك سأجعلك تحتفظ بها ، وهكذا لن اقول لك شيئاً بصدد فترة عودتي ولا بصدد زيارات دانسني . فلقد بذلت جهداً كبيراً لكي تطلع على التفاصيل ، ليس ذلك صحيحاً ؟ حسناً . فهل تقدمت ؟ أتمنى ان تكون قد وجدت في ذلك متعة كبرى . أما في ما يتعلق بي فان ذلك لم يؤذ متعتي .

كل ما أستطيع اذن ان اجيب به على رسالتك التهديدية هو أنها لم تمتلك المقدرة على إعجابي ولا على تحويري . وفي الوقت الحاضر لست اكثر استعداداً لمنحك مطالبك .

في الواقع انني اذا قبلتك كما ظهرت اليوم فهذا معناه انني ارتكبت بحقك خيانة حقيقية . ولا أريد بهذه الطريقة ان اعيد علاقتي مع عاشقي القديم ، بل سيكون معناه انني أتخذ عاشقاً جديداً لا يساوي الآخر كثيراً . وانا لم أنس الأول بعد بصورة كافية لكي أخدع نفسي على هذه الصورة . لأن الفالون السابق الذي

أحبته كان ممتعاً فانتاً . واعترف انني لم ألقَ رجلاً اكثر لطفاً منه بعد . آه !  
ارجوك يا فيكونت إذا عثرتَ عليه ، فاحضره إليّ . وهو سيُستقبل دائماً  
بكل ترحاب .

وأنذره مع ذلك انه لن يكون ذلك لا اليوم ولا غداً ، لأن حنقه قد أضرَّ  
به . وإذا ضغط علي كثيراً فانني أخشى ان أخدع نفسي . أو لعلي وعدت  
دانسني بتخصيص هذين اليومين له ؟ وهكذا أعلمتني رسالتك انك لا تمزح حين  
يخلُ المرء بوعدده . ارأيت أنه لا بد من الانتظار .

ولكن ماذا يهيك ؟ تستطيع ان تنتقم دائماً من مزاحك . ولن يفعل ما هو  
أسوأ مع خليلتك اكثر مما فعلت مع خليلته . وبعد كل شيء ألا تساوي امرأة  
امرأةً أخرى ؟ تلك هي مبادئك نفسها . وحتى تلك المرأة التي ستكون رقيقة  
وحساسة ولا تحيا الا من اجلك والتي ستموت أخيراً اسفاً وكمدأ على حبك ،  
أفلم تضحى بها عند أول مناسبة . ثم تريد أن تتضايق ؟ آه ! كلا ، هذا  
ليس عدلاً .

الوداع ايها الفيكونت ، عد الى لطفك ، وانني لا اطلب اكثر من ان أجدك  
فاتناً لطيفاً ، وما ان اصبح متأكدة من ذلك حتى أتعهد بان ابرهن لك عن حيي .  
في الحقيقة أنني طيبة القلب جداً .

١٥٣

### من الفيكونت دي فالمون الى المركيزة دي ميرتاي

باريس في ٤ كانون الأول ؟؟ ١٧

ها أنذا اجيب حالاً على رسالتك ، وسأحاول ان اكون واضحاً ، بما هو ليس  
بالسهل معك حين تكونين قد قررت عدم الفهم .

ان الخطابات الطويلة ليست ضرورية لإثبات ان كلا منا يملك بيده كل ما  
يجب لتدمير الآخر . ولذلك فإن من مصلحتنا المشتركة ان يرفق أحدهنا بالآخر

بصورة متبادلة . ثم ان القضية لا تتعلق بذلك بيد أن هناك بين القرار العنيف في ان يدمر احدنا الاخر، وبين القرار الافضل ولا ريب بأن نظل متعدين كما كنا، وكما سنصبح اشد اتحاداً اذا استأنفنا علاقتنا الأولى ... أقول بين هذين القرارين هناك ألف قرار آخر يمكن اتخاذها . أفلم يكن أذن من السخف ان أقول لك واكرره لك أنني ابتداءً من هذا اليوم سأصبح عشيقك أو عدوك ؟

أشعر جيداً ان هذا الاختيار يضايقك ، وأنتك تفضلين المواربة . ولا أجهل انك لم تحبي مطلقاً ان تكوني في وضع يحتم عليك أن تقولي : نعم أو لا : ولكن عليك ان تشعرني أيضاً انني لا استطيع ان ادعك تخرجين من هذه الحلقة الضيقة ، دون ان اجازف بأن اكون مخدوعاً . وكان عليك أن تتوقعي أنني لن أهادن . والآن عليك انت أن تقرري : واستطيع أن ادع لك الخيار لا البقاء في التذبذب .

انما أنذرك فقط بأنك لن تستطيعي أن تخدعيني بمبرراتك الصالحة أو السيئة ، وانك لن تغويني ببعض المداعبات والملاطفات التي ستحاولين ان تستري بها رفضك ، واخيراً لقد حان عهد الصراحة . وأنني لا أتمنى سوى اعطائك المثل على ذلك بنفسني ، وأعلن بسرور أنني افضل المسالمة والاتحاد . ولكن اذا كان علينا ان نقطع الصلة انا وأنت ، فأظن ان عندي الحق والوسائل .

أضيف أذن الى ذلك ان اقل عقبة من جانبك سأعتبرها من جانبي اعلان صريح بالحرب . ارأيت ان الجواب الذي اطلبه منك لا يتطلب عبارات طويلة ولا جميلة . بل كلمتين فقط ، وهما تكفيان .



جواب من المركيزة دي ميرتاي كتب في ذيل الرسالة نفسها :

حسناً ! الحرب .

## من السيدة دي فولانج الى السيدة دي روزموند

باريس في ٥ كانون الأول ?? ١٧

ان النشرات تنبئك افضل مما أستطيع القيام به ، يا صديقتي العزيزة ، عن الحالة المؤسفة التي وصلت اليها مريضتنا . أنا اقضي كل وقتي في تقديم العناية اللازمة لها بحيث لا أملك اي متسع من الوقت للكتابة اليك ، مع العلم ان هناك احداثاً اخرى غير احداث المريضة . واليك حادثاً لم اكن اتوقعه ابداً . فقد تلقيت رسالة من السيد دي فالمون الذي أعجبه أن يتخذني موضع اسراره ، لا بل ووسيطته لدى السيدة دي تورفيل التي بعث اليها برسالة ضمن رسالتي . وقد رفضت احداهما واجبت على الأخرى . وأني أبعث اليك بالأخيرة ، وأعتقد أنك تحكين على الأمور مثلي ، وهو أنني لا أستطيع ولا يجب أن افعل ما يطلبه مني . حق ولو أردت القيام بذلك فإن صديقتنا البائسة ليست في حالة تسمح لها بأن تفهم شيئاً ، لأن جنونها مستمر . ولكن ما رأيك في ياس السيد دي فالمون ؟ ثم هل يجب تصديقه ؟ أم انه يريد فقط ان يخدع جميع الناس حتى النهاية \* ؟ واذا كان هذه المرة صادقاً فإنه يستطيع ان يقول أنه سبب هو نفسه تعاستها . أعتقد أنه لن يكون مسروراً من جوابي ، بيد انني أعترف ان كل ما أراه في هذه المغامرة البائسة يثيرني اكثر فأكثر ضد صاحبها .

الوداع يا صديقتي العزيزة . أعود الآن إلى عنايةي الكئيبة رغم ضالة الأمل في ان أراها تنجح . انت تعرفين عواطفني نحوك .

---

\* لقد رأينا الاستثناء عن نشر هذه الرسالة لأننا لم نمثر في نيتها على ما يبدد هذا العك .

## من الفيكونت دي فالمون الى الفارس دانسي

باريس في ٥ كانون الأول ١٧??

مررت مرتين بمنزلك يا عزيزي الفارس ، ولكنك منذ أن استبدلت دور العاشق المتيم بدور الباحث عن الحب لدى كل امرأة ، أصبحت كالتعقل لا يمكن العثور عليه . لقد أكد لي خادمك مع ذلك انك ستعود هذا المساء إلى منزلك ، وانك أمرته بانتظارك . ولكنني انا المطلع على مشاريعك فهمت جيداً انك لن تعود إلا للحظة قصيرة لكي ترتدي لباس « الشيء » ثم تستأنف على الفور غزواتك الموفقة . هنيئاً لك ، وأنا لا أستطيع إلا أن أهلل لك . ولكن لعلك تبدل اتجاهك هذا المساء .. لأنك لا تعرف إلا نصف شؤونك . ولا بدّ من أطلاعك على النصف الآخر . ثم عليك ان تقرر موقفك . خذ اذن الوقت الكافي لتلاوة رسالتي هذه . وهي لا ترمي الى صرفك عن ملذاتك ، بل على العكس لا تهدف إلا إلى ترك الخيار لك لأن تختار بينها .

ولو كنت لم اجمل معرفة مسارتك بكاملها ، ولو كنت قد عرفت منك جزءاً من أسرارك التي تركتني استنتجها، لكنت عرفت بالأمر في الوقت المناسب ولما كان نشاطي الأهوج قد ضايق اليوم مسعاك . ولكن لننطلق من النقطة التي نحن فيها . ومهما كان القرار الذي ستتخذه ، فإن أسوأ ما يكون سيبعث على سعادة الآخر .

لديك موعد هذه الليلة أليس صحيحاً ؟ مع امرأة فاتنة تعبدها ؟ لأن من كان في مثل سنك فأية امرأة لا يعبدها ؟ على الأقل في الأيام الثمانية الأولى ! وإن مكان المسرح يجب أن يضيف على ملذاتك ملذات أخرى : بيت صغير لذيذ لم يتخذ الا من اجلك ، ينبغي أن يُزَيّن أوج المتعة ، ومفاتن الحرية ، ونشوة الغموض . كل شيء متفق عليه . وهناك من ينتظرك ، وانت تتحرق شوقاً لكي تذهب اليه ! وهذا ما نعلمه كلا الاثنين رغم انك لم تقل لي شيئاً . والآن اليك ما



لا تعلمه ، ولا بدّ من ان اقوله لك .

منذ عودتي إلى باريس وأنا أهتم بالوسائل التي تُقرّبك من الأنسة فولانج . وقد كنتُ وعدتُك بذلك . وحتى في المرة الاخيرة التي حدثتُك بها عنها ، استنتجت من أقوالك واندفاعك ما جعلني أهتم بذلك من أجل تحقيق سعادتك . ولم اكن لأستطيع أن أنجح وحدي في هذه المحاولة الصعبة جداً ، ولكنني بعد ان مهّدتُ السبل ، تركت الباقي لهماسة خليلتك الصغيرة . وقد وجدت في حبها وسائل لم استطع ان اكتشفها بخبرتي . واخيراً فان تعاستك تأتي الا أن تنجح في ذلك ، وقد قالت لي هذا المساء انها تغلّبت منذ يومين على جميع العقبات ، ولا تتوقف سعادتك الآن الا عليك .

ومنذ يومين أيضاً وهي تتباهى بأنها ستطلعك على النبا بنفسها ، ورغم غياب الأم كان بإمكانك ان تحضر وتلقى صديقاً رحباً ، ولكن ليس انك لم تحضر فحسب ، بل اقول لك الحقيقة لقد بدت لي الفتاة - إما عن نزق وإما عن حق - غاضبة منك بسبب هذا الفتور من جانبك . واخيراً عثرتُ على وسيلة جعلتني أصل بواسطتها إلى غرفتها ، وطلبت إليّ أن اقطع لها وعداً على نفسي لكي ابلغك هذه الرسالة التي ابعث بها اليك طيه . وانا أراهن نظراً لما أبدته من تعجل انها حددت لك موعداً هذا المساء . ومهما يكن فقد وعدت بشرفي وصدائقي بأن اسلمك الرسالة الرقيقة هذا النهار ، وانا لا أريد أن احث بوعدي .

والآن ايها الشاب أي مسلك ستنتهج ؟ اما وقد وقعت بين نزوات الحب ، وبين المتعة والسعادة ، فماذا سيكون اختيارك ؟ ولو كنت أتحدث إلى دانسني كما أعرفه منذ ثلاثة أشهر لا بل قبل ثمانية ايام فقط لكنت متأكداً من قلبه ، ولعرفته من مساعيه . ولكن دانسني اليوم ، الذي انترعته النساء الراكضات وراء المغامرات وأصبح حسب العادة فاسقاً ، هل يفضل فتاة صغيرة خجولة لا تملك سوى جمالها وبراءتها وحبها على متع امرأة متمرنة خبيثة ؟

في ما يتعلق بي يا صديقي العزيز ، يبدو لي - حتى في مبادئك الجديدة التي أعترف انها مبادئي أيضاً - أن الظروف تجعلني أفضل العاشقة الصغيرة . أولاً

أنها واحدة اضافية ، ثم هناك الجِدَّة ، وأيضاً الخوف من فقدان ثمرة جهودك باهمالك اقتطافها ، لأنك ستكون من هذه الناحية قد قوّت عليك فرصة ثمينة لا تتسنى لك دائماً ، لا سيما ازاء اول تحاذل. وتكفي في مثل هذه الحالة غالباً لحظة استياء ، او شبهة غيورة ، او ربما أقل ايضاً لتحول دون تحقيق اجمل إنتصار . والفضيلة التي تُغرِق تتعلق احياناً بالغصون ، وما ان تغلت حتى تبقى حذرة ولن يكون من السهل مفاجأتها .

اما من الناحية الأخرى فعلى العكس ، ماذا تخسر ؟ انك لن تجازف حتى بمجرد الانفصال ، بل مجرد شقاق . وبإمكانك أن تشتري متعة المصالحة عن طريق بعض اللطافات . وماذا يبقى للمرأة التي سبق ان استسلمت اليك سوى أن تتحلى بالتسامح ؟ وماذا ستكسب من جراء المساواة ؟ انها تكسب فقدان ملذاتها دون اية فائدة لمجدها .

واذا قررت - كما افترض - اتباع مسلك الحب الذي يبدو لي بأنه عين التعقل ، فإني أعتقد ان من الاحتراس ألا تعتذر عن الموعد المحل به ، بل دع غيرك ينتظر بك بكل بساطة ؛ لانك لو حاولت أن تبرر عدم حضورك بحجة ما ، فقد تخاطر يجعل الفريق الآخر يتحرى حجتك . فالنساء هن فضوليات وعنيدات . وكل شيء يمكن ان ينكشف ؛ وها أنذا اصبح الآن أمثلة على ذلك . ولكن اذا تركت الامل يبقى ، فسيكون مدعوماً بحب الذات ، ولن يضيع الا بعد مضي الساعة المناسبة للاستعلامات ؛ عندئذ تستطيع غداً ان تختار العقبة الصعبة التي حجزتك عن حضور الموعد ، قد تكون مريضاً ، ميتاً اذا لزم الامر ، او اي مبرر آخر يمكن ان يبعث ايضاً على اسفك وتحسرك ، وكل شيء سيصطلح في المستقبل .

ومهما تكن الناحية التي تقرر بشأنها فإني أرجوك فقط ان تعلمني بالامر . وبما انه لا مصلحة لي في ذلك ، فسأجد دوماً أنك حسناً فعلت . وان ما اضيفه ايضاً الى ذلك هو انني متأسف جداً على تركي السيدة دي تورفيل . وانا الآن في يأس لانفصالي عنها . وانني ابذل نصف حياتي في سبيل

سعادة تكريس النصف الآخر من اجلها . آه صدقني ، اننا لسنا سعداء الا في الحب .

١٥٦

## من سيسيل فولانج إلى الفارس دانسي

رسالة مرفقة مع السابقة

باريس في ٤ كانون الاول ١٧??

كيف حدث اذن ، يا صديقي العزيز ، انني لم أعد أراك بينما لم اكف عن الرغبة فيك ؟ ألم يعد لديك من الاشتهاء نحوي بقدر ما لدي من الاشتهاء نحوك ؟ آه إنني الآن اشعر فقط بشدة تعاستي ! وهي تعاسة أشد مما كنت عليه حين كنا مبتعدين تماماً الواحد عن الآخر ، وان الحزن الذي عانيته من الآخرين ، يأتيني الآن منك ، وهذا ما يؤلم اشد الألم .

منذ بضعة ايام وأمي لا تمكث في البيت ابداً ، وانت تعرف ذلك حتماً . وكنت آمل بأن تحاول انتهاء هذا الوقت من الحرية ! ولكنك لا تفكر حق في وانا تعيسة جداً ! لطالما قلت لي انني انا التي أحب اقل منك ! ولكنني كنت أعلم انني على العكس ، واليك الآن الدليل على ذلك . ولو حضرت لرؤيتي لكنت رأيتني بالفعل ، لانني است مثلك ، ولا افكر الا بكل ما يتيح لنا فرصة الاجتماع وانك لتستحق الا اطلعك على شيء مما بذلته من اجل تحقيق ذلك ، وقد سبب لي كثيراً من العناء . بيد انني احبك حباً جماً وأشعر برغبة قوية في لقاءك بحيث لا امنع نفسي من قوله لك . ثم سأرى على الاثر اذا كنت تحبني حقيقة ام لا !

لقد دبرت الامور بحيث ان البواب اصبح يخدم مصالحنا وقد وعدني بانها سيدعك دائماً تدخل كل مرة حضرت كما لو كان لا يراك . ونستطيع ان نشق به تماماً لأنه رجل شريف جداً . ولا يبقى بعد ذلك الا الحيلولة دون ان يرانا احد في البيت . وهذا ايضاً أمر سهل ، شرط ان تحضر في المساء فقط ، حين لا يكون هناك ما يخشى منه على الاطلاق . فمثلاً منذ ان

اخذت امي تخرج كل يوم اخذت تنام في الساعة الحادية عشرة . وهكذا سيكون لدينا متسع كافٍ من الوقت .

وقد قال لي البواب انك حين تريد المجيء على هذه الصورة ، فليس عليك ان تدق الباب ، بل تدق على نافذته ، ثم ستجد بسهولة السلم الصغير . وبما انك لا تستطيع ان تحمل معك ضوءاً فسادع باب غرفتي نصف مفتوح ، مما يتيح لك الاستضاءة دوماً قليلاً . يجب ان تحاذر تماماً بالأا تقوم بأية ضجة ، لا سيما حين تمر بقرب باب أمي الصغير . اما في ما يتعلق بباب خادمتي ، فالامر غير مهم لأنها وعدتني بأنها لن تستيقظ . وهي ايضاً فتاة طيبة ! ولدى خروجك سيكون الامر مماثلاً . والآن سنرى اذا كنت ستحضر .

يا إلهي لماذا يخفق قلبي بقوة وانا اكتب اليك؟ هل سيحدث لي بعض الشقاء، أو هل أن الامل في ان أراك يقلقني الى هذا الحد؟ ولكن ما أشعر به جيداً هو انني لم احبك ابدأ بهذا المقدار . وانني لم ارغب فيك ابدأ بمثل هذه الصورة . تعال إذن يا صديقي، يا صديقي العزيز حتى استطيع ان اكرر لك مئة مرة انني احبك ، انني اعبدك ، وانني لن احب سواك .

لقد وجدت وسيلة لكي أبلغ السيد دي فالمون ان لديّ ما أريد ان أقوله له . وبما انه صديق ممتاز فسيحضر اعيداً غداً ، وسأرجوه ان يسلمك رسالتي هذه حالاً . وهكذا سأنتظرك مساء الغد ، وستحضر مها كلف الأمر ، اذا كنت لا تريد أن تصبح سيديلتك تعيسة .  
الوداع يا صديقي العزيز . أقبلك من كل قلبي .

١٥٧

من الفارس دانسني الى الفيكونت دي فالمون

باريس في ٥ كانون الأول ١٧??

لا تشك ، يا عزيزي الفيكونت ، في قلبي ولا في مساعيّ : كيف يتسنى لي ان اقاوم رغبة سيسيلتي؟ آه انها هي ... هي وحدها التي أحب ، والتي سأحبها

دوماً ! ان لصراحتها وحنوها سحراً طاغياً عليّ . وقد اعتراني تخاذل عابر جعلني أسلوه بعض الوقت ، ولكن لا شيء يمكن ان يحويه ابداً . وبعد ان انسقت وراء مغامرة أخرى ، دون أن الاحظ ذلك على نفسي اذا صح هذا التعبير ، فان ذكرى سيسيل كانت غالباً تروادني فتمكر عليّ صفو خواطري حتى في أرق الملمات . ولعل قلبي لم يقدم لها من التقدير اكثر مما قدمه خلال هذه الفترة التي خنت فيها عهداها . ومع ذلك يا صديقي لئراّف بكرامتها ، ولنحاول ان نخفي عنها اخطائي . ان سعادة سيسيل هي أحر أمنية أرجو تحقيقها . ولن اغفر لنفسي ابداً هفوةً تكون قد كلفتها دمة واحدة .

أظن انني أستحق السخرية التي وجهتها اليّ بصد ما تسميه مبادئي الجديدة . ولكنك لا تستطيع أن تصدقني بأني لا أتصرف الآن وفق هذه المبادئ . وقد قررت ابتداء من الغد ان ابرهن على ذلك .

سأذهب فأتهم نفسي لدى تلك التي سببت ضلالي وشاطرتي اياه . وسأقول لها : « اقرأي في قلبي انه يكن لك الصداقة الرقيقة ، وان الصداقة اذا اتحدت مع الشهوة تشبه الحب !... ولكننا انخدعنا كلانا . وانني اذا كنت قابلاً للخطأ فلست قادراً على الشعور بنية سيئة » وانا اعرف صديقي . فهي شريفة كما هي متسامحة ، وستغفر لي خطأي وتقرني على رأيي . وهي غالباً ما تؤاخذ نفسها لكونها خانت الصداقة . وغالباً ما تخيف عزة نفسها حبها . وهي ستدعم في نفسي هذه المخاوف المفيدة التي كنت أحاول بجرأة ان اخنقها في روحها . ولكنها أشد حكمة مني . وانا مدين لها بأن اكون افضل ، كما مدين لك بأن اكون اكثر سعادة . آه يا صديقي العزيزين تقبلا امتناني .

الوداع يا عزيزي الفيكونت . إن بهجتي البالغة لا تمنعني من ان افكر بأشجانك واشاطرك اياها . وماذا بإمكانني ان اخدمك ؟ هل ماتزال السيدة دي تورفيل صارمة متعنتة؟ يقال انها مريضة جداً . يا آلهي كم ارثي لك اعساها تستعيد في آن واحد صحتها وتسامحها ، وتوفّر إلى الابد سعادتك ! انها أمنيات الصداقة ، وآمل ان تتحقق عن طريق الحب .

كنت اود ان اتحدث اليك مطولاً ، ولكن الوقت يزحمي وربما سيسيل  
تنتظرنني .

١٥٨

## من الفيكونت دي فالمون إلى المر كيزة دي ميوتاي

( لدى نهوضه من النوم )

باريس في ٦ كانون الاول ١٧٩٧

إذن ، أيها المر كيزة ، كيف تجدين نفسك بعد ملذات الليلة الفائتة ؟ ألسنت  
متعبة قليلاً ؟ اعترفي اذن أن دانسني تمتع ! وان هذا الفقى يقوم بالاعاجيب !  
لم تكونني تنتظرنني ذلك منه ! اليس صحيحاً ؟ ها انذا انصف نفسي ،  
فإنّ مثل هذا المزاحم يستحق جيداً أن يُضحى بي من اجله . انه حقيقة يمتلك  
مزايا حميدة ! وبصورة خاصة الحب والمثابرة ، وعزة النفس ! آه لو كنت محبوبة  
من قبله كما يجب سيسيلته ، فلن تكون لك مزاحمة يُخشى منها . وقد اثبت لك  
ذلك هذه الليلة . وربما لشدة نزقه تستطيع امرأة اخرى ان تحتطفه لفترة ثانية .  
وان اي فتى مثله لا يعرف ابدأ ان يرفض مضايقات استفزازية ، ولكن كوني  
مطمئنة ، إذ تكفي كلمة واحدة من الشخص المحبوب ، كما ترين ، لإزالة هذا الوهم .  
وهكذا لا يُعوزك إلا أن تكوني هذا الشخص لكي تكوني سعيدة تماماً .

أكيداً انك لا تخدعين نفسك ، ولديك من اللياقة الاكيدة ما تجعلين الآخرين  
يخشون منك . ومع ذلك فان الصداقة التي تربط بيننا - وهي مخلصه جداً من  
جانبي ، ومعترف بها جيداً من جانبك - جعلتني أقوم بتجربة الليلة الماضية من  
اجلك . أنها من صنع يدي ، وقد نجحت تماماً . ولكنني لا أريد شكراً عليها .  
فهي لا تستحق الشكر ، إذ كانت على جانب كبير من السهولة .

في الواقع أنها لم تكلفني شيئاً ؟ تضحية خفيفة ، وبعض البراعة . وقد  
رضيتُ أن أشاطر مع الشاب مكارم خليلته ، ولكنه اخيراً يملك عليها حقوقاً

مماثلة لحقوقي . ولا أهتم بها إلا قليلاً ! وإن الرسالة التي بعثت بحبوتها بها إليه  
 أمليتها عليها بنفسي ، وقد كان ذلك فقط لكي اكسب الوقت ، لأننا كنا نعلم  
 لأيّ غرض نستخدمه . أما الرسالة التي ارفقتها بها فقد كانت لا شيء ، تقريباً لا شيء  
 بعض الملاحظات بصدد الصداقة لكي أوجه اختيار العاشق الجديد ، ولكنها  
 في الحقيقة كانت غير مجدية . ويجب ان اقول الحقيقة ، فهو لم يتردد مطلقاً .  
 ثم أنه سيذهب بكل ما لديه من سداجة ، إلى زيارتك اليوم ويروي لك كل  
 شيء . ومن المؤكد ان هذه الرواية ستسرك كثيراً . وعليه ان يقول لك :  
 « اقرأي في قلبي » وقد ابلغني ذلك . وترين جيداً ان كل شيء سيصلح . وآمل  
 عند قراءة تلك فيه كل ما يريد ، ان تقرأي ربما ايضاً ان للعشاق الشبان مخاطرهم  
 وانه من الافضل ان اكون لك صديقاً بدلاً من ان اكون عدواً .  
 الوداع ايها المركيزة ، والى مناسبة أخرى .

١٥٩

من المركيزة دي ميرتاي الى الفيكونت دي فالمون

( مذكرة )

باريس في ٦ كانون الاول ١٧??

لا أحب مطلقاً ان تضيف سخريات رديئة إلى أساليب أردأ . ولم تعد هذه  
 طريقتي ولا من ذوقي . اذ حين يكون عليّ أن أتذمّر من أحدهم فإنني لا أستغر  
 منه بعبارات هازئة ، بل اقوم بما هو أفضل : أنني انتقم . ومها كنت مسروراً  
 من نفسك كما تستطيع أن تكون الآن ، فلا تنسَ ابداً انها لن تكون المرة  
 الأولى التي تطرب فيها لنفسك وحدك ، مؤملاً في انتصار قد أفلت منك في  
 اللحظة نفسها التي ثمّن نفسك به . الوداع .

## من السيدة دي فولانج إلى السيدة دي روزموند

باريس في ٦ كانون الأول ١٧??

اكتب إليك من غرفة صديقتنا التعيسة ، التي ما زالت حالتها لم تتبدل تقريباً . وستجري بعد ظهر اليوم مشاورة بين أربعة اطباء بصدد حالتها . ولسوء الحظ كما تعلمين فان هذه المشاورة هي غالباً ما تكون دليلاً على الخطر بدلاً من ان تكون وسيلة لدرئه .

ويبدو مع ذلك أن وعيها قد عاد اليها قليلاً في الليلة الماضية . وقد بلغتني الخادمة هذا الصباح انها استدعتها عند منتصف الليل ، وطلبت اليها ان تكون وحدها معها ، ثم املت عليها رسالة طويلة . وقالت جولي انها فيما كانت مهتمة باعداد المغلف ؟ اذ بنوبة هستيريا تعاودها بحيث ان الفتاة لم تعرف إلى اي عنوان تستطيع ان تبعث بهذه الرسالة . وقد اندهشت في البداية لكون الرسالة لم تكن كافية لكي تجعلها تعرف الى من هي موجهة . ولكنها اجابتنى انها تخشى ان تحطىء ، مع ان معلمتها قد أوصتها بإرسال الرسالة على الفور . وكان ان رأيت من واجبي ان افتح المظروف .

وقد وجدت بداخله المخطوط الذي ابعث اليك به طيه ، وهو بالفعل ليس موجهاً الى احد بقدر ما هو موجه الى الجميع ، وأظن انها ارادت ان تكتب الى السيد فالون أولاً ، ولكنها استسلمت دون ان تلاحظ الى فوضى افكارها . ومهما يكن فقد استنتجت ان هذه الرسالة يجب ألا توجه الى احد ، وانني ارسلها اليك لانك ستترين فيها - اكثر مما استطيع ان اقله لك - الافكار التي تشغل تفكير مريضتنا البائسة . وما دامت ستبقى مضطربة الى هذه الدرجة فلن يكون عندي أي أمل بشفائها . والجسم لا يشفى بسهولة إلا حين يكون الفكر مرتاحاً .



الوداع يا صديقتي المحترمة العزيزة ، اهنتك لكونك بعيدة عن رؤية المشهد  
المفجع الذي القاه باستمرار تحت انظاري .

١٦١

من الرئيسة دي نورفيل إلى ...

( رسالة مملاة من قبلها ومكتوبة من قبل خادمتها )

باريس في ٥ كانون الأول ?? ٩٧

بعد ان كنت قاسياً ومؤذياً ، افلا تتعب أبداً في اضطهادي ؟ الم يكفك ان  
نكثت بي ، وأنزلت من قدري ، وأذلتني . وأنت تريد الآن ان تسلبني  
الهدوء وأنا في قبوري؟ ماذا ! أفي اثناء اقامتي في هذه الغياهب المظلمة التي حملني العار  
على ان ادفن نفسي بها ، لا تكف الآلام عن اجتياحي ولا يأتي الأمل اليّ ؟ انني  
لا اتوسل ابدأ للحصول على اي تسامح لا أستحقه قطعاً . ولكي اتعذب دون ان  
اتذمر ، حسي أن عذاباتي لا تتجاوز قواي . ولكن لا تجعل عذابي غير محتمل ،  
وارجوك بتركك لي آلامي ، ان تنزع عني الذكرى المريرة للممتلكات التي  
فقدتها . وحين سلبتني اياها ، لا تعدّ فترسم لي صورتها المؤسفة . لقد كنت  
بريدة مرتاحة . ولكنني فقدت الراحة لدى رؤيتك . وأصبحت مجرمة في الاصغاء  
اليك . انت يا صاحب اخطائي أي حق لك في معاقبتها ؟

اين هم الاصدقاء الذين كانوا يعزوني ، اين هم ؟ ان سوء طالعي يرعبهم ؟  
ولا يحسر احد على الاقتراب مني . انني غارقة ولا يفعلون شيئاً لإنقاذي ! انني  
اموت ولا احد يبكي عليّ ، وان كل عزاء قد حُظر عليّ . ان الشفقة تقف عند  
شفا الهاوية حيث يهوي معها المجرم . ان تبكيت الضمير يمزقه ولا يسمع  
صرخاته احد !

وأنت الذي أهنته . . انت الذي يضيف احترامه الى تعذيبي . وانت وحدك  
اخيراً الذي يحق لك ان تنتقم ماذا تفعل بعيداً عني؟ تعال عاقب امرأة خائنة .

وكم اعاني اخيراً الآلام التي استحقها . لقد كان بودي قبلاً ان استسلم الى انتقامك ، ولكن الشجاعة خانتني لكي ابلغك نبأ عارك . ولم يكن الأمر عن تستر بل عن احترام . وأرجو أن تبلغك هذه الرسالة ندمي . فقد تولت السماء قضيتك . وهي تثار لك عن إهانة جهلتها . وهي التي عقدت لساني وامسكت اقوالي . اذ خشيت أن تجهل هفوتي التي أرادت ان تعاقبني عليها . لا بل ابعدتني عن تسامحك الذي كان قد جرح عدالتها .

انها غير مشفقة في انتقامها ، فسلمتني الى هذا الذي أضلني ، وانني في آن واحد أتعذب بسببه ومن أجله . وأود ان أهرب منه عبثاً . فهو يتبعني ، وهو هنا يلاحقني على الدوام . ولكن كم هو مختلف عن نفسه ! ان انظاره لا تعبر إلا عن الكراهية والاحتقار . ولا يلفظ فيه إلا الشتيمة والملامة . ولا تحيط بي ذراعه إلا لكي تمزقاني . من الذي ينقذني من غضبه البربري ؟

ولكن ماذا !.. انه هو... لست مخطئة . انه هو الذي أراه . آه يا صديقي اللطيف . إستقبلني بين ذراعيك . خبأني في حضنك . اجل هذا أنت ... هذا أنت تماماً ! أي وهم كرهه جعلني أجهلك . كم تعذبت من غيابك ؟ آه ، يجب ألا تنفصل ابداً . يجب ألا نفترق بتاتا ، دعني أتنفس . جسّ كم يخفق نبضي . آه انه لا يخفق من الخوف ، بل من الانفعال العذب للحب . لماذا ترفض ملاطفاتي الرقيقة ؟ حوّل نظراتك الحنونة نحوي . وما هي هذه الروابط التي تسمى لقطعها ؟ ولمن تعدّ جهاز الموت هذا ؟ ومن يستطيع ان يفسد تقاطيعك على هذا الشكل ؟ ماذا تعمل ؟ دعني : انني ارتجف ! يا إلهي انه هذا الشيطان ايضاً .

يا صديقاتي لا تتركتني . أنتن اللواتي تدعونني الى الهرب منه . ساعدني على محاربتة . وأنت الاكثر تسامحاً التي وعدتني بتخفيف آلامي تعالي اذن الى جانبي . أين انتما كتما الاثنتين ، اذا لم يتح لي ان أراكا بعد الآن جاوباً على الأقل على هذه الرسالة . لكي اعلم انكما تحبانني .

دعني اذن ايها الظالم ! أية نقمة جديدة تلهبك ؟ هل تخشى ان يتسرب الى نفسي شعور عذب رقيق ؟ انك تضاعف عذابي ، وتحملني على كرهك .

آه كم ان الكراهية مؤلمة ، وكم تتأكل القلب الذي يكررها ! لماذا تضطهدني ؟  
ماذا يمكن ان تقول لي ايضاً ؟ الم تضعني في استحالة الاصفاء اليك أو اجابتك ؟  
لا تنتظر مني شيئاً . الوداع يا سيدي .

١٦٢

من الفارس دانسني الى الفيكونات دي فالمون

باريس في ٦ كانون الأول ١٧??

لقد اطلمتُ يا سيدي على وسائلك التي استخدمتها نحوي . واعلم ايضاً انك  
لم تكتفِ بأنك خدعتني بكل إهانة وذل ، بل لم تخشَ أن تتباهى بذلك ، وان  
تهنيء نفسك على ما فعلت . لقد رأيت دليل خيانتك مكتوباً بخط يدك .  
وأعترف ان قلبي كان متأسفاً لذلك ؛ وشعرتُ ببعض العار لكوني ساعدت  
بنفسي على الاستغلال غير المحتمل الذي قمتَ به تجاه ثقتي العمياء ومع ذلك فإنني  
لا أحسدك على هذا السبق المخجل ، بل أنني تواق لأن اعرف اذا كنت ستحتفظ  
بكل ذلك عليّ ايضاً وسأطلع على الامر اذا شئت . ولذلك ارجو ان تتلطف  
بالحضور غداً بين الساعة الثامنة والتاسعة الى باب غابة « فانسين » قرب قرية  
سان ماندي ، وسأبذل الجهد لسكي اجسد هناك كل ما هو ضروري للحصول  
على التوضيحات التي يبقى علي ان آخذها منك .

الفارس دانسني

١٦٣

من السيد برتران الى السيدة دي روزموند

باريس في ٧ كانون الأول

سيديتي .

إنني بأسف بالغ أؤدي الواجب التعميس بإبلاغك نبأ سيسبب لك حزناً

قاسياً شديداً . إسمحي لي ان ادعوك اولاً الى التجمل بالصبر الحميد الورع الذي أعجب به كل منا لديك ، والذي يستطيع وحده ان يجعلنا نتحمل الآلام التي تنوء بها حياتنا البائسة .

انه السيد ابن شقيقك ... يا إلهي ! هل يجب ان أفجع الى هذا الحد سيده محترمة ! لقد شاء سوء طالع السيد ابن شقيقك أن يلفظ أنفاسه في معركة فريدة من نوعها تبارز فيها هذا الصباح مع السيد الفارس دانسي . أنني أجهل تماماً السبب الذي من أجله تعاركا . ولكن يبدو أن الورقة التي وجدتها في جيب السيد دي فالمون والتي لي الشرف بأن أبعث بها إليك طيه ، أقول يبدو انها تدل على أنه ليس هو المعتدي . ويجب ان يكون هو الذي سمحت السماء بأن يقع .

لقد كنت في منزل السيد الفيكونت أنتظره في الساعة نفسها التي حمل إليه فيها جريحاً . تصوري جزعي لدى رؤية السيد دي فالمون محمولاً بواسطة اثنين من خدمه ، وهو مضرج بالدماء . وكان مصاباً بطعنتي حسام في جسده . وكان خائر القوى تماماً . وكان السيد دانسي هنا ايضاً . حتى أنه اخذ يبكي . آه ! بدون شك يجب ان يبكي ، ولكن هناك متسعاً من الوقت لذرف الدموع حين يكون قد سبب فاجعة لا تعوض .

أما انا ، فلم استطع ان اتمالك نفسي ، ورغم انني لست شيئاً يذكر فلم اخف عنه طريقة تفكيري . ولكن السيد الفيكونت أظهر هنا أنه عظيم جداً . إذ أمرني بأن اسكت . وتناول يد قاتله ، ودعاه يا صديقي ، ثم قبلها امامنا جميعاً وقال لنا : « انني آرمك جميعاً ان تظهروا نحو هذا السيد كل التقدير والاحترام اللائقين برجل شجاع شهيم » . ثم سلمه فضلاً عن ذلك امامي اوراقاً كثيرة ذات حجم ضخمة لا اعرف مضامينها ، ولكنني أعرف انه كان يعلق عليها اهمية كبرى . واخيراً شاء ان ندعها معاً وحيدين فترة قصيرة . وفي الاثناء كنت قد استدعيت على الفور جميع الأسعافات الروحية والزمنية . ولكن المصيبة كانت دون علاج . وبعد مضي اقل من نصف ساعة ، غاب الفيكونت عن وعيه . ولم

يستطع ان يتناول القربان الاخير ، وما كاد الاحتفال ينتهي حتى لفظ أنفاسه .  
يا الهسي حين تلقيت بين ذراعي عند الولادة هذه السلالة الثمينة لبيت عريق .  
هل كان بإمكانني ان اتوقع أنني سألتقاه بين ذراعي عند الوفاة وانني سأبكي موته  
موتاً مبكراً جداً وتعيساً . ان دموعي تسيل من عيني رغماً عني . واطلب  
اليك المذرة ، ياسيدي ، لكوني اجسر على مزج احزاني بهذا الشكل مع احزانك .  
ولكننا في جميع الاحوال نملك قلباً وحساسة ، وسأكون جاحداً كل الحجود .  
اذالم أباك طوال حياتي سيداً كريماً كان يخصني بكثير من المسكارم والافضال ،  
وكان يشرفني بثقته .

« غداً بعد رفع الجثمان سأفرض الحجز على جميع الممتلكات والأغراض ،  
وبإمكانك ان تعتمد علي كل الاعتماد . وانك لا تجهلين يا سيدتي ان هذا الحدث  
التعيس ينهي توكيلي ، ويجعلك حرة في تصرفاتك . فأرجوك اذن ان توجهي  
إليّ أوامرک : وسأضع كل نشاطي في تنفيذها حرفياً .  
أنني ياسيدي بكل احترام عميق خادمك الخ ...

برتران

١٦٤

من السيدة دي روزموند الى السيد برتران

قصر ... في ٨ كانون الأول ?? ١٧

تلقيت رسالتك في هذه اللحظة نفسها يا عزيزي برتران ، وعرفت منها  
هذا الحادث الرهيب الذي كان ابن شقيقي ضحيته المؤسفة . اجل بدون شك  
لدي اوامر لكي اوجهها اليك . وانني في سبيلها أستطيع ان أهتم بشيء آخر  
غير فاجعتي المميته .

أن كلمة السيد دانسن التي بعثت بها إلي هي دليل مقنع على انه هو الذي  
استفز المبارزة ، وفي نيتي ان تقيم الدعوى على الفور بإسمي ، وان ابن شقيقي

بمسامحته عدوه وقاتله قد استطاع ان يرضي سخاءه الطبيعي . وانا علي أيضاً ان انتقم لوته من الناحيتين الانسانية والدينية في آن واحد . ولا بد من تطبيق القوانين ضد هذه المخلفات البربرية التي ما زالت تجتاح عاداتنا، ولا أظن في مثل هذه الحالة ان العفو عن الاهدانات يمكن ان ينطبق علينا. انني انتظر منك اذن ان تلاحق هذه القضية بكل النشاط والحيوية اللذين أعهدما فيك ، ويجب عليك ان تبذلها نحو ذكرى ابن اخي .

وسيكون عليك قبل كل شيء ان تقابل الرئيس «دي...» من قبلي وان تتباحث معه في القضية . ولن اكتب إليه ، لكي أستطيع ان أفرغ لاحتزاني ، وارجو ان تقدم اليه إعتذاراتي وتطلعه على هذه الرسالة .

الوداع يا عزيزي برتران ، اثني عليك واشكرك على مشاعرك الطيبة وانا طول الحياة مدينة الخ ...

١٦٥

### من السيدة دي فولانج الى السيدة دي روزموند

باريس في ٩ كانون الأول ?? ١٧

لقد علمت انك اطلعت يا صديقي العزيزة المحترمة على نبأ الحسارة الجسيمة التي نكبت بها ، وقد عرفت حنوك البالغ على السيد دي فالمون ، وانه اشاطرك بكل اخلاص التفجع الذي تشعرين به . وانا حقيقة متألمة لأن يكون عليّ أن أضيف إلى احزانك احزاناً أخرى جديدة ، ولكن يا للأسف ، لم يبق لديك سوى الدموع لذرهما على صديقتنا التعيسة ، فلقد فقدناها أمس في الساعة الحادية عشرة مساءً ، وقد شاء القدر المعلق بصيرها أن يلعب باحتراس إنساني ، وقد كانت هذه الفترة القصيرة التي جعلتها تعيش بعد موت دي فالمون ، كافية لأن تعلم خلالها بنبأ هذه الوفاة . وكما قالت هي نفسها فانها لم تستطع ان تسقط تحت ثقل تعاساتها الا بعد ان اضيفت اليها التعاسات اللازمة .

وبالفعل فقد علمت منذ اكثر من يومين أنها أصبحت فاقدة الوعي تماماً ، ولم تستطع صباح أمس ايضاً ، حين وصل طبيبها ، وحين اقتربنا من سريرها ان نتعرف علينا ، ولم تتمكن من الحصول منها على أية كلمة أو أقل اشارة . ولكن ما كدنا نعود الى المدفأة ، وبينما كان الطبيب يخبرني بالنبا المفجع عن وفاة السيد دي فالون حتى استعادت هذه المرأة المنكودة وعيها ، إما ان الطبيعة وحدها قد انتجت هذا الانقلاب ، أو ان تكرار كلمات « السيد دي فالون مات » التي رُددت عدة مرات هي التي جعلت المريضة تتذكر الافكار الوحيدة التي تحتلها منذ مدة طويلة .

ومهما يكن ، فقد فتحت بسرعة ستائر سريرها وصاحت : « ماذا تقولون؟ السيد دي فالون مات؟ » وكنت آمل أن أجعلها تعتقد أنها مخطئة الظن، وأكدت لها اولاً أنها اساءت السمع ، ولكنها لم تشأ ان تقتنع فطلبت إلى طبيبها ان يعيد روايته المؤلمة . وحين حاولت ان اثنيها عن ذلك، دعنتني بصوت خافت وقالت : « ولماذا تريدان ان تخدعيني ؟ ألم يسبق له أن مات من قبل بالنسبة لي ؟ » وكان لا بد من الاذعان .

وقد استمعت الى قصة وفاته في البداية بمظهر هادىء ولكنها ما لبثت ان قاطعت الرواية وقالت : « كفى ، لم أعد أطيق » . وطلبت على الفور اقفال الستائر . وحين اراد الطبيب بعد ذلك ان يهتم بمعالجة حالتها ، رفضت ان يقترب منها .

وما ان خرج حتى اخرجت من كان في الغرفة وبقينا وحدنا ، فرجتني أن أساعدها لكي تركع فوق سريرها ، وان امسك بها . وبقيت على هذا الوضع بعض الوقت صامتة دون اي تعبير سوى دموعها التي كانت تهطل بغزارة . واخيراً حملت يديها ورفعتها نحو السماء وقالت بصوت متهدج ؟ ولكن بحماسة :

« يا السهي القوي الجبار ، انني أدعن لعدالتك، ولكنني اتوسل اليك بان تغفر لفالون ، وألا تضيف ما سببه لي من آلام - اعترف بأنني أستحقها - إلى ذنوبه وماآخذه ، وأنني مؤمنة برحمتك » .

لقد سمحتُ لنفسي يا صديقتي العزيزة المحترمة ، بأن أستغرق في سرد هذه التفاصيل اليك حول موضوع أشعر جيداً بأنه سيحدد ، ويزيد من خطورة أجزائك ولواعجك ، لأنني لا أشك بأن صلاة السيدة دي تورفيل هذه تحمل الى قلبك عزاءً كبيراً .

وبعد ان لفظتُ صديقتنا هذه الكلمات القليلة ، تداعت بين ذراعيّ ، وما كادت تستلتي فوق فراشها حتى انتابها تخاذل مريع دام مدة طويلة ، ولكنه ما لبث ان زال مع الاسعافات المعتادة . وما أن استعادت وعيها قليلاً حتى طلبت استدعاء الأب أنسيلم وقالت :

« إنه في الوقت الحاضر الطبيب الوحيد الذي احتاج إليه ، وأشعر بأن آلامي ستنتهي قريباً ! » .

ثم شكتُ من اوجاعها الكثيرة وراحتُ تهذي ... وسلمتني بعد وقت قليل بواسطة خادمتها هذه العلبة الصغيرة المرسلّة رفقاً ، وهي تضم اوراقاً تخصها ، وكلفتني بأن أرسلها اليك بعد قضاء نحبها حالاً \* . ثم حدثتني عنك وعن صداقتك نحوها بقدر ما سمح لها به وضعها .

ووصل الأب أنسيلم في حوالي الساعة الرابعة ، واختلّى بها مدة ساعة كاملة ، وحينُ سمحَ لنا بالعودة الى غرفتها ، وجدنا وجهها صافياً هادئاً ، ولكن كان من السهل أن نلاحظ أن الأب أنسيلم قد بكى كثيراً . ثم بقي معنا للاشتراك في المراسيم الكنسية الأخيرة . ومما زاد من رهبة هذا الموقف الذي يكون دائماً مؤثراً ومؤلماً ، ما بدا هناك من تناقض بين وجه المريضة المستسلم الساكن ، وبين وجه الكاهن المحترم الذي كان التأثر واضحاً عليه ، ولا يكفُّ عن ذرف الدموع الغزيرة طول الوقت . وعندئذ عمَّ التأثر الجميع وأخذوا يبكون تلك التي لن تبكي ابداً .

وانقضت بقية النهار في صلوات معتادة لم تكن تقطعها سوى ظواهر الاعياء الشديد المتزايد التي اخذت تبدو على المريضة . واخيراً بلغت الساعة حوالي الحادية

---

\* - تحتوي هذه العلبة على جميع الرسائل المتعلقة بمفامرتها مع فالون .



عشرة ليلاً وهي أشد ما تكون تألماً وتجهماً، فقدمتُ اليها يدي لأمسك بذراعها، فكان أن واتتها القوة على تناول يدي ووضعها فوق قلبها، فلم اشعر عندئذ بأبي خفقان، وبالفعل لفظت صديقتنا البائسة في اللحظة نفسها أنفاسها.

انت تذكركين لدى رحلتك الاخيرة إلى هنا منذ سنة اننا تحدثنا عن بعض الاشخاص الذين يتمتعون بسعادة اكيدة . وقد استشهدنا بهذه المرأة نفسها التي نبكي اليوم تعاسها وموتها . فلقد كانت على قدر بالغ من الفضائل ، والحاصل الحميدة ، والظرف ، واللطف . وكانت ذات طباع عذبة وسهلة ، وذات زوج تحبه ويعبدها ، ومجتمع عذب ترتاح اليه ويرتاح اليها . ووجه جميل فاتن ، وقوة عارمة ، وثروة طائلة ، كل ذلك كان متجمعاً لديها ، فاذا بها تفقدها جميعاً بسبب قلة إحتراسٍ واحدة! آه ايها العناية الآلهية . يجب بدون شك أن نمبذ مشيئتك! ولكن كم تبدو لنا غير مفهومة ، انني اتوقف هنا خشية ان أزيد من تعاستك بسبب استسلامي الى تعاسي .

اترك الآن لأذهب فأرى ابنتي . وهي متوعكة الصحة قليلاً . اذا انها بعد ان بلغها نبأ هاتين الفاجعتين عن شخصين معروفين لديها ، شعرتُ بكثير من الأسى والانزعاج ، فطلبتُ . اليها أن تلزم الفراش . وآمل مع ذلك الا يكون لهذا العارض اي ذيول . وهي ليست معتادة في هذه السن على تحمل الاحزان ، ولذلك يصبح تأثيرها اشد حدة وقوة . ولاشك بأن هذه الحساسية النشيطة هي مزية محمودة ، ولكن كم يجعلنا ما نطلع عليه كل يوم من شؤون وشجون نخشاها . الوداع يا صديقتي العزيزة المحترمة .

١٦٦

من السيد برتران الى السيدة دي ووزموند

باريس في ١٠ كانون الاول ١٧?? .

سيدتي

نتيجة للاوامر التي شرفتنني بتوجيهها إليّ، ذهبتُ لمقابلة السيد الرئيس ه .

وأطلعت على رسالتك ، كما أعلمته أنني ، حسب رغباتك ، لن افعل شيئاً إلا بعد نصائحه .

وقد كلفني هذا القاضي المحترم بأن الفت انتباهك إلى أن الدعوى التي تدوين اقامتها على الفارس دانسني ، ستورط ايضاً ذكرى ابن شقيقك الراحل ، وان شرفه سيُلطّخ اكيراً بما قد يتضمنه قرار المحكمة ، مما سيؤدي الى إثارة فضيحة كبرى ، وأن من رأي الامتناع عن القيام بأي مسعى ، وانه اذا كان لا بد من القيام بأي عمل فهو رجاء النائب العام عدم اثاره هذه القضية المؤسسة التي احدثت حتى الآن ضجة كبرى في باريس .

وقد بدت لي هذه الملاحظات مفعمة بالحكمة ، ولذلك قررت انتظار أوامر جديدة من جانبك .

إسمحي لي ان ارجوك يا سيدتي عند التلطف ببلاغي اياها أن تضيفي اليها كلمة تطمأئني فيها عن صحتك الغالية التي اخشى ان تكون قد أثرت فيها الأحران . وآمل ان تغفري لي هذه الحرية الناتجة عن تعلقني وحميتي .  
انني يا سيدتي بكل احترام ... الخ ..

١٦٧

### رسالة مغللة الى السيد الفارس دانسني

باريس في ١٠ كانون الاول ١٧??

سيدتي  
لي الشرف ان أحذرك يا سيدتي انه دار بحث في دار العدل هذا الصباح بين السادة القضاة بصدد قضية وقعت اخيراً بينك وبين السيد فيكونت دي فالمون ، وانه يخشى أن يقيم النائب العام دعوى ضدك أمام القضاء . واطن ان هذا التحذير قد يفيدك إما لكي تسعى لاتخاذ الاحتياطات اللازمة ، وايقاف هذه النتائج المزعجة ، وإما اذا لم تتمكن من ذلك ، لكي تتخذ بنفسك حماية

سلامتك الشخصية .

وإذا سمحت لي بنصيحة ، فأعتقد أنك حسناً تفعل لو حاولت ان تظهر أقل  
ما يمكن بين الناس خلال فترة من الزمن ، بدلاً مما تفعل حتى الآن . وعلى الرغم  
من ان القضاء هو عادة متسامح في هذه الانواع من القضايا ، فان علينا مع ذلك  
ان نحترم القانون .

وان هذا الاحتياط يصبح أشد ضرورة لك بعد ان قيل ان امرأة تدعى  
السيدة دي روز موند يُعتقد بأنها عمه السيد دي فالون تريد ان تقيم الدعوى  
عليك . وعندئذ لا تستطيع النيابة العامة ان ترفض القاء القبض عليك .  
وسيكون ربما من المناسب أن تتمكن من التوسط لدى هذه المرأة .

هنالك اسباب خاصة تحول بيني وبين توقيع هذه الرسالة ، ولكنني  
اظن - بسبب عدم معرفتك من اين جاءتك هذه الكلمة - انك لن تقلل من  
انصافك للعاطفة التي املتها .  
لي الشرف ان اكون ... الخ ...

١٦٨

من السيدة دي فولانج الى السيدة دي روزموند

باريس ١١ كانون الاول ?? ١٧

تنشر هنا ، يا سيدتي العزيزة المحترمة ، اشاعات مدهشة ومؤسفة عن السيدة  
دي ميرتاي ، ومن المؤكد انني ابعد الناس عن تصديقها ، واراها على انها ليست  
سوى اراجيف وافتراءات قدرة . ولكنني اعلم جيداً ، مع ذلك ، كم ان هذه  
الاراجيف اللثيمة ، حتى ولو كانت لا اساس لها من الصحة ، تستطيع ان ترسخ  
في اذهان الناس ، وكم ان التأثير الذي تخلّفه لا يمكن ازالته الا بصعوبة كبرى  
وهذا ما يجعلني ازداد ذعراً من هذه الاقوال مهما كان من السهل تحطيمها . وانني  
لأتمنى ان تقف هذه الشائعات عند حدها بصورة مبكرة ، قبل ان تزداد انتشاراً .

ولكنني لم اعلم سوى بالامس فقط ، وبصورة متأخرة نبأ انتشار هذه الاشاعات التي تلوكها الالسن وتتناقلها الشفاه . وحين أوفدت خادمتي هذا الصباح لأسأل عن السيدة دي ميرتاي في بيتها قيل لي انها سافرت الى الريف لتمضية يومين هناك . وقالت لي خادمتها الثانية التي استدعيتها لأتحدث معها : انها لا تعرف الى اين قصدت ولم تذكر سيدتها الاشخاص الذين ذهبت لتراهم . بل كل ما في الامر انها طلبت اليها فقط ان تكون في انتظارها يوم الخميس المقبل ، كما لا يعلم أحد من اتباعها الذين ابقتهم هنا اكثر من ذلك . وانا نفسي لا استطيع ان افترض اين يمكن ان تكون ، ولا اذكر احداً من معارفها ما زال متأخراً الى هذا الوقت في الريف .

ومهما يكن ، تستطيعين كما آمل ، ان تزوديني ، من الآن حتى عودتها بالتوضيحات التي يمكن ان تكون مفيدة ، لأن الناس هنا يسندون هذه الحكايات التي لا تطاق عن السيدة دي ميرتاي الى ظروف وفاة السيد دي فالمون الذي لا بد ان تكوني قد اطلعت عليها كما يلوح لي ، فاذا كانت صحيحة ، أو من السهل عليك أن تبلغيني اياها ، فانني سأكون شاكرة فضلك . واليك ما يذيعونه عنها ، أو بالاحرى ما يتناقلونه بصورة سرية ايضاً . ولكنه لن يلبث اكيداً حتى ينفجر بصخب وضجة :

لقد قيل ان المباراة التي وقعت بين السيد دي فالمون والفرانس دانسني هي نتيجة تحريض السيدة دي ميرتاي التي كانت تخدعها معاً كلا الاثنين . وانه كما يحدث دوماً في مثل هذه الحالة ، اخذ الخصمان يتعاركان ، وانهما لم يتوصلا إلا فيما بعد الى التوضيحات التي ادت الى المصالحة الصادقة بينهما . وان الفيكونت دي فالمون - لكي يكمل تعريف السيدة دي ميرتاي على حقيقتها إلى الفرانس دانسني ويبرر موقفه تماماً ازاء خصمه - قد دعم اقواله بمجشد لا يُحصى من رسائل تشكل مجموعة المراسلة المنتظمة التي كانت تقوم بينه وبينها . وتروي هذه فيها عن نفسها وبأسلوب اكثر حرية ، القصص الفاضحة المشينة .

ويضيف الناس الى ذلك قائلين ان دانسني قد أطلع هذه الرسائل عند فورة

غضبه الاولى ، على كل من شاء ان يراها ، وان هذه الرسائل اخذت الآن تتخاطفها ايدي الجميع في باريس . . ويستشهد الناس بصورة خاصة برسالتين منها \* تروي في احدهما سيرة حياتها التامة ومبادئها التي انتهجتها في المجتمع وهي مليئة بأقصى ما يمكن من القذارات المرعبة . وفي الاخرى تبرر كل التبدير السيد بريفان الذي تذكرين حكايته معها بالدليل الذي كتبتة بخط يدها ، وهو يثبت ان بريفان على العكس لم يفعل سوى انه استسلم الى الاغراءات الملحوظة التي نصبتها السيدة دي ميرتاي له ، وان الموعد بينها كان متفقاً عليه . ولحسن الحظ توجد لدي اسباب قوية تحملني على الظن بأن هذه الأراجيف هي ايضاً مزورة وكريهة . لأننا نعلم اولاً ان السيد دي فالون لم يكن مشغولاً بحب السيدة دي ميرتاي ، وهناك كل ما يحملني على الاعتقاد أن دانسني لم يكن يحبها هو الآخر . وهكذا يلوح لي انها لم تكن موضوع ولا سبب المعركة بينها . ولا أدرك ايضاً ما هي المصلحة التي يمكن ان تكون للسيدة دي ميرتاي المفروض بأنها كانت على اتفاق مع السيد دي بريفان ، في إثارة فضيحة ضده ، وهي فضيحة لا يمكن الا ان تعود عليها بأوخم العواقب ، نظراً لما سببته من ضجة وصخب ، ولأنها تجعل بذلك من نفسها عدوة لدودة لرجل تعرف انه يملك سرها ، وله انصار عديدون . غير ان ما يلاحظ بهذا الصدد انه منذ حدوث هذه المغامرة ، لم يرتفع صوت واحد مؤيداً السيد بريفان ، كما انه من جهته هو ، لم يقيم بأية محاولة لدحض التهمة عنه .

ولذلك تدفعني هذه الملاحظات الى الاشتباه بأنه هو نفسه مطلق هذه الاشاعات التي تنتشر اليوم ، وانا اعتبر هذه الاساءات ليست النتيجة لكراهيته وانتقامه . وقد قام بها املا منه في إشاعة الشكوك حولها على الأقل ، وفي تحويل الانظار عن التهمة الملققة به .

ولكن مهما كانت الجهة التي صدرت عنها هذه التخريصات ، فان من الأفضل الاسراع بتحطيمها والقضاء عليها . وهي ستداعى من تلقاء نفسها لو ثبت كما

هو محتمل ان السيدين فالمون ودانسني لم يتحدثا معاً على اثر مغامرتها التعميسة ، ولم تكن هناك اوراق متبادلة بينها .

وهكذا نظراً لفرط نفاذ صبري للتحقق من هذه الاحداث ، فقد أوفدت خادمي للسؤال عن السيد دانسني . ولكنه لم يكن موجوداً هو الآخر في باريس ، وقال خاصته لخادمي انه سافر في الليلة الماضية بناء على نصيحة تلقاها أمس ، وان مكان اقامته هو سر لا يمكن البوح به ، ويلوح ظاهرياً انه يخشى ذبول قضيته . وهكذا فلن يتسنى لي يا صديقتي العزيزة المحترمة ان أحصل على التفاصيل التي يهمني أمرها الا بواسطتك أنت ، والتي يمكن ان تكون ضرورية للسيدة دي ميرتاي . أنني اجدد رجائي اليك بان تعلمي على ارسالها إليّ في أقرب فرصة ممكنة .

لقد كان العارض الصحي الذي ألمّ بابنتي قليل الشأن ، وهي تقدم اليك احتراماتها .

١٦٩

من الفارس دانسني الى السيدة دي روزموند

باريس في ١٢ كانون الأول ?? ١٧

سيدتي

لعلك تجدين هذا المسمى الذي اقوم به اليوم غريباً ، ولكنني اناشدك ان تصغي اليّ قبل ان تحكي عليّ ، وألا تجدي في ذلك اية جرأة أو تهور بل بالاحرى كل ما انت خليقة به من الاحترام والثقة . انني لا انكر الاخطاء التي ارتكبتها تجاهك ، ولن اغفرها لنفسي طوال حياتي ، كلما فكرت لحظة انه كان من الممكن ان اتلافى الوقوع فيها . كوني كذلك متأكدة لكي تجديني معفى من الملامات بأنني لست معفى من الحشرات والندامات . واستطيع ان أضيف الى ذلك بكل اخلاص ان تلك التي اسببها لك تعود كثيراً إلى ما اشعر به . ولكي

تصدقني هذه المشاعر التي اجراً على تأكيدها لك حسبك ان تكوني عادلة ومنصفة كما ينبغي ، وان تعلمي رغم انه لم يحصل لي الشرف بأن تتعري عليّ بأنني اعرفك كل المعرفة .

ومع ذلك بينا أجار من القدر الذي سبب في آن واحد اشجانك وتعاساتي ، شاء بعض الناس ان يجعلوني أخشى بأنك تحاولين - تحت تأثير رغبتك في الانتقام - بشق السبل ارضاء هذا الانتقام عن طريق صرامة القوانين .

فاسمحي لي ياسيدي ان الفت نظرك بهذا الصدد إلى أن احزانك تطغى عليك وتستغلك ، لأن مصلحتي في هذه القضية مرتبطة كل الارتباط بمصلحة السيد دي فالون ، وأنه سيكون هو الآخر معرضاً مثلي للادانة التي شئت ان تثيرها ضدي . وسأعتقد اذن يا سيدي اني استطيع على العكس ان اعتمد على المساعدة اللازمة من جانبك - بدلاً من وضع العراقيل - للعمل على بذل الجهود التي سأكون مضطراً اليها، حتى يبقى هذا الحادث التعيس مدفوناً في طيات الصمت والكتمان . بيد ان هذه الطريقة التي تتفق مع المذنب والبريء في آن واحد ، لا يمكن ان تكفي لارضاء كرامتي . واني اذ أرغب في ابعادك عن القضية كطرف ثالث ، اطالبك بأن تكوني في آن واحد الخصم والحكم . لأن تقدير الأشخاص الذين نحترمهم هو ثمين جداً حتى أدع نفسي أستلب احترامك دون ان ادافع عن ذلك . واعتقد انني املك الوسائل اللازمة .

فاذا وجدت بالفعل ان الانتقام مسموح به ، أو بالأحرى مفروض علينا حين نكتشف اننا قد خدعنا في حبنا وصادقتنا وبصورة خاصة في ثقتنا ، اجل اذا وجدت ذلك فان ذنوبي ستزول كلها بنظرك ، وارجوك الا تأخذني بأقوالي وحسب ، بل اقرأي اذا كانت لديك الشجاعة الكافية هذه المراسلة التي اضمها بين يديك \* . وان الكمية الكبرى من الرسائل التي توجد

\* لنا بفضل هذه المراسلة ، والمراسلة التي سلمت كذلك عند وفاة السيدة دي تورفيل ، والرسائل التي عهد بها الى السيدة دي روزموند من قبل السيدة دي فولانج ، استطعنا أن نؤلف هذه المجموعة الحاضرة من الرسائل التي بين يدي القارئ ، والتي مازالت أصولها المخطوطة موجودة في حوزة وراثاء السيدة دي روزموند .

فيها بأصولها تجعل من تلك التي لا توجد سوى نسخ عنها ، صحيحة ثابتة .  
وفي الحقيقة لقد تسلمت هذه الرسائل كما لي الشرف بأن اوجهها اليك من السيد  
دي فالون نفسه . ولم اصف عليها شيئاً ، ولم انتزع منها سوى رسالتين ، سمحت  
لنفسى بنشرهما .

إحداهما كانت ضرورية لانتقامنا المشترك - السيد دي فالون وانا - الذي  
لنا الحق به كلانا ، وقد كلفني به بإلحاح قبل موته . وقد خيل اليّ ، بالإضافة  
إلى ذلك ، انني اسدي خدمة حقيقية الى المجتمع بكشفي النقاب عن امرأة  
خطيرة كالسيدة دي ميرتاي كانت - كما سيتسنى لك ان تستنجي بنفسك -  
السبب الوحيد الحقيقي لكل ما حدث بين السيد دي فالون وبينى .

كما أن شعوراً من الانصاف حملني على أن انشر الاخرى ، لتبرير موقف السيد  
دي بريفان الذي لا أكاد أعرفه . والذي لم يستحق ابدأ المعاملة القاسية التي  
تعرض لها ، ولا قساوة حكم المجتمع . مما هو اكثر مخافةً أيضاً ، وما زال يئن من  
تأثيره منذ ذلك الحين الى اليوم ، دون ان يكون لديه ما يدافع به عن نفسه .

ولذلك لن تجدي سوى نسختين عن هاتين الرسالتين اللتين ينبغي ان احتفظ  
بأصليهما لنفسي ، اما بقية الرسائل فأظن انني لا استطيع ان أجد آمن من يديك  
لأضعها بينها والتي ربما يعني ألا 'تتلف' ، ولكنني أخجل من استغلالها . اعتقد  
يا سيدتي انني بوضع هذه الرسائل في عهدتك أخدم ايضاً الاشخاص الذين تعنيهم  
وانني انقذهم بذلك من الارتباك الذي قد يحدث لهم لو تسلموها من جانبي ، ومن  
معرفة انني مطلع على مغامرات يرغبون في ان يجهلها جميع الناس .

اظن ان من واجبي تحذيرك بهذا الصدد ، أن هذه المراسلة المرفقة طيه ليست  
الاجزاء من مجموعة أضخم كان ان انتزعها السيد دي فالون منها امامي ، وان  
عليك إن تستولي عليها ما ان يتم رفع الحجز عن منزله وتجدينها تحت عنوان  
« حساب مفتوح بين المركيزة دي ميرتاي والفيكونت دي فالون » . وعندئذ  
تتخذين في هذا الصدد ، القرار الذي يقضي به احتراسك .

انني بكل احترام يا سيدتي ، الخ ...



لقد حملتني بعض الآراء والنصائح من قبل اصدقائي على  
التغيب عن باريس خلال فترة من الزمن : ولكن مكان عزلتي  
الذي لا ابوح به إلى احد ، لن يكون مجهولاً عليك . واذا شئت  
ان تشرفيني بجواب أرجوك ارساله الى قيادة ... بواسطة ب ...  
باسم القومندان دي ... الذي لي الشرف بان اكتب اليك  
من عنده .

١٧٠

من السيدة دي فولانج الى السيدة دي روزموند

باريس في ١٣ كانون الأول ?? ١٧

إنني أسير ، يا صديقتي العزيزة ، من مفاجأة الى مفاجأة ومن أسى الى  
أسى . ولا بدّ ان تكوني أما لكي تأخذي فكرة عما عانيته امس من عذاب .  
واذا كانت وساوسي القاسية قد هدأت قليلاً منذ ذلك الحين فقد ظلت لدي  
لواعج حادة ، لا استطيع ان اتوقع نهايتها .

لقد دهشتُ حوالي الساعة العاشرة من صباح امس لكوني لم أر ابنتي بعد ،  
فأوفدتُ خادمتي لمعرفة ماذا يمكن أن يعوق هذا التأخر . فمادت اليّ بعد  
قليل وهي مذعورة ، ثم أذعرتني اكثر حين اعلمتني ان ابنتي لم تكن موجودة في  
غرفتها ، وان خادمتها لم تر لها وجهاً منذ الصباح . تصوري موقفني ! فاستدعيت  
جميع خدمني ولا سيما بوابي ، وقد أقسموا لي جميعهم بأنهم لا يعلمون شيئاً ولا  
يستطيعون ان يفيدوني بشيء عن هذا الحادث . وعلى الأثر قصدتُ غرفة ابنتي ،  
فأعلمتني الفوضى السائدة فيها بأنها ظاهرياً لم تخرج إلا عند الصباح . ولكنني  
لم اعثر على اي ايضاح . ففتشتُ خزائنها ، ومكتبتها ، فوجدتُ كل شيء في  
مكانه ، باستثناء الثوب الذي خرجتُ به ، ولم تأخذ حتى القليل من الدراهم  
الذي كان لديها .

ونظراً لأنها لم تعلم سوى امس فقط بكل ما يقال عن السيدة دي ميرتاي وهي متعلقة بها جداً ، الى درجة انها لم تكف عن البكاء طوال السهرة ، وبما انني تذكرت انها لا تعلم ان السيدة دي ميرتاي قد قصت الريف . فقد كانت اول فكرة خطرت في بالي انها ارادت ان ترى صديقتها ، وانها ارتكبت حماقة الذهاب وحدها . ولكن الوقت الذي انقضى دون ان تعود ، جعل وساوسي تعاودني من جديد . وكانت كل لحظة تمر تزيد من عذابي ، ومع انني كنت اتحرق لمعرفة ماذا جرى لها ، لم اجراً على محاولة الحصول على اية معلومات خشية ان يؤدي مسعالي الى اثاره ضجة ربما اريد على اثرها ان اخفيه عن جميع الناس . كلا انني لم اعان في حياتي ابدأ مثل هذا العذاب .

واخيراً كانت الساعة قد تجاوزت الثانية بعد الظهر حين تلقيت في آن واحد رسالة من ابنتي واخرى من رئيسة دير «...» وقد جاء في رسالة ابنتي فقط انها خشيت ان اعترض على الدافع الالهي الذي شعرت به لتصبح راهبة ، ولذلك لم تجرأ على اعلامي بالأمر . وكانت بقية الرسالة عبارة عن اعتذارات لكونها اتخذت دون اذني هذا القرار الذي سوف لا اثنيها عنه اكيراً ، لو عرفت الاسباب التي حدثت بها الى ذلك ثم رجعتي ألا اسألها عن هذه الاسباب .

وابلغتني الرئيسة انها اذ شاهدت فتاة تصل وحدها الى الدير رفضت في البداية استقبالها ، ولكنها بعد ان استجوبتها وعلمت من هي ، خيّل اليها انها تسدي إليّ خدمة ، بتوفير ملجأ لابنتي لكي لا تعرضها إلى مساع اخرى بدت انها مصممة عليها . وقد دعنتي الرئيسة وهي تعرض عليّ ان تعيد ابنتي اليّ اذا طلبتها ، إلى عدم الاعتراض على دافع الهي يبدو انه صادر عن عزم وتصميم . وقالت لي ايضاً انها لم تستطع ان تعلمني بصورة أبكر عن هذا الحادث بسبب العناء الذي كلبدهته حمل ابنتي على الكتابة إليّ . لا سيما وان مشروعها كان يقضي أن يجهل الجميع اين التجأت . انه لأمر قاس جداً منطبق الاطفال !

وعلى الفور قصت هذا الدير ، وبعد أن قابلت الرئيسة طلبت اليها ان اشاهد ابنتي ، ولكن هذه لم تأت إلا بعد لأي وهي ترتجف . وقد تحدثت اليها

امام الراهبة . ثم تحدثت اليها على انفراد ، وكل ما استطعت معرفته منها ، خلال الدموع ، انها لا يمكن ان تكون سعيدة الا في الدير . فقررت اذن ان اسمح لها بالبقاء فيه ، ولكن دون ان تكون في صف المرشحات للرهبة كما تريد . وأخشى ان يكون موت السيدة دي تورفيل و وفاة السيد دي فالمون ، قد أثرا في عقل هذه الصغيرة . ومهما كان احترامي شديداً نحو هذا الدافع الديني ، فاني لن استطيع أن اتصور ابنتي تنهج هذا السبيل ، دون أن أشعر بالأسى والوجل . ويلوح لي ان لدينا واجبات كافية لكي نؤدّيها في هذه الحياة دون حاجة إلى ان نخلق لأنفسنا واجبات جديدة . ثم اننا لا نتمكن في مثل هذا العمر أن نعرف ما يلائمنا أم لا .

ان ما يضاعف ارتباكنا هي عودة السيد دي جيركور التي باتت قريبة جداً . إذ ينبغي ألاّ الغي هذا الزواج الممتاز ؟ وكيف يجب ان نحقق سعادة اولادنا ، اذا لم تكن الرغبة الموجودة لدينا ، ولا الجهود التي نبذلها في هذا السبيل كافية ؟ انني مضطرة للتساؤل عما يمكن أن تفعله لو كنت في مكاني ؟ ولا استطيع أن اتوقف عند أي قرار . كما لأجد أصعب ولا أشد خوفاً من تقرير مصير الآخرين . وأخشى بهذه المناسبة ان أضع كل صرامة القاضي ، او كل تحاذل الأم . انني ألوم نفسي باستمرار لكوني زدت من اشجانك ، بتحدثي اليك عن اشجاني ، ولكنني أعرف قلبك : وان العزاء الذي يتسنى لك منحه إلى الآخرين سيصبح اكبر عزاء يمكن أن تتلقيه . الوداع يا صديقتي العزيزة المحترمة . انني انتظر جوابيك على احمر من الجمر .

١٧١

من السيدة روز موند الى الفارس دانسي

قصر... في ١٥ كانون الأول ١٧??

بعد كل ما أعلمتني اياه ، يا سيدي ، لم يبق لي الا البكاء والصمت . ونحن نتأسف لكوننا ما زلنا نعيش حتى نطلع على مثل هذه القذارات المرعبة .

ونخجل لكوننا نساء حين نرى واحدة منا قادرة على ارتكاب مثل هذه المبالغات المائلة .

أنني مستعدة بكل طيبة خاطر ، يا سيدي ، في ما يتعلق بي ، إلى أسدال ستار من الصمت والنسيان على كل ما يمكن ان تكون له علاقة أو يؤدي الى ذبول بصدد هذه الاحداث المؤلمة . واتمنى ايضاً الا تسبب لك أية احزان أخرى ، باستثناء تلك التي لا تنفصل عن تغلبك على ابن شقيقي المسكين . وعلى الرغم من اخطائه التي اجد نفسي مضطرة للاعتراف بها ، فاني أشعر انني لن أتعزى ابدأ عن فقدانه . ولكن لواعجي الابدية ستكون هي الثأر الوحيد الذي اسمح لنفسني بأن انتزعه منك ، وان قلبك وحده يستطيع أن يقدر مداها .

إذا سمحت لي وانا في سني بان أبدي ملاحظة اليك وأنت في سنك ، فهي اننا لو شئنا ان نطلع على سعادتنا الحقيقية لما كنا بحثنا عنها خارج الحدود التي نصت عليها القوانين والدين .

تستطيع ان تكون متأكداً انني سأحافظ بأمانة على المستودع الذي عهدت به إليّ ، ولكنني اطلب اليك ان تسمح لي بالأسلمة الى أحد ، لا بل حتى اليك أنت ، اللهم الا اذا كان ذلك ضرورياً لتبرير موقفك . واجراً على الاعتقاد بانك لن تخيب لي هذا الرجاء ، ولن تشعر بانك ستندم عليه ، حتى ولو كان بودك الانتقام العادل .

إنني لا أتوقف عن طلباتي ، ونظراً لاقتناعي بما تتحلى به من أريحية وشهامة ، فانك ستكون جديراً بها لو سلمتني ايضاً رسائل الآنسة دي فولانج الموجودة لديك على ما يظهر ، وهي بدون شك لم تعد تهملك . انا اعلم ان هذه الفتاة الصغيرة قد اخطأت بحقك ، ولكنني لا اظن بانك تفكر في معاقبتها ، على الأقل من قبيل الاحترام لنفسك ، حتى لا تذلل شخصاً طالما احببته حباً جماً : ولست بحاجة اذن الى ان اضيف بانك مدين بهذه اللباقات التي تقوم بها نحو ابنة قد لا تستحقها ، الى والدتها هذه المرأة المحترمة التي قد تكون بحاجة إزاءها الى تدارك هفوتك على أهون سبيل : لأنه اخيراً مهما كان الوهم الذي نبحت عنه لتبرير رهاقة

المشاعر ، فان الأول الذي يحاول اغراء قلب ما زال شريفاً وبسيطاً ، يجعل من نفسه بهذه الطريقة سبباً لفسادها ، وينبغي ان يكون مسؤولاً عن العواقب التي تنتج عن هذا الفساد .

فلا تدهش يا سيدي لمثل هذه الصرامة من جانبي ، وهي اكبر دليل يمكنني ان امنحك اياه على تقديري التام . وستحصل على حقوق جديدة ايضاً اذا شاركت كما آمل في المحافظة على سر سيسيء نشره اليك ، ويحمل الهم والموت الى قلب سبق لك ان جرحته . واخيراً ارغب يا سيدي في ان أسدي هذه الخدمة إلى صديقتي ، واذا تسنى لي ان أخشى رفضك تقديم هذا العزاء لي ، فأني اطلب اليك ان تفكر قبل الرفض بانه الوحيد الذي تركته لي .  
لي الشرف أن اكون الخ ..

## ١٧٢

من السيدة دي روزموند الى السيدة دي فولانج

قصر ... في ١٥ كانون الأول ١٧??

لو كنت قد اضطرتت يا صديقتي العزيزة الى استحضار وانتظار التوضيحات التي تطلبينها في ما يختص بالسيدة دي ميرتاي ، من باريس ، لما كان من الممكن لي ان اقدمها إليك الآن . وبدون شك لما كنت تلقيت سوى توضيحات غامضة وغير اكيدة : بيد انه وردتني توضيحات بشأنها لم اكن اتوقعها مطلقاً ولم يكن هناك مجال لانتظارها . وهي تتضمن اكثر من تأكيدات صحيحة . آه يا صديقتي ! كم خدعتك هذه المرأة .

إنني استنكف عن الخوض في أية تفاصيل بصدد هذه الكومة من القذارات البشعة ، ولكن مهما افتضح من أمرها ، فكوني متأكدة انه أقل بكثير من الحقيقة . آمل يا صديقتي العزيزة ان تكوني تعرفيني جيداً حتى تصدقيني حسب اقوالي ، وانك لن تطليبي مني أي دليل ، إذ يكفيك أن تعلمي أنه توجد بين يدي في

الوقت الحاضر الوف البراهين والدلائل على إخطاط هذه المرأة .  
وانني اتقدم اليك بالرجاء نفسه - ولكن ليس دون عناء بالغ - بان لا  
تضطرينني إلى تبيان السبب الذي يحملني على إسداء النصيحة التي تطلبينها مني في  
ما يتعلق بالآنسة دي فولانج . بل أدعوك فقط إلى عدم الاعتراض على الدافع  
الديني الذي حدا بها إلى دخول الدير . من المؤكد أنه ليس هناك من سبب يمكن  
ان يسمح باجبار احد على سلوك طريق الرهينة حين لا يكون الشخص مدعواً  
إلى ذلك : ولكن هذا السبيل يشكل في بعض الاحيان سعادة كبرى . وأنت  
ترين ان ابنتك نفسها تقول لك أنك لن تثنيها عن عزمها لو عرفت أسبابها ..  
وان الذي يوحى الينا بعواطفنا يعلم اكثر من حكمتنا الباطلة ما يلائم كل منا .  
وان ما يبدو غالباً دليلاً على قساوته ليس على المكس الا دليلاً على عفوه  
وتسامحه .

واخيراً فمن رأي الذي أشعر جيداً انه سيفجعك ، ومن هنا ينبغي عليك  
ان تعتقدي انني لا أبديه لك الا بعد ان فكرت به جيداً ، هو ان تدعي الآنسة  
دي فولانج في الدير ، ما دام هذا القرار هو حسن الاختيار . وان تشجعها بدلاً  
من أن تعاكسها على هذا المشروع الذي يبدو أنها صممت عليه . وفي انتظار  
تنفيذه لا تترددي ابداً في الغاء الزواج الذي قررته .

انني بعد أن أدت هذه الواجبات القاسية التي تحتمها الصداقة ، ونظراً  
للعجز الذي انا فيه عن اضافة أي عزاء آخر فان الفضل الذي بقي عليّ أن  
أطلبه منك ، يا صديقتي العزيزة ، هو ألا تستجوبيني ابداً عن أي شيء له علاقة  
بهذه الاحداث المؤلمة : ولندعها في غمرة النسيان ، وهو ما يلائمها ، ونستسلم -  
دون أن نبحت عن استنارات مشجية وغير مجدية - الى مشيئة العناية الالهية ،  
ولنؤمن بحكمة قراراتها ، حتى ولو لم يكن مسموحاً لنا بأن نفهمها . الوداع يا  
صديقتي العزيزة .

## من السيدة دي فولانج الى السيدة دي روزموند

باريس في ١٨ كانون الأول ?? ١٧

آه يا صديقتي ! بأبي ستار مفزع تغلفين مصير ابنتي ! وكم تخشين كما يلوح ، من ان ازيع هذا الستار ! فماذا يُخفى عني اذن مما يمكن ان يفجع قلب أمّ اكثر من الظنون التي تسلميني اليها ؟ كلما عرفت صداقتك وتسامحك ، كلما تضاعفت وساوسي : عشرون مرة ، منذنهار أمس وددتُ الخروج من هذه الظنون القاسية ، والطلب اليك أن تعلميني بكل شيء دون مسايرة او مواربة .

إنني كل مرة أرعج خوفاً ، وانا افكر بالرجاء الذي تقدمت به اليّ لكيلا استجوبك . واخيراً فأنني اتوقف عند قرار ما زال يدع لي شيئاً من الأمل . وأنتظر من صداقتك بالا ترفضي رجائي : وهو ان تبغيني عما اذا كنت قد فهمت تقريباً ما يمكن ان تقوليه لي ، وألاً تخشي من اطلاعي على كل ما يمكن لسعة صدر الأم أن تستوعبه وتستره ، وليس من المستحيل تداركه . أما اذا كانت تعاساتي تتجاوز هذا الحد ، فسأوافق عندئذ على أن أدعك بالفعل تمتنعين عن الايضاح عن طريق صمتك . واليك إذن ماذا عرفته في السابق وإلى اي حد يمكن لخاوفي أن تذهب بعيداً .

لقد أظهرت ابنتي أن لديها ميلاً نحو الفارس دانسي ؛ وقد بلغني انها مضت في ذلك إلى درجة تلقي رسائل منه وحق اجابته عليها . ولكنني اعتقد أنني توصلت إلى الحيلولة دون ان يكون لهذه الهفوة الصبانية أية عاقبة خطيرة : واليوم وانا أخشى كل شيء ، فأنني ادرك انه من الممكن أن تكون مراقبتي قد خدعت ، واخاف أن تكون ابنتي قد أغريت وبلغت اوج ضلالها .

وأني اتذكر ايضاً عدة ظروف تستطيع أن تدعم هذا الخوف . لقد كنت قد اعلمت ان ابنتي قد اصببت بوعكة لدى تلقيها نبأ النكبة التي وقعت للسيد دي فالون . ولعل شدة هذه الحساسية كانت ناتجة عن فكرة الأخطار التي تعرض

لها السيد دانسني خلال المعركة .

ثم حين بكت كثيراً لدى اطلاعها على كل ما يقال عن السيدة دي ميرتاي ، ربما خيل اليّ ان حزنها على الصداقة ليس الا من تأثير الغيرة أو الندم لأنها وجدت في عشيقها رجلاً خائناً . وهكذا فان مسعاها الاخير يمكن كما يبدو لي ان يفسرّ بالسبب نفسه . وغالباً ما تظن احداهن ان الخالق يدعوها لخدمته ، بسبب ثورتها ضد الرجال . واخيراً على افتراض أن هذه الوقائع هي صحيحة ، وأن تكووني قد اطلعت عليها ، هل تجدونها كافية لكي تسمح لك بالنصيحة الصارمة التي تسدينها إليّ .

وفي الاثناء اذا كان الأمر كذلك فأني مع تأنيب ابنتي ، أعتقد انه يجب عليّ نحوها مع ذلك ان اجرب أيضاً جميع الوسائل لانقاذها من هذه الوسواس والاضطراب التي لا تنفصل عن دعوة ربانية وهمية عابرة . واذا كان السيد دانسني لم يفقد اية عاطفة شرف ، فهو لن يرفض ابداً تدارك هفوة هو الوحيد المسؤول عنها . وأستطيع أن أعتقد أن زواجه من ابنتي هي صفقة رابحة له حتى لا يستطيع إلا أن يفخر بها هو وعائلته ..

هذا هو يا صديقي العزيزة المحترمة الأمل الوحيد الذي يبقى لي . فسارعي الي تأكيدده لي إذا كان ذلك ممكناً . انك تتصورين كم ارغب في ان تجيبيني بسرعة ، وأية صدمة قاسية سيتركها في نفسي صمتك .

كدت اقبل هذه الرسالة ، حين حضر رجل من معارفي الي زيارتي وروى لي المشهد القاسي الذي وقع للسيدة دي ميرتاي أمس الأول . وبما أنني لم اقابل أحداً هذه الأيام الأخيرة ، فلم أكن أعلم عنها شيئاً حتى هذه اللحظة ، واليك ما حدث كما رواه لي شاهد عيان بنفسه .

بعد أن وصلت السيدة دي ميرتاي من الريف أمس الأول قصدت مسرح « الكوميديا الايطالية » . حيث لديها مقصورة خاصة بها ، وقد بقيت فيها وحدها . ولعل ما بدا لها غريباً جداً هو أنه لم يتقدم أحد من الرجال للسلام عليها أو التكلم معها طيلة الحفلة . ولدى خروجها دخلت حسب عاداتها الي



الصالون الصغير الذي كان يعجُّ بالقوم . وعلى الأثر ارتفعت جلبية بصددها ، ولكنها بدت ظاهرياً كمن لم تظن أنها المقصودة . ولاحظتُ أن هناك مقعداً فارغاً على أحد الأرائك الطويلة ، فذهبت لتجلس . ولكن جميع النساء اللواتي كن يجلسن فوقها ما لبثن أن نهضن دفعة واحدة، وتركنها وحدها . وقد قوبلت هذه الحركة الملحوظة من الاهانة العامة، بالتصفيق الحاد من جانب جميع الرجال، ثم ضوعفت بالوشوشات التي بلغت حدَّ الجلبة الساخرة .

وقد شاء حظها العاثر ، لكي تكون اهانتها كاملة ، ان دخل السيد دي بريفان - الذي كان قد انقطع عن الظهور في اي مكان منذ مغامرته معها - في اللحظة نفسها الى الصالون الصغير . وما أن لوحظ وجوده حتى حفَّ به الجميع نساء ورجالاً وهنقوا له مرحبين. ووجد نفسه محمولاً اذا صحَّ هذه التعبير على مقربة من السيدة دي ميرتاي من قبل الجمهور الذي ألّف حلقة حولها . وأكد أن السيدة دي ميرتاي ظلت محافظة على مظهرها الأمين وكأنها لم تراو تسمع شيئاً، ولم تبدل شيئاً من تقاطيع وجهها . ولكنني أعتقد ان في هذا الوصف شيئاً من المبالغة ! ومهما يكن من امر فان هذا الموقف الخزي حقيقةً بالنسبة لها استمر طول الوقت حتى أعلن عن وصول عربتها . ولدى رحيلها ودّعت ايضاً بصخب فاضح مضاعف . وانه لمن المؤلم لي ان اكون أمتّ بصلة القرابة الى مثل هذه المرأة . وقيل أن السيد بريفان قد استقبل خلال تلك السهرة بترحاب بالغ من قبل جميع زملائه ضباط فرقته الذين كانوا حاضرين . ولا يشكُّ أحد في أن رتبته ومركزه سيعادان اليه قريباً .

كما أن الشخص الذي نقل إلي تفاصيل هذه الحادثة أخبرني أن السيدة دي ميرتاي أصيبت في الليلة التالية بجمي قوية جداً ، ظنَّ في البداية أنها ناجمة عن تأثير الموقف العنيف الذي وجدت فيه نفسها قبلاً . ولكن تبين منذ مساء أمس انه ظهرت عليها امارات مرض الجدري بشكل شديد وسيء . وفي الحقيقة ستكون سعادة كبرى لها اذا ماتت بهذا الداء .

ويقال ايضاً ان كل هذه المغامرة ستسيء كثيراً الى دعواها المعروضة أمام

المحكمة ، والتي اصبح صدور الحكم فيها وشيكاً ، وهي بحاجة كما يُزعم الى كثير من الاستعطف والمراضاة .

الوداع يا صديقتي العزيزة المحترمة ، انني ارى في كل ذلك ان الاشرار قد عوقبوا ، ولكنني لا اجد اية مؤاساة لضحاياهم التعساء .

## ١٧٤

### من الفارس دانسي الى السيدة دي روزمود

باريس في ١٧ كانون الاول ?? ١٧

انك على صواب يا سيدتي ، ومن المؤكد انني لن ارفض شيئاً يتوقف البت فيه عليّ وتبدين انك تعلقين عليه بعض الأهمية ، وان الرزمة التي لي الشرف بان أبعث بها اليك تتضمن جميع رسائل الآنسة دي فولانج ، واذا قرأتها بعناية ، فستجدين - ربما دون دهشة - كيف يمكن جمع هذا القدر من سلامة الطوية مع هذا القدر من المكر والخداع ، وهذا على الاقل ما ادعشني كل الدهشة لدى تلاوتي اياها للمرة الاخيرة .

ولكن هل يمكن لأحد ان يمنع نفسه من الشعور بأشد السخط ضد السيدة دي ميرتاي حين يتذكر باية متعة شنيعة كانت تبذل كل اهتمامها لاستغلال هذا القدر من البراءة والسذاجة ؟

كلا ، لم يبق لديّ اي حب ، ولا احتفظ بشيء من عاطفة خُذلت بها بهذا الشكل المهين ، وليست هذه العاطفة هي التي تجعلني احاول تبرير الآنسة دي فولانج ، ولكن مع ذلك أقلم يكن من الممكن توجيه هذا القلب البسيط جداً ، وهذه الطباع العذبة السهلة نحو الخير بدلاً من دفعها الى حومة الشر ؟ وأية فتاة اخرى تخرجت مثلها من الدير ذاته ، دون خبرة لا بل دون اية افكار ، ولا تحمل أية فكرة من المجتمع - كما يحدث دائماً في مثل هذه الأحوال - سوى جهل متساوٍ بين الخير والشر . أقول أية فتاة غيرها ، كان يمكن ان تقاوم اكثر منها

ازاء هذه المكاييد المذنبية ؟ آه ! حسي لكي اكون متساعماً ان افكر كم ان التعاقب الدوري بين رقة الضمير وفساد الشعور يتوقفان على ظروف مستقلة خارجة عن ارادتنا . إذن انت تنصيفيني يا سيدتي حين تفكرين بأن ذنوب الأنسة دي فولانج نحوي التي شعرت بها بقساوة مريرة ، لا توحى اليّ مع ذلك بأية فكرة انتقام . وان هذا وحده يكفي لكي اكون مضطراً الى الإقلاع عن حبها ، كما ان كرهها سيكلفني ايضاً كثيراً من العناء .

لم اكن بحاجة الى اي تفكير لكي أرغب في ان يبقى كل ما يتعلق بها ، وكل ما يمكن ان يؤذيها مجهولاً من جميع الناس . واذا كنت قد بدوت بانني ارجأت الى بعض الوقت تلبية رغباتك بهذا الصدد ، فاعتقد انني لا استطيع ان اخفي عنك السبب . وهو انني اردت ان انتظر حتى اكون متأكداً من انني لن اقلق بشأن ما قد تجرّه قضيتي البائسة من ذبول ، اذ فيما كنت اطلب تسامحك وعفوك - واجراً على الاعتقاد ان لديّ بعض الحقوق في ذلك - خشيتُ أن أبدو كمن يشترى هذا التسامح مقابل تسليمك هذه المراسلة من جانبي . بيد أنني وقد تأكدت من نقاوة هذه الأسباب ، اعتراني الفخر - واعترف بذلك - لكوني وددتُ الا تترابي في ذلك . وآمل ان تغفري لي هذه الرقة في الشعور ، وهي عندي ربما حساسة اكثر من اللزوم ازاء الاجلال والاكبار اللذين توحينها لي ، بالنظر لما تمنحيني اياه من احترام .

ان هذا الشعور نفسه يحدو بي الى ان اطلب اليك منته اخيرة . وهي ان تتلطفني بإعلامي اذا كنت قد أدبتُ جميع الواجبات التي تحتتمها عليّ الظروف التعيسة التي وجدت نفسي فيها . ومتى أصبحت مطمئناً من هذه الناحية ، فان قراري قد اتخذ . سأرحل الى مالطة ، وسأذهب لأعمل هناك بسرور، وأحقق فيها بتدين أمنيات ستفصلني عن عالم ، كان عليّ رغم حداثة عمري أن اشكو منه أمر الشكوى ، سأذهب اخيراً لأحاول هناك ان انسى تحت سماء غريبة فكرة كثير من القذارات المتراكمة ، والتي لا يمكن لذكراها إلا ان تحزن بروحي وتذويها .

انني يا سيدتي بكل احترام الخ ...

١٧٥

## من السيدة دي فولانج الى السيدة دي روزموند

باريس في ١٤ كانون الثاني ?? ١٧

يبدو أن مصير السيدة دي ميرتاي قد تحدد أخيراً يا سيدتي العزيزة المحترمة ، وقد وصل الى درجة أصبح معها ألد أعدائها منقسمين نحوها بين الكراهية التي تستحقها وبين الشفقة التي توحى بها . وقد كنت على صواب حين قلت انه ستكون سعادة كبرى لها اذا ماتت بدائها . لقد عادت ، وهذا صحيح ، ولكنها مشوهة بشكل بشع جداً .

وقد فقدت من جراء الجدري احدى عينيها تقريباً . وتستطيعين ان تصدقيني بأنني لم أرها ثانياً منذ ذلك الحين ، ولكن قيل لي انها أصبحت على مبلغ كبير من البشاعة الرهيبة .

وكان المركيز دي ... الذي لا يدع فرصة تفوته دون ان يطلق احدى «تشنيعاته» يقول أمس وهو يتحدث عنها ان المرض قد قلب بشرتها قفلاً جيد . وان روحها أصبحت ظاهرة الآن على وجهها . ولسوء الحظ وجد الناس جميعهم ان عبارته صحيحة .

وهناك حادث آخر وقع لها وأضيف الى نكباتها ومصائبها . فقد صدرالحكم في قضيتها ، وكان ان خسرت كل شيء بصوت واحد . وقد حكم عليها باعادة النفقات والتعويضات والفوائد ، وارجاع المنافع والاملاك إلى القُصْر بحيث أن القليل من ثروتها الذي لم يُورط في هذه الدعوى قد أنفق على المصاريف . وما ان علمت بهذا النبأ ، حتى اتخذت ترتيباتها حالاً - رغم مرضها - وسافرت وحدها . ويقول خدمها اليوم أنه لم يشأ اي واحد منهم ان يلحق بها . ويُعتقد أنها قصدت هولندا .

وقد أثار هذا السفر أيضاً ضجة اشد من السابق ، لأنها حملت معها مجوهراتها وكل ما خف حمله وغلائمه مما يجب ان يعود الى ميراث زوجها ، هذا فضلاً عن تحفها الخاصة وحلاها . واخيراً كل ما قدرت عليه ، وتركت وراءها ديوناً تقدر بـ ٥٠٠.٠٠٠ ليرة . وهذا إفلاس احتيالي حقيقي .

وعلى أفراد الأسرة ان يجتمعوا غداً ليروا ماذا يمكن اتخاذه من تدابير مع الدائنين . وعلى الرغم من انني قريبة بعيدة جداً فقد عرضت المساهمة معهم في ذلك . ولكنني لن أحضر هذا الاجتماع لاضطراري الى حضور احتفال أشد كآبة أيضاً . إذ أن ابنتي سترسم غداً راهبة . وآمل انك لاتنسين يا صديقتي انني في هذه التضحية الكبرى التي أقوم بها ليس لديّ من سبب آخر لكي اعتقد انني مضطرة إليه سوى الصمت الذي احتفظت به تجاهي .

لقد غادر السيد دانسني باريس منذ حوالي خمسة عشر يوماً . ويقال انه سيذهب الى مالطة حيث قرر ان يقيم فيها . فهل فات الأوان للحيلولة بينه وبين ذلك؟ آه يا صديقتي ... إن ابنتي اذن مذنبه ؟ ستغفرين بلا ريب لأم لا تستطيع ان تستسلم إلا بصعوبة لمثل هذه الحقيقة الرهيبة .

وأني قدر انتشر منذ بعض الوقت حولي ، فضر بني في اعز ما لدي :

ابنتي وصديقتي !

ومن الذي لا يستطيع أن يرتجف رعباً وهو يفكر بالمصائب التي يمكن ان تنتج عن علاقة خطيرة واحدة ! وأية متاعب كان بالامكان تلافيا لو فكر الجميع فيها بتعقل ! وأية امرأة لا تهرب لدى أول محادثة من جانب رجل غاو ؟ وأية أم تستطيع - دون أن ترتجف خوفاً - ان ترى شخصاً آخر سواها يتحدث الى ابنتها ؟ ولكن هذه الملاحظات التي فات أوانها لا تأتي إلا بعد وقوع الكارثة . الوداع يا صديقتي العزيزة المحترمة . أشعر في هذا الحين ان منطلقنا الذي لم يكن كافياً في السابق لتلافي نكباتنا ، هو أيضاً غير كاف لكي يعزينا عنها .

انتهت

## العلاقات المخطرة

أجراً روائية في تاريخ الأدب الفرنسي منذ  
قرنين إلى اليوم . عالجت ببراعة جميع أنواع  
الحبب وصورة ومشاعره ، وكوامنه ، والدسائس  
التي تنحاز من أجله ، وفضحت أساليب العشاق  
والعاشقات للوصول إلى بغيتهن .

وتعتبر هذه الرواية بحق درسيّة للحب  
وقواعده وقوانينه ونتائج المخطرة .

إنها رواية في رسائل ، كل رسالة منها  
تضمن مفاجأة لا تخطر على بال القارئ .  
النهاية لا تخلو من عبر أخلاقية  
رغم ما تضمنته من مشاهد لا